قام الطالب بعمل التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة ...

مناقش د/ أحمد ... — مناقش د/ أبو أحمد — المشرف د/ أحمد ...

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الفكرية في غرب أفريقيا (الفرنسية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

إعداد الطالب
صالح إسحاق بامبا

إشراف فضيلة الشيخ
مصطفى محمد حلمي



المجلد الثاني

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان الرسالة : العقيدة الاسلامية في مواجهة التيارات الفكرية في غربي أفريقيا (الفرنسية) .

الدرجة العلمية : دكتوراه .

الطالب : صالح إسحاق بامبا

المشرفون : د/كمال جعفر أولاً ، ود/صلاح عبدالعليم ثانيا، ود/مصطفى محمد حلمي أخيراً .

ملخص الرسالة

فقد تكونت الرسالة من مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب ثم خاتمة وملاحق وفهارس . اشتمل الباب الأول (حالة البلاد قبل المدّ الاسلامي) على خمسة فصول تتحدث عن كل من الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية . أما الباب الثاني(دخول وانتشار الإسلام في المنطقة) ففيه ثلاثة فصول : بيان لكيفية دخول الاسلام المنطقة وكيفية انتشاره وعوامل هذا الانتشار . وجاء في الباب الثالث (أثر العقيدة الاسلامية) فصلان : أثر الاسلام في العقيدة والشعائر التعبدية وفي النهضة العلمية . وتضمن الباب الرابع (التيارات الفكرية في المنطقة) خمسة فصول : العلمانية وأثرها في المنطقة ، الأحزاب السياسية بعد الاستقلال ، حركة التنصير ، إحياء القومية الزنجية والتيارات النابعة من البيئة نفسها . وفي الباب الخامس (موقف المسلمين من هذه التيارات) ثلاثة فصول : حركات البعث الاسلامي ، واقع الدعوة ا لاسلامية في المنطقة وطريق الخلاص .

ولقد توصل البحث إلى نتائج ، كان من أهمها :

١ – الاستعمار الفرنسي يهدم الروح المعنوية في بلاد السودان الغربي.

٢ – محاولة أعداء الاسلام إثارة الشبهات حول الاسلام .

٣ – أثر فئة من المثقفين اعتمدت العلمانية والقومية الزنجية لتكون بديلاً عن العقيدة الاسلامية .

٤ – أثَّر الاسلام في بداية العصر التاريخي في بلاد السودان الغربي وما وصل إليه من تقدم وتطور بلغ شأوا كبيراً في الحضارة والمدنية فاقت ما كانت عليه أوروبا في القرون الوسطى

٥ – جميع التيارات الفكرية الحديثة ومذاهبها وحركة التنصير المضادة للاسلام ما هي إلا ظلالاً للإستعمار ولا يمكنها إسعاد البشرية . لذلك فإن مستقبل أفريقيا للإسلام إن شاء الله تعالى .

الطالب	المشرف	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
صالح إسحاق بامبا		


بسم الله الرحمن الرحيم

المبحث الثانـــي

مظاهر العلمانية في غرب أفريقيـــا

مقدمـة :

ان الحديث عن مظاهر العلمانية في غرب أفريقيا ، حديث طويل ، ومتعدد الجوانب ، ليس فقط لطول هذا التاريخ من الناحية الزمنيـــة ولكن ما وقع خلاله من أحداث جسام وتقلبات مذهلة ففقد - نتيجـــة لذلك - سكان المنطقة الروح المعنوية والثقة بالنفس ،لم يحدث مثلهـــا في تاريخ هذه المنطقـة منذ الماضي الموغل في القدم حتى أثنـــاء الهزات العنيفـة والصدمات الكاسرة التي تعرضت لها المنطقـة من جراء الغزو المراكشي لها .(١)

---

(١) وقد أشرنا فيما سبق الى أن العلاقات بين بلاد السودان الغربي والشمال الافريقي كانت طيبة حتى أيام أسكيا اسحاق الأول امبراطور دولة صنغاى (١٥٣٩ - ١٥٤٩م) (٩٤٦ - ٩٥٦هـ) ففي أيامه بدأت الغيوم تتلبد في سماء العلاقات بين القطريـــن وانتهى ذلك بقيام أحمد منصور الذهبي بغزو هذه المنطقـــة فقضى على امبراطورية صنغاى سنة ٩٩٦ هـ في الرابع من جمادى الأولى وسبب ذلك طمعه في الاستيلاء على مناجم الذهب فـــي غربي افريقيا ومناجم الملح اللتين كانتا تحت سيطرة امبراطورية صنغاى . راجع كتاب العلاقات للشيخ عوض الله ص ٨٤- ١٢٢ الملاحظ أن التاريخ الهجرى هذا صادف ٢٨ فبراير ١٥٩١ من التاريخ الميلادى .

ان الجهود الضخمة المبذولة من قبل المحتلين الفرنسيين العلمانيين وما استخدموه من التيارات الفكرية المتنوعة وما سعوا نحو تحقيقه من أهداف استعمارية متعددة . كل ذلك لا يمكن أن تستوعبه جملة و تفصيلا في صفحات محدودة نكتبها في هذا البحث .. من أجل ذلك رأينا أن نكتفي هنا بتتبع الخطوط العريضة الأساسية لمظاهر العلمانية في هذه المنطقة مع بيان الخطط والوسائل وبيان من هم رسل الغرب وجنوده في تنفيذ هذه الأفكار العلمانية في المنطقة ثم نذكر في النهاية نتائج العلمانية وأثرها السيء في المنطقة.

وأما الحديث عن مظاهر العلمانية في المنطقة ،فنستطيع أن نجملها في هذه النقاط :

١ - محاولة جادة في سبيل القضاء على العقيدة الاسلامية عن طريق تنحية الشريعة الاسلامية.

٢ - محاربة السلطات الفرنسية للغة العربية والثقافة الاسلامية.

٣ - دور النخبة الممتازة في تنفيذ الأفكار العلمانية بعد الاستقلال .

أولا - محاولة جادة في سبيل القضاء على العقيدة الاسلامية عن طريق تنحية الشريعة الاسلامية واحلال مناهج العلمانية محلها .

حينما جاءت فرنسا الى غربي أفريقيا للاستعمار ،لم تجد أمامها قوة مانعة من هذا الغرض الا الممالك الاسلامية التي كانت منتشرة في جميع أرجاء المنطقة الخضراء ،وان لم تكن هناك حكومة مركزية أو امبراطورية قوية مثل (غانة ومالي وصنغاى) تجمعها كلها تحت راية واحدة .

فبدأت فرنسا بادىء ذى بدء - باقامة الشركات التجارية لتكون رائدة لهذا الاحتلال والاستعمار (١) فمشت بذلك شوطا ثم بدا لها بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤ - ١٨٨٥م أن تقوم باستعمال القوة لقمع المقاومة الاسلامية العنيفة التي كان الامام ساموري توري يتزعمها

---

(١) وقد كان الأوربيون في بداية الأمر ينشئون على سواحل غربي أفريقيا مراكز تجارية تعرف باسم كومبتوار (Comptoire) وفي هذه المراكز التجارية انحصر نشاط الأوربيين واقتصر على تجارة العبيد في أول الأمر فلما ألغى الرق تضاءلت أهمية هذه المراكز وانعدمت أهمية بعضها . راجع كتاب السنغال ،محمود شاكر ص ٦٦ .
وظلت هذه السياسة تسير هينة بطيئة في أول أمرها حتى منتصف القرن التاسع عشر ،وفي سنة ١٨٥٤ م عين الجنرال فيدهرب حاكما على اقليم السنغال فكان أول من اتجه بكل قوته الى تدعيم
===

ذلك المؤتمر الذى يعتبر عملا دوليا لتنظيم عملية السلب والنهب في القارة الأفريقية ، وقد حضر ذلك المؤتمر التآمرى ضد الافريقيين ١٤ دولة أوروبية بما فيهم الولايات المتحدة ما عدا سويسرا فلما انتهى هذا المؤتمر المشئوم الى اباحة الاستيلاء على أجزاء سواحل أفريقية على شرط تدعيم هذا الاستيلاء بقوة فعلية بادرت فرنسا باعلان حمايتها على هذه الأجزاء الافريقية (١) يعني المكان الذى خصصنا له هذا البحث .

=== هذه المراكز بل مد نفوذ دولته الى الداخل . راجع استعمار أفريقيا ، د/ زاهر رياض ص ١٥٨ ، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م. راجع كذلك تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ، جمال شوقي ص (٥٣٢).

(١) وبيان ذلك أنه : في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، أصبحت افريقية للاستعمار الأوربي وراح الأوربيون يقسمون القارة كالفريسة تتقاسمها السباع الضارية ، وسرعان ما وصل التنافس بين المستعمرين الى حافة الصراع ثم رأى المستعمرون أن ينعموا بالفريسة بدل أن يتصارعوا عليها فلم تكن الفريسة عندهم موضع عطف ولا كان التهام افريقيا موضع تردد . من هنا شهدت أوربا سلسلة من المعاهدات والاتفاقات من أشهرها معاهدة برلين هذه . راجع لمحات من التاريخ الافريقي الحديث د . أحمد ابراهيم دياب ص ١٢٩.

ولكن الفرنسيين ، بعد محاولاتهم المريرة ، وبعدما أحرزوه من انتصارات عسكرية على الممالك الاسلامية وفي مقدمتها مملكة الامام الساموري توري سنة ١٨٩٨ م . قد عجزوا عجزا تاما - كما قلنا سابقا - عن اخماد جذوة هذه العقيدة والفراغ منها . . لذا لجأوا أخيرا الى خطة خبيثة شرسة وهي ما نسميه في اصطلاحنا المعاصر بـ " الغزو الفكري " أو " التيارات الفكرية " الحديثة .

و هي غزو القلوب وتسميم الأفكار و تشويه المفاهيم والحقائق التاريخية الثابتة ، لجأوا الى هذه الخطة الخبيثة لا قصاء الشريعة الاسلامية واستبدالها بثقافات علمانية زائفة ووضع مناهج مضللة مع مراعاة اخفاء لروح العداوة ودفن جذوة الحقد والضغينة تحت الرماد ، والظهور في مظهر الصديق الناصح الأمين عند تنفيذ الخطة .

وهكذا اتخذ هذا الغزو الفكري ما شاء له من مكر فرنسا ودهاؤها من شعارات فارغة متنوعة . فنعتت بواعثها بأنها محاولة لتحقيق المساواة والاخاء والحرية بين الشعوب الافريقية وفرنسا (الأم) فاخترعت سياسة جديدة تعرف في التاريخ بسياسة (الاستيعاب L'Assimilation) (١) .

---

(١) وهي السياسة التي أطلقت الحكومة الفرنسية عليها كلمة - (Assimilation) يعني محاولة ادخال بعض أبناء المستعمرات في زمرة الفرنسيين وهي التي ترجمها كثير من الكتاب باسم (الامتصاص) ، لأنها تحاول أن تجعل الفرنسيين يمتصون الوطنيين الافريقيين لينسوا أصلهم الافريقي

===

أو وصفت سياستها تارة بأنها اقتصادية خالصة ،أو أنها انسانية من أجل نشر الحضارة الفرنسية في غربي أفريقيا ،ورفع مستوى شعوبها المختلفة وانقاذها من الفقر والجهل والظلم ، أو أنها من أجل تحقيق المصالح القومية وما الى ذلك... مع غاية الحذر من الاشارة الى الباعث الديني والحقد الصليبي ضد العقيدة الاسلامية ،حتى لا تثير الروح الجهادية من المسلمين بانكشاف الخطة المدبرة لهم قبل اكتمال أدوارها فتكون العاقبة وخيمة .. لذا في بادىء الأمر لجأت الى التحبب والتقرب الى علماء المسلمين (كراموكو) الذين يخافون منهم لجأت اليهم بأقوال معسولة و تقديم الهدايا لهم كما حصل ذلك بينهم وبين الامام الكبير في مدينة بندوكو بساحل العاج عام(١٩١٥م)(١) ،

=== وكما يسميها بعض الكتاب باسم (المطابقة) لأنها محاولة من أجل جعل هؤلاء الافريقيين صورة طبق الأصل من الفرنسيين. ان هذا القول في ظاهره رقي ولكنه في باطنه خداع ومكر. فقد كذبت تصرفات فرنسا نفسها . من عدة أوجه ،منها :

١ - الأعمال الاجبارية المجانية .
٢ - والتجنيد العسكرى الاجبارى .
٣ - الأتاوات الاجبارية .
٤ - والتفرقة بين الفرنسيين والافريقيين أمام القانون والمحاكم وأشياء كثيرة .

راجع كتاب استعمار افريقيا . المصدر السابق ص ٣٢١ ،بتصرف.

(١) وقد ذكر (بول مارتي) أن فرنسا ما زالت تقدم الهدايا الى الامام الكبير في مدينة بندوكو واسمه :
===

(ومامادوسوماری) رئیس أهل مدینة کورغو بساحل العاج عـــــام ١٩١٦م . (١)

=== کوناندی تیمي (Konadi-Timite) فاغتر هذا الشیخ وأخلص وده لفرنسا ولم یکتف بذلك بل کتب بخط یده رسالة موجهة الی شعوب منطقة بدوکو یحثهم فیها علی طاعـة فرنسا وأوجب طاعتها علیهم بقوله تعالی :
﴿ أطیعوا الله وأطیعوا الرسول وأولي الأمر منکم ﴾ - (ســورة النساء / ٥٩) .
وقد تم کتابة هذه الرسالة في یوم الجمعة ١٨ یونیو سنة ١٩١٥م وسیجد القارئ صورة لهذه الرسالة في الملاحق .

(١) وقد اغتر أیضا بما کانت تقدمه فرنسا في بدایة الأمر للمسلمین ، الشیخ ماماد وسو ماری (Mamadou Soumpre) فکتـــب الرسالة الی مکة بتاریخ (١٩/ ١٩١٦م) .

وهکذا فعلت فرنسا في البدایة ولکن لما استتب لها زمام الأمور أتت بما لم یکن في الحسبان ، أتت بالتجنید الاجباری وأعمال السخرة الاجباریة المجانیة مع الضرب والتعذیب وأخـذ الضرائب الباهظة واستغلال ثروات البلاد لصالح فرنسا .

راجع :
Etude sur L'Islam en cote d'ivore
p.486-487.

فأما الأول فقد طلب منه من قبل السلطات الفرنسية أن يكتب رسالة موجهة الى أهل بندوكو يطلب منهم جميعا الطاعة والولاء لفرنسا ففعل ذلك ولا يدرى أن ذلك خداع و مكر من فرنسا .

وأما الثاني فلم يطلب منه تقديم رسالة الى سكان المنطقة و انما طلب منه أن يوجه رسالة الى أهل مكة طالبا منهم الدعاء لفرنسا التي تقدم لسكان المنطقة كل المعونات وتوفر لهم جميع أسباب الراحة لتنتصر فرنسا على الألمان في الحرب التي كانت دائرة بينهما آنذاك.

وفعلا كتب المذكور هذه الرسالة الى أهل مكة بواسطة السلطات الاستعمارية نفسها .

وهكذا بهذه الأساليب الملتوية والطريقة الثعلبية استطاعت فرنسا أن تثبت وجودها في المنطقة لتنشر مخططاتها العلمانية في صفوف المسلمين من حيث لا يشعرون ففتحوا لها قلوبهم وقدموا لها الطاعة والولاء من غير أن يعرفوا أن السم في الدسم.

وبتعبير آخر : ما كانوا يعرفون أن فرنسا تريد أن تغزو قلوبهم وأرواحهم .. وأنها لم تواجههم بالقوة والقمع لحاجة في نفسها .

ولكن فرنسا التي كانت تضمر السوء ضد سكان المنطقة ،تدرك جيدا أن ضربات الغزو الفكرى أوجع وأكثر فعالية وأعمق تأثيرا من الغزو المسلح الدموى ، خاصة لما رأت تحرك العقيدة الاسلامية وهي تدفع بأتباعها ليمنعوا تدفق هذا الطوفان العلماني الاستعمارى رغم تلك الهزائم التي أصابت الممالك الاسلامية عند بدء الاحتلال في

المنطقة . ومن جانب آخر ، رأت فرنسا أن العلماء - بعد الهزائم التي أصابت دولهم - بدأوا ينشئون المدارس في كل مكان لتعليم الدين الاسلامي ومجالس الذكر (١) كما أشرنا الى ذلك سابقا ، فكل ذلك دفع الفرنسيين الى اتخاذ هذه الخطة المذمومة ألا وهي : (الغزو الفكرى بتياراته الفتاكة) . ولكن العلمانيين كانوا يحسبون للعقيدة الاسلامية ألف حساب مخافة أن يتكرر الصراع (٢) المرير الذى ذكرناه سابقا فتثير غضبة الجماهير وتبعث في قلوبهم روح الجهاد والاستماتة في سبيل الدفاع عن العقيدة والوطن .

لأجل ذلك كله لجأوا الى الكيد والمكر والخداع واتخذوا جميع الأساليب الملتوية لبلوغ غايتهم. (٣)

بهذه الحيلة وقفت فرنسا أمام النفوذ الاسلامي في غربي أفريقيا خاصة في المجالات التشريعية والسياسية فغابت شريعة الله من واقع الحياة في هذه المنطقة بأسرها .. لأن التحكيم الى المحاكم الفرنسية العلمانية في كافة الشئون الا الأحوال الشخصية فقط ، قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم ، أثرا واضحا جعلهم يبدون في مظهرهم العام علمانيين الى حد كبير ...

---

(١) حاضر العالم الاسلامي ، المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٢) الافريقيون والعرب ، أحمد سويلم العمر ص ٢٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩ وراجع كذلك الدعوة الى الاسلام ، أرنولد توماس ص ٢٢٩ .

وهكذا فقد الاسلام مكانته ونفوذه بسبب ما قامت به هذه السلطات الاستعمارية من تخطيط مدروس وأساليب في غاية من الخبث والدهاء والشمول ... وذلك هو اللب المثمر في كل ما تركته المحاولات الفرنسية العلمانية ...

هذا هو الواقع المأساوي الذي يعيش فيه المسلمون بالمنطقة منذ أن بسطت السلطات الاستعمارية الفرنسية نفوذها على المنطقة . وقد رأينا فيما سبق أنه لم يكن للمسلم في هذه المنطقة منذ القرن الحادي عشر الميلادي الذي تحولت فيه غانة الى امبراطورية اسلامية الى آخر القرن التاسع عشر الميلادي لم يكن اتجاه سياستها يخالف الاسلام - رغم الظروف المريرة التي مرت بها - كما ذكرناها سابقا - ولا أدب الا الاتجاه الاسلامي والأدب الاسلامي ولا أعياد الا الأعياد الدينية ، بل لم يكن ينظر الى العالم الا بمنظار الدين ... وكان الدين هو كل شيء .

أما بعد الاحتلال التام الفرنسي للمنطقة سنة ١٩٠٠ م فقد أصبح الجيل الجديد بفضل هذه الثقافات الفرنسية التي يدرسونها في المدارس العلمانية ، يقرأون مقالات في موضوعات مختلفة لا صلة لها بالدين ،كما أصبحوا يرون الشريعة الاسلامية - بعد تأسيس هذه المحاكم العلمانية (١) في جميع أنحاء المنطقة لم تعد هي الفيصل فيما يعرض لهم من المشاكل ولكنهم مرتبطون بالقوانين الوضعية الفرنسية (La loi francaise) العلمانية كما أصبحت الأعياد الرسمية هي الأعياد الفرنسية مثل عيد الاستقلال الفرنسي المسمى ب (١٤ يوليو - 14 Jouillet) وعيد ميلاد عيسى المسمى ب (Noel نويل) وغيرها . . وكذلك تغيرت الأوضاع في المنطقة.

وهكذا صرح الفرنسيون بأن القضاء على الشريعة الاسلامية في غرب أفريقيا هو الخطوة الأولى في منع انتشار الاسلام بين الشعوب الافريقية .

ان هذا الأسلوب (أسلوب المكر والخداع و محاولة تنحية الشريعة الاسلامية عن واقع الحياة) ليس بجديد على فرنسا . فقد

----

(١) Histoire et civilition de l'Afrique noire J.Paul p.75.

كان أول من أسس المدارس العلمانية والمحاكم العلمانية هو الحاكم فيدرب سنة ١٨٥٤ م .

هو فيدرب لويس سيراز (١٨١٨-١٨٨٩) ،اداري فرنسي بالمستعمرات ، عين حاكما للسنغال (١٨٥٤-١٨٦١م) و(١٨٦٣-١٨٦٥م) حيث حارب عمر أحد الزعماء السنغاليين ،وأقام مستعمرة منظمة ،تسير نحو التقدم والرخاء . . عين في الحرب الفرنسية (١٨٧٠-١٨٧١) قائدا لجيش الشمال في الأيام التي تلت سقوط (سيدا) ونال بعض الانتصارات . . أرسلته الحكومة الفرنسية الى مصر لدراسة الآثار والنقوش القديمة. راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٤٤ .

كان (نابليون)الفرنسي أول من حاول تنفيذ مثل هذه الخطة .. فقد رأينا بعد حملته العنيفة على (مصر المسلمة) يصدر بيانه الخطير الذى افتتحه بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) .(١)

وأكد في هذا البيان للمصريين أن الفرنسيين مسلمون وأنصار الاسلام وأنه هو نفسه (مسلم) وان عز على المسلمين أن يصدقوه في ذلك فهو -على الأقل - حام وصديق للاسلام...

وكان نابليون يرتدى الجبة ويلبس العمامة ويحضر الاحتفالات الدينية وصار يرأس مجلس العلماء ويتظاهر بالتودد والتقرب من العلماء ولكنه - رغم كل ذلك - لم يستطع اخفاء الأعمال الحقيقية والأهداف الصليبية الرئيسية التي دفعته الى احتلال (مصر المسلمة) فقد انكشفت خطته وسقط القناع عن وجهه وظهرت حقيقة أمره بما استهل به فترة حكمه لمصر من محاولة جادة لتعطيل الشريعة الاسلامية واحلال القانون الفرنسي محلها والعمل على القضاء على قوة الاسلام بقسوة وعنف وحماقة مما حطم أطماعه وأضرم عليه نيران المقاومة حتى اضطر الى الانسحاب .(١)

---

(١) انظر : نابليون المسلم ،أحمد جل الوحيد ص ٢٠-٣٠ ، بتصرف .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠ .

تلك هي الخطة ذاتها التي سار عليها أحفاد (نابليـــون) في غرب أفريقيا الا أنهم استفادوا من فشل نابليون بسبب حماقتـــه وتهوره وحميته الصليبية الشديدة .. لذا حاول أحفاد (نابليون) في غرب أفريقيا أن يتجنبوا الأساليب الاستفزازية ويعملوا في تنفيذ الخطة بطرق ملتوية لا تنبيء عما وراءها من مقاصد وغايات صليبية حتى تأخذ الخطط طريقها دون أن يحس المسلمون في غرب أفريقيا وغيرها بماتنطوى عليه من مكيدة و مكر و روح عداء . فلجوءوا في البدايـــة الى اتخاذ سياسة غريبة و تعرف بسياسة المحاكم العرفية والوثنية .. فما هي هذه السياسة الجديدة ؟ فيما يلي شرح موجز لهذه السياسة ..

سياسة المحاكم العرفية والوثنية

جربت فرنسا هذه السياسة في المنطقة للقضاء على الشريعة الاسلامية واحلال الوثنية مكانها كخطوة أولى ..

لذلك فقد اتخذت بعض الوثنيين في جميع أنحاء المنطقة كقضاة ليحكموا في المحاكم الفرنسية بالأحكام العرفية الوثنية كأمثال (نحو ن وترا (Noh Ouattara) رئيس مدينة (دبكلا) المولود بسنة (١٨٨٦)م ، اتخذوه وأمثاله ليحكموا بالعرف الوثني كخطوة أولى للقضاء على الشريعة الاسلامية.

وقد يتعجب الانسان من هذه السياسة ، كيف تفضل فرنسا الوثنية على الشريعة الغراء ؟ والمعلوم أن الوثنية بدائية وليست صالحة للبقاء حتى تتحاكم اليها فرنسا . وليست من البيان والوضوح حتى تقوم عليها محكمة تحكم بين الناس .. ولكنها صالحة عند فرنسا لقطع المرحلة التي يفصل فيها قسم من افريقيا عن الأحكام الشرعية ..

بل ترى فرنسا أن كل مهاجم للحكم الشرعي -ولو كان أضعف من خيوط العنكبوت هو علامة مشجعة لنجاح خطتها .. وأنه متى تعود سكان هذه النواحي على الحكم بغير ما أنزل الله واستعمال اللغة الأجنبية الى جانب اللهجات الأفريقية المحلية لا تبقى هناك صعوبة في ادخال الأفكار العلمانية في عقولهم ..

وان هذه الحقائق العلمية التي تحدثنا عنها في هذا الموضوع ، موضوع سياسة المحاكم العرفية والوثنية بدل الشريعة في المنطقة ، ليست

من قبيل الاتهامات لفرنسا ،أبدا ،فأمامنا نصوص كثيرة تشير الى ذلك،
فلنكتف هنا بما وزعه المسيو بريفيه (Perefet) الحاكم في النيجر..
من منشورات جاء فيها مايلي :

" وانه يوجد من ذلك (العادات الوثنية الموروثة) قواعد
قضائية كافية لأجل حل المشكلات الاجتماعية ، وفصل الخصومة الفردية
وهي من وجوه كثيرة لا تقل متانة عن الشرع الاسلامي "(1)

هل يصدق باحث علمي في فرنسا أن الزنوج غير المسلمين (البامبراه)
(Bambara) والذين يعبدون الحيوانات والأشجار وأرواح السلف
والحشرات .. أن هؤلاء الوثنيين عندهم ما في الاسلام الحنيف من
قوانين .

ان الأمر - كما تقدم - يتلخص في الحقد على الاسلام ومحاولة
خنقه بأية وسيلة فكانت النتيجة الحتمية أن الشريعة الاسلامية ألغي العمل
بها في جميع أقطار غرب أفريقيا من موريتانيا والسنغال ومالي وغينيا
وساحل العاج والنيجر وفلتا العليا وداهومي وغير ذلك فقد صارت
جميع قوانين هذه البلاد جميعا مأخوذة من القانون الفرنسي في مجمله
وبقيت زاوية ضيقة للشريعة الاسلامية ، هي زاوية الأحوال الشخصية..

وحتى هذه الزاوية الضيقة ،لا يزال تلاميذ الغرب من الحكام

---

(1) الحركة الفكرية ، المصدر السابق ص ١٢٨.

المحليين الذين استلموا الحكم بعد الاستقلال يحاولون زحزحة الشريعة عنها .. كما سنبين ذلك في صفحات قادمة ان شاء الله تعالى .

هكذا محيت الشريعة الاسلامية عن الحياة الاجتماعية في غرب أفريقيا .

فلنواجه الآن جولة أخرى واسعة لنتحدث فيها عن موقف السلطات الاستعمارية من اللغة العربية والثقافة الاسلامية في المنطقة .

ثانيا - محاربة السلطات الفرنسية للغة العربية والثقافة الاسلامية :

رأينا فيما تقدم المخططات الاستعمارية التي اتخذت لمحاربة التشريع الاسلامي في المنطقة ، وكما تحدثنا على وجه الاجمال عن الدور الخطير الذى أداه رسل الغرب المعروفون باسم " النخبة الممتازة " ذات الثقافة الغربية (La haute classe) في اتخاذ العلمانية دستورا لجمهورياتهم الافريقية الجديدة (١) ، واتخاذ الأحزاب السياسية التي اخترعوها ، مصدرا للتشريع على حساب الأديان السماوية (وسيأتي تفصيل ذلك في صفحات قادمة) .

ونحن الآن بصدد الحديث عن موقف السلطات الاستعمارية الفرنسية من المدارس الاسلامية ابان الحكم الاستعمارى . (l'Epoque coloniale) .

وقبل أن نخوض في هذا الحديث ، نود أن نشير الى أننا سنقف قليلا مع هذا البحث لبيان تفاصيل الصراع المرير الذى دار بين العلمانيين وبين المسلمين في المنطقة خاصة في السنغال التي تعتبر العاصمة الادارية العامة لجميع المستعمرات الفرنسية الثمانية التي كانت في غرب أفريقيا آنذاك - نقف قليلا مع البيانات الادارية الاستعمارية

---

(١) راجع أفريقيا في التاريخ المعاصر ، د . رأفت غنيمي الشيخ ص ١٢٩ مصر : دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٨٢ م .
وراجع كذلك الاسلام دين الجماعة ، أحمد سيكوتورى الترجمة العربية ص ٣٥ .

والأراشيف الأهلية في السنغال والجرائد والصحف التي كانت تنشر ابان الحكم الاستعماري.

لا لشيء الا لنطلع على القرارات التي كانت تعلن من قبل السلطة الاستعمارية ضد المدارس الاسلامية ومدرسيها.. والخطط والأساليب التي اتخذتها هذه السلطة للقضاء على التعليم الاسلامي في المنطقة.. ثم نعلق على ذلك ليتبين لنا - بكل وضوح - نوايا السلطة الاستعمارية تجاه المدارس الاسلامية في تلك الحقبة الاستعمارية وتجاه الاسلام والمسلمين .

فمن نافلة القول أن نقول - ولله الحمد - أنه توجد أمامنا عند كتابة هذا البحث مصادر لها أهميتها الكبرى لأنها قد كتبت بأيدى الفرنسيين أنفسهم عندما جاءوا للاستعمار والاستغلال في غرب أفريقيا..

ومن تلك المصادر الجادة ،البيانات الادارية في السنغال التي كانت تعلنها السلطات الاستعمارية ضد المد الاسلامي ،وضد نفوذ المدارس الاسلامية .

وقد كتبت هذه البيانات الادارية بمسمع ومرأى من الحاكم الفرنسي الذى كان يحكم في غرب أفريقيا والمعروف في التاريخ باسم جنرال فدهرب (Fedherb) سنة ١٨٥٧م.

وهذه البيانات الادارية الاستعمارية تعرف في اللغة الفرنسية باسم :

(Les bulletins admistratifs du senegal)

وقدعثرنا عليها بواسطة القسم الاسلامي بجامعة (دكار)
القسم المعروف باسم ليفان (L- i - F -A)[1] .

ففي هذه البيانات الغناء عما سواها بما يتعلق بالمخططات الاستعمارية ضد المدارس الاسلامية في المنطقة واحتواء الاسلام ومنعه من الانتشار والتمكن .

ومما لا شك فيه ، ان هذا المجال - مجال التعليم والثقافة - هو أخطر مجالات الحياة الاجتماعية ، والسيطرة عليه سيطرة على مستقبل الأمة وتحكم دقيق في خطواتها على الطريق في كافة ألوان النشاط البشرى ..

وما دخل الاستعمار بلدا الا وكانت ضربته الأولى نحو الحكم والتشريع وضربته الثانية نحو سياسة التعليم ونظمه في هذا البلد وتاريخهم وتاريخ خططهم في تشويه التعليم في معظم بلدان العالم الاسلامي في افريقيا وآسيا ، ليس بخاف على أحد ممن يقرأون ويفهمون ..

---

(١) ومعنى هذه الرموز باللغة الفرنسية :
(l' istutu Francais en Afrique Noire)
أى المعهد الفرنسي في افريقيا السوداء " وقد حول هذا القسم الى القسم الاسلامي بجامعة دكار . وهو يعتني أول ما يعتنى - بالمخطوطات الافريقية السوداء والحياة العلمية التي عاش فيها قدماء الافريقيين . وقد زرت هذا القسم بتاريخ ٣/رجب/١٤٠٥هـ/ الموافق ٢٠/ ابريل / ١٩٨٥م .

وعندما استولت السلطة الفرنسية في غرب افريقيا خاصة السنغال التي كانت أول مستعمرة فرنسية في المنطقة (١) ، كانت البلاد ، (بلاد السودان الغربي) - تجمع في تعليمها لأبنائها في المجالس والكتاتيب والمساجد والمعاهد وكافة دور التعليم ، بين المعلومات والحقائق الدينية الاسلامية ، وبين المعلومات والحقائق التي تتطلبها حاجات الناس في هذه المنطقة الأفريقية . (٢)

فقد كانت سياسة هذه المدارس الاسلامية تقوم على تكوين المسلم الفاهم لدينه القادر على العمل والكسب الشريفين .. وماتخرج من هذه المدارس والمعاهد والمساجد رجل واحد يعجز - بسبب القصور في مناهج تعليمه - عن ممارسة عمل شريف في المجتمع الأفريقي السوداني ..

فقد ذكرنا سابقا المراكز الثقافية في تمبكتو (Toumbouctou) وجنى (Djene) وغاو (Ghao) وكونغ (Kong) وبندوكو (Bondoukou) وغيرها من المدن الثقافية التي ذكرناها .

---

(١) وكان لفرنسا قبل أن تباشر نشاطا استعماريا على نطاق واسع محطات على الساحل الغربي لافريقيا تباشر منها جماعات التجار الفرنسيين نشاطها الاقتصادى ، تلك الجماعات التي تحولت الى شركات تنافس شركات الدول الأوربية الأخرى . وكانت المحطة الأولى لفرنسا على الساحل الغربي لأفريقيا تلك التي أنشأتها عام ١٦٢٧م على مصب نهر السنغال حيث صارت قلبها مدينة (سان - لوى) . ومن هذه المحطات أخذ الفرنسيون يتوسعون مع نهر السنغال الى الداخل شرقا وجنوبا . راجع افريقيا في التاريخ المعاصر . المصدر السابق ص ٤٠ .

(٢) افريقيا الاسلامية ، عنايات الطحاوى (الدكتوره) سنة ١٣٨٩هـ ، يونية سنة ١٩٦٩م ص ١٣ .

وقد ذكر لنا المؤرخون أن المتخرجين من هذه المراكز هم الذين كانوا يتولون القضاء والامامة والدعوة الى الله وكان بعضهم يتجهون الى التجارة كما يمارس بعضهم الحياكة و تربية المواشي والزراعة وغير ذلك. (١)

وقد رأينا في الباب الأول أن المسلمين كانوا هم الوزراء في حكومة غانة الوثنية و بيت مال الامبراطور الوثني. (٢)

هكذا كان التعليم في بلاد السودان الغربي قبل أن يتوغل فيها المستعمرون تعليما ، يستهدف التبصير بالدين والدنيا معا. وقد اعترف بذلك مجلس العموم البريطاني الذى أصدر نصا في الخامس والعشرين من مايو سنة ١٨٠٢ ، ويدل هذا النص دلالة واضحة على ما حققه الاسلام لمعتنقيه بافريقيا من رقي جذب الناس اليه وجمعهم حوله ، وفيما يلي هذا النص :

---

(١) راجع أفريقيا الغربية في ظل الاسلام ، نعيم قداح ص ٤١.
وراجع كذلك لمحات من التاريخ الافريقي الحديث - د/أحمد ابراهيم دياب ، الرياض المملكة العربية السعودية ، ط/ الأولى ١٩٨١م - ١٤٠١هـ. ص ٥٢.

(٢) المغرب ص ١٧٥ وراجع ما سبق وانظر: امبراطورية غانة الاسلامية ، د/ ابراهيم طرخان ص ٦١.

منذ مدة لا تزيد على سبعين عاما ،استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في بلاد تبعد عن سيراليون من ناحية الشمال بما يقرب من أربعين ميلا ، اسمها بلاد المندنجو (١) . وكما هي العادة عند فقهاء هذا الدين (الاسلام) فتح هؤلاء مدارس تدرس فيها اللغة العربية والعقائد التي جاء بها محمد (صلى الله عليه وسلم)، وجروا على عادات المسلمين وخاصة في بيع أبناء دينهم بيع الرقيق (٢) .. وقد أقاموا لأنفسهم شرائع استخرجوها من القرآن .. واستأصلوا ما كان هناك من عادات تساعد على تخريب الساحل من السكان . وعلى الرغم من وجود كثير من اضطرابات قومية ، جلبوا الى البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة نسبيا .. كما جلبوا اليها الاتحاد والطمأنينة ،وكان من أثر ذلك ،أن ازداد السكان زيادة سريعة ،وانتقل الى أيديهم شيئا فشيئا كل النفوذ في تلك الجهة من البلاد التي يقيمون فيها ..

---

(١) المندنجو -كما قلنا سابقا - هم الذين أقاموا دولة مالي الاسلامية من سنة ١٢٤٠ - ١٤٨٨م ولما انقرضت هذه الدولة انتشر أهل مالي في الجنوب فاستوطن أغلبهم في المكان المسمى الآن بساحل العاج وبعضهم في غينيا كما سكن بعضهم في أماكن أخرى مثل غمبيا وسيراليون .

(٢) وكذلك يجعل الأوربيين السم في الدسم . وسنرى في صفحات قادمة أن بيع الرقيق ،تجارة أوربية بحتة .. ولكنهم هنا أرادوا أن يسندوا هذه التجارة الممقوتة الى أبناء المنطقة ، زورا وبهتانا .

"أما هوءلاء الذين تعلموا في مدارسهم فانهم يسيرون نحو الثراء والقوة في البلاد المجاورة للماندنجو ،ويعودون ومعهم قسط وافر من الدين والشريعة .

وهناك روءساء آخرون ينتحلون الأسماء التي اتخذها هوءلاء المسلمون لأنفسهم بسبب ما يقترن بها من احترام وتوقير ، ويبدو أنه من الممكن أن ينتشر الدين الاسلامي في أمن وسلام انتشارا سلميا في كل المنطقة التي تقع فيها مستعمرة الماندنجو ، حاملا تلك المزايا التي تتغلب فيها يظهر دائما على خرافات الزنوج ".(١)

هذه هي السياسة التعليمية التي كانت سائدة في بلاد السودان الغربي - كما اعترف بها مجلس العموم البريطاني في النص السابق - ولم تزل كذلك حتى كان الأمر بأيدى السلطة الاستعمارية ، العدو للعقيدة الاسلامية ، فوجهوا كل اهتماماتهم الى هذا التعليم فأفسدوه وغرضوا - من خططهم وتياراتهم الفكرية وموادهم التعليمية - ما يوءكد في نفوس المتعلمين احترام فكر الغرب وحضارة الغربيين وثقافتهم العلمانية من ناحية ،واحتقار الفكر الاسلامي والحضارة الاسلامية من ناحية أخرى .. واتهموا - زورا وبهتانا تلك المدارس الاسلامية بالجمود - كما سنوضح ذلك فيما يلي :

----

(١) الموسوعة العربية الميسرة جـ٦ د/أحمد شلبي ص ٥٠١ وقد أشرنا الى هذا النص سابقا وأعدناه هنا للأهمية . راجع الباب الثاني ص(٢٠٨-٢٠٩)

The rise of British west Africa. Claude George pp. 130-111.

فهدموا - بهذا الشر - جميع المدارس وأماكن التعليم في جميع أنحاء المنطقة ولم ينج من ذلك الا القليل من المدارس التي كانت تعنى بدراسة علوم الدين الاسلامي في مدينة (سانت -لوى) بالسنغال . وفي الأماكن الأخرى في المنطقة .. اذ استطاعت هذه الأماكن - كما سيتضح لنا ذلك فيما يأتي - أن تقاوم المستعمرين وتمضى في طريقها في تعليم أبناء المنطقة رغم القرارات التي كانت تصدر من قبل السلطة الاستعمارية لاغلاق أبواب هذه المدارس .

وكانت الدور التعليمية شجى في حلوق المستعمرين ،لذا - كما سنرى - كانت السلطة الاستعمارية توجه أعتى ضرباتها بأخبث أساليبها ضد هذه المدارس القرآنية -حسب تعبيرها -. فأخذت هذه السلطة تقلل من شأن هذه المدارس الاسلامية ، ويضيقون في الانفاق عليها .. كما أخذت بتشويه هذه المدارس ، وأنها لا تستطيع أن تلبي حاجات المجتمع المتطور .. ونشروا هذا التشويه عن طريق الصحف والأقلام المشتراة وأدعياء العلم المسيطرين.

وقد تحدث عن ذلك الأستاذ عبد القادر محمد سيلا بحديث طويل نقتطف منه مايلي :

" أما عن التضييق على المؤسسات التعليمية فحدث ولا حرج .. وقد اتخذت الادارة الفرنسية اجراءات صارمة تهدف الى تحطيم الاسلام ولغة القرآن ، اذ بدون تلاشيه لا سبيل الى تمكن الحضارة النصرانية في المنطقة . وكان من جملة الأساليب التي سلكها المسئولون الفرنسيون

بهدف تحقيق ذلك : تقليص ظل المعاهد الاسلامية ، معاقل الاسلام، فأصدروا قرارات جائرة للحيلولة دون أداء المدارس القرآنية وظيفتها التاريخية ."(١)

وزاد قائلا :

" وقد عكست اجراءات الحاكم العسكرى (فيدرب) هذا الحيف حين فرض سنة ١٨٥١م على كل من يرغب في فتح مدرسة عربية أن يتقدم لامتحان خاص يهدف لمعرفة مستواه بهذه اللغة ،وذلك بدعوى تحسين التعليم الاسلامي واختيار معلمين أكفاء غير أن الهدف الحقيقي في الواقع هو الحيلولة دون انتشار لغة القرآن والقضاء عليها عن طريق فرض شروط مفرطة في التعقيد والصعوبة ،وانفضحت المؤامرة ،اذ لو كانت الادارة الفنسية ترغب حقا في تنظيم التعليم الاسلامي لشجعت المدارس الاسلامية ".(٢)

ثم أوضح الكاتب أن السلطات الاستعمارية أخذت بهذا الصدد عدة قرارات مجحفة حيث علق فتح مدرسة اسلامية بالحصول مسبقا على اذن من السلطات الاستعمارية.

---

(١) المسلمون في السنغال ص٨٩.

(٢) المصدر السابق ص ٨٩.

واليك -فيما يلي -أهم هذه القرارات التي أصدرتها هذه السلطة لمحاربة المدارس الاسلامية في غرب أفريقيا بصفة عامة وفي السنغال بصفة خاصة .

فلقد رأينا اثبات بنود اللوائح بنصوصها وان كانت طويلة للعوامل الآتية :

١ - لصلتها الوثيقة بموضوع البحث ،فقد لاحظنا أن المواد لاتترك شاردة أو واردة الا وعنيت بها بشكل يعطي صورة دقيقة وشاملة في كافة النواحي التعليمية من حيث المدرسين والمناهج وخطط التعليم وكلها يدخل فيما نحن بصدده حيث نود توضيح الدور الخطير الذى قامت به السلطات الاستعمارية لمحاربة التعليم الاسلامي لأنه الركيزة الأساسية في المحافظة على عقائد المسلمين من ناحية والكفيلة لتخريج أجيال تحافظ على التراث الاسلامي من ناحية أخرى .

٢ - أهمية موادها جميعا وصلتها لبعضها ببعض . وقد يؤدى اختصارها الى بعض الخلل في مبناها لأنها متينة التسلسل فكلما رأت السلطة أن القرارات الأولى لم تحقق لها غرضها أصدرت قرارا جديدا وهكذا دواليك ...

٣ - لأول مرة تترجم هذه القرارات الى اللغة العربية لذا نرى ضرورة تقديمها الى الباحثين للافادة منها - وان طالت - .

القرارات :

لما رأت فرنسا عقب احتلالها للمنطقة،خاصة السنغال ،أن المدارس الاسلامية ،قد أصبحت سدا منيعا أمام تسرب الأفكار العلمانية الى قلوب النشئ ، فكرت - بادئ ذى بدء - الى وضع حد لهذه التحديات الاسلامية . فبدأت باصدارالقرارات الحكومية الرسمية لصد هذا "الطوفان" فكان أول قرار حكومي رسمي تجاه هذه المدارس الاسلامية ،القرار الذى أصدره جنرال (فيدهرب) الحاكم في السنغال والذى عرف بقرار (٢٢/ يونيو / سنة ١٨٥٧) كما قال عبد القادر محمد سيلا وقد أعلن أول ما أعلن في مدينة (سان -لوى). (١)

يقول القرار :

" نحن الحاكم الفرنسي في السنغال ومايتبعها ،تعتبر قضية تهذيب الأولاد من مقدمات اهتمامات السلطة في بلاد أحكمت ادارتها ، من قبل هذه السلطة التي أحاطت تعليم الأولاد بجميع الضمانات التي يحتاج اليها . ولكن الحكومة الفرنسية التي تعنى كل الاعتناء بجميع طبقات الشعب السنغالي وشعوب المستعمرات الفرنسية لاتستطيع

----

(١) وهذا نصه باللغة الفرنسية :

Arrte (1) No. 96 Sur les ecoles musulmans
saint - louis le 22 Juin 1957.

بحال من الأحوال - أن تقف غير مبالية (Rester indiferent)
أمام قضية تعليم أولاد المسلمين ".(١)

فاذا كان مدرسو اللغة العربية - الى الآن - لم يقدموا أية ضمانات من المعرفة وتهذيب الأولاد .. واذا كان كل واحد منهم في السابق حراً في مزاولة التدريس وتعليم الأولاد كما يريد وكيفما يشاء ، فقد آن الأوان أن نضع حدا نهائيا لهذه التصرفات غير الشرعية التي تتجاوز حدود سلطتنا .. وذلك لمصلحة آباء الأولاد ولمصلحة أولاد المسلمين أنفسهم ".

" نظرا الى المادة ٥٤ والمادة ٧٥ من القرار النظامي في تاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٨٤٠م عقد مجلس الادارة جلسته الاعتيادية لدراسة أحوال المدارس الاسلامية بالمنطقة وقررنا فيها ونقرر ما يلي :(٢)

---

(١) ان أصحاب النظرة المتسرعة يرون أن فرنسا كانت تقول هذه الجملة لمصلحة أولاد المسلمين - (حاشا وكلا) ان ذلك غزو فكري صرف ومجرد خداع ومكر فسيتبين لنا مكرها عندما نقرأ المواد التالية .

(٢) نحن قمنا بترجمة هذه القرارات من أصلها الفرنسي وسيجدها القارئ في الملاحق وذلك لتشمل الفائدة لمن يجيد اللغة الفرنسية .

المادة الأولى :

لا يسمح لأحد من مدرسي المدارس الاسلامية - من اليوم فصاعدا - أن يزاول مهنة التدريس الا أن يكون لديه تصريح من قبل الحاكم الفرنسي في السنغال (Gouverneur) ثم للحاكم الحق أن يسحب هذا التصريح من هذا المدرس اذا ظهر أنه غير أهل للتدريس. (١)

المادة الثانية :

يجب على كل معلم أن يقدم طلبا الى الحاكم الفرنسي اذا كان (المعلم) يرغب في فتح مدرسة جديدة ولكن لا يسمح له ذلك الا اذا توفرت فيه الشروط التالية :

١ - أن يكون هذا المعلم من سكان مدينة سانت -لويس. أو يسكن فيها في مدة لا تقل عن سبعة أعوام.

٢ - وأن تجرى له اختبارات أمام لجنة الامتحان.

٣ - أن تكون لديه شهادة حسن السلوك والسيرة. من قبل رئيس بلدية المدينة. (٢)

---

(١) راجع البيان الادارى.

(٢) سنناقش هذه الشروط كلها فيما يلي وانما نريد هنا فقط حقائق تاريخية أن نثبت حقائق تاريخية كما وجدناها في البيان الادارى الرسمي في أرشيف الحكومة الفرنسية الاستعمارية في السنغال.

المادة الثالثة :

تشكل لجنة من رئيس البلدية ورئيس مدينة تامسير (Tamissir) ومن أحد المواطنين المسلمين المتعلمين الذى سيتم تعيينه من قبل الحاكم الفرنسي نفسه لاجراء امتحانات لمعلمي المدارس الاسلامية اذا كانوا يترغبون في فتح مدارس اسلامية في هذه المدينة .

المادة الرابعة :

ان اللجنة التي ذكرناها في المادة الثالثة السابقة ستقوم بمراقبة جميع المدارس الاسلامية .

فيجب اذن على جميع المدرسين في تلك المدارس الاسلامية ، أن يقدموا في كل ثلاثة أشهر ، أسماء وأعمار تلاميذهم للجنة المذكورة.

المادة الخامسة :

ان المدرسين في تلك المدارس الاسلامية سيكونون مجبورين في كل يوم أن يحضروا جميع تلاميذهم الى المدارس الفرنسية ليتعلموا في كل ليلة اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية سواء كانت المدارس العلمانية أو المدارس المسيحية " الاخوان " يعني التلاميذ الذين بلغوا من العمر (١٢) سنة فما فوق ثم يتفهمون مع أولياء التلاميذ لاستلام المكافآت من الحكومة الاستعمارية بمقابل اهتمامهم وعناياتهم لهؤلاء التلاميذ المسلمين . (١)

---

(١) يراجع المصدر السابق ص ٤٤٥ - ٤٤٦ .

المادة السادسة :

ان المخالفين لهذا القرار سيقدمون الى محكمة الشرطة ويعاقبون عقوبات قد نص عليها المرسوم الملكي بتاريخ ابريل سنة ١٨٤٥م.

المادة السابعة :

ان هذا القرار سيكون مسجلا في جميع مكاتب افريقيا الغربية الاستعمارية كما سيكون مدرجا في البيان الرسمي لجميع المستعمرات.

*

ان هذا القرار قد أجبر الكثير من معلمي المدارس الاسلامية أن يغلقوا أبواب مدارسهم لعدم توفر هذه الشروط القاسية ، كما أدى هذا القرار أيضا الى تقليل عدد المدارس الاسلامية بشكل ملموس .

ولكن هذا التقليل لم يلب رغبات السلطة ولم يحقق أملها بل جاء بعكس المراد فوقع غير ما كانت تتوقعه هذه السلطة الاستعمارية .. فقد استمر بعض الشجعان من مدرسي المدارس الاسلامية في تدريسهم للأولاد بدون أن يقدموا أى طلب للحصول على تصريح من السلطة الفرنسية ولم ترهبهم ضخامة الحكومة الفرنسية كما لم يردهم عن هذه الشجاعة ضآلة قواهم الذاتية بل لم يطلبوا أى تصريح من الحاكم المقيم في مدينة (سنت لويس) كما نصت على ذلك المادة رقم (٢) السالف الذكر .

بينما كان هناك عدد من هؤلاء المدرسين ، قد حصلوا على هذا التصريح الاستعمارى ولكنهم لم يتطابقوا مع روح القرار وخاصة

المادة رقم (٥) التي توجب على المدرسين أن يرسلوا تلاميذهم الـــى المدارس العلمانية الاستعمارية ،ليتعلموا هناك اللغة الفرنسية لمدة ساعتين في كل ليلة. . ومن الجهة الأخرى كان هناك جماعات كثيرون من معلمـــي هذه المدارس الاسلامية ،استمروا -بدورهم - في تأسيس المدارس ، وليسوا من ساكني مدينة (سنت لويس) تحديا للسلطة الاستعمارية غيـــر مبالين لقراراتها وتهديداتها المتكررة .فأصدرت السلطات الاستعمارية قرارا آخر يعرف بقرار فبراير سنة ١٨٧٥م ولكن بدون جدوى أيضا . (١)

فأمام هذا الوضع المتأزم الشجاع المتحدى لسيادة هذه السلطـة الدخيلة الغاشمة ،فان السلطة الاستعمارية - بعد أن أصدرت منشورات عديدة تهدد -بدون جدوى - وتذّكر باحترام نصوص القرار الصادر بتاريخ ٢٢/ يونيو سنة ١٨٥٧م -أعلنت بكل حزم قرارا آخر بتاريخ ٩/ مايو سنـة ١٨٩٦م (١) ولكن المسلمين لم يلتزموا به أيضا . .

من هنا أكدت في هذه المرة اعادة تنظيم المدارس الاسلاميـة - على حسب زعمها - بقرار جديد هذا نصه : (٢)

---

(١) المرجع السابق ص٤٤٦ .

(٢) Opcit. FEVRI 1870

p.p. 74-76.

" نحن (١) المفتش العام لجميع المستعمرات الفرنسية ، الحاكم العام لافريقيا الغربية الفرنسية ، حامل جوقة الشرف (٢) برتبة ضابط .

نظرا الى المادة ٢٤ من القرار النظامي بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٨٤٠ م .

ونظرا الى التحذيرات الصادرة من المجلس الأعلى للشئون التعليمية والثقافية في جلسته التي انعقدت بتاريخ ٨/ مارس سنة ١٨٩٨هـ ، بناء على اقتراح المدير للشئون الداخلية في السنغال نقرر ما هو آت :

المادة الأولى :

لا أحدَ من المسلمين - بعد صدور هذا القرار - يستطيع أن يملك مدرسة أو يدرس في مدرسة اسلامية الا اذا كان حائزا على تصريح من الحاكم العام.

المادة الثانية :

يشترط في قبول هذا التصريح أن يكون عن طريق مدير الشئون الداخلية ، وبعد موافقة سلطة البلدية أيضا فعلى كل من يرغب في ذلك ، أن يقدموا طلباتهم الى ادارة الشئون الداخلية ، ولكن بشرط أن ترافق هذه الطلبات الأمور اللازمة الآتية :

---

(١) Bulltin admisitratif du Senegal Mais 1898 pp. 474-475

(٢) (وسام الشرف) راجع المنهل قاموس فرنسي عربي تأليف الدكتور جبور عبد النور ، الدكتور سهيل ادريس ص ٦٠٦.

أولا - نسخة من صحيفة السوابق .

ثانيا - شهادة حسن السيرة والسلوك من قبل رئيس بلدية المدينة التي يريدون أن يفتتحوا فيها مدارسهم.

ثالثا - أن يكونوا من المواطنيين الأصليين في أحد الأقاليم السنغالية الأربعة .

رابعا - صورة من شهادة الميلاد أوتصريح من مجلس البلدية . . وذلك بعد أن يتحقق أنهم من الفرنسيين أو يكونوا تحت رعاية فرنسية .

وأما غير المذكورين من الذين يأتون - مثلا - من بلاد المسلمين فيجب عليهم أن تتوفر فيهم الشروط التالية :

١ - شهادة من جهة مجلس الشيوخ المحليين .

٢ - وأن يكونوا مشهورين في المدينة.

٣ - ان يكونوا فيها في مدة لا تقل عن أربعة سنوات .

المادة الثالثة :

قبل تعيينهم نهائيا يجب على المرشحين أن يؤدوا امتحانات أمام لجنة تتكون بما هو آت :

١ - لجنة مدينة سنت لويس :

ان هذه اللجنة تتكون من رئيس البلدية الذى يترأسها ومعه قاض شرعي ومعلم بالثقافة الاسلامية وأحد أعيان المدينة الذى يستطيع أن يجيد اللغة العربية .

ب - لجان الأقاليم الأخرى :

تتكون في هذه الأقاليم لجان أخرى ، من رؤساء البلديات ، ويضاف مع رئيس الاقليم شخصيتان بارزتان يجيدان اللغة العربية ، بشرط أن يجيد أحدهما اللغة الفرنسية .

المادة الرابعة :

تكون المدارس الاسلامية - من الآن فصاعدا تابعة لكل من :

أ - هيئة التفتيش التابعة لمدير الشئون الداخلية أو مندوبه .

ب - رئيس بلدية تلك المدينة .

جـ - لجنة المراقبة التي عنيت بعد القرار المحلي بتاريخ ١٥ يناير سنة ١٨٨٩م .

ان هذا التفتيش سيكون مكشفا حيث يشمل كلا من :

الآداب العامة - والأمور الصحية ومدى تطبيق المدرسين للقرار الجديد .. وكما يشمل هذا التفتيش الناحية التعليمية عند هؤلاء المدرسين من ناحية تعارضها مع سيادتنا وقوانيننا .

المادة الخامسة :

سيتم اغلاق تلك المدارس الاسلامية بواسطة الشرطة العامة والصحة العامة بعد اعلان الحاكم الفرنسي لذلك .

المادة السادسة :

يجب أن يوجد في جميع تلك المدارس الاسلامية ، سجلات خاصة

لكتابة أسماء التلاميذ واسم مساكن عائلاتهم وترسل نسخة من ذلك في كل ثلاثة أشهر الى مدير الشئون الداخلية .

المادة السابعة :

في حالة عدم التطبيق لمضمون هذا القرار ،على الحاكم العام أن يسحب من هؤلاء المدرسين المسلمين جميعا تصريح التدريس موقتا أو نهائيا .

المادة الثامنة :

لا يسمح للمدرسين المسلمين أن يقبلوا في مدارسهم خاصة في أثناء ساعات الدروس في المدارس الفرنسية - التلاميذ الذين تتراوح أعمارهم بين ست سنوات الى خمسة عشر سنة.

وهذه الساعات سيحددها مدير الشئون الداخلية وتنشر في الجريدة الرسمية لغرب أفريقيا الفرنسية .

فيجب على جميع مدرسي المدارس الاسلامية ،أن يطالبوا التلاميذ من الأعمار المذكورة وقبل أن يسجلوا أسماءهم في المدارس الاسلامية ، باحضار شهادات تثبت بأنهم يتابعون دروسهم في المدارس الفرنسية .

بهذا الكيد استطاعت فرنسا أن تقضى على المدارس الاسلامية في المنطقة وتنشر الأفكار العلمانية بحيث تشرب التلميذ أولا تلك الأفكار قبل أن يعرف شيئا من الثقافة الاسلامية.

المادة التاسعة :

ان أى معلم من المسلمين يفتح مدرسة أهلية بدون أن يكون لديه تصريح قانوني أو يستمر في تدريس التلاميذ في مدرسة ، بعد تقليص التصريح القديم ، ستوقع عليه عقوبة مالية من واحد فرنك الى ١٥ فرنكا . وقد ترتفع هذه العقوبة الى مستوى السجن اذا عاد هذا المدرس الى الجرم السابق (١) أو كرر هذا الجرم ، ومدة هذا السجن يوم واحد وقد يصل الى خمسة أيام بحسب نوعية هذا الجرم.

---

(١) هكذا اعتبرت فرنسا وجود اللغة العربية في غرب أفريقيا الفرنسية جرما تجب مقاومته بعقوبة ماليه أو بعقوبة السجن.

وهكذا أيضا كافح المسلمون الأوائل في الدفاع عن اللغة العربية وتعاليم الاسلام . مخافة أن تنتشر الأفكار العلمانية في المنطقة فعلى الدعاة المعاصرين ان يعرفوا ذلك معرفة جيدة لكي يعرفوا كيف يقاومون الأفكار العلمانية التي تهدد وجودهم في الوقت الحاضر .

المادة العاشرة :

ان القانون الحالي سيكون معلنا في اللغة الفرنسية والعربية في جميع المدارس الاسلامية .

*

تلك هي أهم القرارات التي صدرت من قبل السلطة الاستعمارية ضد المدارس الاسلامية .

*

وهكذا واجهت العقيدة الاسلامية في العهد الاستعمارى هذه التيارات الفكرية الهدامة وقد حاولت سلطات الاحتلال ، بعد ما ألقت رحلها -في المنطقة - حاولت بكل ما أعطيت من قوة لتقضي على التعليم الاسلامي قضاء تاما كما قضت في بداية الأمر على التشريع الاسلامي .. ولكن المسلمين في السنغال التي كانت المستعمرة الأولى لفرنسا في المنطقة ،قد ظلوا متمسكين بعقيدتهم الاسلامية رغم هذه التهديدات والتصريحات والمنشورات .. تراهم يؤسسون الكتاتيب في كل مكان تارة تحت ظلال الأشجار وفي ساحات ديارهم ودهاليزهم . ومع ذلك لم يزل عدد تلاميذهم في ازدياد دائما وارتفاع هائل ..

ان هذه الظاهرة لم تستطع السلطة الاستعمارية أن تفهم سرها .. لذا بدأوا باجراء احصاءات شاملة للوصول الى معرفة الفرق الجوهرى بين تعداد تلاميذ المسلمين وبين تلاميذ المدارس الفرنسية العلمانية

فوجدوا في مدينة دكار - مثلا - أن عدد الطلاب الذين كانوا يدرسون فيها كالتالي :

أ - مدينة دكار :

كان فيها ٦٧٢ تلميذا وليس فيهم من يدرس في المــــدارس الفرنسية العلمانية الا ٤٩ تلميذا وأما الباقي من هذا الرقــم فقد كانوا يدرسو ن في المدارس الاسلامية.

ب - مدينة سنت لويس :

وجدوا فيها (٢٠١١) طالبا وكان نصيب المدارس العلمانية منهم ٣٠٠ طالبا فكان الباقي كله في المدارس الاسلامية.(١)

من هنا جن جنون السلطة الاستعمارية أمام هذه الأرقام الضخمة ، التي تحتويها المدارس الاسلامية فانبرى بول مارتي (Paul Marty) وطلب من الحاكم الفرنسي ايجاد حل عاجل لمشكلة المدارس الاسلاميـة التي ظل خطرها يتفاقم يوما بعد يوم ،فلنقرأ مقالته التي أرسلهــــا الى الحاكم الفرنسي بهذا الصدد اذ يقول :

----

(١) Voir , rapport Marty (ob.cit).

" من الأسف الشديد ،أن نجد في مدارسنا العلمانية عددا من التلاميذ لا يتجاوز العشرات بينما نجد عدد التلاميذ في المدارس الاسلامية التي تزدهر كل يوم في أماكنها ،يعد بالمئات ".(١)

ولأجل هذا الهدف وجه حاكم السنغال رسالة الى الحاكم العام لافريقيا الغربية الفرنسية بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٠٤م يحثه على اتخاذ تدابير صارمة ضد المدارس الاسلامية . نستطيع أن نقرأ -فيمايلي- مضمون هذه الرسالة الخطيرة اذ يقول :

" أنا راغب جدا في أن أضع نهاية لهذه المأساة التي تشغل بال المجتمع المحلي هي تلك المدارس الاسلامية التي لا تأتي بشيء الى هذا المجتمع الا ما يوفسف عليه من اخلاقيات شعوب المنطقة .. "

----

(١) هذا هو النص الكامل لخطاب مارتي الى الحاكم السالف الذكر/نقلا حرفيا من الأصل الفرنسي :

Il est penible de voire que dans nos ecoles il ya une diziaine d'elever seulement, alor que l'ensemble des petits ecoles maraboutiques quifleurissemnt au tour d'elles de passent la centaine"

(1) Archives nationales J.86 fol 41(Raport Marty) 1912.

وأما ما يهتم له أكثر من كل ذلك فهو هؤلاء التلاميذ الذين يتربون في كنف المدرسين الاسلاميين ليكون ضررا "لنفوذنا الشرعي" عندمايتحولون للدراسة في مدارسنا العلمانية..

لذا نرى لزاما علينا تطبيق تنظيمات القرار الذى صدر بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٩٠٣م.(١)

انطلاقا من هذا القرار طلبت السلطات الاستعمارية من الحكام الاداريين المقيمين في المراسي كما طلبت من رؤساء الشرطة في الأقاليم أن يقوموا جميعا بتحقيقات حول عدد المدرسين الاسلاميين وعدد تلاميذهم ،وفيما يلي النتائج التي توصلوا اليها .

---

(١) واليك نص الرسالة منقولة من الأصل الفرنسي :

Desireuse de mettre fin a des haditude de medicites genates pour le publique etqui ne pouvaient avoir que les effets les regrettable pur la moralite des indigenes plus soucieux ecorede rendre a nos ecoles une clientele nombreuses que les marabouts leur eleves au detriment de notre legitime influence nous desirons l'application des dispositions de l'Arrete du 15 Juillete 1903.

(1) Archives nationales (2) J.88 Fol 111.

(2(Cet arrete porte sur la reorganisation des ecoles du Senegal.

	مدرسين	البنين	البنات	المجموع
مرسى (فوافيرى)	٥٥	٣٤٥	٥	٣٥٠
مرسى ساحل سينى ـ سالون	٢٠	١٤٢	٥	١٤٧
مرسى (كاساماس)	١	٤٠	-	٤٠
مرسى البحر	٢٩	٢١٠	٢٢	٢٣٩
اقليم سنت لويس	١٦٧	١٧٥٤	٢٤٦	٢٠٠٠
اقليم دكار (1)	٢٤	٤٠٦	٣٩	٤٤٥

(١) Archives nationales 186 lettre No. 468.

وهكذا اتضح - جليا - أن سلطات الاحتلال لم توجه النقد ضد هذه المدارس الاسلامية لأجل مصلحة التلاميذ وانما كان ذلك - بلا شك - لأجل تقليل عدد التلاميذ والمسلمين والمدارس الاسلامية ، ووضع حدود لامتداد العقيدة الاسلامية في المنطقة وجعل تعاليمه غير مرضية في المجتمع الأفريقي في غرب أفريقيا الفرنسية لا لشيء الا أن السلطة الاستعمارية رأت المدارس تحتكر أغلب التلاميذ ، فهذا - في نظرهم - يشكل ضررا بليغا ضد المدارس العلمانية .

لأجل ذلك كله رأينا أن نعلق على هذه القرارات السابقة ونقف عندها وقفة ليست قصيرة لنبين ما عاناه المسلمون في سبيل عقيدتهم وما فعلته هذه السلطة الاستعمارية ضد المدارس الاسلامية والمعلمين الاسلاميين .

الخطة التي رسمتها السلطات الاستعمارية ضد المدارس القرآنيـــــة :

قد يبدو لأصحاب النظرة المتسرعة ،أن المدارس القرآنية التي كانت منتشرة في العهد الاستعمارى بكل مكان من أماكن غرب أفريقيـــا لم تكن شيئا ذا بال ولا ذا أهمية كبيرة في أعين الاستعماريين الفرنسيين . لما كانت عليه هذه المدارس من تخلف وسوء تنظيم ،ولكن الحقيقة التــي سنثبتها فيما يأتي ،ان هذه المدارس كانت في مقدمة اهتمامات السلطـة الاستعمارية الرامية الى تحطيم العقيدة الاسلامية في المنطقة . لذا سنرى أن هذه السلطـة الاستعمارية قد أدرجت محاربة هذه المدارس الاسلاميـة ضمن خططها الاجمالية الحربية .

وقد حاربت هذه السلطة هذه المدارس القرآنية بشتى الوسائـــل حاربتها مرة بأساليب الغزو الفكرى والسياسة الثعلبية المخادعة ،وتارة بالنقد اللاذع ضد هذه المدارس وأنها تحتاج الى الاصلاح لمصلحـــة أولياء التلاميذ أو لمصلحة التلاميذ أنفسهم . وتارة تحاربـها بوسائـل الهجوم القانوني . مثل المراسيم والقرارات والعزم والتصميم ضدهـــا ، والمنشورات والقوانين . ولكن كل ذلك تحطم على صخرة صمود المعلميـن الاسلاميين فمضوا في سبيلهم يعلمون الطلاب تحت الأشجار وساحـات البيوت وغير ذلك ويعلمونهم المبادئ الاسلامية والعقيدة الاسلاميـــــة وكلما يشتد الضغوط على هوءلاء المعلمين الاسلاميين تشتد شوقهـــــم الى كتاب الله ولغته العربية الجميلة التي قد فتح لها الافريقيـــــــون

قلوبهم رغم أن الأغلبية الساحقة يقرأون القرآن ولا يفهمون معانيه فيكفيهم أنه من عند الله . . .

وكانت هذه الأمور كلها علة لفشل مساعي السلطة الفرنسية التي كانت ترغب بكل جهدها أن تجعل اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية مكان اللغة العربية والديانة الاسلامية فعلى هذا الأساس اتخذت هذه السلطة كل ما في وسعها من مكر وخداع ضد هذه المدارس القرآنية ، وخلاصة هذه التدابير كمايلي :

أولا - اخضاع فتح أية مدرسة اسلامية للحصول على تصريح مسبق ، ولكن لكي يجد المدرس المسلم هذا التصريح وضعت هذه السلطة الحاكمة قيود أخرى يصعب الخلاص منها وهي :(١)

١ - أن يكون هذا المدرس من ساكني مدينة (سنت لويس) أو أن يسكن فيها في مدة لا تقل عن سبع سنوات .

وبهذا القيد سدت هذه السلطة الطريق أمام جميع المسلمين الذين يرغبون في فتح مدارس من العرب أو البربر والسودان الذين لا يسكنون هذه المدينة في غرب افريقيا .

ان هذا القيد وحده كاف بأن نعلم ما كان تضمره فرنسا من كيد وخداع ضد الاسلام وثقافته في هذه المنطقة . . ولو كانت فرنسا تريد

----

(١) Op cite p. 446

تطوير المدارس الاسلامية حتى تكون صالحة لمواصلة السير مع المعلومات العصرية ،لكان في استطاعتها أن تستقدم معلمين من البلاد الاسلامية مثل مصر والمغرب لسد هذا الفراغ. ولكن فرنسا لم تفعل شيئا من ذلك وانما اكتفت بتوجيه النقد الى هذه المدارس قائلة انها لا تصلح أن تلبي حاجات المجتمع الافريقي المتطورة . وان المدرسين المحليين ليس في وسعهم أن يقدموا ضمانات لمستقبل التلاميذ من الناحية العلمية والثقافية . فيتبين لنا- اذن - ان هذا القيد الأول الذى نحن بصدده مجرد عراقيل أرادت سلطة الاحتلال أن تضعها أمام المدارس القرآنية التي قاومت المدارس الفرنسية هذه المقاومة العنيفة.

٢ - ان من هذه الشروط القاسية التي يصعب توفرها في مدرس مسلم آنذاك -كان تدريس على الطريقة القديمة ،ما وضعه المستعمرون الفرنسيون أمام هؤلاء المدرسين فأجبروهم أن يدخلوا في امتحانات تجرى أمام لجنة الامتحان (١) التي تتكون من رئيس بلدية مدينة سنت لويس ومعه أحد المواطنين من المسلمين المثقفين والذى سيعينه الحاكم الفرنسي ،وفرنسا تعلم يقينا أن هؤلاء المدرسين لا يمكن بحال من الأحوال أن ينجحوا في هذه الامتحانات ،لعدم معرفتهم طريقة الامتحانات الحديثة .

---

(١) op.cit. p, 446.

ومع ذلك طلبت سلطة الاحتلال دخولهم في هذه الامتحانات ليتحملوا مسئولية رسوبهم في هذه الامتحانات فتغلق أبواب مدارسهم الاسلامية لعدم نجاحهم في هذه الاختبارات المصطنعة الحاقدة الجائرة وهكذا أغلقت كثير من المدارس الاسلامية في السنغال بصفة خاصة وفي غرب افريقيا بكاملها بصفة عامة .

٣ - قد أوجبت هذه السلطة الاستعمارية على كل من يرغب في تدريس أولاد المسلمين في المدارس الاسلامية أن تكون لديه (أولا) شهادة حسن السلوك والسيرة المصدرة من قبل الحاكم في مدينة سنت لويس .

لا يخفى على أولى البصائر والعقول النيرة أن هذه الشروط التي وضعتها سلطة الاحتلال أمام مدرسي اللغة العربية ليست الا عراقيل وضعت أمام انتشار العقيدة الاسلامية في المنطقة عن طريق التقليل من عدد المعلمين الاسلاميين في المدارس الاسلامية ، ابتداء من مدينة سنت لويس التي أسست فيها المدرسة الاستعمارية الأولى حيث يجب أن تنطلق منها اللغة الفرنسية حتى تشمل جميع أقطار غرب أفريقيا ، ابتداء من هذه المدينة الى جميع أنحاء المستعمرات الفرنسية في المنطقة أعني - السنغال وغينيا وموريتانيا والسودان الفرنسي ومالي وساحل العاج وفلتا العليا (بوركينا فاصو والنيجر وداهومي "بنين") التي ابتليت بهذا الاحتلال البغيض .

فنعود مرة أخرى الى البيان الادارى السالف الذكر حيث نجد أن مطالبة شهادة حسن السيرة والسلوك من هوءلاء المدرسين كشرط أساسي للحصول على تصريح يسمح للتدريس في المدارس الاسلامية انما أرادت بذلك السلطة الاستعمارية تصفية المدرسين الاسلاميين وإبعادهم عن مجال التدريس اذا كانوا غير موالين للحكومة الفرنسية .. فعلى هذا أرسلت السلطة الاستعمارية بعثة لدراسة أحوال هوءلاء المعلمين من الناحية الاجتماعية واتجاهاتهم نحو السياسة الفرنسية في المنطقة .

وهكذا وجدنا في تقارير البعثة أوفي تقارير الحاكم في الاقليم وبعد احضار كل واحد من هوءلاء المدرسين أمام السلطة ، الحكم التالي :

هذا المعلم يجب مراقبته .

وهذا المعلم لا خطورة منه .

وذاك المعلم ذو مكانة وتأثير .

وذاك المعلم متنفذ ذو مكانة وموءيد بجماعته ومدرسته .

وهذا المعلم غير متنفذ ولا ذو مكانة في قومه .

واذا أمعنا النظر في هذه المخططات الاستعمارية الرامية الى اخضاع المدارس العربية بشرط الحصول على التصريح المسبق ، سنجد أن هذه المحاولة ترمى الى أمرين أساسيين :

١ - محاولة التقليل من عدد المدارس القرآنية .

٢ - محاولة الامتداد لنفوذ اللغة الفرنسية .

فاليك فيما يلي بيانا شافيا لكل من المحاولتين .

محاولات التقليل من عدد المدارس القرآنية

هناك كثير من المعلمين الاسلاميين الذين عرفوا مقدما أنهم سوف لا ينجحون في هذه الامتحانات الاستعمارية أوالذين خافوا مغبة هذه الامتحانات مما سيصيبهم من العقوبات الصارمة التي أعلنت ضد المخالفين ، قد أغلقوا بكل سهولة ، مدارسهم .

فكانت نتيجة هذه الاجراءات التعسفية الاستعمارية أن أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا ضد هوءلاء المخالفين "للقانون" وكانت مواد هذا القرار كالتالي :

المادة الأولى :

(١)
يسمح لخمسة وعشرين مدرسا فقط للتدريس في المدارس الاسلامية .

المادة الثانية :

ان المدرسين الاسلاميين يضعون أمام مدارسهم وعلى حسابهم الخاص لافتات فيها الجملة الآتية :

(Ecole Arab Conform au model de pose au burau des Afaires d'Indigene)

وترجمة هذه الجملة كالتالي :

(هذه مدرسة عربية مطابقة للنموذج الذى قدم لمكتب الشئون الأهلية) .

---

(١) Bulletin administratif du senegal Octobre 1857 pp. 553-554.

وهكذا أجبرت السلطة الاستعمارية معلمي اللغة العربية على كتابة هذه الجملة أمام مدارسهم والا يعرضون أنفسهم لعقوبات شديدة .

يا ليت الأمر يقف عند حدود هذه الكتابة الاجبارية بل منعتهم أيضا منعا باتا عن تعليم بنات المسلمين في هذه المدارس الاسلامية الا أنها سمحت للنساء أن يفتحن مدارس اذا رغبن في ذلك ولكن بشرط أن يقدم طلب لهن الى الحاكم الفرنسي في السنغال للحصول على تصريح بعد أن يسجّلن أسماء هن في مكتب الشئون الأهلية.

المادة الثالثة :

ان القرار الحالي سيكون مسجلا في كل مكان يحتاج اليه ويكون مدرجا في البيان الرسمي لجميع المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا .

*

ان هذا القرار كما قلنا سابقا لم يسمح لأحد أن يدرس في المدارس الاسلامية غير خمسة وعشرين مدرسا فقط ،بينما قد قدم الى الحاكم عدد هائل من الطلبات فكان هذا القرار المشئوم نكسة كبيرة للمدارس الاسلامية في مدينة (سنت لويس) بحيث لا يتجاوز عدد المدرسين فيها غيرهذا العدد السالف الذكر .

لو قارنا هذا العدد الضئيل بعدد المدارس التي كانت موجودة في المدينة نفسها ، عند اعلان هذا القرار المشئوم ، تحققنا بأن عدد المدرسين لا يمثل العشر من عدد المدارس الاسلامية التي كانت موجودة في ذلك التاريخ ، ومع ذلك ان هؤلاء المدرسين الذين استفادوا من

هذا القرار قد طالبوا - مع شديد الأسف - السلطة الاستعمارية باختلاط البنات والبنين في مدارسهم كما كان الأمر في السابق . فانتهزت السلطة الاستعمارية هذه الفرصة لاضعاف مدارس القرآن فصممت على عدم اختلاط البنات مع البنين في مدرسة اسلامية واحدة . كما أسندت تدريس البنات للنساء فقط ..

بهذه الحجة التي أريد بها الباطل استطاعت السلطة أن تضعف المدارس القرآنية بحيث أنها تدعي انها لا تقصد بهذه التفرقة بين البنات والبنين الا لترفيع قيمة المرأة المسلمة في المجتمع .. لذا أسندت اليها تدريس البنات .. فكان ذلك ضربة قاسية على المدارس الاسلامية لانضمام جموع كثيرة من النساء الى رأى السلطة الحاكمة.

ولكن لما استتب الأمر الى أيدى المستعمرين وقضوا على النفوذ الاسلامي في التربية والتشريع رجعوا يخلطون بين البنين والبنات في المدارس العلمانية التي أسسها الحاكم الفرنسي فيدهرب .(١)

انظر الى هذه الخيانة الشيطانية الاستعمارية .

فلننتقل الآن الى التعليق الثاني .

---

(١) l'Histoire et civilisation de l'Afrique noire J. Paul p. 75.

===

....

=== هذا هو النص في اللغة الفرنسية :

" Le gouverneur faidherbe a etrablit les tribun aux coutimiees et ouvrit les ecoles la iques pour les petit musulmans".

فقد صرحوا في هذا النص أن هذا الحاكم الفرنسي الاستعمارى هو أول من قضى على التشريع الاسلامي وأسس المدارس العلمانية وأجبر أولاد المسلمين أن يتعلموا فيها .

ثانيا - امتداد نفوذ اللغة الفرنسيـــة

بعدما تحدثنا عن التعليق الأول نود الآن أن نتحدث عن الثاني فنقول :

ان المتأمل في القرارات الاستعمارية السابقة ،يدرك تمام الادراك أن السلطة الاستعمارية لم تقم بهذا النقد الشديد ضد المدارس الاسلامية لمصلحة أولاد المسلمين ولا لأوليائهم ،وانما فعلت ذلك لعدة أمـــور أهمها :

١ - محاولة التقليل من عدد المدارس الاسلامية كما قلنا - محاولـة لامتداد نفوذ اللغة الفرنسيـة في المنطقة والدليل على ذلك يرجع الى اعلان القرار الأول المتعلق بالمدارس الاسلامية بتاريخ ٢٢ يونيو سنة١٨٥٧م فمنذ اعلان هذا القرار أصبحت جميع التقارير الاستعمارية تشير الى أن المدارس العلمانية الاستعمارية والمدارس المسيحية تعاني نقصا كبيرا بالنسبـة لعدد التلاميذ فيها .. كما أشارت هذه التقارير الاستعمارية - الـى أن المدارس الاسلامية تحتوى جميع الأولاد الذين يصلح أن يقبلوا فـي الدراسة .

ان هذا بلا شك -حسب زعمهم - يشكل ضررا وخسارة جسيمة للمدارس الفرنسية الاستعمارية الحديثة ..

ولأجل أن يتداركو هذا الوضع المؤسف ،أعلن القرار السالف الذكر لتوضع اللغة الفرنسية في مكانها الذى يتناسب معها .

وفعلا ، ان المادة الخامسة من هذا القرار قد صرحت بأن المدرسين

المسلمين ، يجب عليهم أن يسوقوا أو أن يرسلوا كل يوم جميع تلاميذهم من بلغت أعمارهم ١٢ سنة الى المدارس العلمانية أو المدارس المسيحية (مدارس الاخوان) .

وفي قرار آخر ، أى القرار الذى أعلن في تاريخ فبراير سنة ١٨٧٠م (١) المتعلق بموضوع المدارس الاسلامية ، رأينا أن السلطة الاستعمارية اشترطت على كل من يرغب فتح مدرسة اسلامية جديدة أن يقدم طلبا الى الحاكم المقيم في مدينة (سنت لويس) .

المادة الثالثة من هذا القرار المتعلق بتعلم اللغة العربية ذهبت الى أبعد مدى من المادة الخامسة في القرار السابق ، لأن المادة الثالثة هذه فيها محاولة جدية لأن تصبح اللغة الفرنسية اللغة السائدة في المنطقة . لذا غيرت السلطة الاستعمارية أسلوب تعاملها مع المدارس العربية فصارت لا تطلب فقط من مدرسي اللغة العربية أن يرسلوا تلاميذهم الى المدارس العلمانية أو مدارس الكنيسة بل طالبت منهم أن يعلّموا جميع تلاميذهم اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية وهو ما يسمى الآن (مدرسة العربية الفرنسية) (Franco-Arab)

كما اشترطت هذه السلطة على المدرسين الاسلاميين على أن أى طالب مسلم لا يستطيع في خلال سنتين أن يجيد اللغة الفرنسية اجادة

---

(١) op.cit. F E V R I 1970 pp. 74-76.

تامة سوف لا يواصل دراسته في المدارس القرآنية أبدا وانما ينتقل فورا الى المدارس العلمانية أو المدارس المسيحية ليتعلم اللغة الفرنسية فقط .

فلا شك ان هذه الحالة تجعل كثيرا من مدرسي اللغة العربية في حيرة شديدة ،عندما يلغهم أن كل مدرس مسلم يجب أن يُدخل الفرنسية في مدرسته ليتعلم التلاميذ اللغتين معا العربية والفرنسية ، وان هذا يستدعي -بطبيعةالحال - أن يتعلم المدرسون أنفسهم اللغة الفرنسية ،من هنا وقعوا في هذه الحيرة الشديدة ، ولكن السلطة الاستعمارية أوجدت حلا شيطانيا آخر لهذه المشكلة بحيث فرضت تعلم اللغة الفرنسية على جميع المدرسين لعدة سنتين متتاليتين ،الا أنها سمحت لهم في البداية أن يطبقوا الطريقة الأولى التي هي ارسال الطلاب الى المدارس الفرنسية العلمانية أو المدارس المسيحية .

(قرار ٩/ مايو / ١٨٩٦) (١)

بعد اعلان القرار الذى صدر في يونيو سنة ١٨٥٧ والقرار الذى صدر في فبراير سنة ١٨٧٥ ،أعلنوا قرارا آخر بعد فشل القرارين السابقين أمام صمود المسلمين الذين لا يرتضوا بشيء الا اسلامهم .. ان هذا القرار الأخير أيضا أخذ نفس الاتجاهات التي مشت عليها

---

(١) Bulletin adimistratif du Senegal Mai 1896 pp. 228.

القراران السالفي الذكر من ترقية شأن اللغة الفرنسية الى رتبة أعلى وتقليل عدد المدارس والمدرسين الاسلاميين .. ولكن السلطة الاستعمارية أتت بقيود أخرى في هذا القرار الأخير أشد ضررا للمدارس الاسلامية بكثير .. واليك فيما يلي أهم هذه الأمور :

أولا - التصريح بفتح مدرسة قرآنية :

جاء في هذا القرار أيضا أنه لا يسمح لأحد من المسلمين أن يفتح مدرسة قرآنية جديدة الا بتصريح من السلطة الاستعمارية يعنى الحاكم العام في السنغال .

ولا يُقدَّم هذا التصريح لأى مدرس الا بعد عرضه على مدير شئون الداخلية وتحت سلطة بلدية الاقليم الذى يرغب افتتاح المدرسة القرآنية فيه .

وقد كان القراران السابقان لم يتعدا حدود مدينة سنت لويس ولكن هذا القرار الأخير فرض سيطرة السلطة الاستعمارية على جميع المدارس في أقاليم السنغال الأربعة.

والسلطة الاستعمارية - اذ تضع هذه العراقيل أمام المدارس الاستعمارية - كانت تريد فقط أن تحل مشكلة نقص التلاميذ في المدارس الفرنسية .. ولم تكن في ضميرها يوما من الأيام محاولة اصلاح الأوضاع في المدارس القرآنية لكي تلحق بالركب الحضارى الجديد والتطور الحديث - بل كانت تريد القضاء على تلك المدارس التي تهدد وجودها في المنطقة وتقف أمام تياراتها بكل بسالة وعزم.

ثانيا - لجنة الامتحان :

من القيود التي وضعتها السلطة الاستعمارية أمام المدارس القرآنية أن لا يعين أحد لمهنة التدريس في المدارس الاسلامية الا بعد أن يدخل في امتحان أمام لجنة امتحان الا أن تعيين أعضاء هذه اللجنة في القرار يختلف نوعا ما عن القرارين السالفي الذكر .

وبيان ذلك : ان لجنة الامتحان من اليوم فصاعدا - لا تتكون بنفس الأعضاء في القرارين السابقين وانما تتكون بأعضاء أرفع شأنا من الأعضاء الذين عينوا في القرارين السابقين مع اضافة عضوين جديدين اليهم .. أحدهما يجب أن يكون عالما بالعربية ويكون ساكنا في مدينة سنت لويس .

وأما في الأقاليم الأخرى فان أعضاء اللجنة يتكونون من كل من : رئيس بلدية المدينة (رئيس اللجنة) ومواطنين أحدهما يجيد اللغة العربية وثانيهما يجب أن يجيد اللغتين العربية والفرنسية .

فعلى القارئ الكريم أن يتصور في هذه القيود التي وضعتها السلطة الاستعمارية امام مدارس اللغة العربية في غرب أفريقيا فهل يعقل أن ينجح هؤلاء المسلمون أمام لجنة امتحان تكونها السلطة الاستعمارية وهي تحارب الاسلام علنا ؟؟

فحال المسلمين في تلك الظروف الصعبة أشبه ما يكون بحال مجموعة من الغنم التي جُعل الذئب راعيا لها ؟ .. من هنا رسب في هذا الاختبار المزعوم كثير من المدرسين الاسلاميين كما أرادت هذه السلطة

الاستعمارية الماكرة التي حاربت التعليم الاسلامي بهذا الأسلوب الثعلبي الخبيث .

ثالثا - وجود سجلات باللغة الفرنسية في جميع المدارس الاسلامية :

ان من الشروط القاسية التي جعلتها السلطة الاستعمارية أمام المدارس الاسلامية ،وجود سجلات في جميع المدارس الاسلامية بشرط أن تكتب باللغة الفرنسية ، بحيث توجد أسماء التلاميذ وأسماء أسرهم وشهادات ميلادهم و تاريخ قبولهم في تلك المدارس . ويجب أن تقدم نسخة من السجل الى مدير الشئون الداخلية وذلك خلال كل ثلاثة أشهر .

ان هذا الشرط بحد ذاته ليس صعبا ولكن السلطة الاستعمارية انما جعلت ذلك لأجل صد كثير من أبناء المسلمين عن المدارس الاسلامية بحيث أن غالبيتهم كانوا لا يملكون شهادات ميلادية وعلاوة على ذلك ان الكثيرين من المدرسين ما كانوا يجيدون اللغة الفرنسية فقد كان من الواجب عليهم في هذه الظروف الحرجة أن يستأجروا عددا من الذين تعلموا الثقافة الفرنسية فلا سبيل الى ذلك لعدم توفر الامكانيات التي تساعدهم على ذلك . فلم يكن أمام الكثيرين /من بد الا ان يغلقوا أبواب مدارسهم لأجل هذا الشرط الذى وضعته السلطة الاستعمارية أمامهم .

يا ليت الأمر يقف عند هذا الحد بل قد وضعت السلطة الاستعمارية شروطا لا تقل شراسة مما سبق هي ما نقرأه في المادة الرابعة الآتية .

رابعا - اجبار تلاميـذ المدارس الاسلامية أن يحضروا شهادات تثبت أنهم يواصلون الدراسة الفرنسية في المدارس الفرنسية .

قد رأينا في القرارين السابقين أن السلطة الاستعمارية قـد أوجبت على طلاب المدارس الاسلامية أن يدرسوا اللغة الفرنسية في مدارسهم ، ولكن السلطة الاستعمارية في هذا القرار أجبرت التلاميذ الاسلاميين أن يذهبوا الى بعض المدارس العلمانية ليتلقوا العلوم باللغة الفرنسية . .

ولم تكتف هذه السلطة بهذا الشرط القاسي بل منعت منعـا باتا علـى جميع المدارس الاسلامية أن يسجلوا عندهم الأبناء الذين بلغوا ست سنوات من العمر حتى خمسة عشر عاما . . وبعد هذا السـن يجوز للمدرسين الاسلاميين أن يعلموا الأولاد في مدارسهم بشرط أن يحضروا معهم شهادات تثبت انهم يواصلون دراستهم في المدارس الفرنسية .

وهكذا استطاعت السلطة الاستعمارية أن تبسط نفوذها علـى المدارس الاسلامية تدريجيا .

الطامة الكبرى :

ان الطامة الكبرى التي كادت تقضي - لولا عناية الله - على التعليم الاسلامي هي الخطة الأخيرة التي اتخذتها السلطة الاستعمارية ضد الاسلام وعلومه في المنطقة ، فما هي هذه الخطة المدمرة ؟

لما استمر المسلمون -رغم هذه القرارات والتهديدات كلها- في تدريس ابنائهم في بيوتهم وفي ظلال الأشجار كما قلنا سابقا فكرت هذه السلطة في خطة جديدة وهي : تأسيس مدرسة عربية -فرنسية واجبار أولاد المسلمين على الدراسة فيها لكي يتخرج أولاد يخربون بيوتهم بأيديهم ، تراهم في الزى الاسلامي ولكنهم قد تشربوا بقلوبهم جميع التيارات الفكرية الفرنسية ،فهم الذين ستسند اليهم الترجمة ويدرسون في جميع المدارس الاسلامية وهم الذين سيشغلون مناصب السكرتاريات في محاكم الأقاليم في غرب افريقيا .

فعلى هذا الأساس أسسوا هذه المدرسة التي سموها بمدرسة (سنت لويس) وفيما يلي توضيح لما أجمل هنا .

تكوين مدرسة سانت لويس

قد سبق أن تحدثنا فيما مضى عن الأساليب التي اتخذتها السلطة الاستعمارية سواء كان ذلك مايتعلق بالتنظيمات التي جعلتها السلطة الاستعمارية في المدارس الاسلامية تبعا لسياستها ، أوما يتعلق بتحويل عقلية المدرسين حتى يصبحوا وكلاء أمناء على سياستها في المنطقة وغزوها الفكرى . ونستطيع أن نجمل هنا هذه الأساليب المختلفة في الأمور الهامة التالية :

١ - اعلان القرارات بكل حزم.

٢ - تنظيم لجان الامتحانات وجعل تعليم اللغة الفرنسية مفروضا على جميع طلاب المدارس الاسلامية .

٣ - مكافآت شهرية تعطى لكل مدرس مسلم وافقهم على تدريس اللغة الفرنسية في مدرسته الاسلامية (١

٤ - ادخال اللغة العربية في المرحلة الثانوية في المدارس الفرنسية. وادخالها كذلك في المرحلة الابتدائية .

ان هذه التيارات الفكرية جميعا التي استعملتها السلطة الاستعمارية ضد المدارس الاسلامية لم تؤد الى نتيجة مرضية أبدا ، لذا فكروا أخيرا الى أسلوب آخر- كما قلنا -يكون الطامة الكبرى بالنسبة للمدارس الاسلامية وهذا الأسلوب الجديد هو :

تكوين مدرسة اسلامية تقوم السلطة الاستعمارية بوضع البرامج الدراسية فيها مع شروط سيأتي ذكرها ،ان هذه المدرسة قد عرفت

في التاريخ الافريقي ب (مدرسة سانت لويس). (١)

لماذا تكوين مدرسة (سانت لويس) ؟ :

يحسن بنا - قبل كل شيء - أن نشير الى أن جميع الاجراءات التي اتخذت ضد المدرسين الاسلاميين ،كانت تهدف الى مجرد تعديلات في الأمور ، تعديل المدارس الاسلامية القائمة ،واعطاء وضع جديد للمدرسين المسلمين واتجاه جديد ، ولكن السلطة الاستعمارية كانت تقصد بتكوين مدرسة (سانت لويس) ايجاد معلمين رسميين في حكومة السلطة الاستعمارية يكونون وسطاء بينهم وبين شعوب المنطقة .

وهذا يظهر لنا بوضوح في المراسلة التي كتبها الحاكم العام في افريقيا الغربية الفرنسية اذ يقول :

" لقد أصبتم في تفكيركم الرامي الى الصراع ضد الدعوة الاسلامية التي يقوم بها الدعاة الاسلاميون وفي اعادة النظر في التعليم العربي الذى بلغ اليوم في أقصى درجة من الانحطاط والهوان والاذلال. فمن المناسب اذن أن تكون فرقة من المدرسين الاسلاميين الرسميين

---

(١) Bulletin admistratif du Senegal Janvier 1908 pp.98-99.

ولكن لا يتأتى ذلك الا بعد تكوين (مدرسة اسلامية -فرنسية في مدينة (سانت لويس).[(١)]

فبعد هذا القرار من الحاكم العام بدأت السلطة الاستعمارية تختار الشبان الذين لم يتعلموا قط في المدارس الاسلامية وليس عندهم شيء من التقاليد الاسلامية وآداب الاسلام وذلك لكي يستطيعوا تشكيل مجموعة كبيرة من هؤلاء الذين سيتخرجون من هذه المدرسة المزدوجة ،كمترجمين بين اللغتين : الفرنسية والعربية وكمفسرين للنصوص الدينية والادارية في كيفية تتناسب مع السياسة الاستعمارية وللنفوذ الاستعماري.[(٢)]

وفعلا كونوا هذه الفرقة فصارمنهم مدرسون في المدارس الاسلامية وهم يحملون في أذهانهم الثقافة الفرنسية البحتة والافكار الفرنسية .

تلك هي أسباب تكوين مدرسة سانت لويس ويتضح ذلك

---

(١) Archive nationales du Senegal J.96 Fol No.12

(٢) المرجع السابق .

عندما نقرأ برنامج التعليم في هذه المدرسة .

ولكن السلطة الاستعمارية ان كانت قد استطاعت أن تقضي على النفوذ الاسلامي في المنطقة من الناحية التشريعية والثقافية (١) والتوجيهية ولكنها مااستطاعت أبدا أن تطفئ حرارة الايمان وجذوته في قلوب المسلمين . لذا لما منعوا من هذه المدارس رجعوا الى الاسلوب التقليدى القديم في كل مكان هناوهناك في المدن والقرى معتمدين على الله وحده ثم على أنفسهم وليس لهم أى اشتراك في امور بلادهم فكأنهم غرباء فوق أراضيهم .

وهكذا كانت حالة غرب افريقيا من الناحية الثقافية أيام الاستعمار الفرنسي .. وهكذا أيضا انتشرت العلمانية في جميع أنحاء المستعمرات الفرنسية في المنطقة ..

وبعد هذه الجولة في محيط القرارات الاستعمارية التي أعلنوها ضد الوجود الاسلامي في المنطقة يحسن بنا الآن أن ننتقل الى الحديث عن موقف " النخبة الممتازة " ذات الثقافة الغربية التي تسلمت الحكم من أساتذتها المستعمرين الفرنسيين .

نود هنا أن نثبت آراءهم تجاه المدارس الاسلامية بعد زوال الاستعمار هل هم مؤيدون المخططات الاستعمارية تجاه هذه المدارس أم هم معترضون لها .. فالى هناك .. ولكننا قبل أن نتحدث عن هذا ، نود أن نقدم نموذجا عن برامج التعليم الاستعمارية في مدرسة (سانت لويس) .

---

(١) قد رأينا في مبحث الثقافة أنها تتناول في جوهرها ناحيتين : الناحية اللغوية البحتة ، والناحية الروحية ، فالاستعمار انما قضى على الناحية اللغوية فقط . وأما الناحية الروحية فلم يستطع القضاء عليها أبدا والحمد لله .

برنامج التعليم وتوزيع جدول المواد الدراسية

لكي تؤدى هذه المدرسة (الفرنسية العربية) رسالتها على الوجه الأكمل وأهدافها النبيلة ،كان المفروض أن يوضع لها برنامج يرضى الطرفين - في الوقت نفسه - يعني يلبي - على حد سواء - حاجات السلطة الاستعمارية وحاجات المجتمع الاسلامي في المنطقة .

وبتعبير آخر ، كان الواجب من تأسيس هذه المدرسة أن تكون وسيلة الى صنع رجال يعتمد عليهم في تنفيذ السياسة الاستعمارية كما يعتمد عليهم - في الوقت نفسه - في تربية أبناء المجتمع الاسلامي في المنطقة وتكون بعيدة عن جميع الملابسات السياسية والتعصبات الاستعمارية وانما تسعى فقط وبكل نزاهة الى تهذيب أولاد المسلمين ورفعهم الى مستوى الركب الحضارى المعاصر.

ولكن السلطة الاستعمارية ,لم يكن هذا الهدف النبيل مقصدها أبدا وانما أرادت فقط أن تصنع رجالا من المسلمين يخربون بيوتهم بأيديهم ويخرجون على جميع التقاليد الاسلامية وآداب الاسلام . وأما تسمية المدرسة (١) بالمدرسة (العربية - الفرنسية)

---

(١) راجع :

Archives nationales du Senegal
1.92 FOL 68.

فذلك محاولة للقضاء على المدارس الاسلامية وعلى مدرسيها أيضا .

ان ذلك يتضح لنا جليا عندما نقرأ برنامج التعليم الذى أصدرته السلطة الاستعمارية وأعلنته في قرار ٣٩/ اكتوبر / ١٩٠٩م :

المادة الأولى :

القسم الفرنسي من التعليم يعتمد على المواد التالية :

أ - اللغة الفرنسية +

ب - الرياضيات والنظام المترى .

جـ - علم التاريخ والجغرافيا .

د - التنظيم الادارى في فرنسا وافريقيا .

هـ - مادة العلوم الفيزيائية والطبيعية .

و - قواعد الصحة في المستعمرات .(١)

المادة الثانية :

التعليم الاسلامي ويشتمل على المواد التالية :

أ - القواعد : الدروس النحوية ،الأجرومية لامية الأفعال ...

ب - الكتب الأدبية :

الشعر : الأشعار الجاهلية ،المعلقات ،مقامات الحريرى ، لامية العرب ،ولامية العجم .

----

(١) Journal Officiel du Senegal Octobre 1909.

وهكذا استطاعت السلطة الاستعمارية أن تكون جموعا -غفيرة من أبناء المنطقة في هذه المدرسة المزعومة ، خرجوا على جميع تقاليد بلادهم بل انبهروا بالحضارة الغرنسية الاستعمارية ونجحوا في نشر الثقافة الغرنسية وأفكارها العلمانية في المنطقة بشكل لا يتصور ..

وكانت هذه الخطة الأخيرة الضربة القاسية على المدرسين والمدارس الاسلامية .. وكيف لا !

فان المدرسين الذين اختيروا للتدريس في هذه المدرسة الاستعمارية كانوا يسيرون وفق خطة مدروسة ولا يحيدون عنها أبدا أثناء التدريس وأما المدير فقد جعل له راتب مشجع كما خصصت له مكافآت سنوية اذا أحسن تنفيذ هذه الخطة الاستعمارية ،فان التلاميذ قد اختيروا أيضا من الأسر التي لها نفوذ في المجتمع الافريقي لكي يستطيعوا -بعد انتهاء دراساتهم -أن يؤدوا بدورهم - هذه الرسالة الاستعمارية .. ان هؤلاء التلاميذ كانوا من أبناء الرؤساء والقضاة الشرعيين والولاة .. (١)

هذه هي الصراعات المريرة التي وقعت بين العلمانيين المستعمرين وبين المسلمين طوال المدة الاستعمارية في المنطقة.

---

(١) Archives nationales du Senegal 1.92 FOL 43.

وهكذا حددت الادارة الاستعمارية نطاق المدارس الاسلامية ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل حاولت هذه السلطات لما وجدت المسلمين متمسكين بعقيدتهم الاسلامية أشد تمسك حاولت أن تحدد أيضا نطاق المساجد ،فكانت لا تسمح بحال من الأحوال ببناء مسجد الا لمن تثق بهم تمام الثقة على أنهم ليسوا خطرا على هذه الادارة. وهم - بطبيعة الحال - قليلون.

وقد كانت أخوف ما تخاف منه بعد المؤسسات العلمية هو المسجد . ونحن اذ نقرر هذه الحقائق التاريخية نجد دائما أمامنا تصريحات من قادتهم واليك فيما يلي بعضا من هذه التصريحات :

يصرح الحاكم الفرنسي (فيدهرب) عام ١٨٥٥م بأن نمو الاسلام في غرب افريقيا يعتبر عراقيل أمام تياراتهم الفكرية فيجب - اذن - تحطيم جميع المؤسسات الاسلامية خاصة المساجد فقال :

" ان الاسلام لدى السود أمر معرقل أمامنا .. لكن في النهاية ان وجد المسجد ، فلا رجوع لنا بعدئذ ".(١)

----

(١) نقلا عن كتاب المسلمون في السنغال المصدر السابق ص٨٧.

ويضيف الى هذا التصريح ،راهب مدينة سانت لويس حوالي سنة ١٩٥٩م قوله الآتي :

" ان من بين الشيوخ في (سانت لويس)عددا كبيرا يربون الأطفال على كره العمل والبيض ". (١)

وهكذا أيضا امتدت يد السلطات الفرنسية الى المسجد كما امتدت يدها من قبل الى المحاكم الشرعية والمؤسسات العلمية والثقافية الاسلامية وللعلة نفسها - كما قلنا سابقا - قطعت هذه الادارة العلمانية كل صلة بين المسلمين في المنطقة وبين العالم الاسلامي .

وياليت الأمر يقف عند هذا الحد بل تعدى ذلك الى أن يمنعوا النطق باللغة العربية والتعامل بها بأي شكل من الاشكال وبلغ من هذه الاجراءات التعسفية بهذه السلطات الفرنسية أن حاولت استبدال اللغة العربية باللغات المحلية في المجالس والمدارس . ولم يكن هذا الحكم قاصرا على المدارس الواقعة في السنغال ولكن في جميع أنحاء المنطقة السودانية .

فاليك فيما يلي ما جرى بين هذه السلطات وبين العالم الرباني الشيخ (ديما واغي) الذى بنى مدرسة عربية عريقة في السودان الفرنسي يعني (جمهورية مالي اليوم) فقد عرضت هذه السلطات تغيير لغة التدريس عن طريق القاء الدروس باللغات المحلية .. وكان

---

(١) المصدر السابق ص ٨٧ .

رد الشيخ بارعا ومفحما اذ رفض الدخول مع الصليبي في مناقشات عقيمة ، بل طلب منه أن يأتي التطبيق منه وذلك بتدريس مادة ما أمام الطلبة باللغات المحلية فبهت الذى كفر . (١)

بهذه الحجة الدامغة رجع الصليبي عن هذا الشيخ ومدرسته ، ولم تزل هذه المدرسة تؤدى دورها الى الوقت الحاضر .

تلك هي مواقف السلطات الاستعمارية الفرنسية ضد الشريعة الاسلامية والمؤسسات العلمية الاسلامية. وقد آن الأوان أن يقلب هذه الصفحة لننتقل الى صفحة جديدة نتحدث فيها عن دور النخبة الممتازة أو الحكام المحليين الذين استلموا الحكم من الاستعمار بعد زواله بالنسبة للشريعة الاسلامية أولا ، والمؤسسات العلمية الاسلامية ثانيا .

وأخيرا هكذا تظهر لنا بوضوح كيف انتقلت العلمانية من أوربا الى غربي افريقيا وكيف حاولت السلطات الاستعمارية القضاء على المحاكم الشرعية ثم على التعليم. وبعد ذلك يجمل أن ننتقل الى جولة أخرى

---

(١) المصدر السابق ص ٩٠ .
انظر أيضا ما نشره الدكتور (أمادوكامارا) في جريدة :
(لوسولاى - Le soleil) سبتمبر ايلول ١٩٧٢م ،
وانظر كذلك افريقيا الثائرة (البرتو فودجرى) الترجمة العربية لنجدة هاجر وسعيد العز ...

لنتحدث عن دور الحكام المحليين الذين استلموا الحكم من الاستعماريين بعد رحيلهم من افريقيا ولكن يحسن بنا قبل ذلك أن نشير اشارة محدودة الى أهم النتائج التي نجمت عن التعليم العلماني الذى جره المحتل الى المنطقة.

واليك فيما يلي ثمرات هذا الافساد للتعليم.

ثمرات هذا الافساد للتعليم

والآن نود أن نتحدث عن ثمرات هذا الافساد للتعليم ، خططه ومناهجه لنرى كيف استطاعت السلطة الفرنسية أن تغزو المسلمين في عقر دارهم بهذه التيارات الفكرية الهدامة وأن يفسد عليهم أفكارهم وأن تحول النشيء الى اتباع لها في فكرها وحضارتها .

ومن قام في أيام الاستعمار في المنطقة أو في الوقت الراهن برحلة ميدانية للوقوف على أحوال المنطقة عن كثب سيجد أن أبرز ثمرات هذا الافساد للتعليم أن حدث الاختلاط بين البنين والبنات في جميع أنحاء المنطقة ولا تستثنى منها منطقة حتى مناطق المسلمين الرئيسية من موريتانيا ومالي والسنغال والنيجر وساحل العاج وغينيا فضلا عن المنطقتين اللتين تعدان زورا وبهتانا من الأقليات المسلمة يعني (فولتا العليا - بوركينا فاصو) وداهومي (بنين) هناك اختلاط فظيع بين الجنسين في جميع مراحل التعليم من الابتدائية والمرحلتين المتوسطة والثانوية الى المرحلة الجامعية . .

وترتب على هذا الاختلاط ما ترتب من عيوب وابتعاد عن منهج الاسلام في تنشئة البنين والبنات في ظروف تحفظ لهم حياءهم وكرامتهم الانسانية وتصون أنوثة الأنثى ورجولة الرجل من الابتذال والامتهان . .

ومن ثمراته أن وقع هؤلاء المثقفون بالثقافة الغربية في الانبهار من الثقافة الغربية والحضارة الغربية فارتموا في أحضانها وكل ما فيها

من انحلالها وانحرافهـــا الفطرة الانسانية عما فطرها الله عليه. متجاهلين ثقافتهم الاسلامية وحضارة الاسلام الراشدة الهاديـة وآداب كتابه وسنـــة نبيه صلى الله عليه وسلم.(١)

ومن نتائج هذه السيطرة الاستعمارية على التعليم " دعوات الالحاد والزيغ والشيوعية الحمراء والتأثر بالتيارات الفكرية المنحرفـــة وتخنث الرجال وترجل النساء فأصبحن هناك يلبسن اللباس الخاص بالرجال مثل البناطلين ويقصرن شعورهـــن مثل الرجال تماما..

وفي بعض المناطق هناك ترى النساء يركبن فوق الدراجات الناريـة فاذا الهواء عندما يهب يرفع أثوابهن عن أجسادهن ولا أحـــد يبالي بذلك لأنه أصبح مألوفا على حد قول القائل (اذا كثر المساس قل الاحساس) .

ومن ثمرات هـذا التعليم العلماني في المنطقة دعوات الى سفور المرأة ومخالطتها الرجال في جميع الأماكن وتحريرها من سجن البيـت - كما يزعمون - وتحويلها الى ممثلة وراقصة ومغنية ومسامرة على موائـد الخمر والميسر .

" انا لله وانا اليه راجعون "..

---

(١) مستفاد من البحث الميداني الذى قمنا به حول هذه الأماكن سنة ١٩٨٥م / ١٤٠٥هـ/ وفضلا عن ذلك هي منطقة - بحكم تنشئتنا فيها - قد لا يخفى علينا كثير من أحوالها في أيام الاستعمار وبعده .

ومن ثمرات هذا التعليم البغيض الاستعماري أن كان التوجيه العام بأيدي هؤلاء الاستعماريين العلمانيين. إن ذلك أدى في النهاية الى القضاء على القيم الاسلامية بدعوى التطور والتنمية . وهذا التوجيه من أهم ركائز الغزو الفكري في هذه المنطقة ، فهو يحول العادات والتقاليد الموروثة الى عادات وتقاليد غريبة علمانية لا تعرف الحياء ولا تستحي من الأحاديث الجنسية المكشوفة بين الناس .

هذه هي ثمرات السيطرة على التعليم وتغريب خططه ومناهجه وأهدافه والهدف الكبير من وراء كل ذلك أن يذوب الكيان الاسلامي من نفوس المسلمين ليصبحوا نهبا للتيارات الفكرية الهدامة والحضارة الغربية اللادينية . .

ولم تقتصر أهداف السلطة الاستعمارية في افساد التعليم فحسب بل وصلت أيضا الى الحياة الاجتماعية وما يسودها من قيم خلقية وآداب سلوكية وما يحيط بها من عادات وأعراف وتقاليد . فقد كان ذلك أيضا هدفا ضخما للسلطة الاستعمارية .

لأن هذه السلطة الاستعمارية الفرنسية تدرك جيدا أن المرأة لها تأثير قوي في تربية أبنائها لذا عمدت هذه السلطة الى تشويه البنت وافسادها قبل أن تكون أما ، وبالتالي يفسد أولادها الذكور والاناث .

وكانت المرأة المسلمة في هذه المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي لا تستطيع أن تخرج من بيتها الا أن تستر رأسها بخمار ، وجسمها

بثوب طويل فضفاض يسمى (كمينزول) (Kamisol) وهي كلمة محرفة من الكلمة العربية (القمصان) وكانت القمصان لباس المرأة المسلمة منذ أيام الامبراطوريات الاسلامية التي ذكرنا سابقا بل كانت بعضهن تضع الحجاب على وجوههن كما أفاد بذلك حسن الوزان (ليو الافريقي) الذى زار المنطقة في القرن السادس عشر وعبارته *

" ولا تزال من عادة نساء المدينة (تمبكتو) وضع الحجاب على وجوههن باستثناء الاماء اللواتي يبعن كل الاشياء المأكولة ." (١)

ولما آلت أمور البلاد الى هؤلاء المستعمرين فكانت الضربة الأولى أن نادوا المرأة المسلمة بأن تخلع اللباس الشرعي الساتر ففعلت وشجعها على ذلك الغافلون من أبناء دينها فلم تزل كذلك حتى صارت حالها الى وضع أدهى وأمر .. يعجز الواصفون عن وصفها أو يطهرون أقلامهم من ذكرها .

ولقد كان هذا الاختلاط البغي في البداية محصورا في مدارسهم ثم أصبح شيئا مسلّما به في جميع الحياة الاجتماعية .. بأن زجوا بالمرأة في ميادين العمل ومصارعة الحياة ومزاحمة الرجال تقوم بما لم تهيئه طبيعتها وما لا تستطيعه في كثير من الأحيان فعملت صاغرة ذليلة عاملة في المصانع خاصة مصنع النسيج في مدينة (كوركو - روكو Kokorcko) (بواكي) في ساحل العاج ..

---

(١) وصف افريقيا ، المصدر السابق ص ٥٤١ . وراجع ما كتبناه سابقا .

ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا المرأة المسلمة تخدم الرجال الأجانب في الفنادق وفي المكتبات باسم (السكرتارية) ..

يا ليت الأمر يقف عند هذا الحد بل جعلوها تغني بصوتها الحالم وترقص عارية كاشفة سافرة وتركب فوق الدراجات النارية بثوب شفاف وقامت بالأدوار التمثيلية لتمتعهم بصوتها وجسمها فأصبحت المرأة المسلمة - بذلك الاحتلال الملعون - سلعة رخيصة في المنطقة تباع وتشرى هذا بعض ما شاهدناه في المنطقة خلال البحث الميداني لاعداد هذا البحث سنة ١٩٨٥م/ ١٤٠٥هـ) .

ولم تقف حملات هذه التيارات الفكرية للمرأة من سلخها من عفافها على ما فيه من قسوة وضراوة - وانما تجاوزوا ذلك الى العبث بحقوقها وواجباتها التي فرضتها الشريعة الاسلامية والتي هي أكرم أسلوب لحفظ كرامة المرأة وصيانتها في الحاضر والمستقبل فعبثوا بنظام الطلاق في الاسلام .. فلا يجوز لأحد الآن في هذه المنطقة أن يطلق زوجته الا بالطريقة الكنسية وعبثوا بنظام الحضانة ونظام الزواج ونظام الميراث ..

وقد حاول بعض الحكام المحليين أن يسووا بين الرجل والمرأة في الميراث تقليدا للأوربيين ولتصريح الرئيس (بورقيبة) الذى أوجب على أهل تونس المسلمة التسوية بين الجنسين .

وسنتحدث عن هذا فيما يلي ان شاء الله تعالى .

هذا في مجال المرأة المسلمة وأما في مجال الأسرة المسلمة هناك فقد أصابها نصيبها من الغزو الفكرى ،بصورة خبيثة ماكرة.

فبعدما أبعدوا المرأة عن مملكتها وهي بيتها في معظم أوقاتها كانت النتيجة الطبيعية لذلك أن يعيش أفراد الأسرة - وخاصة الأولاد الصغار - منهم في اهمال شديد فظيع وعدم المبالاة بهم . وقد ترتب في أغلب مدن هذه المنطقة في الوقت الراهن أن تترك المرأة أبناءها أغلب اليوم لغير بيبهم الخدم والأغراب .. ولا يخفى على العاقل الآثار السيئة التي يعاني منها الطفل في أيامه المستقبلة حين حرمته هذه التيارات الفكرية من حنان أمه وعطفها ..

أو تترك أولادها في روضة الأطفال مع مجموعة كبيرة من أمثالهم ليربي بعضهم بعضا ..

وهذه هي الحالة التي أرادها المستعمرون لغرب افريقيا وذلك هو الوضع السيء الذى يعيش فيه الناس اليوم في غربي افريقيا بصفة خاصة وفي أغلب بلاد العالم الاسلامي بصفة عامة وليست هذه التيارات الفكرية التي تعاني منها اليوم غرب افريقيا خاصة بها وانما هي استمرار للحروب الصليبية القديمة ..

وهناك أكثر من دليل أن كل ما قامت به السلطة الفرنسية ضد الافريقيين انما هو الحقد الصليبي الدفين في دم كل نصراني فلنضرب على ذلك مثالين :

١ - فالجنرال غورو الفرنسي عندما تغلب على جيش ميسلون خارج دمشق توجه فورا الى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموى وركله بقدمه وقال له :

" ها قد عدنا يا صلاح الدين ". (١)

٢ - يؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله مسيو بيدو ، وزير خارجية فرنسا عندما زار بعض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا منه وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش ، أجابهم :

" انها معركة بين الهلال والصليب ". (٢)

هكذا عرفنا أسرار التيارات الفكرية التي اجتاحت العالم الاسلامي بصفة عامة وغرب افريقيا بصفة خاصة .

كما وقفنا على ثمرات تحويل المدارس الاسلامية الى مدارس علمانية فلنتحدث الآن عن دور النخبة الممتازة فيما يلي :

---

(١) راجع دمروا الاسلام أبيدوا أهله ، جلال العالم ص ٢٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٤ نقلا عن مأساة مراكش روم رولاند ص ٣١٠ .

ثالثا - دور النخبة الممتازة في تنفيذ الأفكار العلمانية بعد الاستقلال .

وبعدما ظفرت الدول الاستعمارية من تعليم أبناء المسلمين وأتى هذا التعليم الغربي ثماره في المجتمعات الاسلامية شرقا وغربا ، وتسربت النظريات الفلسفية والأفكار العلمانية الى قلوب هؤلاء المثقفين لتسميمها وتغييرها ، قامت في هذه المجتمعات الاسلامية طبقة من " المثقفين " أصحاب الثقافة الغربية سماهم المستعمِرون " النخبة الممتازة " لأنهم امتازوا - بهذه الثقافة الغربية العلمانية عن بقية شعوبهم الذين لم يتربوا في كنف الاستعمار .

ان هؤلاء المثقفين " قد رباهم الاستعمار بعناية فائقة مثل ما حصل في مدرسة (سانت لويس) التي تحدثنا عنها سابقا ، رباهم لأداء المهمة التي سيكلفون بها . وهي سوق الشعوب المستعمَرة وراء معلميهم السادةِ المستعمِرين .

وقد اختار المستعمِرون من صفوف هذه الطبقة أفرادا قلائل من الزعماء فجعلوهم يزورون (باريس ولندن) (١) وغيرهما من الدول المستعمِرة . فأقام المستعمِرون حول هؤلاء النخبة الممتازة هالاتٍ كاذبة وخلقوا لهم بطولاتٍ وضخّموا دورهم على صعيد العمل القومي والنضال

---

(١) يقول الكاتب الأميركي (جون هاتن) (ولم يكن من قبيل المصادفة أن يذهب الافريقيون الفرنسيون والبريطانيون الى الدول (الأم) فقد كان (ليوبولد سنغور) و (محمد لامين جواييه)(فيلى دابو سيسكو)(ياسين دياللو)(فيليكس هوفيت بواني) يعرفون باريس تماما كما يعرفون (دكار) (وأبيدجان) أو(باماكو).
راجع تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ص ٤١ ت/عبد العالم السيد منسي .

الشعبي حتى خيل لشعوبهم وهي مخدوعة بهذه الأراجيف - أنهم سينقذونهم مما كانوا فيه من الدمار والويلات التي جلبها اليهم الاستعمار وأنهم بناة مجدها التليد ،فأسلمت لهم قيادتها، ولكن هؤلاء " المثقفين" رسل الاستعمار وعملائه وسفرائه أتوا بما لم يكن في الحسبان .. ان هؤلاء لما تمكنوا من الاستيلاء على زمام الحكم بعد زوال الاستعمار ساروا على النهج الذى رسمه لهم معلموهم الاستعماريون وقادوا شعوبهم الى التبعية للدول الغربية والى الهوان والدمار . فأول ما قاموا به بعد زوال الاستعمار هو تحطيم المثل العليا والقيم والتقاليد الأصيلة واستهانوا بالمعتقدات الدينية خاصة العقيدة الاسلامية وأفسدوا الأخلاق وتبجح أكثرهم بالعلمانية والمروق من الدين.

ولم يكتفوا بمجرد الشعارات بل جعلوا العلمانية دستورا لدولهم وقد ذاقت الأمة على أيديهم من الاذلال والاهانة ما لم تذقه على أيدى الأعداء المستعمرين رغم ما دبروا لها من كيد ومكر وخطط خبيثة من التيارات الفكرية .

ان من الموافقات العجيبة أن نجد اتجاهات هذه النخبة الممتازة في جميع أنحاء العالم الاسلامي تشير دائما الى قطب واحد . وهو التبجح بالعلمانية اللادينية والخروج على التقاليد والثقافات الذاتية والانبهار بالحضارة الأوربية .. ان هذا مما يثير الى الدهشة والعجب ...

ولكن المتأمل في هذه الحركات العلمانية وغزو القلوب في جميع أنحاء العالم الاسلامي بدأ بتركيا ومصر وشمال افريقيا وغربها ، سيجد - بلا شك - أن المخطط لهذه الحركات كلها واحد وان اختلفت أساليبه.

وأن وراء هذه التيارات الفكرية يدا واحدة فقط وهي يد المستعمرين الصليبيين والماركسيين والصهيونيين فهؤلاء كلهم متفقون على محاربة الاسلام عن طريق الغزو المسلح تارة أو عن طريق هذه الأساليب الملتوية مرة أخرى (الغزو الفكرى)/ فاليك فيما يلي نصوصا تدل على أن هؤلاء جميعا اتفقوا على محاربة الاسلام بشتى الوسائل لأنه هو الجدار الوحيد أمام اغراضهم وحضارتهم :

١ - أجمع المستعمرون قاطبة على أن الاسلام هو الجدار الوحيد الذى يقف أمام الاستعمار : قد صرح بهذا كثير منهم فمثلا يقول لورنس براون :

" ان الاسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار. " (١)

ويقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقا :

" ما دام هذا القرآن موجودا في أيدى المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق ، ولا تكون هي نفسها في أمان ". (٢)

ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر ما داموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية لا نستطيع السيطرة عليهم / فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم .. " (٣)

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١٨٤ .

(٢) الاسلام على مفترق الطرق لمحمد أسد ص ٣٩ .

(٣) المنار عدد ٩ / ١١ / ١٩٦٢م .

ويقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م :

" ليست الشيوعية خطرا على أوربا فيما يبدو لي ، ان الخطر الخطر الحقيقي الذى يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الاسلامي فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي ، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة ، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة الى اذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الأوربية فاذا تهيأت لهم أسباب الانتاج الصناعي في نطاقه الواسع انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضارى الثمين .. "(١)

وأما المبشرون فاليك فيما يلي بعض أقوالهم بهذا الصدد :

ويرى المبشرون أيضا أن الجدار الذى يمنع من انتشار المسيحية هو الاسلام هناك مبشر يقول :

" ان القوة الكامنة في الاسلام هي التي وقفت سدا منيعا في وجه انتشار المسيحية وهي التي خضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية "(٢).

ويقول أشعيا بومان في مقالة نشرها في مجلة العالم الاسلامي التبشيرية :

" لم يتفق قط أن شعبا مسيحيا دخل في الاسلام ثم عاد نصرانيا "(٣).

---

(١) قادة الغرب يقولون : دمروا الاسلام ، جلال العالم ط/بيروت ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ٤٢.

(٣) التبشير والاستعمار للخالدى وفروخ ص ١٣١ الطبعة الرابعة.

كما اعتبر هؤلاء الاسلام سدا منيعا لبث أفكارهم فقد اعتبرته أيضا الشيوعية جدارا مانعا من نشر الفكر الشيوعي في العالم الاسلامي فلنستمع الى بعض مقالاتهم في ذلك :

في افتتاحية عدد ٢٢ أيار عام ١٩٥٢م من جريدة (كيزيل أوزباخستان) الجريدة اليومية للحزب الشيوعي الأوزباخستاني ذكر المحرر مايلي :

" من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسلام نهائيا ". (١)

وأخيرا ترى الصهيونية أن العقيدة الاسلامية هي التي تقف دائما أمام استقرار الصهيونية واسرائيل واليك بعضا من أقوالهم فيما يلي :

يقول بن غوريون : رئيس وزراء اسرائيل سابقا :

" ان أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد ". (٢)

وهكذا رأينا كيف اتفق هؤلاء جميعا على أن الاسلام هو الجدار الوحيد الذى يقف امام انتشار تياراتهم الفكرية في العالم الاسلامي .

---

(١) الاسلام والتنمية الاقتصادية ،جاك اوسترى ص ٥٦ .

(٢) جريدة الكفاح الاسلامي لعام ١٩٥٥م عدد الأسبوع الثاني من نيسان .

فيجب اذن محاربة الاسلام والمسلمين بشتى الوسائل _ سواء عن طريق الغزو المسلح كما وقع في الحروب الصليبية أو عن طريق الغزو الفكرى كما هو الواقع الان أو عن طريق اعداد فرقة من أبناء المسلمين سموها النخبة الممتازة لتقوم في عالمنا الاسلامي بالدور الذى عجز عن أن يؤديه المستعمرون " أنفسهم .

فالخلاصة أن هؤلاء جميعا اتفقوا على قتال المسلمين بأية وسيلة متاحة ويدل على ذلك شعار " قاتلوا المسلمين " الذى وزعته اسرائل في أوربا عند حرب عام ١٩٦٧م الذى لقي تجاوبا لا نظير له في دول الغرب كلها . وبيان ذلك :

" انه خرج أعوان اسرائيل في باريس بمظاهرات قبل حرب سنة ١٩٦٧م يحملون لافتات ، سار تحت هذه اللافتات جان بول سارتر ، زعيم الوجودية الهدامة ، كتبوا على هذه اللافتات ، وعلى جميع صناديق التبرعات لاسرائيل جملة واحدة من كلمتين هما :

(قاتلوا المسلمين)

فالتهب الحماس الصليبي الغربي ، وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط . . كما طبعت اسرائيل بطاقات معايدة كتب عليها " هزيمة الهلال " بيعت بالملايين . . لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوربية في المنطقة وهي محاربة الاسلام وتدمير المسلمين ".(١)

---

(١) راجع قادة الغرب يقولون . المصدر السابق ص ٣٨ نقلا عن طريق المسلمين الى الثورة الصناعية ص ٢٠-٢١ .

ومع أن في هذه الشهادة ما يدل على موافقتهم جميعا على قتال المسلمين في كل زمان ومكان وسحق الاسلام سحقا ومع ذلك يوجد أمامنا نصان آخران خطيران فلا بأس في ذكرهما لتوضيح نوايا أعداء الاسلام في الشرق والغرب نحوه .

النص الأول : يقول فيليب فونداسي :

" ان من الضروري لفرنسا أن تقاوم الاسلام في هذا العالم وأن تنتهج سياسة عدائية للاسلام ، وأن تحاول على الأقل ايقاف انتشاره ".(١)

النص الثاني : يقول فيه المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه :(٢)

" باثولوجيا الاسلام ".(٣)

" ان الديانـة المحمدية جذام تفشى بين الناس .. ويفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض مريع ، وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظه من الخمول والكسل الا ليدفعه الى سفك الدماء والادمان على معاقرة الخمور وارتكاب جميع القبائح ".

---

(١) الاستعمار الفرنسي في افريقيا السوداء تأليف فيليب مونداسي ص ٢ .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار العربي د/ محمد البهي ص ٥١ ، وقادة الغرب يقولون . المصدر السابق ص ٦١ .

(٣) ومعنى باثولوجيا في اللغة الفرنسية هو علم الأمراض فانه يريد أن يقول : ان كتابه هذا بمثابة علم الأمراض لتشخيص الأمراض الموجودة في الديانة الاسلامية ولكنه أتى بهذه الافتراءات على الاسلام ، والاسلام بريء من كل ذلك ان هذا واضح فلا يحتاج الى الوقوف الطويل معه أو المناقشة .

" وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين ،فيأتون بمظاهر الصرع والذهول العقلي الى ما لا نهاية ويعتدون على عادات تنقلب الى طباع أصيلة ككراهة لحم الخنزير والخمر والموسيقى ..

ان الاسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات .

ويضيف قائلا وهو بيت القصيد :

" أعتقد أن من الواجب إبادة خُمس المسلمين ،والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ،وتدمير الكعبة ،ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر ".

وهكذا رأينا أن أمم الغرب كلها متفقة على محاربة الاسلام وأهله وقد اتخذوا في هذا الغرض أساليب كثيرة منها عدم تمكين البلاد الاسلامية أن يقوم فيها حكم صالح تطبق فيه شريعة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ..

ومن هذه الخطط الشيطانية محاولتهم الجادة لافساد أنظمة الحكم في البلاد الاسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة..

ومن هذه الطرق الملتوية التي مارستها أمم الغرب لابادة الاسلام اشاعة الفرقة بين قادة المسلمين وأن يتفقوا على أن لا يتفقوا . ومن هذه الأساليب الماكرة أيضا تشويه سمعة الاسلام بأنه دين الخمول والكسل، دين لا ينتشر الا بواسطة السيف وقهر الرجال الى آخر ما قام

به هؤلاء الأعداء من أساليب الغزو الفكرى [١] وقد اعترف بذلك كثير من كتابهم . لنذكر منهم مثلا (لويس التاسع ملك فرنسا) اذ يقول :

" انه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب ، وانما يمكن الانتصار عليهم بواسطة السياسة .. " [٢]

تلك هي نوايا المستعمرين الصليبيين والماركسيين والصهيونيين نحو العقيدة الاسلامية . فاننا مع اعترافنا بأن هذه النصوص التي سقناها هنا فيها الكفاية لتدل على أن هناك يدا خفية هي التي تخطط لهذه التيارات الفكرية التي تهدد الناس في العالم الاسلامي ومع كل ذلك ، لكننا لا نكتفي بها وانما سنقوم بجولة قصيرة حول العالم الاسلامي ابتداء من تركيا فمصر وشمال افريقيا حتى نصل الى غرب افريقيا التي خصصنا لها هذا البحث ، ليتبين لنا أن المخطط لهذه التيارات الفكرية في العالم الاسلامي واحد وليست غرب افريقيا وحدها هي التي ذاقت مرارة هذا الغزو الخفي وانما خططه هذا المخطط لتسميم عقول جميع المسلمين في عالمنا الاسلامي . وذلك بواسطة أبناء المسلمين الذين تثقفوا بالثقافة الغربية .

فلنبدأ بالخلافة العثمانية ومؤامرة القضاء عليها وانشاء دولة عثمانية تحت اسم (تركيا) .

---

(١) راجع قادة الغرب يقولون المصدر السابق ص ٦٣ .

(٢) العدد ٢١٠٦ آخر ساعة ، ٥ / أذار ١٩٧٥ م من خطبة أمير الحاج المصرى لعام ١٩٧٥ م الوزير احمد كمال وزير الرى المصرى .

القضاء على الخلافة العثمانية وانشاء دولة (تركيا) اللادينية

من المفارقات العجيبة أن نجد تركيا التي قامت في الأصل بمسئولية الخلافة الاسلامية نحو ستة قرون (١) قد صارت أول دولة في العالم الاسلامي تعلن الالحاد والعلمانية والانسلاخ من العقيدة الاسلامية. ولكننا اذا عرفنا السبب يبطل العجب .

---

(١) الامبراطورية العثمانية : أعظم الدول الاسلامية ، تكونت بين القرنين ١٤-١٦ م بالشرق الأدنى على يد الأتراك العثمانيين بعد تفكك الامبراطورية السلجوقية واتسعت رقعة البلاد تحت حكم عدد من السلاطين الأكفاء (كان أولهم عثمان - مؤسس الأسرة العثمانية) . وبلغت الامبراطورية العثمانية ذروة مجدها في القرن ١٦ الميلادى في عهد سليم الأول الذى استولى على سوريا ومصر ١٥١٦ - ١٥١٧ م .

وتنازل الخليفة العباسي المتوكل عن لقب الخلافة ، وهكذا كانت في عز وكرامة حتى سنة ١٩٠٨ م حيث تكون (حزب الاتحاد والترقي) وأكره عبد الحميد على التنازل عن السلطة فما زالت الامبراطورية في الضعف حتى جاء مصطفى كمال (أتاتورك) بالغاء الخلافة سنة ١٩٢٤ م فطويت صفحة الامبراطورية الاسلامية التي حفلت بأروع الانتصارات .

راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، جـ ١ .

ان السبب في ذلك يرجع - بادئ ذي بدء - الى الروح الصليبية الكامنة في صدور النصارى ضد الاسلام. لقد تآمر الصليبيون على الاسلام كما رأينا ذلك في تصريحاتهم التي تحدثنا عنها سابقا- فبدأوا بالغزو المسلح فعجزوا كل العجز عن اطفاء جذوة الايمان في قلوب المسلمين بل رأوا ان في الغزو المسلح خسارة مادية عليهم ويسيء سمعتهم في العالم لذلك - كما قلنا مرارا في هذا البحث - لجأوا الى اتخاذ خطة جديدة وهي غزو القلوب وتشويه المفاهيم الاسلامية . كذلك اختاروا عددا من " أبناء المسلمين لتثقيفهم ثقافة غربية بحتة فكان أول بلد يظهر فيه هذا النوع من المثقفين (تركيا) المسلمة.

فقد ظهر هذا النوع من المثقفين في تركيا بعد فترة قصيرة من قيام العلاقات الوثيقة بين تركيا وألمانيا خلال القرن التاسع عشر الميلادى.

في هذه الظروف اقتضى الكيد الصليبي والصهيوني أن يصنع في تركيا " بطلا عظيما " تثار حوله الأمجاد والبطولة ويضخم حوله دوره في النضال الشعبي ليُستَغلّ في تحقيق مآرب الصليبية والصهيونية وهذا البطل الدونمي عرف في التاريخ باسم مصطفى كمال (أتاترك).(١)

---

(١) (أتاتورك) مصطفى كمال (١٨٨٠-١٩٣٨م) مؤسس تركيا الحديثة اتخذ هذا الاسم ١٩٣٤م بدلا من اسمه الذى كان معروفا به. وهو مصطفى كمال . ومعنى كلمة (أتاتورك) : (أبو الأتراك) . ولد بسالونيك وهرب من مدرسته ليلتحق بالكلية الحربية ثم اشترك ضابطا (١٩٠٨م) في الثورة التي ===

وقد اشتهر هذا الرجل بالبطولة ،لما غزا اليونان آسيا الوسطى بعد الحرب العالمية الأولى حيث أقحم نفسه في الجيوش التركية وفي يده المصحف وناشدهم بحماس دافق قائلا :

" أيها الترك هل تعلمون ما هذا الكتاب الذى بيدى ، فيجيبونه ،انه المصحف الشريف ،فيقول لهم : انكم اذا لم تخرجوا معي للحرب مع اليونان فلن يكون لهذا الكتاب بقاء في هذه الأرض ، وهكذا حرض مصطفى كمال المسلمين الأتراك على الجهاد .. فطردوا اليونان من أراضيهم ".(١)

=== قام بها حزب "تركيا الفتاة" انتهز فرصة قيام خلافات بين الخلفاء فشن هجوما قويا على اليونانيين وطردهم من الأناضول ١٩٢١ - ١٩٢٢ .

أعلن أول نوفمبر ١٩٢٢ الغاء السلطنة ثم ألغى سنة ١٩٢٤م الخلافة الاسلامية وفصل الدين عن الدول بل وعن الحياة كلها . فصار مدمن الخمر فأضر ذلك بصحته ومات في سن الثامنة والخمسين .

راجع الموسوعة جـ١ ص ٤٤.

(١) راجع الاسلام اليوم ص ٤٧ - ٤٩ ،أبو الأعلى المودودى .

وقد أثار هذا الانتصار العجبة والكبرياء في نفس هذا البطل المزعوم ... ولكن ماذا حدث بعد هذا الانتصار على اليونان ؟

يحدثنا الشيخ محمود الصواف بأن البطل قد عاد بعد الحرب لينفذ اتفاقية (كيرزن) المبرمة بينه وبين جيوش الحلفاء القاضيـــة بسحق الاسلام سحقا في تركيا لا هوادة فيه. وقد أصبح يرى أن العداوات التي تتعرض لها تركيا من جانب الغرب بسبب تخليها عن رسالتهـــا القومية واحتمالها حمل غيرها تستميت في الدفاع عنه قرابة خمسة قرون متتالية ، وأنها لن تكون في مأمن من هجوم الغرب وكيده وايذائـــه ولا تحقق لنفسها السيادة والتقدم والازدهار الا بقطع صلتها بماضيها الاسلامي وتمسكها بامجادها القومية الخاصة ، وهذا ما تضمنته اتفاقية " كيرزن " في شروطها الأربعة التي تنص على الغاء الخلافة في تركيـــا وقطع الصلة مع الاسلام ووقف نشاط العناصر الاسلامية الباقية فيها والعمل على اقامة دستور مدني بحت في تركيا بدل الدستور العثماني علـــى أساس " الاسلام . (١)

وهكذا ظهر أثر المخطط اليهودى في شخصية هذا الرجـــل فقضى على الخلافة الاسلامية .

---

(١) راجع نص اتفاقية (كيرزن) في كتاب المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام .

فبدأ - بادئ ذي بدء - بفصل تركيا عن ماضيها الاسلامي وكل ما يربط بذلك أويرمز اليه ، وسعى الى تحطيم الجهاز السياسي القائم والغاء الخلافة التي كانت مظهر قوة المسلمين السياسية في العالم. فأعلن بأن تركيا دولة علمانية لا دينية .

ولم يكتف بتحويل الامبراطورية العثمانية العظيمة الى قطر صغير وقطع جميع الصلات مع بقية أجزاء الامبراطورية بل ألغى وزارة الأوقاف والمحاكم الشرعية وأحل القوانين المدنية المستمدة من الغرب محل الشريعة الاسلامية ، وحدد عدد المساجد ، وأقفل كثيرا منها وقد حول مسجد " أياصوفيا " الى متحف .. ومسجد الفاتح الى مستودع .. وحرم الأذان باللغة العربية وألغى كتابة اللغة التركية بالأحرف العربية وكتب المصحف/ بالأحرف اللاتينية وألغى الأعياد الاسلامية وجعل بدلها أعيادا قومية ، وحظر جميع الطرق الصوفية وأغلق زواياها ومنع أى نقد ديني لتدابير الحكومة وحدد عدد الواعظين وحصر مجال عملهم في نطاق ضيق .

والى جانب ذلك فرض المسخ الفكرى لتغيير عقلية الشعب التركي المسلم عن طريق اقتباس التيارات الفكرية الأوربية ومناهجها واقامة المدارس المدنية وارسال البعثات الى أوربا واستيراد العادات والتقاليد الغربية حتى في اللباس وأسلوب الحياة العائلية .

ومن ناحية الحياة الاجتماعية تحطيم مظاهر الحشمة والحياء والعفة فقد ركز (أتاتورك) على افسادها فأكره المسلمات على الخروج بدون أدنى حياء على تعاليم الدين الاسلامي ونبذ جميع تقاليده ، كما أكرههن على تقليد النساء الغربيات في جاهليتهن وربى أولاد المسلمين

على نمط الحياة الأوربية وأشربهم روحا غربية لا دينية ليقطع صلتهم بالاسلام من قريب أو بعيد .(١)

ولقد أشار الى هذا العمل الاجرامي الذى فعله مصطفى كمال ضد العقيدة الاسلامية عددا من الباحثين المسلمين والأوربيين فاليك -فيما يلي بعضا من أقوالهم .

وقد تحدث عن هذا العمل الاجرامي شكيب أرسلان فأكد أن لا فرق بين علمانية مصطفى كمال وعلمانية روسيا وعبارته :

" ان حكومة تركيا العلمانية الكمالية ليست حكومة لا دينية من طراز فرنسا وانجلترا فحسب بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء ، اذ أنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل في حروف الأناجيل وزى رجال الدين وطقوسهم الخاصة ولم تلغ الكنائس ".(٢)

----

(١) راجع تاريخ الشعوب الاسلامية تأليف كارل بروكلمان ترجمة منير البعلبكي وآخر ص ٦٦٨ - ٦٦٩ وكذلك الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرية الغربية للشيخ أبي الحسن الندوى ص ١٦ ، ٥٥ - ٦٣ وكذلك الاسلام في الغرب تأليف جان بول سارتر ص ١٨١- ١٨٦ ترجمة نجدة هاجر وزميله . وكذلك الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ص ٤٢٨ - ٤٣٣.

(٢) حاضر العالم الاسلامي ٣/٣٣٦.

ويشير الأستاذ أنور الجندي الى هذا الحدث الأليم نفسه مبينا أن هذا الحدث كان مقدمة للسيطرة الأجنبية على فلسطين وعبارته :

" ثم جاء مصطفى كمال بعد الحرب العالمية الأولى، بتمزيق تركيا وسقوطها ليقيم الدولة التركية العلمانية التي ألغت الخلافة واللغة العربية والشريعة الاسلامية والأذان وأغلقت المساجد .

وفي انقلاب مصطفى كمال أتاتورك وقد تفجرت المجازر للمسلمين وسُلِّمت البلادُ الاسلامية التي كانت تابعة للدولة العثمانية الى الاستعمار والصهيونية بعد أن سلّم الاتحاديون طرابلسَ للغرب . لقد خُلِع عبد الحميد مقدمة لالغاء الخلافة وكان الغاء الخلافة هو الذى فتح الباب واسعا خلال حكم الاتحاديين منذ ١٩٠٩ - ١٩١٦ م للسيطرة على فلسطين وتحقيق هدف اليهود باستيلاء المسيحية ممثلة في بريطانيا على القدس ١٩١٧م كمقدمة لاستيلاء اليهود عليها بعد خمسين عاما ١٩٦٧م .

وكان ذلك من أخطر أهداف اليهودية والمسيحية ، تمزيق الدولة الاسلامية الكبرى وفصل العرب عن الترك وهدم الجامعة الاسلامية والغاء الخلافة ". (١)

----

(١) الاسلام والعالم المعاصر ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

ويتحدث الأستاذ أبو الأعلى المودودي عن هذا الحدث الأليم فركز على معركة القبعة التي دارت بين أتاتورك وبين الجماهير فلندعه ليعبر عن ذلك بعبارته اذ يقول :

" وقد اريقت في تركيا دماء الالاف من المسلمين لا ذنب لهم الا أنهم عارضوا استبدال القبعة بالطربوش كان هذا الأمر أيضا من الاصلاحات الجذرية التي ما كانت لتتم الا به .

ومن الطريف في الأمر أن قادة الاصلاح المزعومين لما لم يجدوا الكمية الوافرة من القبعات الأوربية استوردوا من أوربا أكواما من القبعات وكان هذا الاصطلاح من الأهمية بمكان في نظر القادة حتى لجأوا لتطبيقه الى وسائل الحديد والنار والى اعلان الحكم العرفي في البلاد .. " (١)

وهكذا كان مصطفى كمال أول منفذ للمخططات الاستعمارية في العالم الاسلامي وأول نموذج صارخ للحكام المصطنعين المارقين من الدين في عالمنا الاسلامي ..

ثم جاء بعده زعماء لا يقلون منه مروقا من الدين فحذوا حذوه ، فأذاقوا الشعب التركي المسلم أشد العذاب ولم تزل تركيا تذوق مرارته الى وقتنا الراهن ..

---

(١) الاسلام اليوم ص ٥٦ .

ومنذ الخمسينيات من هذا القرن الميلادى وجد نماذج آخرون من الحكام المارقين في مختلف بلاد العالم الاسلامي . وان كانوا لم تكن لديهم جرأة كجرأة مصطفى كمال في الرفض العلني للدين ومحاربته أمام أعين الناس .

وفيما يلي نذكر بعضا من هؤلاء الذين ساروا على منوال مصطفى كمال فلننتقل اذن من تركيا الى مصر لنرى اليد الخفية التي حركت المعركة ضد الاسلام وبين العلمانية/ في غربي أفريقيا هي نفسها التي تحرك جميع المعارك بين الاسلام والعلمانية في العالم الاسلامي كله .

اليد الخفية في مصـــــر

بعد الحديث عما حدث في تركيا والقضاء على الخلافة العثمانيـــة وتحويل البلاد التي كانت تابعة لها الى وحدات اقليمية وطنية و تقسيمها بين البلدان المستعمرة واستهدافها لمخططات التغريب ، بعد ذلك سنتحدث عن بلدين أفريقيين كان لهما تأثيرهما على ما حدث أيضا في غرب افريقيا هما : مصر والشمال الافريقي ، فلنبدأ بمصر.

ويرى الكثيرون من الباحثين أن حركة الشيخ محمد عبده (١٨٤٥-١٩٠٥م) واتجاهاته الفكرية هي المرحلة التمهيدية أمام التيارات الفكرية الهدامة في مصر المسلمة ولكن الذى يتتبع هذه التيارات الفكرية في مصر يجد أن الاتجاه نحـــو الاصطباغ بالصبغة الأوربية قد سبق حركة الشيخ محمد عبده ،بل كان هذا الاتجاه منذ عهد على باشا وعهد الخديو اسماعيل.(١)

---

(١) خديوى : لقب أطلق أحيانا على بعض الحكام المسلمين والكلمة فارسية تعنى الملك والوزير منحه السلطان عبد العزيز لاسماعيل باشا والى مصر ١٨٦٧م . ثم أطلق على أعضاء سلالة محمد علي في مصر الموسوعة جـ١ ص ٢٦٧ وورد في الموسوعة العربية الميسرة جـ١ ص ٧٥٢ ان هذا اللقب ظل استخدامه بمصر حتى عام ١٩١٤م حينما أعلنت الحماية عليها وفي تلك السنة أصبح لقب الحاكم الجديد "حسين كامل" سلطانا..

وقد عزما على الاصطلاح الداخلي والأخذ بوسائل النهضة الحديثة عن طريق السير في ركاب الغرب والخنوع له. وقد تحدث عن هذا أرنولد توينبي ويرى أن مصر كانت متفوقة على تركيا في هذا السبيل اذ يقول :

" ان عملية صبغ مصر بالصبغة الغربية التي بدأها المغامر الألباني (محمد علي) (*) خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر ،كان أكثر شمولا من أية محاولة سعى اليها أو انجزها السلاطين الأتراك في الحقبة نفسها ". (١)

وكانت سياسة الخديوى اسماعيل الفاشلة والتي أسفرت عن خلعه وتولية الخديوى توفيق بعده تمهيدا لوضع المخطط الاستعمارى الخبيث في مصر . فوجد المستعمرون أسنادهم من نتاج مدارس التغريب أقيمت منذ عهد محمد علي باشا من الزعماء والعلماء والمثقفين المستغربين بعضهم متأثرون منبهرون بالحضارة الغربية وبعضهم عملاء مأجورون يعملون لمصالح القوى الأجنبية ،فهؤلاء هم الذين تطوعوا بخدمة رجال الاستعمار في تنفيذ مخططاتهم وهم الذين مهدوا الأرضية الفكرية التي استند اليها الاتجاه اللاديني الذى كان المظهر العام للنشاط السياسي في مصر فيما بعد .

---

(١) مختصر دراسة للتاريخ ٣/ ١١٣ ترجمة فؤاد محمد شبل .

(*) محمد علي (١٧٦٩-١٨٤٩) والي مصر (١٨٠٥-١٨٤٩) ولد بقوله من أعمال اليونان الآن . فولي على مصر سنة ١٨٠٥م لما ضاق المصريون ذرعا بحكم خورشيد باشا الوالي ،وطلبوا من الباب العالي تولية محمد . . وكان من مقدمة سياساته واهتماماته أن يتغلب على الوهابيين في البلاد العربية سنة (١٨١١- ١٨١٩) وتم ذلك على يد ابنه وخليفته ابراهيم باشا وكان من أهم أعماله أيضا انشاء المدارس على النمط الأوربي وارسال البعثات الى أوروبا وفتحه السودان (١٨٢١-١٨٢٣) ثم ناب عنه ابنه ابراهيم باشا في أخريات حياته . . مات بالاسكندرية في ٢ أغسطس ١٨٤٩ .

وقد تحدث الدكتور محمد محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر انه منذ وقت مبكر من الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢م فيرى أن أول حزب سياسي قام في مصر وهو الحزب الوطني ، قد نشر برنامجه الرسمي القائم على أساس القومية المصرية وحدها دون تفريق بين الأديان وعبارته :

" الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني ، فانه مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذاهب وأغلبيته مسلمون لأن تسعة أعشار المصريين من المسلمين وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها ينضم اليه لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ويعلم أن الجميع اخوان وأن حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية ".(١)

ويلاحظ - كما سيأتي - أن فكرة القومية الافريقية الزنجية نبتت بنفس الفكرة هكذا تسربت التيارات الفكرية في مصر الاسلامية العريقة وانتشرت في مختلف الأحوال فصار هؤلاء المثقفون ينفخون في صور العلمانية واللادينية كأمثال البارودى أحد زعماء الثورة العربية (٢) الفاشلة القائل :

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . المصدر السابق ١/ ١٣٦.

(٢) الثورة : تغيير جوهرى في الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولة معينة ويقوم بها الشعب كله + . وأما قلب نظام الحكم فهو يقوم به بعض رجال الحكم ، وأهم الثورات العربية الفاشلة ، فقد انتهت بالقبض على بعض القائمين بها ونفي بعضهم .. وكان الهدف المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا سنة ١٩١٩ . وكان البارودى محمود سامي (١٨٣٩-١٩٠٤) من قواد الثورة العربية ونفى الى (جزيرة سيلان) حيث مكث سبعة عشر عاما ثم عفى عنه سنة ١٩٠٠م فرجع الى القاهرة .. الموسوعة ١/ ٣٠٨ . وقد نفي أيضا سعد زغلول الى مالطة ولكن الاستقلال قد تم في سنة ١٩٢٢م في فبراير . المرجع السابق ص ٥٨٣.

" كنا نرى منذ بداية حركتنا الى قلب مصر جمهورية مثل (سويسرا) ولكننا وجدنا العلماء لم يستعدوا لهذه الدعوة لأنهم متأخرون عن زمنهم ومع ذلك فسنجتهد في جعل مصر جمهورية قبل أن نموت".(١)

وهناك مثقفون آخرون فقد هجم كل واحد منهم على جانب من الاسلام مثل أحمد لطفي السيد وسعد زغلول وعلى عبد الرزاق أصحاب الاتجاه الوطني الوافد من أوربا والبعيد عن الاتجاه الاسلامي مع العلم بأن عبد الرزاق هذا صاحب كتاب " الاسلام وأصول الحكم "(٢) وهو أول من نادى بفصل الدين عن الدولة .

----

(١) الاتجاهات الوطنية . المصدر السابق ١٤٢/١.
وراجع كذلك تطور الفكر الاسلامي في مصر الحديثة د/أحمد عبد الرحيم مصطفى ص ٣٠٦ انظر كذلك الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،د/ محمد البهي ص : (١٦٠ - ١٦١).

(٢) للاطلاع على هذه الأفكار الهدامة فعليك بالكتب التالية :
مصطفى كامل وحياته وكفاحه لأحمد رشاد واقرأ كذلك مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية لعبد الرحمن الرافعي بك .
وأما سعد زغلول (١٨٦٠-١٩٢٧) فهو زعيم سياسي مصرى يعد روح القومية العربية المصرية ورمز الجهاد في سبيل الاستقلال .
وأحمد لطفي (١٨٧٢-١٩٦٣) مفكر وفيلسوف عربي ورائد من رواد الحركة الوطنية في مصر. شارك في تأسيس حزب الأمة.

وهؤلاء وكثيرون من أمثالهم في أنحاء العالم الاسلامي هم نتاج التيارات الفكرية الاستعمارية . وقد بذل المستعمرون في سبيل تربية هذه الطبقة كل ما في وسعهم من غزو فكرى وتخطيط حتى تم صبغها بالصبغة الأوربية ورضعت لبان الفلسفات والمناهج والأفكار الغربية اللادينية وبلغ بها الانبهار بالغرب وحضارته مبلغا فوق المتصور وأصيبت بالتبعية الكاملة.

وقد قام على اثرهم زعماء سياسيون متأثرين باتجاهاتهم العلمانية هذه فرفعوا شعارات مناهضة للدين مثل شعار " الدين لله والوطن للجميع " وغير ذلك. وقد أعلن هؤلاء الحكام المحليين حربا شعواء على الاسلام لا هوادة فيها . وأبعدوا الشريعة عن مجال الحكم والقضاء وشئون الحياة الاجتماعية .

فمنذ تلك الفترة أصبحت الأحزاب السياسية تسير في اتجاه لاديني وتتبنى أفكار العلمانية المناهضة للدين والأخلاق .. وتتفق جميعها في عدم رفع شعار الاسلام..

وهكذا أصبح المجتمع المصرى المسلم يموج بنظريات هؤلاء ومناهجهم في مجال الحكم والتشريع والاقتصاد والاجتماع .

وهكذا أيضا رأينا اليد الخفية التي حركت هذه التيارات في تركيا هي التي حركتها في مصر ولم تزل الى الآن تحركها رغم ما بذله علماؤنا الأفاضل في مقاومة هذه التيارات الفكرية الهدامة الوافدة من أوربا قاوموها بألسنتهم وأقلامهم وقلوبهم فجزاهم الله خيرا عن الاسلام

وقبل أن ننتقل الى الحديث عن اليد الخفية في الشمال الافريقي يجمل بنا أن نختتم الحديث عن اليد الخفية في مصر وتركيا بما لاحظه "جب" من سير الأفكار العلمانية في العالم الاسلامي .

ويلاحظ المستشرق (جب) أن النشاط التعليمي والثقافي (عن طريق المدارس والصحافة قد ترك في المسلمين - من غير وعي منهم - أثرا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين الى حد بعيد .

ثم يعقب هذه الملاحظة الدقيقة بقوله :

" وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الاسلامي على حضارته من آثار ".(١)

ويتساءل جب الى أى مدى أصبح العالم الاسلامي غربيا ؟

ويجب على ذلك مستعرضا نفوذ الثقافة الغربية في العالم الاسلامي بلدا بلدا فيقول : " ان تركيا قد انقلبت الى بلد غربي كأعنف ما يكون الانقلاب وأما في شبه الجزيرة العربية فان النفوذ الغربي لم يستطع أن يضع قدمه بعد ".

---

(١) راجع الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين ٢/٢٠٧ - ٢٠٨ .

" وفي شمال افريقيا بدأت حركة التغريب و هي ماضية في طريقها وان كان أثرها أبرز في تونس .

أما في مصر فهي تتطور في هدوء بعيد عن العنف ، ولكنها تتقدم تقدما واضحا في هذا الطريق .

أما العراق وسوريا فهي تتبع خطوات مصر بينما تتبع ايران خطوات تركيا وان كانت أكثر منها اعتدالا وتوسطا ، أما أفغانستان فقد تراجعت في هذا السبيل بعد تجربة الملك أمان الله خان التي فقد فيها عرشه ".

وهكذا كشف هذا المؤلف النقاب عن وجه هذه المؤامرات الأوربية ضد العالم الاسلامي .

ويمضي أيضا على هذا النحو في تتبع ما أحدثت الحضارة الأوربية من تيار فكرى بين المسلمين في كل من روسيا السوفييتية والهند وأندونيسيا والقارة الافريقية وخاصة غربي افريقيا .

وينتهي من هذه الملاحظات الى القول بأن نجاح هذه التيارات الفكرية الهدامة يتوقف على القادة والزعماء في العالم الاسلامي وعلى الشباب منهم خاصة ثم علق على هذه الحادثة الأليمة بقوله :

" ان العالم الاسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كل مظاهر حياته ما لم يطرأ على الأمور عوامل ليست في الحسبان فتغير اتجاه التيار ". (١)

فلنتحدث - اذن - عن الشمال الافريقي وغيرها لنرى هذه اليد الخفية وهي تبث هذه التيارات الفكرية المسمومة .

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢١٠.
وراجع أيضا الغارة على العالم الاسلامي ا.ل ساتليه ، ت د/ مجد الدين الخطيب ومساعد اليافي ط/ ٢ ، جدة ١٩٨٧م.

شمال أفريقيا

تونس :

ان هذه التيارات الفكرية التي اجتاحت العالم الاسلامي لم يكتف أصحابها بتسميم أفكار المثقفين من الكتاب والصحافيين والأدباء فحسب بل وصلت سمومها الى عقول كثير من الزعماء أيضا وقد سعى هؤلاء الحكام الى ابعاد الاسلام عن الشئون الاجتماعية والتشريعية والثقافية وعن التوجيه العام وتربية النشيء .. وفصلوا بين الدين والدولة بصفة رسمية فلنضرب على ذلك مثالين فحسب :

(١) (بورقيبة) :(١)

ان هذا الرئيس من شدة تأثره بهذه التيارات الفكرية الوافدة من أوربا وشدة كراهيته للاسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم حتى أصدر قرارا يعلن فيه مايلي :

---

(١) ان بورقيبة قد عجل له بعض عقوبات أعماله الاجرامية ضد الاسلام في هذه الدنيا قبل يوم الحساب بحيث أبعدوه عن الحكم اطلاقا وأسكنوه في ناحية بعيدة عن العاصنة التونسية .. وعين زين العابدين خلفا الذى كان يتظاهر بالتمسك بالعقيدة الاسلامية ولكن لما استتب له الأمر أتى بشيء يندى له الجبين .. وهو مقاومة الدعوة الاسلامية مقاومة عنيفة واعتقل عددا كبيرا من الدعاة " انا لله وانا اليه راجعون ".

فقد أعلن هذا الرئيس أن الصيام في شهر رمضان يسبب انخفاضا في الانتاج وأصدر الأمر بمنع العاملين في حقول الانتاج من الصيام كيلا تتناقص نسبة الانتاج وأسقط عنهم بذلك هذا الركن الثاني من أركان الاسلام الخمسة . (١)

بهذا شارك بورقيبة مصطفى كمال وأمثاله في الغاء الشريعة الاسلامية . ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد فقد ألقى هذا الرئيس خطابا خطيرا في مؤتمر المدرسين والمربين (٢) لمناسبة الملتقى الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي القومي يتضمن القول بتناقض القرآن (والعياذ بالله) وانكار قصة عصا موسى . وقصة أهل الكهف والقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان انسانا بسيطا يسافر كثيرا عبر الصحراء العربية ويستمع الى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت وأنه قد نقل تلك الخرافات الى القرآن . .

وكذلك انكار اعطاء المرأة نصف ما يعطى الذكر في الميراث لأنه لا يناسب تطور المجتمع .

وأن على الحكام أن يطوروا الأحكام حسب تطور المجتمع . .

---

(١) انظر الاسلام اليوم ، المودودى ص ٥١ .

(٢) نشرتها صحية الشهاب اللبنانية في عددها الصادر في ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ الموافق نيسان سنة ١٩٧٤م .

ثم أنكر تعدد الزوجات وحجره ذلك على الشعب التونسي والقول بأن المسلمين قد وصلوا الى تأليه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنهم دائما يكررون " محمد رسول الله وسلم - الله يصلى على محمد " .(١)

هذا هو موقف الرئيس التونسي من الاسلام ونبي الاسلام ، ويا ليت الأمر يقف عند هذا الحد بل أعلن أيضا سنة ١٩٥٦م أن الحكومة قررت وضع قانون للأحوال الشخصية يتناول شروط الزواج والطلاق وتعدد الزوجات ويحرم هذا القانون على الرجل التونسي أن يتزوج بأكثر من واحدة لغير ضرورة وأن يطلق زوجته بغير سبب مقبول .(٢)

وقد حدث أكثر من ذلك في كثير من الدول الاسلامية مـن أفغانستان فما زال المجاهدون يذوقون مرارة ذلك من قبل النظـام القائم في أفغانستان ومن قبل روسيا المغتصبة .. وكذلك الصومال حيث قتل محمد زياد بارى العديد من المسلمين لاصرارهم في الميراث علـى اعطاء الرجل ضعف نصيب المرأة كما نص على ذلك القرآن الكريم .. ولم يزل الكثيرون من الدعاة في سجونه الى اليوم !.(٣)

---

(١) اقرأ حكم الاسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أومشتمل على بعض الخرافات أو وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بما يتضمن تنقصه أو الطعن في رسالته لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على بورقيبة فيما نسب اليه .

(٢) المجتمع الاسلامي للدكتور أحمد شلبي ص ٢٥٠ .

(٣) المرجع السابق - وقد عجل الله الى محمد زياد يرى بعض عقوبته بحيث لجأ الى الفرار بعد ما كاد الثوار أن يقبضوا عليه . وهو اليوم في المنفى بناحية من البلاد الصومالية والحكم ما زال بأيدى الثوار الذين انقسموا أخيرا الى فئتين متحاربة حتى قتل من الطرفين أكثر من ٤٠٠٠ نسمة . وكل هذا نتيجة للحكم الشيوعي ، الذى جلبه محمد زياد بارى الى شعب الصومال المسلم .

وكذلك في عدن ، اليمن الجنوبي حيث اختار حكامها الشيوعية الحمراء على حساب الأديان فصارت هتافاتهم كالتالي :

" لا رجعية بعد اليوم "

يعنون بذلك أنهم مارقون من ربقة الدين الذى يعتبرونه (رجعية) .

وبنجلادش وغير ذلك من الحكومات المنتسبة الى الاسلام اللواتي أبعدت التطبيق العملي للشريعة الاسلامية عن واقع الحياة العملية وعن العقيدة نفسها . (١)

*

(٢) (ليبيا):

الذى لا نذكره الا وقلوبنا مملوءة بالحزن والأسى يتمثل في قول رئيس ليبيا الذى اجترأ على الاسلام فأعلن عن الغاء فريضة الحج ودعا الى اعادة كتابة القرآن الكريم .. ثم دعا الى التقريب بين الاسلام والمسيحية لأنهما - في وجهة نظره - دينان متساويان في كل شيء فلا داعي لابقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين والمسيحيين .

ولم يكتف بمجرد التصريح ولكنه أيضا عقد مؤتمرا في ليبيا ثم استجلب بعده الراهبات ليعملن في المستشفيات .. وهكذا دواليك.

----

(١) راجع وجهة الاسلام " جب" ت : محمد أبو زيد ص ١٥.

فعلى هذا نكون قد أعطينا صورة مصغرة عن العالم الاسلامي حيث رأينا عملاء الاستعمار من المثقفين والزعماء هم رسل الغرب الى البلاد الاسلامية لتسميم العقول ومسخها واحلال النظم الغربية العلمانية مكان شريعة الاسلام .. فعرفنا في خلال هذه الجولة أن المخطط واحد وان اختلفت أساليبه .. فهو الذى يقف في خفاء لبث هذه التيارات الفكرية في عالمنا الاسلامي .

وبعد هذه الجولة نعود الآن الى هذا الجزء الذى خصصنا له هذا البحث الا وهو :

(بلاد السودان الغربي) أو (غرب أفريقيا) في لغتنا المعاصرة ليتبين لنا أن المخطط الذى صنع العملاء في تركيا ومصر وتونس وليبيا وعدن والصومال وغير ذلك هو المخطط نفسه الذى صنع النخبة الممتازة ذات الثقافة الغربية في غرب افريقيا ..

فالتيارات الفكرية السائدة في غرب افريقيا هي تلتقي في النهاية جميع التيارات الفكرية التي تسربت الى جميع العالم الاسلامي ..

لنواجه - اذن - دور النخبة الممتازة في غرب افريقيا في تنفيذ رسالات معلميهم الفرنسيين ومخططاتهم ... بصفة خاصة ..

اليـــد الخفية في غرب أفريقيا

وأيديولوجيات النخبة الممتازة بعد الاستقلال

قد تحدثنا فيما سبق عن اليد الخفية التي خططت في الخفاء لاسقاط الخلافة الاسلامية في تركيا . وغيرها من بلدان العالم الاسلامي على النحو الذى ذكرنا ..

والآن وصلنا الى المنطقة التي خصصنا لها هذا البحث وهي بلاد السودان الغربي أو افريقيا الغربية في اصطلاحنا المعاصر ، وصلنا اليهـا لنتحدث أيضا كيف خطت هذه اليد الخفية لتسميم عقول الصفوة المختارة ذات الثقافة الغربية حتى فعلوا مثل ما فعل أمثالهم في العالـم الاسلامي من استقصاء الشريعة الاسلامية واقامة الحياة بمعزل عن الدين .

والحقيقة ان كانت التيارات الفكرية التي مسخت عقول النخبة الممتازة في غربي افريقيا تلتقي في النهاية مع جميع التيارات الفكريـة التي غزت العالم الاسلامي كله . ولكن التيارات الفكرية التي غزت أفريقيا الغربية كانت أشنع/وأخبث من هذه التيارات الفكرية جميعها ، ان لم نقل أنهـا لا مثيل لها في التاريخ ..

قد رأينا أن المخطط كان يقوم تارة بتسميم الأفكار أو بصنـع عملاء من أبناء البلد ، لبث أفكاره وحضارته المادية في ذلك البلد . ولكن أهل البلد مع تسميم أفكارهم ومسخ عقولهم كانوا يظلون دائما يتمايزون بقوميتهم وشخصيتهم الذاتية .. كما حصل في تركيا ومصـر والجزائر وأمثالها .. ولكن الذى حصل في غرب افريقيا يختلف عن ذلك

كله .ولم يكن القصد بالتيارات الفكرية في غربي أفريقيا تغيير الأفكار فحسب ولكن فرنسا كانت تريد -جاهدة- أن تجعل غربي أفريقيا جزءا من فرنسا . فتصبح شعوبها فرنسيين (١) . من هنا تستطيع أن تقضي على تقاليد المنطقة وثقافاتها بما فيها العقائد الدينية (الاسلام) . لأن فرنسا كما قلنا وجدت الاسلام الجدار الوحيد الذى وقف أمام نشر تياراتها الفكرية وحضارتها المادية . فيجب تحطيم هذا الجدار العنيف . ولكن ليس بتغيير الأفكار ومسخ العقول كما فعلت في المبلدان الاسلامية الأخرى . ولكنها أخذت هنا أسلوبا جديدا : هو تحويل شعوبها حتى يصبحوا فرنسيين تماما . فحينئذ فلا حضارة الا الحضارة الفرنسية ولا ايمان الا الايمان بالمادية ولا حياة الا الحياة الدنيا . هذا هو الجديد الذى أرادت فرنسا تطبيقه في غربي افريقيا فقامت بادىء ذى بدء برسم سياسة شيطانية تسمى بسياسة الاستيعاب ويسميها بعض الباحثين بسياسة الامتصاص أى أن الفرنسيين يمتصون الشعوب الافريقية حتى يصبحوا فرنسيين تماما . كما سماها البعض الآخر بسياسة المطابقة يعني تصبح شعوب المنطقة طبق الأصل الفرنسي حتى تنس جميع تقاليدها وأمجادها وعقائدها الدينية (٢) ..

---

(١) وقد يقول القائل :ان فرنسا قد أرادت فعلا أن تحول الجزائريين الى فرنسيين أيضا فنقول : نعم قد حصل ذلك فعلا ولكن الفرق بين القطرين هو : أن فرنسا لا تعترف بانسانية السود . بينما تعترف بانسانية الجزائريين . راجع ص ٥٧٨ من هذه الرسالة.

(٢) قد تحدثنا عن المعاني المتعلقة بهذه الكلمة فراجع ما قلناه سابقا وأشرنا هناك الى المراجع التي تعرضت لذلك.

وقد بذلت فرنسا كل ما أعطيت من قوة في سبيل تطبيق هذه السياسة في المنطقة . وقد استغرقت هذه المحاولة ابتداء من سنة ١٨٨٤ الى ١٩٦٠م أى ما يقارب ٧٦ سنة .

وقد يسأل بعض الناس السؤال التالي :

" كيف تعامل فرنسا شعوب غرب افريقيا بغير ما عاملت به بقية الشعوب التي استعمرتها ؟

فنبادر بالقول ونقول : ان جواب هذا السؤال يوجد عند الفرنسيين أنفسهم . فقد أجاب عن مثل هذا السؤال عدد من مفكريهم ومستعمريهم بل وفلاسفتهم ،فلنكتف هنا بقول الفيلسوف المشهور المسمى ب (مونتسكيو ت : ١٦٨٩م) الذى يرى أن السود ليسوا من فصيلة بني آدم فيجب استعبادهم وامتلاكهم ،وعبارته :

" ان لنا حقا في اتخاذ الزنوج عبيدا .. ان شعوب أوربا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم يعد أمامها الا أن تستعبد شعوب افريقيا لكي تستخدمها في استغلال هذه الأقطار الفسيحة فما هذه الشعوب الا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس الى أخمص القدم . ولا يمكن أن نتصور أن الله -جلت قدرته - وهو ذو الحكمة السابغة ، يضع روحا طيبة في مثل هذا الجسم الحالك السواد ". (١)

---

(١) راجع ما كتبناه سابقا وراجع موسوعة التاريخ الاسلامي . المصدر السابق جـ٦ ص ٣١٧ .

وتقول (اينا كورين براون) (Ina corinne Brown)
وهي تصف معاملة الأوربيين للسود الذين اقتيدوا الى أمريكا ، اقتياد الوحوش الضارية وعبارتها :

" ان مما لا شك فيه أن كثيرا من العبيد السود كانوا يعاملون معاملة قاسية ، اذ أن نظام الرق كان يدل على أن العبد انما هو سلعة أكثر منه انسانا ". (١)

وهكذا اتجهت فرنسا المستعمرة الى انتزاع المواطن الافريقي من ماضيه ومن حضارة قومه ودينه الاسلامي . واتجهت فرنسا بادئ ذي بدء كما أوضحنا سابقا - الى أن تحاول السير بأفريقيا في مدارها من ناحية اللغة ، فلم تكن في افريقية لغات ذات بال غير العربية ، فعملت أوربا على القضاء على هذه اللغات واللهجات الافريقية لتهيئ الجو المناسب لتطبيق سياسة الامتصاص . لذا أصبحت في المنطقة لغة المستعمر هي لغة القوم ، ولغة الثقافة ، بل لغة الحاجات اليومية في كثير من الأمكنة، وكانت معرفة اللغة الأوربية وشيء من الحضارة الأوربية واعتناق الدين المسيحي وسائل تقفز بالافريقي وتجعله في موضع ثقة المستعمر ومكان اهتمامه .

وتطبيقا لمبدأ سياسة الاستيعاب ، اذا قدمت فرنسا للانسان الافريقي شيئا من العلم فهو تاريخ البلد المستعمر ، وجغرافيته ومبادئه وقوانينه ، وتاريخ أبطاله وقادته حتى يحس الافريقي في المستعمرة

----

(١) راجع المصدر السابق جـ٦ ص ٣١٧ .

الفرنسية بأنه جزء من فرنسا . . . وأما تاريخ أبطال افريقيا والملوك الذين صنعوا التاريخ الافريقي المبكر تجعله فرنسا تاريخ مجموعة من الوحوش حيث يأكل القوى الضعيف فاذا بهذا الافريقي المسكين يكره تاريخه وثقافته ويفرح أيضا أن يوصف بأنه مواطن فرنسي .

وبتعبير أدق :

ان احساس الأوربي تجاه الافريقي كان احساس الانسان بالنسبة للآلة ،كما صرح بذلك الفيلسوف مونتسكيو في مقاله السابق . فالافريقي وان تعلم لغة القوم وحضارتهم واعتنق دينهم لم يكن لديهم الا أداة تنفذ أغراضهم وتكون لسانا لهم بين مجموعات السود . .

ذلك هو منطلق سياسة الامتصاص التي اتبعتها فرنسا تجاه هذه السلالة السوداء . .

*

ولنعد بعد ايضاح هذا الأساس لنذكر بعض التفاصيل عن الفترات التاريخية التي مرت بها المحاولات لتطبيق سياسة الاستيعاب على المنطقة. وذلك لا لشيء الا لنضع أيدينا على المخططات الاستعمارية الرامية الى تسميم العقول في المنطقة خطوة خطوة ولنعلم أن التيارات الفكرية التي فرضت على سكان المنطقة ان كانت تلتقي مع جميع التيارات الفكرية التي غزت سائر البلدان الاسلامية قديما وحديثا ولكنها تفوق عليها بكثير . ففيما يلي توضيح لهذه الفترات التاريخية :

فنقول : اذا تتبعنا تاريخ الاستعمار الفرنسي في هذه المنطقة سنجد أن محاولات التطبيق لسياسة الاستيعاب على سكان المنطقة قد مرت بثلاث فترات تاريخية أساسية هي :

الفترة الأولى من ١٨٨٤م - الى ١٩٤٤م :

وتبتدىء هذه الفترة عقب مؤتمر برلين الذى انعقد في ١٥/١١/١٨٨٤م (١) وتنتهي مع انعقاد مؤتمر برازافيل في سنة ١٩٤٤م (٢). وتقدر الفترة الزمنية بينهما بـ (٦٠) ستين سنة تقريبا .

فلما انتهى مؤتمر برلين ، ذلك المؤتمر الذى نظمت فيه الدول الأوربية سرقة دولية لاباحة الاستيلاء على افريقيا السوداء ، بدأت فرنسا تحاول تطبيق سياسة الاستيعاب . فبدأت تدعم استيلائها بقوة فعلية وبادرت باعلان حمايتها على هذه الأجزاء التي نحن بصدد الحديث عنها .

ان محاولة التطبيق لسياسة الاستيعاب كان أقسى فترة مرت بسكان المنطقة. فقد ذاقت المنطقة من فرنسا كل أنواع العذاب وكل ألوان القسوة والذل والهوان .

---

(١) استعمار افريقيا د/ زاهر رياض ص ١٣٤ .

(٢) راجع السياسة والحكم في افريقية د/ عبد الملك عودة ص ١٧٣ .
وراجع موسوعة التاريخ الاسلامي ٦/٥٠٩ .

وعلى الرغم من بشاعة الرق وبعده عن الانسانية فان بعض المفكرين يرون الرق أهون من سياسة الامتصاص لأن الرق لم يستعبد فيه بعض الأفراد ولكن سياسة الاستيعاب كانت تهدف أول ما تهدف الى جعل المنطقة بكل ما فيها انسان وحيوان جزءا من فرنسا .

نعم قد خسرت القبائل الافريقية بعض رجالها الذين خطفهم تجار الرقيق الى أمريكا ، ولكن القبيلة خسرت كيانها كله وافريقيتها كلها عندما فرضت فرنسا هذه السياسة على سكان المنطقة ، لأن من مبادئ هذه السياسة يجوز لفرنسا أن تمتلك الأرض وما فيها بل تملك الانسان الافريقي نفسه كالسلعة .

ولقد كان من الممكن أن تنسى القبيلة مَنْ اختطفه النخاسون (١) من أبنائها ، ولكنها لم تستطع قط أن تنسى صور الاستعباد التي تظهر في كل مظهر من مظاهر الحياة التي فرضتها أوروبا على افريقيا من أجل تطبيق سياسة المطابقة . .

---

(١) هو تاجر الرقيق (Marchand d'esclave)
راجع قاموس الجيب عربي فرنسي تأليف الياس . توزيع دار الجيل بيروت ص ٦٦٧ .
وراجع أيضا :- Dictionnair de poche p.336

في هذه الفترة الطويلة كلها كان المستعمرون الفرنسيون يعاملون أهل المنطقة بشتى أنواع القسوة بدون أدنى رحمة . ويأتي في مقدمة ذلك أعمال السخرة (Travaux forces) فقد أجبرت فرنسا الرجال على أعمال قاسية بدون مقابل تتراوح بين خمسة أشهر وسبعة أشهر في السنة ولم يكن يوجه لهؤلاء أى اهتمام طبي مما جعل الكثيرين منهم يسقطون في ميدان العمل ..

وتجيء القسوة من نوع آخر ، تلك هي حرمان الافريقيين من الثقافة فان المناهج التعليمية التي رسمتها فرنسا - تطبيقا لمبدأ هذه السياسة الاندماجية لم يكن هدفها خدمة المجتمعات الافريقية والحفاظ على وحدة التجمع .. وانما رسمت هذه المناهج لتقوية ما تقدمه افريقيا لأوربا من خدمات . ومن ثم نشأ هذا الشكل الغريب من التعليم بكل ما فيه من محتوى تافه ، وقد يختلف نهج التعليم الذى تفرضه دولة أوربية عن الذى تفرضه دولة أوربية أخرى ولكن الهدف واحد وان اختلفت الأشكال . ففرنسا مثلا كانت قسمت رعاياها الى صنفين : صنف الصفوة المختارة أو النخبة الممتازة ، وصنف الجماعات البلدية (المدنيين) وكانت فرنسا تتجه لتثقيف الصنف الأول بالثقافة الفرنسية وتعلم عاداتها وأساليب حياتها ليصبحوا فرنسيين قلبا وقالبا .

أما الصنف الثاني ، وان كانت سياسة الامتصاص تشلهم فلم يكن أفراده يتلقون التعليم الا شكلا خفيفا من أشكال التعليم الأولى في مدارس أقرب الى الكتاتيب .

وعلى هذا النحو من التعليم الهزيل جرى العمل في نظام التعليم في غرب افريقيا الفرنسي حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، حين أنشئت بعض المدارس المهنية وبعض المدارس لتخريج معلمي هذه المدارس مثل مدرسة الزراعة في أبيدجان عاصمة ساحل العاج ، والمدرسة الفنية العليا في باماكو عاصمة مالي ، كما أنشئت ثلاث مدارس ثانوية في دكار سنة ١٩٤٠ م وباماكو سنة ١٩٤٥م وأبيدجان سنة ١٩٥٣م.(١)

وقد ذكر المؤرخون أنواعا كثيرة من قسوة الاستعمار الفرنسي نحو المواطنين الافريقيين .. وكل ذلك يرجع أولا وآخرا الى محاولة مسخ سكان المنطقة حتى يصلحوا فرنسيين.(٢)

ولكن لما عرفت فرنسا أن الشعوب بدأت بالانتفاضات في كل مكان قامت بعقد المؤتمر المعروف بمؤتمر برازافيل الذى يأتي الحديث عنه فيما يلي .

---

(١) استعمار افريقيا . المصدر السابق ص ٣٦٩ .

(٢) ونحيل القارئ الى المصدر السابق للاطلاع على قسوة الاستعمار في افريقيا في شتى مجالات الحياة .

الفترة الثانية : مؤتمر برازافيل سنة ١٩٤٤م :

وظل الحال كذلك منذ بدء الاستعمار الفرنسي بافريقيا حتى سنة ١٩٤٤م التي عقد فيها مؤتمر برازافيل (Brazaville) وهو المؤتمر الذى أعلن فيه الجنرال ديجول (١) (General Degole) خيانته للعهد الذى قطعه على نفسه بمنح المستعمرات حريتها واستقلالها بمجرد انتهاء الحرب فقد أصدر دستوراجديدا فرض بمقتضاه الجنسية الفرنسية على المستعمرات وباتت المستعمرات في غرب أفريقيا من بين أعضاء الاتحاد الفرنسي بموجب هذا الدستور (٢) فلنستمع الى كاتب أوربي اذ يقول :

" ولقد رسمت أهداف السياسة الفرنسية في مؤتمر برازافيل المنعقد في عام ١٩٤٤م والذى تصادف أن حضره - فقط - الموظفون الرسميون الفرنسيون داخل اطار الشروط التالية :

" انه من أهداف العمل الحضارى الذى حققته فرنسا في مستعمراتها هو استبعاد كل فكرة للحكم الذاتي النهائي حتى ولو في المستقبل البعيد ". (٣)

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي جـ٦ المصدر السابق ص ٢٠٩.

(٢) راجع محمود الشرقاوى ، ميلاد افريقيا ص ١١٢ القاهرة دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع .

(٣) تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية المصدر السابق ٣٥.

كانت هذه سياسة فرنسا بعد موءتمر برازافيل تجاه مستعمراتها الافريقية فانها ترى استبعاد كل اتجاه نحو تحرر المستعمرات من الارتباط بفرنسا حتى في المستقبل القريب ولكن الموءتمر سمح أن تتاح الفرصة للأفريقيين ليشاركوا بقدر أكثر في ادارة بلادهم ،كما أشار الموءتمر الى ضرورة تمثيل المستعمرات على نطاق أوسع (في الجمعية الوطنية) و (في المجالس المنتخبة) تقديرا للتضحيات التي قدمتها هذه المستعمرات خلال الحرب ،بل ظهرت في الموءتمر فكرة ارتباط فرنسا مع مستعمراتها في اتحاد فيدرالي (L'Ensemblee l'sseemblee federale) ولعل أهم قرارات الموءتمر التي اتخذت هي تلك التي اتجهت لعلاج المشكلات الاجتماعية ،فقد أوصى الموءتمر بضرورة احترام حرية العمل ووضع حدّ للعمل الاجبارى .

وقد استرشدت الجمعية التأسيسية التي وضعت دستور ابريل ١٩٤٦م بتوصيات الموءتمر هذه ،ومن أهم ما نص عليه هذا الدستور تكوين الاتحاد الفرنسي من الجمهورية الفرنسية (المتروبول) واليك فيما يلي ما نص عليه هذا الدستور : (١)

---

(١) شوقي الجمال ،تاريخ كشف افريقيا واستعمارها ص ٥٣٢ - ٥٣٥).

١ - أصبحت الامبراطورية الفرنسية تدعى (الاتحاد الفرنسي) .
وهذا بلا شك - تراجع واضح من قرارات مؤتمر برازافيل .

٢ - ألغيت كلمة المستعمرات وحل محلها تعبير جديد هو :
" الأقاليم الواقعة فيما وراء البحار " .
ومنحت حق تمثيلها في الجمعية الوطنية و مجلس الجمهورية وجمعية الاتحاد الفرنسي .

٣ - تنتخب الأقاليم الفرنسية ممثلين لها في الجمعية الوطنية الفرنسية.

٤ - تكوين جمعية تمثيلية في كل اقليم.

٥ - انشاء المجلس الكبير لكل من افريقيا الغربية وافريقية الاستوائية و تختار الجمعيات الاقليمية ممثليها فيه . .

٦ - يتمتع جميع الأفراد بهذه الأقاليم بصفة " المواطن الفرنسي " ولكن لا يكون له حق الانتخاب الا اذا كان موظفا عموميا أو من المحاربين القدماء أو حملة الاجازات العالية .(١)

الجدير بالذكر أن أول فوج من النواب الافريقيين الذين دخلوا قصر البوربون مقر المجلس الوطني/ دخلوه سنة ١٩٤٥م فلما دخلوا في هذا القصر وهم يمثلون بلادهم الافريقية ما كانوا يحلمون في أذهانهم شيئا

---

(١) راجع موسوعة التاريخ الاسلامي بتغيير طفيف ، د/أحمد شلبي ص ٥١٠ .

من عقيدة دينية أو أي هدف سياسي دخلوه وهم يؤمنون بالمثل الفرنسي الخرافي القائل :

" بأن المجتمع الفرنسي قدم أعلى الدرجات التي وصلت اليهـا الحضارة الانسانية جمعاء . . "(١) وأن حضارة فرنسا تعتبر خلاصة حضارات الأمم والشعوب .

وعلى هذا جعل هؤلاء النواب فوق جميع اهتماماتهم المساواة مع الفرنسيين في المواطنة الفرنسية فقط .

يقول جون هاتسن :

" ولم تدون المسألة الخاصة باقليم فيما وراء البحار في جدول أعمال الجمعية التأسيسية لها الا في وقت متأخر ،فحينما عقدت الجمعيـة التأسيسية اجتماعا لها في مارس سنة ١٩٤٦م ركز الزعماء الافريقيـون مطلبهم الأساسي على الأمور التالية :

١ - المساواة في حق المواطنة الفرنسية.

٢ - الغاء العمل الاجبارى .

٣ - تخفيض الضرائب .

٤ - وتعديل نظام ملكية الأرض ورفع المستوى المعيشي بين الجماهير الافريقية .(٢)

---

(١) تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية . المصدر السابق ص ٤٤ .

(٢) المرجع نفسه ص ٤٧ .

وهكذا دخل النواب الأول من الافريقيين قصر البوربون ولم يكن من أهدافهم سوى ما ذكر آنفا . ولم تدر في أخلادهم مسألة انشاء الأحزاب السياسية في افريقيا وانما كان جل اهتمامهم أن يصبحوا فرنسيين الى أبد الآبدين ولا يريدون استقلال بلادهم أبدا ، هل هناك غزو فكرى أكبر من هذا ؟

هذا ما أكده رئيس المجلس الوطني لجمهورية ساحل العاج السيد فيليب ياسي في مقابلة مع جريدة لبنانية سنة (١٩٦٢م)[١] اذ يقول بهذا الصدد :

" ان الفكرة الأساسية كان هدفها الصمود أمام محاولات التسوية مع الفرنسيين في الحقوق .

وأضاف قائلا ، وهو محل الشاهد :

ولا بد من الاشارة الى أن هؤلاء النواب ، قد تم فوزهم بفضل مساندة الهيئات النقابية ، وبعض المنظمات العامة.

وقد دخلوا البرلمان الفرنسي دون عقيدة ودون أية أهداف سياسية معينة ولهذه الأسباب تعرضوا لبعض المتاعب بحيث بات من المفروض عليهم الانضمام الى كتلة من الكتل ضمن البرلمان . . "

---

(١) وهي جريدة /

(نحن وافريقيا تحت عنوان : حزب التجمع الافريقي بقلم فيليب ياس رئيس المجلس الوطني لجمهورية شاطيء العاج) ص ٩٧

هكذا صرح هذا الرجل السياسي الكبير في ساحل العاج بأن النواب لم يكن في أخلادهم اهداف سياسية واضحة ، من هنا انتهـزت السلطة الفرنسية هذه الفرصة السانحة ،فأوعزت الى هؤلاء النخبـة الممتازة الفارغي القلوب من كل تصور ايماني ومن كل هدف سياسي ، أن يختاروا كلمة (الديمقراطية) وما أدراك ما الديمقراطية ؟ (١)

للإتفاق حولها على حساب الأديان والتقاليد الافريقيـة الموروثة ،فاجتمع ثلاثة منهم لأداء هذه المهمة فلندع السيد ياسه فيليب ليحكى لنا هذا الغزو الفكرى الشرس اذ يقول :

---

(١) ديمقراطيـة : كلمة مركبة أصلا من كلمتين يونانيتين (ديموس) أى الشعب و (كراتوس) أى الحكم . ومعناه الحرفي فـي السياسة : هو حكومة الشعب وهي بمدلولها العام تتسـع لكل مذهب سياسي يعتبر ارادة الشعب مصدرا لسلطـة الحكام... كما تشمل الكلمة كل نظام سياسي حكم الشعـب لنفسه باختياره الحر لحكامه وخاصة القائمين بالتشريع ..

راجع الموسوعة الميسرة جـ٢ ص٨٣٧ .

فلا شك أن هذا يتعارض مع الاسلام القائل : * ان الحكم الا لله * والديمقراطية تقول : ان الحكم الا للشعب .

" وهنا انبرى عدد من الأعضاء ومن جملتهم (هوفيت بوانيه) ممثل ساحل العاج في الجمعية الفرنسية و(أبيتي) ممثل داهومي ، و (عمادى ديورى) ممثل النيجر وقرروا انشاء حركة افريقية صحيحة ".(١)

من هنا اتفقوا كما لقنوا على انشاء حزب سياسي لجميع دول غرب افريقيا سموها :

(حزب التجمع الديمقراطي الافريقي) *

(Le Rassamblement de-Mocratique Africain)

ويرمزله ب (R.D.A.) (آر ،دى ،أ)

و هكذا استطاعت فرنسا بدهائها وتياراتها الفكرية أن تبعد غرب افريقيا عن حضارتها الاسلامية الذاتية وعقيدتها التي استبدلت بعقيدة الديمقراطية التي إلتفوا كلهم حولها بدل إلتفافهم حول عقيدة دينهم الاسلامي ،ولكن المؤسف الأليم ان هؤلاء النخبة الممتازة قد تظاهروا للجماهير بأنهم يريدون بهذا الحزب وهذا أن يقفوا ليقفوا ضد الاستعمار للوصول الى الاستقلال والحرية ..

فانضم الى صفوفهم جموع شعوب المنطقة المغرورين بهذه الشعارات الفارغة ولم يعرفوا من جهلهم أن هؤلاء النخبة الممتازة رسل الاستعمار الى افريقية . وقد اختيروا فقط لتنفيذ المخططات الاستعمارية . انهذا الكلام ليس من باب المزايدات على الناس وانما قررع ساستهم المنصفون منهم السيد ياسه فيليب السالف الذكر اذ يقول :

" وتم انتخاب الرئيس بوانيه رئيسا له (حزب التجمع الديمقراطي الافريقي) ..

---

(١) المرجع السابق في الصفحة نفسها .

وزاد قائلا وهو بيت القصيد :

" وكان باستطاعة بعض الشخصيات المعروفة احتلال هذا المركز ولكن نفوذ الأحزاب السياسية الفرنسية أدى الى هذه النتيجة ". (١)

وهكذا دل هذا التقرير الواضح على أن تعيين رئيس لحزب التجمع الديمقراطي الافريقي لم يكن بارادة النواب الافريقيين الذين كانوا في باريس آنذاك وانما تم بتدبير السلطة الفرنسية ومخططاتها الرامية الى ابعاد الافريقيين عن مصدر قوتهم وعزتهم (العقيدة الاسلامية) كما فعل ذلك في تركيا ومصر وشمال افريقيا وسائر بلاد العالم الاسلامي .

وقد أكد الباحث الأمريكي " جون هانسن) على ذلك فيقرر ان جميع الاتجاهات السياسية والأحزاب السياسية التي ظهرت في غرب افريقيا الفرنسية كانت بالتأثير الأوربي ولم تكن أحزابا افريقية محضة أبدا انما رسمت لهم في باريس اذ يقول :

" وتدين هذه الاتجاهات السياسية في وجودها للتأثير الأوربي وكان رجال الفكر في باريس ما زالوا يقبلون المثل القائل : بأن المجتمع الفرنسي قدم أعلى الدرجات التي وصلت اليها الحاضرة وعلى هذا يهدف الافريقيون الذين يعيشون في المستعمرات الفرنسية الى أن يكونوا مواطنين فرنسيين لذا وجهوا نشاطاتهم السياسية نحو تلك الغاية فقط . .

ويقول في مكان آخر :

" وعلى هذا حينما اجتمع الزعماء الأفريقيون في عام ١٩٤٥م ،

---

(١) نحن وأفريقيا المصدر السابق ص ١٩ .

في كل من باريس ومنشستر .. فقد سعى الفرنسيون من الافريقيين وراء الحصول على ضمانات في الدستور الفرنسي التي من الممكن أن تقود الى المساواة داخل الجمهورية الفرنسية ". (١)

وهكذا عرفنا كيف نشأ حزب (التجمع الديمقراطي الافريقي) في غرب افريقيا الفرنسية وكانت سنة ١٩٤٥م بداية لنشأته .

من هنا قام الافريقيون الفرنسيون باتخاذ اجراءات عملية نحو تنسيق هجومهم السياسي ووقع خمسة منهم هم : (فلكس هوفيت بوانيه) ، (ياسين دياللو) من غينيا ، (فليد ابو سيسكو) من السودان ، (غبرييل داربوسيه) الرجل الفرنسي من ساحل العاج و (فليكس تشيكايا) ممثلا عن افريقيا الاستوائية الفرنسية ، وقعوا على منشور يدعو الى تكوين جبهة مشتركة في الصراع من أجل دعم مبادىء الديمقراطية السياسية والاجتماعية في افريقيا وأدى هذا الاعلان مباشرة الى الدعوة لموءتمر عقد في باماكو في اكتوبر سنة ١٩٤٦م وحضره مئات عديدة من ممثلي افريقيا الغربية الفرنسية . (٢)

---

(١) تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ص ٣٥ المصدر السابق .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٠ .

فقام أعضاء هذا الحزب الجديد بدعايات في جميع أنحاء المنطقة وفي مقدمتهم الرئيس (هوفيت بوانيه) الذى اختير من قبل السلطة الاستعمارية ليكون رئيسا له ، قاموا بهذه الدعايات يدعون الشعوب الافريقية الى التجمع حول كلمة " ديمقراطية " بدون أى تفرقة بين عقيدة وعقيدة ولا بين مسلم أو مسيحي أو بين مسلم ووثني . فيجب أن ينسى كل واحد عقيدته الدينية ليلتفوا حول العقيدة المشتركة ، العقيدة التي تقدم الشعب فوق جميع العقائد والمبادىء وهي عقيدة الديمقراطية الافريقية ".

فاغتر جموع الافريقيين بهذه الأقوال المعسولة فاتبعوهم بالهتافات والأصوات المدوية . فانك تسمع من أقصى البلاد الى أقصاها ومن المدن الكبرى الى الأرياف كلمة واحدة هي :(Vive R.D.A.) معناها (ليحيا حزب التجمع الديمقراطي الافريقي) لأنه حزبنا ورائدنا الذى سينقذنا من براثن الاستعمار . . وما كانوا يعرفون أن هوءلاء النخبة الممتازة سفراء الاستعمار لتنفيذ مخططاته في المنطقة وتثبيت دعائمه وتكميل ما لم يستطع الاستعمار اتمامه وبث تياراته الفكرية المعادية للعقائد الدينية ،خاصة العقيدة الاسلامية التي تتعارض بادىء ذى بدء - مع مبادىء الديمقراطية . . فبهذه الدعايات الفارغة انبثق حزب التجمعات الديمقراطي الافريقي عن موءتمر باماكو السالف الذكر سنة ١٩٤٦م كأعظم قوة سياسية في غرب أفريقيا الفرنسية ،بحيث دخل تحت لوائه جميع دول المنطقة ما عدا الاشتراكيين كالسنغال وغيرها - وقد تمكن أن تتقدم

---

(١) تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ص ٦٠.

بقفزات سريعة فأصبح له أنصار كثيرون من بلدان غرب افريقيا وتأثير فعال باستثناء السنغال وموريتانيا كما قلنا .

فمثلا كان له فرع في ساحل العاج وغينيا والسودان الفرنسي (مالي حاليا) وفلتا العليا (بوروكينا فاصو) وداهومي (بنين حاليا) والنيجر ... فالكل يستميتون في الدفاع عنه حتى تخاصمت الأسرة الواحدة من أجله في بعض البلدان فحصل بينهم الفرقة والقطيعة والقتال ذهب ضحيته خلق كثير .

وهكذا كان حزب التجمع الديمقراطي أكبر قوة سياسية في المنطقة .. ولكن هذه الفترة كانت سياسة فرنسا غير مستقرة على وضع واحد فكانت دائما تنتقل من حالة الى حالة حتى فهمت أن عهد الاستعمار كاد يزول . من أجل ذلك فكرت في سياسة جديدة وهي المعروفة في التاريخ باستفتاء ديجول .

ففي الصفحات التالية تفاصيل لهذه السياسة .

الفترة الثالثة : الاستفتاء الشعبي سنة ١٩٥٨م.

في مطلع عهد ديجول أدركت فرنسا أن عهد الاستعمار المباشر قد انتهى فأرادت أن تكون منها و من مستعمراتها السابقة جماعة أشبه بالكومنولث البريطاني فأعلن "ديجول" قيام الجمهورية الفرنسية الخامسة سنة ١٩٥٨م ومن أهم ما ورد في دستورها مما يتصل بالمستعمرات السابقة مايلي :

١ - يتحول الاتحاد الفرنسي الى " الجماعة الفرنسية " أو " المجتمع الفرنسي " .

٢ - تمنح الأقاليم الافريقية الاستقلال الذاتي ويكون لكل دولة رئيسها وبرلمانها ولكن الجماعة تحتفظ بطائفة من الاختصاصات أهمها :

" السياسة الخارجية والدفاع والاقتصاد ".

وهذه الأمور يديرها " مجلس تنفيذى " .

مكون من رؤساء كل الدول المتحدة التي يرأسها رئيس الدولة (الأم) (فرنسا) و معهم الوزراء الفرنسيون المسئولون عن المسائل المشتركة.

٣ - للدول الحق في الانسحاب من الجماعة وقت ما تشاء اذا أرادت ذلك.

٤ - والذى يحب البقاء في المجموعة الفرنسية فليصوت بكلمة (نعم) وبالعكس بـ (لا) .

هذه أهم ما ورد في هذا الدستور ، وقد هدد ديجول بمقاطعة الدولة التي تختار الاستقلال التام يعني كلمة (لا) ، وتمتنع عن تقديم أية معونة فنية ولا ادارية .

ولما جرى الاستفتاء في ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨م ووافقت عليه كل الدول الافريقية الفرنسية فاختارت كلمة (نعم) الا (غينيا) فقالت : (لا) مؤثرة الاستقلال التام خارج الجماعة.

ولما وقع هذا الاستفتاء سحبت فرنسا في الحال من غينيا الموظفين الاداريين والفنيين والمعلمين والأطباء بحيث لم يبق منهم سوى عشرين شخصا من بين أربعة الاف . (١)

فدلت هذه الخطة الاستعمارية أن فرنسا ما كانت تريد منح الاستقلال للافريقيين حقيقة . ولو كانت تريد ذلك ما امتنعت عن تقديم المعونة عن غينيا . وانما أعلنت ذلك لمجرد "جس نبض" (٢) وتستر وراء هذه السياسة كما دل ذلك مرة ثانية على أن الاستفتاء لم يكن حرا حرية حقيقية ، فلم يجيء معبرا تعبيرا دقيقا عن اتجاه الشعوب في المنطقة . ولذلك كانت نتائجه قصيرة العمر فلم يستمر العمل طويلا به ، وسرعان ما رأينا الدول التي أعلن من قبل أنها موافقة على الدستور ، مثل السنغال والسودان الفرنسي (مالي)

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي المصدر السابق ج٦ ص ٥٥١ .

(٢) جس نبض : الحس : هو السبر والاختبار . النبض : نبضان القلب أي ضرباته ، وقد يكون (جس نبض) حقيقيا ، كأن يفتش الواحد عن ضربات قلبه ، أو مجازيا أن يختبر الواحد شيئا ليعلم نتائجه . .

وساحل العاج وفلتا العليا (بوروكينا فاصو) وداهومي (بنين) وموريتانيا
تستقل واحدة تلو الأخرى ، وبيان ذلك :
والنيجر /. لما رفض رؤساء هذه الدول أن يأخذوا الاستقلال من فرنسا
ورضوا بالبقاء في المجموعة الفرنسية (١) ما عدا (سيكوتورى وحده) قامت
انتفاضات في كل مكان من قبل شعوب المنطقة يطالبون رؤساء حكوماتهم
بالاستقلال التام مثل سيكوتورى .. ورفضوا رفضا تاما البقاء في المجموعة
الفرنسية ، من هنا اضطرت هذه النخبة الممتازة الى مطالبة فرنسا بالاستقلال
ولكن بشرط أن تكتفي بمعاهدات ثنائية مع فرنسا لمعالجة بعض الأمور .
وطأطأت فرنسا للعاصفة ، وتركت - مكرهة - الدول الافريقية تستقل عنها
كما أرادت شعوبها المنتفضة . وكان عام ١٩٦٠م عام الاستقلال ...

---

(١) ان أصرح دليل على أن اليد الخفية التي صنعت مصطفى كمال وسعد زغلول وبوروكيا ومحمد زياد بارى ومعمر القذافي هي التي صنعت هؤلاء النخبة الممتازة في افريقيا . رفضهم الاستقلال بعدما سنحت لهم الفرصة واختيارهم البقاء في داخل المجموعة الفرنسية .. فقد اتفق هؤلاء العملاء كلهم في نقطة واحدة ، وهي جـ الانبهار بالحضارة الأوربية ، واستهانة ثقافاتهم الذاتية ، الا أن دور النخبة الممتازة في افريقيا في ذلك متفوق على أدوار هؤلاء جميعا لأن النخبة الممتازة أرادت الانسلاخ من جنسيتهم والتبني بالجنسية الفرنسية .

ففشلت فرنسا في سياسة الاستيعاب والاندماج بعدما خسرت خسارة مادية باهظة . . واستلمت هذه النخبة الممتازة زمام الحكم بعد زوال الاستعمار العسكرى (فلننظر ماذا يعملون) !

والسؤال الكبير الذى يهجم على الانسان بعد هذه الجولة كلها هو :

ماذا كانت ايدلوجيات هذه النخبة بعد الاستقلال ؟

وماذا كانت أهدافهم بعد فشل سياسة الامتصاص الفرنسية . .

في الصفحات التالية سنحاول الاجابة على هذا السؤال الكبير ، ان شاء الله تعالى .

أيديولوجيات النخبة الممتازة

ذات الثقافة الغربية بعد الاستقلال

مقدمة :

وقد تحدثنا فيما مضى عن اليد الخفية التي صنعت النخبة الممتازة ذات الثقافة الغربية . والآن نحن بصدد الحديث عن أيديولوجيات هذه الصفوة المختارة وأهدافهم السياسية بعد الاستقلال .

فنقول : ان زعماء المجتمعات الافريقية ومعلموا المدارس قبل الاستعمار كانوا هم شيوخها وأصحاب النفوذ والسلطة .. وهم تجارها الأغنياء حتى حينما حطّم الفرنسيون الممالك الاسلامية هناك ،كانت لهم مكانتهم المرموقة لدى السلطات الاستعمارية ولدى الشعوب الافريقية أيضا ، ولكن لما جاء هؤلاء النخبة وأرادت أن يعيش مثل أساتذتها المستعمرين رفضت جميع القيم والمبادئ التي كانت في المجتمع الأول . وهم في الوقت نفسه - يميلون نحو الاعتراف بسمو القيم الغربية والانبهار بحضارة الغرب .

ومع ذلك نجد بعضهم يتظاهرون للناس بتعصبهم الى الاسلام كأمثال (سيكوتورى وموديبوكيتا وحمادى ديورى وغيرهم) حتى غيروا الزى الفرنسي الذى كانوا يرتدون به قبل الاستقلال بالزى الاسلامي يعني الثوب الفضفاض ،فوقعوا في حالة الاضطراب الفكرى لايعرفون كيف يوفقون بين المجتمع الافريقي ذى العقيدة الدينية ، وبين المجتمع الغربي صاحب العقيدة العلمانية اللادينية .. من هنا فكروا في قضيتين أساسيتين

ليتخذوهما بديلا عن جميع الأفكار الخارجية بما في ذلك الأديان السماوية ..

وهاتان القضيتان هما :

أولا - الأحزاب السياسية .

ثانيا - القومية الزنجية .

هذا ما أشار اليه الكاتب الانكليزى الذى قضى مدة طويلة في غرب افريقيا بحثا عن أحوال المجتمع الافريقي بعد الاستقلال فكتب في ذلك بحوثا قيمة . فكان مما تحدث فيه ايديولوجيات النخبة الممتازة بعد الاستقلال فقال : (١)

" ان احلال الأحزاب السياسية مكان الأديان ، هو الأمر الواقع في غربي افريقيا بعد الاستقلال .

وزاد قائلا :

" ... هذا ما حدث في غينيا ومالي وغانا في عصر نكروما ، حيث تم تحديد الأيديولوجيات بدقة ووضحت للناس وأصبحت العقيدة الرسمية للأحزاب الحاكمة والقومية الزنجية بدلا من كونها مجرد آراء فردية أو من تعليمات الديانات التقليدية .. " (١)

---

(١) افريقيا في عصر التحول الاجتماعي ، لويد ص ٥٤ .

وهكذا تجعل النخبة الممتازة الأحزاب السياسية والقومية الزنجية عقيدة يجب أن يؤمن بها جميع شعوب غرب افريقيا على حساب الأديان السماوية .

وبعد هذه الجولة نستطيع أن نقرر مايلي :

أولا - أن أيديولوجية النخبة الممتازة في غرب افريقيا بعد الاستقلال الى اليوم ، هي : احلال الأحزاب السياسية والقومية الزنجية مكان العقيدة الدينية . وبهذا يسيرون مسيرة أتاتورك ومن لف لفه .

ثانيا - انما تركوا العقائد الدينية تابعة ذليلة للأحزاب السياسية ، من أجل غضبة الجماهير فقط . ولولا ذلك لطردوها من دولهم طردا لأنهم لا يرون للعقائد الدينية مكانا في مجتمعهم العلماني الجديد ، أو فائدة تكون سببا لابقائها .

ثالثا - كلهم اتفقوا على استقصاء الشريعة الاسلامية من دولهم حتى موريتانيا التي أعلنت أن موريتانيا دولة اسلامية قد سار زعماؤها في مسير العلمانيين خطوة خطوة.

رابعا - اتفقوا جميعا على ابعاد اللغة العربية من دولتهم ولولا مخافة أصوات الجماهير المسلمة لمنعوها في المنطقة فلذلك لا توجد من تلك الدول / دولة تعترف رسميا بهذه اللغة .. بل ساروا أيضا في مسير المستعمرين في محاربة المدارس العربية . وشددوا على المعلمين حصول تصريح لبناء المدارس مثل الفرنسيين تماما .. بل يقولون لمن يتعلم الثقافة الاسلامية كيف يكون مستقبلكم

في بلادنا ؟ اذا لم تتكلموا اللغة الفرنسية أو الانكليزية ؟ وماذا ينفعكم تعلمكم هذه اللغة ؟

هذا منطق جميع المثقفين في قضية تعلم الثقافة العربية في غربي أفريقيا .

والغريب أنهم لا يعترفون أبدا بمن يحمل شهادة عربية ولو كانت (شهادة الدكتوراه) ومع ذلك يفتحون سفارات في البلاد العربية .

وان مما يدل على كراهتهم للغة العربية ومن يتعلمها من أبناء المنطقة كونهم لا يرسلون سفيراً الى البلاد العربية من تعلم العربية من أبناء المنطقة وانما يرسلون المثقفين بالثقافة الفرنسية الى البلاد العربية وان كانوا لا يجيدون اللغة العربية .

كان هذا نموذجا من أيديولوجيات النخبة الممتازة . .

ان هذه الحقائق العلمية التي ذكرناها هنا لا يختلف فيها اثنان في المنطقة لأنه هو الأمر الواقع في الوقت الراهن . .

وبعدما عرفنا أيديولوجيات النخبة الممتازة وهي :

١ - الأحزاب السياسية .

٢ - القومية الزنجية .

يحسن بنا اذن أن نلقي أضواء على أهداف كل منها .

فلنبدأ بالحديث عن أهداف الأحزاب السياسية عندهم ثم نتحدث عن صورة مصغرة عن الزنوجة، في صورة مصغرة .

الفصل الثاني

أهداف الأحزاب السياسية في المنطقة بعد الاستقلال

ويشتمل على المباحث التالية :

١ - هدف الحزب السياسي في ساحل العاج .

٢ - هدف الحزب السياسي في غينيا .

٣ - هدف الحزب السياسي في مالي .

٤ - كلمة حول الديمقراطية التي جعلوها بدلا بالدين .

الفصل الثاني

الأحزاب السياسية بعد الاستقلال

فيما مضى قد ذكرنا أن من عقيدة النخبة الممتازة هي أحزابها السياسية التي قد نظمت الكفاح السياسي ضد الاستعمار/ كما يزعمون. ولكن لما زال الاستعمار جعلوا لهذه الأحزاب السياسية أهدافا أخرى وهي ما يعرف في الاصطلاح السياسي بتنظيم الحزب على النطاق الشعبي للتعبئة القومية ..

ان هذا المصطلح يعني أول ما يعنيه في المفهوم السياسي ، هيمنة الحزب على جميع الحركات الشعبية . واحتوائه على الرأى العام الشعبي لذلك ان أجهزة الحزب تنشط في انشاء المنظمات القومية المرتبطة بالحزب مثل منظمات النساء والشباب والعمال .

ومن أهداف هذه الأحزاب بعد الاستقلال أن تقطع الطريق على أى قيادة معارضة من أن تستقطب جزءا من الشعب أو فئة من فئات المجتمع (١) .. وهذا الوضع هو ما يسمى بتنظيم الحزب على أساس التعبئة القومية.

وقد أخذت بهذه السياسة جميع دول غرب أفريقيا بدون استثناء حتى الجمهورية الموريتانية الاسلامية أخذت بهذه السياسة أيضا . (٢)

ولا يختصر نشاط الحزب عندهم بهذه الأوضاع فحسب بل يزداد نشاطها فيكون له حقوق الاشراف على جميع الأجهزة في داخل الدولة

---

(١) سنوات الحسم في أفريقيا عبد الله عودة ص ١٠٨ .

(٢) المرجع السابق .

ويقوم بالتنسيق فيما بين هذه الأجهزة والسلطات ويعمل الحزب على احتكار مسئولية الاتصالات بين الشعب والقيادة فتتم خلال أجهزة عمليات الاتصال من الأسفل الى أعلى ومن أعلى الى الأسفل ؟ أو كما يقال يكون الحزب قناة الاتصال الوحيدة في داخل الدولة .. على احتكار الأفكار والعقائد بل شمل ما هو أبعد من ذلك ، وهو أن يبعدوا عن عضوية الحزب ، كل من يظن أنه غير ثورى وغير مخلص له ولو كان الأمين العام للحزب وذلك لا لشيء الا ارادة هيمنة الحزب التامة على جميع الأفكار والحركات والأرواح ، فلنضرب على ذلك أمثلة بسيطة في بعض دول غرب أفريقيا .

المبحث الأول

هدف الحزب السياسي في ساحل العاج

في ساحل العاج - مثلا - أعلن المكتب السياسي عام ١٩٥٩م أن الحزب في حالة تفسخ شديد . ولهذا تم انتخاب مكتب سياسي جديد ولجنة ادارة جديدة ، ثم تكلف الحزب بتنظيم جميع المنظمات الشعبية لكي لا ينلفت منه شيء مثل منظمة الشباب واتحاد العمال ومنظمة النساء ،بل تم تعيين أمين عام جديد للحزب ولكن حدث خلاف بين الرئيس (هوفيت بوانيه) والأمين العام حول خطة التنظيم والتعبئة والسيطرة التامة على الأفكار والأوضاع فقرر الرئيس فصل الأمين العام . (١)

وهكذا استطاعت الأحزاب أن تهيمن على جميع الأفكار والأوضاع والأرواح في المنطقة ولا يمكن لأحد أن يقطع أمرا واحدا الا بموافقة الحزب الحاكم بل قدموا الشعب على الأديان السماوية . وهذا أحمد سيكوتوري يصرح بهذا اذ يقول :

---

(١) انظر عبد الملك عودة - سنوات الحسم في أفريقيا ص ١٠٦ . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٦م .

" .. فالفرد نتاج المجتمع ولهذا فمن واجبنا حين نريد أن نكون مسلمين حقيقيين وثوريين نافعين أن نحب الشعب و نحترمه ونخدمه فالشعب بداية كل شيء ونهايته ".(١)

هذه هي عقيدة هؤلاء النخبة الممتازة وتلك هي أهداف أحزابهم السياسية فبعدما رفضوا الأديان واختاروا العلمانية جعلوا الأحزاب السياسية مصدر التشريع كما جعلوا الشعب بمثابة الاله الذى هو بداية كل شيء ونهايته.. هل توجد هناك غزو فكرى أكبر من هذا .. فيجب على الدعاة -اذن- أن يعرفوا هذا جيدا قبل القيام بالدعوة في هذه المنطقة .. يا ليت الأمر يقف عند ذلك .

وفي عام ١٩٦٢م تم تنظيم الموظفين أيضا في اتحاد تابع للحزب وتكونت لجان حزبية في كل وزارة وادارة حكومية ..

وفي عام ١٩٦٣م تم حل منظمة الشباب لاتهامها بالتآمر على نظام الحكم .. زج رؤساءها في السجون .(٢)

وفي ١٩٦٠م أعلن الحزب أى الحزب الديمقراطي في ساحل العاج شعاره الذى يجب على كل فرد من أفراد المجتمع أن يعيه ويعيش على ضوئه وهو :

----

(١) أحمد سيكوتورى ،الاسلام دين الجماعة (الثورة الديمقراطية الافريقية) عدد ١٠٠ الطبعة الثالثة ص٢٩ وراجع ما كتبناه سابقا.

(٢) وكان من ضمن هؤلاء (محمد كسوني) الدكتور الطبيب و(الأمين وترا) من بند وكوثم سمح الرئيس (ميسو - فيلكس بواني) الذى أعطى حلما وعفوا منقطع النظير .. ولم يكتف باطلاق سراح السجناء السياسيين المناوبين لحكومته فحسب بل رد عليهم جميع ممتلكاتهم التي أخذت منهم أثناء الانتفاضة.

" شعب واحد " .

" حــزب واحد " .

" قائد واحد " . (١)

وهكذا أتمت هيمنة الحزب على الأفكار بما في ذلك الأديان (الاسلام) والأوضاع والحركات والمنظمات وعلى كل شيء .. (٢)

وانطلاقا من هذه السيطرة التامة للحزب لا يسمح لأحد أن يفتح مدرسة اسلامية في المنطقة اليوم الا بموافقة من المسئولين .. كما لايجوز لأحد أن يؤسس جمعية اسلامية الا بعد تقديم طلب للحصول علـــى تصريح لذلك .. ولا يمنح هذا التصريح الا بعد دراسة عميقة عـــن اتجاهات صاحب الطلب نحو الحزب ، هذا يعني من بين ما يعنيـه أن العقيدة الاسلامية في الوقت الراهن تواجه أعنف التيارات الفكريـــة في المنطقة بسبب هذه الهيمنة الفريدة الشاذة على الأرواح والأديان والأوضاع والحركات الصغيرة والكبيرة .. وعلاوة على ذلك قد أعطى رؤساء هذه الأحزاب الشرعية للوثنية كدين مساو للأديان السماوية . وبهذ اتفوقوا على الاستعماريين الذين كانوا يعتبرون الوثنية عقلية منحطة . ولكن هؤلاء النخبة يدعون الناس الى احياء التراث الوثني القديم .

---

(١) راجع سنوات الحسم في افريقيا المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٢) قد قامت مظاهرات عنيفة في هذه السنة (١٩٩٠) ضد النظام الواحد فاضطر هذا الرئيس (فليكس هوفويت بواني) المفكر الكبير في هذه المنطقة الى السماح بتعدد الأحزاب . فكانت النتيجة أن فاز حزب الرئيس أيضا على جميع الأحزاب التي تبلغ (٤٠) حزبا سياسيا .. ان عل هذا على شيء وانما يدل على أن الشعب العاجي قد اعترفوا لهذا الرئيس بجميله لأنه قد أفنى عمره في سبيل رفاهية شعبه وتقدمه .. لذا فاز في الانتخاب الأخير فعين بعده (الحسن وترا) نائبا للرئيس . وقد كان هذا المنصب غير مشغول منذ سنة ١٩٦٠م التي استقلت فيه البلاد .

المبحث الثانــــي

هدف الحزب السياسي في غينيــــا

في غينيا كان الوضع مختلفا عن حالات ساحل العاج ،فقد وصل الحزب الى الحكم وما معه/من منظماته القومية خلال معركة الاستقلال .

ومع ذلك فقد أخذ الحزب في زيادة عدد الوحدات والفــروع التابعة له في الأقاليم ،وفي أزمة ١٩٦١م تم طرد عدد من أعضاء قيادة منظمة الشباب التابعة للحزب.

كما قرر الحزب أن كل من يرغب في شغل منصب قيادى في الحزب على مختلف المستويات القيادية ،عليه أن يعمل وينشط في خدمـــة الحزب من ثلاث سنوات الى خمس سنوات قبل أن يتقدم لشغل المنصـب القيادى ، كما تمت الموافقة على اباحة عضوية الموظفين للحزب . وفي عام ١٩٦٣م تم طرد عضوين من المكتب السياسي وتم تعديل قانون الحزب فأصبح المؤتمر القومي ينعقد كل خمس سنوات بدلا من ثلاث سنوات وأن يتمتع المكتب السياسي (١) بسلطات المؤتمر القومي فيما بين دورات الانعقاد . وفي عام ١٩٦٤م تم حل منظمات الشباب والنساء التابعـــة للحزب بدعوى أنها كادت تتحول الى أجهزة شبه مستقلة عن الحزب . (٢)

(*) وكان بعض المناوبين السياسيين بانقلاب فاشل في هذه السنة فقبض على روئسائهم وزجوا في السجن .

(١) المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٢) الاسلام دين الجماعة المرجع السابق ص ٢٣ .

وهكذا أصبح الحزب مسيطرا على جميع الحركات في غينيا . فالحزب هو معيار كل شيء في الدولة ومن خدمة /فهو الرجل المثالي في الدولة ومن عاداه فهو عدو للشعب الغيني فيجب أن يعاقب سواء كان مسلما أو مسيحيا أو وثنيا .. فليس الدين هو المعيار الذى يجب أن يتبع ويطاع بل المعيار هو الحزب الديمقراطي الغيني لأنه قد بلغ من النضج ما لم تبلغه قيم أخرى هناك على حد قول (سيكوتورى) اذ يصرح بقوله :

" ان للأسر تقاليدها وعقائدها التي تظل تستمسك بها طالما لم تتقبل وتتشرب فيما أسمى منها ... يجب اذن أن يتعلم كل فرد أخلاقيات الثورة وأن يعلمها لمن حوله .." (١)

وهكذا يصرح سيكوتورى أن الحزب الغيني أسمى ما وصلت اليه القيم في غينيا . فيجب على كل فرد من أفراد المجتمع الغيني أن يتخلق بأخلاقيات الثورة ولا يكفيه ذلك وانما يجب عليه أيضا أن يكون مبلغا لهذه الأخلاقيات الفريدة لجميع من حوله ...

وانطلاقا من هذا المبدأ الذى قرره سيكوتورى صرح لجميع فئات المجتمع بأن العضو السليم في جسم الشعب الغيني هو الذى يؤمن بالثورة. فالثورة فوق الجميع ، جميع الأفكار (الدينية وغيرها) وجميع القيم والمبادئ .. وأن العضو الفاسد الذى يجب استئصاله من الجسم الغيني هو ذلك العضو الذى يتعارض مع مبادئ الثورة بنصوص دينية أو أفكار مضادة فلندع المجال لأحمد سيكوتورى نفسه ليصرح بذلك بقلمه اذ نقول :

---

(١) الاسلام دين الجماعة ،أحمد سيكوتورى ص ٢٣ .

" فمن كان كاثوليكيا يريد أن يظل كذلك وأن يشترك في الثورة فسوف يكون أفضل كاثوليكي داخل صفوف الثورة". (١)

" ومن كان مسلما يريد الاستمساك باسلامه ،مع اشتراكه في الثورة فسوف يكون المسلم النموذجي في صفوف الثورة .

ومن كان بروتستانتيا يحرص على مذهبه ،وهو يعمل من أجل الثورة فسيكون بروتستانتي الثورة الحقيقي .

وهكذا فأيا تكن الوجهة الروحية للمرء ". (٢)

وهكذا يصرح أحمد سيكوتورى " المسلم " أن الحزب أو الثورة فوق جميع المبادئ والقيم من الأفكار الدينية وغيرها بل يصرح في مكان آخر من كتابه (الاسلام دين الجماعة) بأنه في استطاعة الانسان أن يغير دينه ولكن لا يسمح له أن يخرج عن دائرة مبادئ الحزب الديمقراطي الغيني أبدا اذ يقول :

" ... ولسنا نتصور - اليوم - امكان قسيس ارغام انسان على اعتناق الكاثوليكية أو عدم الارتداد عنها . كما أن من المستبعد أيضا أن يستطيع انسان أن يرغم غيره على عدم الدخول في الاسلام وعلى عدم البقاء عليه ..". (٣)

---

(١) الاسلام دين الجماعة . المصدر السابق ص ٢٣ .
وراجع ما كتبناه سابقا من هذا النص .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٢ .

والأمر - اذن - لا يحتاج الى تعليق أو مناقشة فهو يسمح لكل انسان أن يرتد من دينه ولكنه في الوقت نفسه لا يسمح - بحال من الأحوال - لأحد أن يخالف رأيا واحدا من آراء الحزب الديمقراطي الغيني .. هذا هو منطق النخبة الممتازة في جميع أنحاء غرب أفريقيا .. فقد وقفوا أمام العقيدة بالأحزاب السياسية ومنعوا الشعوب الافريقية من حرية الرأى فيها بينما أباحوا حرية الكلام في الدين . وهذا أحمد سيكوتورى يعلن هذا أمام الجماهير الغينيين .

" ان حرية العقيدة مكفولة لجميع المواطنين ".

ومعنى ذلك فالذى يرتد عن الاسلام الى الوثنية فهو حر أو الى الديانة الكنسية أو اليهودية فهو حر أيضا ، ولكن يمتنع في الوقت نفسه وجود تعدد الأحزاب في الدولة . لذا تبنوا جميعا نظام الحزب الواحد في دولهم . فلا يسمح لأحد انشاء حزب آخر غير الذى تبنته الدولة . ومع ذلك هناك أصوات ترفع مدوية : " ان غرب أفريقيا دولة ديمقراطية " ولو كانت ديمقراطية كما تدعون لماذا لا يسمحون لأحد أن يؤسس حزبا سياسيا آخر ؟ فسيقولون ان هذا يؤدى الى الفوضى في البلاد : أليست حرية الارتداد عن الاسلام تؤدى الى الفوضى ؟ ولماذا رضيتم بالثاني ورفضتم الأول ؟ ... ان دل هذا على شيء فانما يدل على كراهية الاسلام التي يكنونها في أنفسهم .. فلولا مخافة غضبة جماهير المسلمين لحاربوه علنا مثل الاستعماريين ... سواء بسواء فلا نستطيع - اذن - أن نصدق أحد منهم في اسلامه اذا كان يعلن أن العلمانية هي (دستور الدولة) ، ويفضل مبادىء الحزب

على تعاليم الاسلام " الدين الرباني " وان حج مع الحجاج أو يلبس الزى الاسلامي فكل هذا -في نظرنا - خداع و تضليل وغزو فكرى شرس.(١)

*

المبحث الثالث

هدف الحزب السياسي في مالـــــي

وفي مالي تمكن الحزب من أن يعبر بسلام أزمة ١٩٦٠م بعد سقوط اتحاد مالي الفيدرالي وقرر المكتب السياسي انشاء منصب مفتش عام الحزب الذى يتحمل مسئولية مراقبة عمل الفروع والشعب .. ولـــه الحق في الغاء هذه الشعب اذا ثبت انحرافها عن طريق الحـــزب السياسي .

وفي عام ١٩٦٢م ،انعقد المؤتمر القومي و تقرر تغييـــر بعض أعضاء المكتب السياسي وحل منظمة الشباب على أساس التخلص ممن وصفوا بأنهم غير ثوريين في الحزب ...

وأمام تزايد المتاعب عام ١٩٦٦م تم تشكيل اللجنة الوطنيـــة للدفاع عن الثورة وقد قررت هذه اللجنة حل المكتب السياسي للحزب. ولجنة الادارة و تأليف مؤتمر وطني حزبي .. فلنرجع الى عبد الملك عودة ليوضح لنا أسباب هذا الوضع اذ يقول :

---

(١) ان سيكوتورى يعتبر بحق من الكبار المناضلين السياسيين في غربي أفريقياله مزايا عديدة منها : هو أول من قال لفرنسا بكلمة لا للمواطنة الفرنسية ولا للفرنك الفرنسي وهو أول من استقل عن فرنسا من بين روساء دول غرب أفريقيا . وظل كذلك الا أن مات سنة ١٩٨٤م وأما الورطة التي وقع فيها كغيره من الروساء فهي اختياره العلمانية لدولته. لذا لما جاء خلفه أباح جميع الأديان المنحرفة أو الخرافية التي قد كانت ممنوعة في أيام سيكوتورى .

" وقيمة هذا الوضع التعبوى أنه يحتوى جميع الجماهير في داخل اطاره السياسي وأنه يستطيع أن يحرك حركة ثورية تتوافق مع سياسة واتجاهات القيادة العليا للحزب والدولة ".(١)

هذه هي أهم أهداف هذه الأحزاب السياسية في المنطقة وليس هذا موقوفا على الدول التي ذكرناها آنفا ولكن ذلك منطق جميع الدول بغربي افريقيا الغربية . فكل منها أنشأت محاكم خاصة لتصفية المعارضة بالأساليب القانونية .. في السنغال مثلا أقرت الحكومة قانونا بانشاء محكمة من زعامات حزب الرئيس سنغور . وفي ساحل العاج تم انشاء محكمة خاصة عام ١٩٦٣م طبقا لقانون يبيح للرئيس انشاء هذه المحاكم على أن تعقد في دورات سرية في قصر رئيس الجمهورية ويكون المدعي العام فيها هو الأمين العام للحزب الديمقراطي في ساحل العاج .

وفي غينيا قد تم اعادة تنظيم القضاء للتخلص من جميع المعارضة لفكرة الاشتراكية عام ١٩٥٥ م ، وفي عام ١٩٦١م قد وافق الحزب على انشاء محكمة سياسية خاصة من أعضاء المكتب السياسي .(٢) وبعض أعضاء الجمعية الوطنية وبعض قيادات الحزب .

---

(١) سنوات الحسم في افريقيا ، المصدر السابق ص ١٠٨ .
(٢) المرجع نفسه ص ١١١ .

و (مالي) التي قد تم فيها انشاء محكمة سياسية خاصة من قيادات الحزب للنظر في قضية المؤامرة ضد نظام الحكم أو ضد أى حركة دينية تستنكر مبدأ الاشتراكية التي تبنتها الدولة ... وقد ذهب ضحية لهذه الاجراءات التعسفية القمعية كثير من علماء الاسلام الذين رفضوا الاشتراكية وفي مقدمتهم الأستاذ (سيخنا يتابارى) (١) الذى سجن بهذه الاجراءات القمعية الارهابية مدة عامين في سجون مدينة باماكو (Bamako) عاصمة جمهورية مالي .

هذه هي الأحزاب السياسية التي أحاطت بالعقيدة الاسلامية في المنطقة وأصبحت هذه العقيدة محصورة في داخل جدران المساجد والمدارس الأهلية. وأما التوجيه العام أو الحكم الشرعي فليس من حقها أن تتدخل في شيء من ذلك في الوقت الحاضر .

وبعدما تحدثنا عن هذه الأحزاب السياسية التي اتخذوها بديلا عن العقائد الدينية ،يحسن بنا أن نقف قليلا عند كلمة الديمقراطية التي اتخذوها صنما يعبد . نقف عندها قبل الحديث عن قضية الزنوجة - لنبين زيف هذه الكلمة وأنها لا رصيد لها في عالم الواقع وانما هي مجرد خيالات وتخمينات .

---

(١) وهو عالم جليل قد تمت دراسته في الجزيرة العربية خاصة المملكة العربية واليمن ولما رجع الى غربي أفريقيا أسس مدارس في أبيدجان عاصمة ساحل العاج ثم انتقل أخيرا الى مالي وأقام في العاصمة (باماكو) وقد أدى هناك خدمات جليلة للاسلام منها : مدرسته العامرة التي تضم حوالي (٣٠٠) طالبا عام ١٩٨٥م وكونه اماما لأنصار السنة في باماكو . ومقاومته لمبدأ الاشتراكية التي سجن لأجلها لمدة عامين ومات سنة ١٩٨٦م.
مستفاد من البحث الميداني . وقد زرت هذا الشيخ وهو في مرض موته في شعبان ١٤٠٥هـ ،الموافق ابريل ٢٤ ، ١٩٨٥م.

المبحث الرابع

كلمة حول الديمقراطية التي جعلوها بدلا من الدين

قد رأينا في السطور السابقة أن الحزب الديمقراطي الافريقي ، كان ولم يزل الحركة السياسية الكبرى التي لها شأنها الكبير ونفوذها القوى في منطقة افريقيا الغربية الناطقة باللغة الفرنسية . وهنا نود أن نشير الى نقطة كانت - ولم تزل - من أقوى الأسباب التي أصابت الناس في هذه المنطقة وهي اعتقادهم الجازم في قداسة الديمقراطية فانهم يقبلون المناقشة حول كل شيء الا موضوع " الديمقراطية " فقط . وهي - في وجهة نظرهم - بعيدة عن الخطأ فلا ينبغي أن تكون موضع الحوار والنقاش . ولا يريدون عنها حولا .

من أجل هذا أردنا أن نقرر أن هذه الديمقراطية أنها ليست كما يظنون لقد كثرت عليها اعتراضات المفكرين وانتقدت من نواح عديدة ولكننا نجملها في ثلاثة أمور هامة :

أولا - دعوتها أنها تمثل الأغلبية ، دعوة باطلة :

في كل بلد اتخذت الديمقراطية نظام الحكم ، ترفع الأصوات فوق المنابر وتلقى الخطب على الجماهير بأن الديمقراطية حكم الشعب وأن جميع أعضاء الحكومة من الرئيس الى الوزراء والنواب انما يتم اختيارهم بارادة الشعب ، فهم على هذا الأساس ممثلون للشعب ولكن هذه الدعوة تكذبها عدة أشياء منها :

ان أمريكا التي تدعي أنها وصلت الى قمة الحضارة الانسانية وأنها تطبق الديمقراطية بحذافيرها ولكننا نجد فيها ما يناهض الديمقراطية مناهضة واضحة وهوان الملونين لا يحظون فيها بحق الانتخاب ، وكذلك الطوائف الدينية .. ثم آلقينا نظرة عابرة في سويسرا سنجد أنها قد قصرت حق الانتخاب على فئة معينة لأسباب كثيرة منها :

العنصرية أو الجنسية أو الطائفية ، بل لم تعط حق الانتخاب للنساء أيضا .(١)

هناك بعض الدول تدعي أنها دول ديمقراطية ولكنها في الوقت نفسه لا تجيز أن يوجد فيها مرشحان للانتخاب أصلا .

ان غرب افريقية خير مثال لمثل هذه الديمقراطية ..

ومن الناحية الأخرى ، هناك دول أخرى لا تجعل مثل هذه الحواجز أمام المواطنين بل تراها تحرض الناس على الانتخاب بواسطة وسائل الاعلام . ولكن توجد فيها مجموعة كبيرة من الشعب لا تشترك في الامتحان لأسباب قاهرة .. واذا ضممنا الى هؤلاء عدد المعارضين الذين دخلوا في الانتخاب فعلا ولكنهم لم يدلوا بأصواتهم لهذا المرشح نجد أن هذا الفائز لم يفز الا بأقلية الشعب ...

---

(١) راجع العلمانية ، للدكتور سفر الحوالي ص ٢٤٧ لكن بالتصرف والتقديم والتأخير والحذف والزيادات .

ان هذا العيب الواضح تعترف به الدول الديمقراطية نفسها هذا ما أشار اليه الدكتور سغر بقوله :

" وليس من دولة تستطيع نفيه وانما تتباهى فيما بينهـــــا بانخفاض نسبة الرافضين وتحقيق أرقام قياسية في عدد المشتركين ".(١)

وهكـذا ظهر لنا بكل وضوح "أن دعوة الديمقراطية أنها تمثل الأغلبية من الشعب دعوة باطلة وانما تمثل في الغالب الأقلية فقط ".

ثانيا - القضاء على الميزات الفردية :

من الواضح أنه يوجد في كل مجتمع أناس لهم عقول نيرة وعبقرية وأناس أغبياء ولكن الديمقراطية لم تراع أبدا هذه الميزات للصفـــوة المختارة بل أرادت أن تسوى بين الجنسين اعتمادا على مبدأ المساواة التي تدعيها . من هنا صار " الفرد الممتاز في الديمقراطية مهضوم الحق بالنسبة لمشاركته في صياغة القرارات التي تتخذها الحكومة ".(٢)

وبيان ذلك أن الديمقراطية لما أرادت أن تطبق مبدأ المساواة المزعومة وقعت بين أمرين لا مفر من الأخذ بأحدهما وهما :

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٨.

أ - الارتفاع بالطبقات الدنيا (الأغبياء) وضعاف العقول الى مستوى أصحاب العقول النيرة الممتازين .

ب - الانخفاض بالممتازين الى مستوى أصحاب العقول الضعاف ولكن لما كان الأول مستحيلا اضطرت الى الانخفاض بالجميع الى الحضيض فقضت على الميزات التي تفضل الله به بعض الناس على بعض لفت نظر الكثير من المفكرين الى عيوب تعاني منها الديمقراطية .. فلنذكر من هؤلاء المفكرين الدكتور اليكسيس كاريل وقد كتب هذا الدكتور عن هذا الموضوع كلاما طويلا مفيدا وناقش الديمقراطيين مناقشة هادئة فلنقتطف من هذه المناقشة مايلي :

يقول الدكتور كاريل :

" هناك غلطة أخرى تعزى الى اضطراب الآراء فيما يتعلق بالانسان والفرد تلك هي المساواة الديمقراطية ، ان هذا المذهب يتهاوى الآن تحت ضربات تجارب الشعوب ومن ثم فانه ليس من الضروري التمسك بزيفه ، الا أن نجاح الديمقراطية قد جعل عمرها يطول الى أن يدعو للدهشة فكيف استطاعت الانسانية أن تقبل مثل هذا المذهب لمثل هذه السنوات الطويلة .. (١)

---

(١) الانسان ذلك المجهول ص ٣٠٦ .

وأضاف قائلا :

" ان مذهب الديمقراطية لا يحفل بتكوين أجسامنا وشعورنا ،انه لا يصلح للتطبيق على المادة الصلبة و هي الفرد .. صحيح أن الناس متساوون ولكن الأفراد ليسوا متساوين .. فتساوى حقوقهم وهم من الأوهام ومن ثم يجب الا يتساوى ضعيف العقل مع الرجل العبقرى أمام القانون .. و من خطل الرأى أن يعطوا (أى الأغبياء) قوة الانتخاب نفسها التي تعطى للأفراد مكتملي النمو ، كذلك فان الجنسين لا يتساويان فاهمال انعدام المساواة أمر خطير جدا . لقد ساهم مبدأ الديمقراطية في انهيار الحضارة بمعارضة نمو الشخص الممتاز .. ولما كان من المستحيل الارتفاع بالطبقات الدنيا فقد كانت الوسيلة الوحيدة لتحقيق المساواة الديمقراطية بين الناس هي الانخفاض بالجميع الى المستوى الأدنى وهكذا اختفت الشخصية ".(١)

وهكذا يقرر هذا الدكتور كاريل بعد دراسة عميقة للديمقراطية أن من أسباب انهيار الحضارة الانسانية وجود هذه الديمقراطية المزعومة بسبب معارضتها لنمو الشخص الممتاز العبقرى . ويستغرب من البشرية التي رضيت بهذا النظام المزيف الذى لا يعترف بفضل العالم على الجاهل ولا فضل المجرب على الغبي ولا يقيم للصفوة الممتازة أى وزن في التأثير على سير الأحداث ... كما يؤكد أيضا على أن انسياق عامة

----

(١) المرجع السابق ص٣٠٧ .

الشعب وراء عواطفهم وخضوعهم لدعايات المرشحين يؤدى ضررا للأفراد الممتازين بدون شك. لكثرة سواد العامة مع عدم معرفة مصالحهم ومن يصلح لهذه الرياسة ... من هنا كثرت الانقلابات والضغائن والتخطيطات السرية ضد الحكومات في هذه البلاد ...

هكذا رأينا أن الذين يتشدقون بكلمة الديمقراطية " من هؤلاء وهؤلاء انما يخدعون شعوبهم .. فحقيقة أمرهم انهم مستبدون دكتاتوريون، وليسوا أبدا ديمقراطيين لأنهم لا يمثلون الا الأقلية من شعوبهم فلا يصح - اذن - بحال من الأحوال - أن نقول ان هذه الحكومات القائمة باسم الديمقراطية الجوفاء تمثل الشعب تمثيلا كاملا أو صادقا .. والدليل على ذلك أيضا ما قام به (هارولد زينك وزميلاه) باحصاءات عن نسبة الناخبين في الولايات المتحدة فقالوا :

(انه لم تزد نسبة الناخبين عن ٦٦ ٪ من عدد الأشخاص الذين بلغوا سن الانتخاب وفي بعض الأحيان أقل من ٥٥ ٪ وفي سنة ١٩٥٦م ، ٦٠ر٥ ٪ فقط ".

وفي غرب أفريقيا الفرنسية ،أمثال كبيرة على ذلك ، ولكننا سنكتفي هنا بما أشار اليه فيليب ياسه الأمين العام للحزب الديمقراطي الافريقي في ساحل العاج من أن الحزب يمثل الشعب من ناحية الأهداف الجوهرية المشتركة فقط والا يوجد في الجمهورية بعض الزعماء المحليين يخالفون الحكام الديمقراطيين في سياستهم فلا يدلون بأصواتهم لهم في الانتخابات وهص نص كلمه ياسه اذ يقول :

" وفي المرحلة الحاضرة يزداد نشاط التجمع الديمقراطي الافريقي بصورة مستمرة على الرغم من اختلاف في الآراء ينشأ مع بعض الزعماء الوطنيين في بعض مناطق افريقيا الغربية الناطقة باللغة الفرنسية .. " ومهما يكن من أمر فالأهداف الجوهرية المشتركة تجمع فيما بيننا ".(١)

هذا اعتراف صريح من الأمين العام للحزب الديمقراطي الافريقي في ساحل العاج بوجود اختلاف في الآراء بين الديقمراطيين وبين الزعماء التقليديين الذين يرفضون أن يدلوا بأصواتهم لهواء الحكام ، فتمثيلهم - اذن - للشعب ليس تمثيلا كاملا أو صادقا .. فتصبح كلمة الديمقراطية حينئذ مجرد دعايات فارغة .

*

ثالثا - <u>صعوبة تحديد النظام الديمقراطي</u> تحديدا بدقة بحيث يستطيع الانسان أن يميز بين الذيمقراطية الصحيحة وفاسدها .

يعرف الديمقراطيون بأنها حكم الشعب " ، ولكن الصعوبة ناشئة " من كيفية الحكم ونوعية الاقتراع والتمثيل وشروط المقترعين وتحديد الفئات السياسية ".

---

(١) مجلة مغريات طوبيا الاشقر

Agence toubia achkar agreee (IATA)

Avenues Nogues Abidjan

الوكيل في لبنان مكتب الشرقي الافريقي ص ٢١ .

فانطلاقا من هذه الصعوبة في تحديد هذا النظام تحديدا علميا تدعى كل دولة أنها هي الوحيدة التي تطبق الديمقراطية وتكفر الدول الأخرى بالديمقراطية .

فمثلا ترى الرأسمالية أن الدول الشيوعية ليست على شيء من الديمقراطية لأن السلطة فيها تنحصر في قبضة الحزب الشيوعي فقط .. وترى الشيوعية أن الرأسمالية ليست على شيء من الديمقراطية لأن الحكم فيها بيد الطبقة الثرية فحسب وهكذا تجد في كل مكان توجد فيه هذه الدول تلعن أختها .

يا ليت الأمر يقف عند هذا الحد بل تعدى كل ذلك حتى وصلت أن بريطانيا ترى أن تطبيق الديمقراطية تكمن في نظام الحزبين هما : حزب المحافظين ، وحزب العمال ،كما ترى فرنسا ومن لف لفها ودار في فلكها مثل بعض الدول المنتسبة الى الاسلام ،ترى أن التطبيق العملي للديمقراطية هو وجود الأحزاب الكثيرة في حكومة واحدة تتطاحن وتتشاحن وتتناحر ..

وأما دول غرب أفريقيا فهي ترى أن التطبيق الذى يضمن السلام في حكومة الشعب هو نظام الحزب الواحد فقط الذى يملك القلوب والأرواح والمصالح والأديان والأحكام وكل شيء ...

هكذا تضاربت أقوال أصحاب هذا النظام ولا يعرف - حتى الآن - من هو المصيب ومن هو المخطيء بسبب صعوبة تحديد هذا النظام تحديدا بدقة علمية فكل محاولة للوصول الى التوفيق بينها أدت الى مزيد من التعقيدات .

كما يقول (ميشيل ستيوارت) بهذا الصدد :

" كل محاولة تستهدف تحديد الاستعمال الصحيح لاصطلاح الديمقراطية من شأنها أن تواجه مزيدا من التعقيدات ، وليست البلاد التي تحكم بالديمقراطية تقليديا .. هي التي تظهر المتناقضات والعيوب فحسب بل ان البلاد الشيوعية في العالم والتي تعتنق مفهوما سياسيا مخالفا تماما تدعى بذات التأكيد أنها " ديمقراطيات شعبية " وأن انتساب البلاد الأخرى الى الديمقراطية انما هو من قبيل الخداع ". (١)

فهناك عيوب أخرى ذكرها الباحثون للديمقراطية ضربنا عنها صفحا لتداخل بعضها في بعض ولأن ما ذكرنا هنا فيه الغناء والكفاية لبيان عيوب الديمقراطية " .

هكذا أصبحت الديمقراطية التي تتبذخ بها النخبة المثقفة بدون تحقيق لمدلولها ، أصبحت مجرد شعار لا حقيقة عنها ، فلنضرب على ذلك مثالا واحدا في غرب أفريقيا نفسها .. وذلك أن الحزب الديمقراطي الافريقي كان في بداية نشأته يكافح ضد الاستعمار ويعالج مصالح المزارعين من المستعمرين ثم أصبح بعد الاستقلال يستهدف به زعماء هذا الحزب الحكم المستبد لمن كانوا في بداية الأمر نصراء للفقراء ، يحاسب الشعب على كل صغيرة وكبيرة .. ولا يسمح أن تستقل بشيء عن الحزب ، هذا ما صرح به ياسه اذ يقول :

----

(١) نظم الحكم الحديثة ص ٢٩٨ .

" ولهذا قرر الحزب أن يكون لدى كل وزارة لجنة سياسية منبثقة من قلب الحزب . وهذه اللجان تتولى الاشراف على الشئون السياسية و غير السياسية .

وأضاف قائلا : " وتتضح من هذا أن دليلنا في الحياة السياسية " (١) وهو الحزب الديمقراطي وهو بالنسبة الينا الدماغ المفكر فمن تعاليمه ومبادئه نستمد القوة لمجابهة جميع العراقيل ... "

هذا واضح في بيان فشل الديمقراطية في اسعاد البشرية لوجود ديمقراطية كل بلد تخالف ديمقراطية البلد الآخر ... ولأنها لا تقوم على هدف واحد فتارة يكون هدفها الأصيل مكافحة الاستعمار ثم تمشي خطوة ثانية فاذا هما أهداف زعماء الحزب والأغنياء ثم تخطو خطوة ثالثة فاذا هي الحكم المستبد تمارس نظام التعبئة القومية ... وتقف أمام كل تفتح فكرى وكل عقيدة دينية . .

هكذا رأينا في هذه الجولة نوعا من التيارات الفكرية التي تقف في مواجهة العقيدة الاسلامية في افريقيا الغربية الناطقة باللغة الفرنسية .

ولنواجه الآن نوعا آخر من تيدلوجيات النخبة التي تعادى هذه العقيدة في المنطقة وهو : قضية الزنوجة .

----

(١) ص ٢٣ . سنوات الحسم في أفريقيا . المرجع السابق .

الفصل الثالث

قضيــة الزنوجــــــــة

(Negretude)

ويشتمل على المباحث التالية :

١ - القومية الزنجية نموذج مكرر مما حدث ويحدث في العالم الاسلامي .

٢ - مراحل قضية الزنوجة.

٣ - خطورة الزنوجة.

٤ - مناقشة فكرة الرق وبيان موقف الاسلام منها ، دحضا لما يقوله دعاة الزنوجة ضد الاســلام والمسلمين .

المبحث الأول

القومية الزنجية نموذج مكرر

مما حدث ويحدث في العالم الاسلامي (١)

لسنا نكتب تاريخا للقومية الزنجية ، ولكننا نستلهم العبر من خلال الأحداث التي لا يختلف حولها أحد لنعلم ماذا عملت القومية الزنجية وغيرها من القوميات في مواجهة الاسلام ومن الذى استعملها . وقد سبق أن أشرنا الى أن أيديولوجيات النخبة الممتازة بعد الاستقلال كانت تتمثل في أمرين : الأحزاب السياسية وقد تحدثنا عنها وسنتحدث الآن عن الثاني وهو - القومية الزنجية فنقول :

لقد اتخذت السلطات الاستعمارية الفرنسية ابان الحكم الاستعمارى وبعده وسائل عديدة لمحاربة العقيدة الاسلامية في غربي افريقيا بصفة خاصة وفي العالم الاسلامي بصفة عامة. مثل الديمقراطية والشيوعية والاشتراكية والتبشير ووسائل الاعلام واشاعة الفساد في المجتمعات الاسلامية. ولكن أخطر هذه التيارات التي تواجهها العقيدة الاسلامية اليوم في هذا القطاع من العالم الاسلامي هو تيار القومية الزنجية التي أرادوا أن يضموا تحت لوائها جميع شعوب المنطقة بصرف النظر عن عقائدهم الدينية . خاصة ونحن نرى آثارها قد تغلغلت في قلوب الكثيرين من المثقفين الذين عاشوا في

---

(١) يسميها البعض بالقومية الزنجية أو الشخصية الافريقية .

باريس كأمثال(ليوبول سيده سنغور) الرئيس السنغالي سابقا ، فتركتهم على/ وضع بئيس غير مسبوق في تاريخ المنطقة أبدا .

ومن ثم كانت خليقة بالدراسة الواعية . والنظرة الفاحصة والرؤية المستوعبة حتى تتحدد أبعادها الرهيبة وسيتبين لنا بكل وضوح وجلاء إن اليد الخفية الاستعمارية التي حركت هذه الفكرة في تركيا ومصر وسائر البلاد الاسلامية هي التي حركتها في غربي افريقيا أيضا .

ان فكرة القومية في حدا ذاتها فكرة رجعية متخلفة . فقد عرفتها أوربا منذ قرون . وذاقت مرارتها ولكنها رجعت تستعملها وسيلة من وسائل الغزو الفكرى ضد الاسلام والمسلمين . وانها وجدت فيها شعارا يثير العصبية ليحطم الاسلام ، تتحطم الأمة حين تفترق الى عصبيات قومية . . وتتحطم الدولة الاسلامية حين تعلن هذه العصبيات عن وجودها القانوني . وعلى هذا ان تيارالقومية الزنجية التي ندرسها على ساحة افريقيا الفرنسية نموذج مكرر مما حدث ويحدث في أنحاء العالم الاسلامي ، ودليلنا على ذلك مايلي :

قد اتفقت المصادر الجادة ، على أن القومية العربية بضاعة غربية استوردها الشرق العربي من/ أوروبا . ويكشف (حازم نسيبة) عن خبايا هذه القوميات وتأثيرها بأوربا المسيحية ورغبتها في اقصاء الاسلام عن حياة المسلمين حيث يقول :

" بدأت فكرة القومية العربية في أوساط المثقفين المسيحيين قبل أن تبدأ عند المسلمين . اذ كان المسيحيون على صلة وثيقة بالثقافة الغربية ، وأقرب الى التأثر بتياراتها وسبق لهم أن اطلعوا على التاريخ

الغربي ومن خلال الدراسات الغربية الحديثة ". (١)

وهكذا رأينا أن هذه الفكرة بضاعة أوربية قد نشرها المسيحيون في العالم الاسلامي أولا وتبناها المسيحيون العرب أخيرا .

وليس حازم نسيبة وحده الذى كتب في هذا الموضوع ، فقد تحدث عنه أيضا عدد من الباحثين . واليك فيما يلي بعضا من أقوالهم :

" قد أوضح الدكتور (فيليب حتى) العربي اللبناني المسيحي الموالي لحضارة الغرب المعادية للاسلام وأهله ولم تمنعه مسيحيته أن يشير الى أن ظهور مبادىء القومية قد تم على أيدى النصارى اللبنانيين اذ يقول :

" ان القومية العربية استمدت وحيها بالأكثر من النظريات السياسية الأمريكية بخلاف القومية التركيـة التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت الهامها من مبادىء الثورة الفرنسية ". (٢)

وزاد قائلا :

" ولقد بـدأ ظهور مبادىء القومية العربية في العقد السابع من القرن الفائت على يد رجال الفكر السوريين وغالبهم من اللبنانيين المسيحيين الذين تثقفوا في المدارس الامريكية في بلادهم ". (٣)

---

(١) راجع الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام ص ٢٥٦ .

(٢) العرب تاريخ موجز ،فليب حتى ص ٢٥٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥٦ .

وقد تحدث الدكتور علي جريشه عن هذا الموضوع وسار على منوال فيليب حتى الا أنه أكثر البحث والتحقيق حول الويلات التي صبت على رؤوس الأمة الاسلامية من جراء هذه القومية فلنفسح له المجال ليتحدث بعبارته :

" بدأت فكرة القومية العربية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادى وشجع عليها أعداء الاسلام حزب الاتحاد والترقي داخل تركيا الذى كان أكثره من اليهود ... وتجمع على القومية العربية (ماكماهون) و (لورانس) الجاسوس الانجليزى ..

وبلغ نجاح اثارة القوميات حد الدخول في قتال بين العرب والاتراك وسارت جيوش الشريف حسين تحت قيادة انكليزية لتخرج الألوف من أبناء الشام.

وأضاف قائلا وهو بيت القصيد :

" وأثيرت القومية العربية مرة أخرى في أعقاب الحرب العالمية الأولى حين شجع الانكليز اقامة الجامعة العربية لتجمع العرب تحت راية القومية خوفا من أن يجتمعوا تحت راية الاسلام : ولتحل الجامعة العربية محل الجامعة الاسلامية التي كان يدعوا المسلمون الى اقامتها في الخمسينات لما تم التخطيط للانقلاب الذى تم في مصر ، كانت القومية العربية شعارا بديلا عن شعار الاسلام .."

---

(١) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام بحث للدكتور علي جريشة ص ٣١٧-٣١٨ .

ويقول عبد الله :

" وأما المستشرقون المعروفون بتغيير الحقائق التاريخية الاسلامية فقد جعلوا في القرن التاسع عشر كل قواهم على بحث النواحي الدنيوية أكثر مما اهتموا بالنواحي اللاهوتية من التاريخ العربي الذى أظهر أن الأمة العربية أقامت حضارة متقدمة راقية قبل الاسلام وبعده على السواء .. ولهذا لم تكن الحضارة العربية اذن دينيا صرفا لا يملك العرب النصارى أن يشاركوا فيه بل العكس هو الصحيح وهو أن لتلك الحضارة ملامح منقطعة الصلة بالدين "(١).

هذا هو منطق المستعمرين في جميع أنحاء العالم الاسلامي فهم دائما يحاولون احلال فكرة القومية محل العقيدة الاسلامية . كما قالوا هنا أن للحضارة العربية في الجاهلية ملامح منقطعة الصلة عن الدين بثوا نفس الفكرة في غربي افريقيا . فأفهموا " النخبة الممتازة " ذات الثقافة الغربية أن للمنطقة تاريخا حافلا بالمكرمات والعظائم ، قد أقامها المواطنون بدون أى تأثير خارجي . بل أكدوا لهم أن الاسلام هو سبب تدهور حضارتهم السودانية الذاتية . فيجب اقامة الدول الافريقية الحديثة على أساس هذه الحضارة الافريقية الوثنية التي سموها " الزنوجة " .

وهكذا طبقت هذه النخبة الممتازة وصايا أسيادهم . فسموا أول دولة سودانية نالت استقلالها باسم أول دولة وثنية أقيمت في منطقة غرب أفريقيا وهي امبراطورية غانة وقد سمى (كوامي نكروما) بلده الذى كان يطلق عليه كلمة (ساحل الذهب) سماه باسم غانا تطبيقا لفكرة القومية الزنجية أو الشخصية الافريقية .

---

(١) الغزو الفكرى ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

ولم يكتف الفرنسيون بتسميم أفكار هذه النخبة بمجرد الغزو الفكرى بل قاموا - فعلا - بحفريات للبحث عن آثار هذه المدينة السودانية التي سبقت الاسلام في المنطقة ليبرهنوا لهذه النخبة أن افريقيا قد قامت بالشخصية الافريقية بدون أى تأثير خارجي فبدأت هذه الحفائر عام ١٩٠٧ م على يد العالم الأثرى الفرنسي (د بلاج) (Des Plague) فعثروا على أطلال مدينة تدل على أنها كانت مزدهرة .. كما عثروا على عينات قد تحدثنا عنها بالتفصيل في الباب الأول من هذا البحث (١) .
ولكنهم قد أصابتهم خيبة أمل حيث أن المدينة التي عثروا عليها قد ثبت بشكل واضح أنها هي العاصمة الاسلامية من مدينة غانة وأما العاصمة الوثنية من غانة لم يعثروا عليها حتى الآن .

من هنا (٢) (بحث الذى كفر) فتركوا البحوث الأثرية الى الآن .. فدل هذا على أن الاسلام هو الذى طور بلاد السودان الغربي حتى بلغ أهلها شأوا من المدنية ..

المهم هنا أنه قد ثبت لنا من خلال هذه النصوص أن القومية الزنجية التي أثارها المستعمرون وجعلوها معادية للاسلام نموذج مكرر من القوميات التي فرضوها على العالم الاسلامي من القومية العربية

---

(١) راجع امبراطورية غانة الاسلامية د / ابراهيم طرخان ص ٣٤ .
وراجع ما كتبناه في الباب الأول وراجع كذلك :
De la Ronciere pp 86 , 87 , 1o8

(٢) المرجع السابق ص ٣٥ وراجع افريقيا الغربية في ظل الاسلام نعيم قداح (كوناكرى) ١٩٦٠ م ص ٥٤ .

والقومية الطورانية داخل تركيا وغيرهما من القوميات التي أثاروها مثل القومية الفارسية والبربرية والكردية وغيرها . الا أن القومية الزنجية التي أثاروها في منطقة غرب افريقيا تختلف بكثير في صورتها عن القوميات التي أثيرت في سائر البلدان الاسلامية .

ففي الصفحات التالية محاولات لبيان هذا الفرق الموجود بين هذه وتلك .

المبحث الثاني

مراحل القومية الزنجية في افريقيـــــا

ولوتتبعنا هذه الفكرة منذ ظهورها الى اليوم لوجدنا أنها قد تطورت على مراحب تاريخية ثلاث : وقد اتخذت السلطات الاستعمارية لكل مرحلة أسلوبا يناسبها . فبدراسة هذه المراحل الثلاث سنرى ذلك بكل وضوح ،فاليك فيما يلي هذه المراحل الثلاث :

أولا - جذور الزنوجة :

لقد جهلت أوربا في العصور الوسطى قلب أفريقيا جهـــلا تاما بسبب وعورة الصحراء وتحكم المسلمين في مسالكها ودروبها واحتكارهـم لعمليات الاتصال ببلاد السودان الغربي لأسباب دينية وتجارية ، مع العلم بأن بلاد السودان لم تنقطع صلتها بالعالم الخارجي في أى فترة من فترات التاريخ وقد أثبتنا كل ذلك فيما مضى ، خاصة (الباب الأول) +

فقد كان من المستحسن لأوربا أن تعترف بجهلها بقلب المنطقة ولكنها لم تفعل ذلك وانما ادعت انها عرفت كل ما يتعلق بسكان المنطقـــة . ادعت أن هوءلاء السكان ما لهم تاريخ ولم يقدموا للانسان حضارة بل لا فرق بينهم وبين الوحوش التي تدور حولهم .. وان كل ما يدب في أرض هذه المنطقة من المعارف الضرورية للانسان فمرده الى أوربا (١)

---

(١) راجع افريقيا تحت أضواء جديدة ،بازل دافيدسن ص ٢٢٥ ٤
وراجع كذلك الافريقيون العرب ،أحمد سويلم العمرى ص ١٢٥
سنة ١٩٦٧م.

فقط . كل ذلك هيء العقل الأوربي للحط من قدر السودانيين عقليا وحضاريا وأصبح الزنجي لديهم قرينا للتخلف ، والبدائية والانحطاط والقدرة العقلية المحدودة .

ولما كان الانسان لا بد له من تبرير تصرفه فقد ذهب الأوربيون الى أبعد من هذا ، لأنه كان عليهم أن يبرروا استعمارهم لأوطان الزنوج وان يبرروا استرقاقهم في تجارة / بشرية هائلة امتدت نحو أربعة قرون (١) ومن ثم كثرت كتاباتهم التي تستهين بقدراتهم وكفاءاتهم . وقد ذكرنا فيما سبق بعض هؤلاء كأمثال (مونتسكيو) (٢) وهيوم وترلوب . (٣)

وبذلك تسممت أفكار أجيال متعددة من الأفريقيين لتتبلور في النهاية كحقيقة معترف بها بأن كلمة الزنوج ترادف (البشرية المتخلفة أو المنحطة) . (١)

ومن ثم يصير تبرير الاستعمار سهلا فهو - اذن - لغرض وواجب انساني وهو مسؤولية أخلاقية لا بد أن تقوم أوربا بها ، لنقل فضائل

---

(١) قضايا افريقيا ، محمد عبد الغني ، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب بالكويت ، ٣٤ - ذو الحجة ١٤٠٠هـ/ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٠م .

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامي د / أحمد شلبي ٦/٤٣٧ وراجع ما كتبناه سابقا .

(٣) المصدر السابق ٦/٤٣٧ .

فضائل دياناتهم وحضاراتهم وأسلوب تفكيرهم في (الاله والكون والانسان) لشعوب المستعمرات المنحطة التي كانت تعيش في الهمجية والجهل المطبق والتي لا أمل لها في الخروج من هذه الحالة البئيسة.

فواجب الرجل الأبيض أن يرفع من مستوى اخوة له كانوا قليلي الحظ ولو أدى ذلك الى استرقاقهم واختلال أراضيهم.

وعلى هذا بدأ البرتغاليون أولا بتجارة الرقيق الشرسة وأهملوا التجارة في السلع الأخرى . ولم تعد افريقية في نظرهم الا مزرعة للرقيق وسرعان ما اكتشفت الدول الأوربية الأخرى ما في هذه التجارة من ربح وفير فراحت تنافس البرتغاليين في هذا الشأن وعلى هذا تقدمت هولندا وفرنسا وانكلترا الى هذا الميدان ثم تقدمت الدانمرك وأخذت بريطانيا مكان القمة في هذه التجارة .(١)

وكانت السيدات يقفن صفوفا في سوق الرقيق و يتقدم التجار فيتحسسونهن وكان ذلك يعرض الفتيات لألوان من المهانة تقشعر لها جلودهن . ولكن النخاسين لا يبالون بذلك .

وأما رحلة الرقيق من افريقيا الى العالم الجديد فقد ذكر الباحثون أن العبيد كانوا يحشرون حشرا في السفن بحيث لا يجد الواحد منهم مكانا لنومه الا في صفوف متراصة بجوار بعضهم البعض فكثيرا ما سبب

----

(١) المصدر السابق ٦/٤٣٧.

هذا الازدحام موت عدد من الرقيق في خلال الرحلة وقد قدر هذا العدد بحوالي سدس المسافرين (١) .

لا شك أن هذا المناخ الغريب كان له أثر على الشخصية الزنجية وخاصة على المثقفين من الزنوج الذين كانت أمامهم الفرصة ليعرفوا كيف ينظر العالم اليهم .

من هنا فكروا في انشاء فكرة قومية زنجية ترفع شأنهم بين الشعوب والأمم انها هي الفكرة المعروفة بـ " القومية الزنجية " أو الشخصية الافريقية ويسميها البعض بقضية الزنوجة .

هكذا ظهرت بذرة الزنوجة في الوجود . ولكن من هم روادها في هذه المرحلة الأولى سنحاول فيما يلي الاجابة على ذلك ان شاء الله تعالى .

قد ذكر الباحثون قصة طويلة لسبب ظهور هذه الفكرة ولكننا - كما قلنا سابقا - لسنا نكتب تاريخا للقومية الزنجية ولكننا نستلهم من خلال الأحداث التي لا يختلف حولها أحد . لنعرف كيف استخدمت هذه الفكرة لمواجهة العقيدة الاسلامية في غربي افريقيا الفرنسية لذا لا نتحدث عن هذه الفكرة الا ما يتعلق بموضوعنا فنقول :

ان المحاولة الاولى لجمع " أصحاب البشرة السوداء من الأفارقة وأبناء جزر الهند الغربية في باريس على يد (لويس هنكارين) (Louis Hunkarin) وقد ولد هذا المذكور في (بورتونوفو) (Portonovo) في داهومي عام ١٨٨٧م .

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٤٤١ .

ولكنه درس في مدرسة المعلمين العليا في سانت لويس بدكار وعندما عاد الى وطنه ، وقد تشرب الأفكار الاستعمارية قام خلاف بينه وبين حاكم داهومي والتحق محررا في صحيفة ديمقراطية السنغال - (La de mocratie du Senegal) التي تصدر في دكار من قبيل الفرنسيين وقبض عليه في ديسمبر ١٩١٤ م في داهومي ولكنه هرب الى نيجيريا حيث أصدر دورية مخطوطة باليد ، حصل على عفو عام ١٩١٨ م واستعين به في تجنيد الافريقيين للعمل في الجيش الفرنسي ثم عمل بعد ذلك في وزارة الحرب الفرنسية وفي نهاية الحرب أسس في باريس صحيفة رسالة داهومي (Le Message Dahome) عام ١٩٢٠ م وكانت أول صحيفة تصدر في فرنسا لخدمة أبناء افريقيا على حد زعمهم وأبناء جزر الهند الغربية ولكنه كان يميل الى الاندماج في الامبراطورية الفرنسية على أساس المساواة السياسية والاجتماعية .

وهكذا أدركنا أن تأسيس هذه الفكرة قد تم بايعاز وتدبير من السلطات الفرنسية التي كانت تتبنى فكرة الاستيعاب التي تحدثنا عنها سابقا وانما كان هذا الافريقي مجرد آلة صنعت به فرنسا هذه الفكرة . . لذا نرى انه لم يكتف باندماج افريقيا السوداء في الامبراطورية فرنسيا وانما مشى خطوة أخرى فدعا في منتصف عام ١٩٢١ م الى قيام موسسة أو تنظيم لضم كل سكان غربي افريقيا واشترك في عام ١٩٢١ م في اتحاد المستعمرات الفرنسية الذين يعيشون في باريس وكان من اقطابه (هوشي منه) (Hochy Menih) والحاج عبد القادر وميسالي الحاج الجزائريين .(١)

---

(١) راجع قضايا افسريقية . المصدر السابق ص ٢٣١ .

ومن غربي افريقيا لامين غاى (Lamine Guey) وسنغور (Singore) وأميل فير (Emil Fyr) وأصدر الاتحاد الجديد صحيفة (بارميا) .. وكان من كتابها الروائي رينيه ماران (Rene Maran) [1] من ابناء جزر الهند الغربية الذى حرك بروايته باتوالا (Batouala) الشعور باعادة اكتشاف افريقيا بواسطة الكتاب الزنوج الامريكيين وهي الحركة التي عرفت فيما بعد باسم الزنوجة .

وكان (ماران) أيضا قطبا في مجموعة أخرى يطلق عليها - الرابطة العالمية لتحسين أحوال الزنوج التي اسسها توفالوهوينو - (Tovalou Houendu) عام ١٩٢٤م .

وهكذا كانت بداية الزنوجة باريسية الصنع حيث اجتمع فيها شباب من اقطار متعددة من افريقية ومن العالم الجديد ، ثقافتهم متنوعة ولكن يجمع بينهم ويؤلف أربعة أمور كانت بمثابة القاسم المشترك الأعظم وهي :

١ - لون الجلد الأسود .
٢ - اللغة الفرنسية .
٣ - التراث الاستعمارى .
٤ - المعيشة في باريس .

ولكن لون الجلد كان أهمها جميعا لأنه أصبح أساس الزنوجة وعمادها .[1]

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٣ بتصرف .

ومن هوءلاء الشباب أصحاب الثقافة الأوربية كان دعاة الزنوجة والمروجون لها أو الذين كان من المتوقع لهم أن يستخدموا مهارتهم مثل (سنغور) في التحليل وقدراتهم في التفكير ، ولكنهم لم يفعلوا شيئا من ذلك بل انقلبوا دعاة الى تثبيت قدم الاستعمار في المنطقة باسم الزنوجة أو الشخصية الافريقية في داخل الامبراطورية الفرنسية وقد صدق القائل " فاقد شيء لا يعطيه " ان هوءلاء جميعا /ليس عندهم هدف في الحياة يسعون لتحقيقه الا هدف واحد وهو المواطنة الفرنسية والمساواة مع الفرنسيين مع ذوبان شخصياتهم الافريقية. .

بدلا من ان يستخدموا الزنجية سلاحا في الجمعية الوطنية الفرنسية ضد هوءلاء الذين ما زالوا يعتقدون بدونية السلالات الافريقية وأنها ليست من فصيلة بني آدم فبدلا من هذا استخدموها لضرب العقائد الدينية للالتفاف حول الافكار الاستعمارية بل ان رواد الزنجية من افريقية وفي مقدمتهم سنغور العميل لم ينكروا فرنسيتهم فقد وصفوا هذا العميل الذى يحمل قلبا أوربيا في جسم افريقي نفسه بأنه فرنسي .(١)

وهكذا استمرت الفترة الأولى من تاريخ الزنوجة التي بدأت بايعاز من فرنسا ولكنها في مظهر رد فعل ضد المستعمرين الذين يمارسون العنصرية ثم انتقل دعاتها الى الفترة الثانية التي سنتحدث عنها فيمايلي .

---

(١) راجع من الزنوجة تأليف سنغور ص (١٥ د).

المرحلة الثانية : الزنوجة منذ الحرب العالمية الثانية الى استقلال المستعمرات .

ان الزنوجة - كما قلنا سابقا - كان الغرض من تأسيسها رد الفعل ضد العنصرية الأوربية واحتقار السلالة السوداء من قبل المستعمرين .. ولكن هذه الزنوجة سرعان ما خمدت وتحولت - عندما نشبت الحرب أو قبلها - الى مذهب يصلح للحوار مع الادارة الاستعمارية .. وقد ألقى سنغور (١)

----

(١) ليولد سيدار سنغور ، رئيس جمهورية السنغال واحد ابنائها ولد عام ١٩٠٦ في قبيلة السرر ،اكمل تعليمه في فرنسا حيث نال درجة الاجريجاسيون من السوربون ، عمل مدرسا في فرنسا واشتغل بالسياسة وتزوج من فرنسية وكان احد ممثلي فرنسا فيما وراء البحار في الجمعية الوطنية الفرنسية ثم أصبح أول رئيس لجمهورية السنغال ، سبر غور اللغة الفرنسية حتى أعد أحد أساطينها وعين عضو في اللجنة لتراجع قواعد اللغة في دستور الجمهورية الفرنسية .
نشاطه الأدبي واسع في هذه اللغة له ستة ديوان ومؤلفاته عديدة في الأدب والنقد والسياسة وقد جمعت أشعاره ومختاراته في مجلد واحد باسم الشعر .
نشر في باريس عام ١٩٦٤م ومن أشهر قصائده المرأة السوداء ، والمرأة العارية . ومن أهم الترجمات الانكليزية لهذه الأشعار الانكليزية . ومع أن سنغور كان يكتب الشعر قبيل الحرب العالمية الثانية فان أول قصيدة نشرت له كانت في نهاية تلك الحرب عام ١٩٤٥م وكان عنوانها (أغاني الظل (Chants Dombre)
ورغم أنه لم يكن أول داعية للزنوج فقد تعرف عليها من رفاقه أدباء جزر الهند الغربية امثال (ماران وسيزير) الا أنه أصبح الداعية الأكبر لها حتى لا تذكر الزنجية الا مصحوبة ب سنغور والعكس صحيح وقد جمعت معظم أشعار سنغور في مجلد واحد .
راجع قضايا افريقيا المصدر السابق ص ٢٣١ - ٢٣٢

محاضرته الشهيرة عن الزنوجة في جامعة اكسفورد عام ١٩٦١م ناقش فيها أصل وتطور الزنوجة من النواحي النفسية والتاريخية والاجتماعية فيرى أن العدول عن العنصرية الزنجية الى الاندماج في الشعب الفرنسي أفضل لذا يتساءل : فقال (ألم تكن الزنجية عنصرية جديدة ؟.

ثم بين سبب تراجعه عن الزنوجة اذ يقول :

" كان تطرف النازية والكوارث التي بدأت تظهر نتيجة لها من أهم العوامل التي جعلتنا أكثر اتزانا ، فهذه الكراهية والعنف وفوق هذا وذاك تلك الدموع وذلك الدم كانت هذه جميعا مما لا نميل اليه ، بل هي ضد نزعتنا الى الحب ".(١)

وهكذا رأينا أن دعاة الزنوجة في هذه المرحلة استمروا في التأكيد على العناصر التي ترتبط فرنسا بافريقيا أو عالم البيض بعالم السود وتحولت الزنوجة من أداة للصراع الى نظرية تركيبية ووحدوية تدعو الى التضامن والتعاون والاندماج بين الاثنين وهذا واضح في قصيدة سنغور (بارس تحت الثلج) والتي نسي فيها ما فعلته فرنسا في بلاده ومواطنيه فقلبه عطوف على أعدائه حيث يقول :

لقد رضيت بثوبك الأبيض الذى يفوق الملح في لسعه
وهاهو فؤادى يذوب الان كما يذوب الثلج تحت الشمس
وأنسى
الأيدى البيضاء التي ملأت البنادق ومرت بها الممالك
الأيدى التي ألهبت العبيد بالسياط
الأيدى المعفرة بالغبار
الأيدى البيضاء المعفرة بالبارود التي صفعتني
الأيدى البيضاء التي قطعت الغابة العالية
تلك الغابة التي تهيمن على افريقيا
لقد قطعت الغابة العذراء لتحيلها الى فلنكات(٢) للسكك الحديدية
قطعت غابة افريقية كي تنقذ الحضارة التي كانت تفتقر الى الرجال

*

---

(١) المصدر السابق ٢٣١ - ٢٣٢ .
(٢) فلنكة : عارضة عليها قضبان (في سكة الحديد) .

آه يا الهي لقد ذاب فوءادى
كما يذوب الثلج على أسطح باريس
تحت شمس طيبنتك (١)

ولما وصلت أفكار أصحاب هذه الفكرة الى هذا الجمود غيرت السلطات الاستعمارية نظرتها الى الزنوجة فبدأت توءيد الفكرة بدل محاربتها الطويلة الظاهرية وهذا راجع الى الأسباب التالية :

أولا - لما رأت فرنسا أن اصحاب هذه الفكرة لا يشكلون خطرا على الادارة / الاستعمارية الفرنسية بأية حال لأنها وجدت هوءلاء الدعاة الى الزنوجة فارغي القلب من أية عقيدة ايمانية أو تعصب ديني أو ثقافة قومية ولا يدافعون عن حقوق قد سلبت لما رأتهم على هذه الحال الغريبة ،بدأت توءيد الفكرة بدل محاربتها الظاهرية .

ثانيا - أنها رأت ان الزنجية يمكن أن تستخدم سلاحا لتفتيت الوحدة الاسلامية في المنطقة .

ثالثا - قد رأت أن الفكرة بعيدة جدا عن الجماهير الافريقية من ثم كان خطرها مستبعدا بالنسبة للأوساط الرسمية الفرنسية.

فرواد الزنجية من افريقية وجزر الهند الغربية في هذه المرحلة الثانية لم ينكروا فرنسيتهم فقد وصف سنغور نفسه باكثر من مرة بقوله أنافرنسي كما قلنا سابقا .

وكان أول اجتماع خطب فيه وأكد على أهمية الثقافة الافريقية ، لم يكن في الجماهير الافريقية ولكنه كان في الغرفة التجارية بداكار كما تطبع مجلة الوجود الافريقي (Presence Africaine) في مجلة الوجود الفرنسي (Presence France).

ونظرا لعدم وجود خطر من اثارة الجماهير وضعف الاتصال بين النخبة والجماهير من اهالي المستعمرات تأكدت فرنسا أنه لا خوف من هذه النخبة الزنجية المتشبعة بالثقافة الفرنسية والمدنية الفرنسية ،.. بدأت فرنسا توءيد هذه الفكرة ولم يكتف بذلك قامت فعلا بحفريات للبحث عن آثار المدينة السودانية التي وجدت قبل دخول الاسلام في المنطقة فبدأت هذه الحفريات عام ١٩٠٧م. (٢) كما قلنا سابقا .

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٤
(٢) امبراطورية غانة المصدر السابق ص ٣٤- ٣٥.

وهكذا استخدمت فرنسا فكرة الزنوجة سلاحا للوقوف امام الأمة الاسلامية وهكذا غيرت النخبة أفكارهم تجاه هذه الفكرة ثم انتقلوا أخيرا الى تطور آخر سنذكره فيما يلي :

*

المرحلة الثالثة : الزنوجة بعد الاستقلال :

لما فشلت الزنوجة لتحقيق مقاصدها دخلت بعد الاستقلال دورا جديدا قد حاول سنغور ومؤيدوه / أن يكيفوها تبعا لمطالب العصر الملحة.

ولما تأثر سنغور بفكرة الوجودية والعالمية من (بول سارتر) (١) حاول أن يوضع الزنوجة في سلك فكرة العالمية التي كان يعتقد اعتقادا جازما بظهور حضارة عالمية . فرحب بالفكرة لتصبح افريقيا جزءا من هذه الحضارة المنتظرة فلنستمع الى سنغور ليقرر لنا هذا الاتجاه الجديد :

" منذ بداية هذا القرن بدأت تضيق الفجوة بين سكان وشعوب العالم نتيجة لثلاثة عوامل :

أولها - المد الاستعمارى الاوربي .

والثاني - كثافة وتعدد وسائل الاتصال .

والثالث - هو استقلال المستعمرات ، فقد اقتربت أجناس العالم من بعضها نتيجة تفاعل العوامل الثلاثة السابقة. وفي هذا المحتوى يجب دراسة الزنوجة فالحضارة الأوربية التي قدمت لنا على انها الحضارة العالمية غير جديرة بهذا الاسم نظرا لأنها ينقصها الطاقات الكامنة في آسيا وافريقيا وفي الحقيقة لا يمكن أن نطلق عليها الحضارة الانسانية نظرا لأنه لم يشترك فيها البشر في العالم وهم ناس العالم الثالث ".انهذه الحضارة العالمية - اذن - لا ينطبق الا على العالم الثالث بما فيه من الزنوج وغيرهم.

---

(١) سارتر ، جان بول ١٩٠٥ - فيلسوف وأديب فرنسي زعيم الفلسفة الوجودية وفلسفته مبنية على الأوهام التالية : ١ - الانسان حر بنفسه يخلق نفسه في كل لحظة يقول : وقولنا ان الانسان حر مرادف لقولنا : " ان الله غير موجود " (لعنه الله وأخزاه) انه مات الان في الثمانينات - ٢ - ليس هناك طبيعة بشرية مرضت منذ الازل بل ان الانسان يوجد أولا ثم يظل يخلق نفسه بما يختار لنفسه من أفعال فلا يجوز أن يتوكل على الله أبدا . راجع الموسوعة العربية الميسرة ٩٤٢/١ .

خطورة دعوة الزنوجـــة

ان خطورة هذه الدعوة الى اقامة حضارة عالمية زنجية ،لا تكمن فقط في/ كونها دعوة تواجه - بادىء ذى بدء - العقيدة الاسلامية في المنطقة وانما تأتي أيضا من اثارتها لعواطف اللون والجنس في نفوس الافريقيين وهذه العواطف فيها ثورة عاتية وفيها استعداد للانفعال نتيجة التاريخ الطويل الذى فرض عليهم/ من الكبت والقهر والعبودية .

وهذا التاريخ المليء بالأسى والهموم الذى عاش فيه الافريقيون قد استغله المستعمرون في قضايا عديدة / منها التجارة البشرية التي كانت سببا لتدهور المنطقة .

ان هذه التجارة التي صارت واضحة كوضوح الشمس انها تجارة أوربية بحتة قد استغلها المستعمرون وتلاميذهم من دعاة الزنوجة لاثارة عدوان بين السود والعرب. فقالوا ان اوربا/ هي التي قضت على الاسترقاق في افريقيا (١) بينما الرق مبدأ من مبادىء الاسلام . لذا لما وصل المسلمون - على حد زعمهم - في المنطقة فتحوا تجارة الرقيق ..

فكان هذا الأمر مما هدد العلاقات بين العرب والزنوج الذين تثقفوا بالثقافة الغربية .. ولم يزالوا يحملون هذه الفكرة الاستعمارية في أذهانهم نحو العرب ويعتقدون جازمين أن سبب تدهور البلاد راجع الى اباحة الرق في الاسلام الأمر الذى شجع المسلمين على استرقاق الأفارقة بدون حد لذا كرهوا العرب واللغة العربية وكل ما يتعلق بها من معلومات

---

(١) Voir L'Histoire et la civilisation de l'Afrique Noir p.

فأدت هذه الكراهية التي يكنها المشقشقون في قلوبهم ضد العرب الى أن رفض كثير من رؤساء حكوماتهم ان يجعلوا علاقات دبلوماسية مع عدد من البلدان العربية . كما كان هناك سبب آخر له خطورته الكبيرة وهو كراهيتهم للغة العربية وكراهيتهم لكل من يتعلم في البلدان العربية . ولا يعترفون بالشهادات العلمية التي تصدر من الدول العربية ..

اذن ان الأمر خطير جدا . فكان لزاما علينا - اذن - أن نقف هنا قليلا لنبين للناس موقف الاسلام من الرق . الاسلام الذى اتهموه بهذه الفرية العظيمة ولم يزل في قفص الاتهام الى اليوم . ثم نبين أخيرا أن الدعاة الاسلاميين الذين نشروا الاسلام في هذه المنطقة ما كانوا مستعمرين مثل أوربا المستعمرة بل كانوا رسل الحضارة التي تعتبر بحق أرقى الحضارات التي عرفتها البشرية في التاريخ الانساني ، حضارة لا تلتقي بالجانب الروحي فقط بل توفق بين الجانب الروحي مع الجانب المادى دون ما طغيان . كما يوفق بين الدنيا والآخرة على حد قوله تعالى :

* وابتغ فيما آتاك الله الدر الاخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين * (١)

وعلى حد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((لا تقوم الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ان استطاع أن يغرسها فليغرسها)) (٢) .

فالأمر خطير جدا يجب أن نقف عنده وقفة قصيرة لنبين موقف الاسلام من الرق .

----

(١) القصص / ٧٧ .
(٢)

المبحث الرابع

موقف الاسلام من الرق وأثره في انتشار الاسلام ببلاد السودان الغربي

نود أن نقف هنا قليلا لبيان موقف الاسلام من الرق ليكون ذلك رد فعل لما يثيره المستعمرون في المنطقة من أن اباحة الاسلام للرق كان من أكبر الأسباب التي دفعت المسلمين الى التكالب على افريقيا لفتح سوق الأرقاء .

ولكننا نقول ان محاربته للرق كان من أقوى الأسباب التي أدت الى انتشار الاسلام في المنطقة .

وربما يخطر ببال القارئ أنه كيف يقال ان الاسلام حارب الرق وقد أباح الرق ؟

ان هذه الفكرة كانت ولم تزل مما يروجها المستعمرون في المنطقة لتضليل المثقفين عن حقائق الأمور .

ولأجل ايضاح أهمية هذه المسألة نسوق اليك أولا أدلة قاطعة تدل على أن محاربة الاسلام للرق كان من أقوى العوامل التي دفعت الافريقيين على اعتناق الاسلام ثم على عكس ما يدعيه النصارى ثم نعقب ذلك ببيان رأى الاسلام في الرق ليعلم الناس ومعهم أوربا ومثقفوها الأفارقة أن الاسلام برئ من هذا اللون من الرق على الاطلاق ولا يجيزه وانما كان ذلك تجارة أوربية بحتة .

*

الرق عند الأوربيين

وقد ذكر المؤرخون (١) انه في مطلع الاستعمار الاوربي لافريقيا كانت صورة السيد والعبد في العالم كله ولكن البرتغاليين الذين كانوا يبحثون عن الربح في أى مكان وبأية صورة أحسوا أن تجارة الرقيق ستضفي عليهم ما يسعون له من مال فمارست البرتغال تجارة الرقيق بافريقيا منذ منتصف

---

(١) راجع الدكتور محمود متولي ، افريقيا والسيطرة الغربية ١٩٨١م ص ٨
راجع كذلك د/ محمد صفي الدين ، افريقيا بين الدول الأوربية ص ٧٧ .

القرن الخامس عشر فانتقلت هذه التجارة من حال الى حال من رقيق كان يستعمل بافريقية في مكان من العزة والكرامة كفرد من أفراد الأسرة يخدمها وتنعم بما تنعم به أوكحارس للسيد يهيء له السيد ما يجعله - موضع ثقة ، الى رقيق أصبح يباع ويشترى ليجلب المال لمن يتاجر فيه .

ان هذا الوضع كان لونا جديدا خلقه الاستعمار الأوربي في تاريخ الرق ولكن البرتغاليين هم كما قلنا أول من اتبع هذه التجارة اللعينة كما قلنا سابقا وينسب الى (ألونزوغونزالير) (١) البرتغالي أنه أول من شجع أبناء جلدته في عام ١٤٣٤ م أن في امكانهم ان يجعلوا من الافارقة سلعة يتاجرون بها .

هكذا بدأ الاوربيون بانتهاك حرمة افريقيا وتدمير مقدساتها وتشويه حياتها الاجتماعية وانهيار صناعاتها حتى غرق جزء كبير من المنطقة في غياهب الظلمات والجهل ولم تفق منها تماما الى الآن .

يقول د/ محمد متولي :

" كان الرق هو النقطة المشينة في تاريخ افريقيا لمدة ٢٥٠ سنة على الأقل ما بين ١٤٦٣ - حتى أوائل القرن ١٩ م وبلغ مجموع ما اتخذ من افريقيا كرقيق حوالي ٦٠ مليون عبد مات منهم في الطريق حوالي ٢٠ مليون عبد " (٢)

والغريب أن المستعمرين وهم يمارسون هذه التجارة اللعينة استطاعوا ان يجدوا سندا من الفلاسفة والمسيحية لممارستهم هذه الفعلة الدنيئة فلنبدأ بالكنيسة .

لقد أغر المستعمرون الكنيسة بالمال لتكون الاعتماد على هذه التجارة فقبلت هذا الاغراء بمقابل نصيب من الأسلاب وسرعان ما أعلنت الكنيسة أنها ستعمد العبيد المرسلين الى اميركا . وراح مندوبوها يجلسون على مقاعدهم على الشواطيء فيعمدون العبيد ويقبضون نصيبهم من رسوم التصدير التي أصبحت موردا هاما من موارد الكنيسة .

---

(١) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ٦/ ١٣٤ .

(٢) افريقيا بين الدول الأوربية . المصدر السابق ص ٨ .

وانظر كذلك د/ رياض : الاستعمار الاوربي لافريقيا ص ١٣٨ .

ويذكر ديرك كارتون (   ) أن الكنيسة كسبت من هذه العملية مبالغ هائلة لأنها تتقاضى ضريبة تعميد كبيرة على كل فرد .(١)

هذا ما فعلته الكنيسة بالافريقيين .

أما فلاسفة الغرب فقد أيدوا أيضا المستعمرين على هذه التجارة فهذا مونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥) وهو من أكبر فلاسفة الفكر الفرنسي كما قلنا سابقا .(٢) يقول :

" ان لنا حقا مكتسبا في اتخاذ الزنوج عبيدا ان شعوب أوربا بعد أن أفنت امريكا الأصليين لم يعد امامها الا ان تستعبد شعوب افريقيا لكي تستخدمها في استغلال هذه الأقطار الفسيحة فما هذه الشعوب الا عناصر سوداء البشرة من قمة الرأس الى أخمص القدمين ولا يمكن أن نتصور ان الله جلت قدرته وهو ذو الحكمة البالغة السابغة - يضع روحا طيبة في مثل هذا الجسم الحالك السواد ".(٣)

تلك هي الاراء التي اعتمد عليها المستعمرون لاستعباد الشعوب الافريقية السوداء فبدأ البرتغاليون اولا بهذه التجارة ثم نقل الهولنديون عن البرتغاليين ممارستهم لهذه التجارة واخيرا أخذ التجار الفرنسيون والانكليز والدنمركيون والامريكيون يتنافسون في سرقة الرجال والنساء والاطفال واخراجهم من افريقية وبيعهم في العالم الجديد ولمدة قرنين ونصف ظلت القارة في هذا الانتهاك لحرماتها .

وهكذا كان التدمير لمقدساتها والتشويه لحياتها الاجتماعية والاضعاف لقواها العقلية والفنية.

---

(١) انظر الموسوعة التاريخ الاسلامي ٦/ ١٣٦ وانظركذلك د/ رياض الاستعمار الاوربي لافريقيا ص ١٣٨.

(٢) وقد نقلنا هذا النص بمناسبة اخرى ونتحدث عنه هنا أيضا لمناسبته لهذا المقام أيضا وراجع ما كتبناه سابقا.

(٣) نقلا عن موسوعة التاريخ الاسلامي ص ١٣٦ بنقله عن كتاب :

(Africca Africca p. 24)

هكذا اتضح لنا أن هذا النوع من الرق بضاعة اوربية لا يعرفها الاسلام ولا يقرها بل ان موقفه السلبي من هذا النوع من الرق كان سببا لانتشار الاسلام في المنطقة .

فلنواجه الان موقف الاسلام من الرق ليتجلى لنا الفرق الأساسي بين مفهوم الرق عند الأوربيين و مفهومه عند المسلمين وقبل ذلك هناك نقطة هامة يجب الانتباه اليها وهي قول الأوربيين :

ان اوربا هي التي قضت على تجارة الرقيق في افريقيا . نعم ان بريطانيا نادت بايقاف تجارة الرقيق بعدما كانت سيدة هذه التجارة لمدة قرون عديدة . ولكن قد ثبت ان بريطانيا لم تقدم على هذا الاعلان الا لأسباب يجب الانتباه اليها ولكن السبب الواضح كالتالي :

ان القرون التي شهدت تجارة الرق و معاملة الاوربيين بالرقيق ، جعلت هذه القرون سيرة الرق بشعة ورائحته كريهة وحركت العديد من المفكرين والكتاب للقضاء على هذا الاجرام والعسف والطغيان .

ولكن هذه التصريحات لم تكن كافية لتقضي على هذه التجارة البشعة لو لم يحدث شيء مفاجيء لم يكن في الحسبان ذلك الشيء هو محاولة بريطانيا ان تضرب امريكا باقتصادياتها حينما حصلت امريكا على استقلالها من الاستعمار البريطاني . من هنا أعلنت بريطانيا رفضها لبيع الرقيق التي كانت امريكا تعتمد عليه . فلنستمع الى د/ أحمد شلبي يوضح لنا هذه النقطة اذ يقول :

" ان امريكا كانت اكبر المستعمرات البريطانية وكانت حقل انتاج بريطاني يستوعب الغالبية من رقيق افريقيا ثم حصلت امريكا على استقلالها في يوليو سنة ١٧٧٦م وكانت زراعة القطن فيها قائمة على أكتاف الزنوج وأراد الانجليز ضرب الاقتصاد الامريكي فأعلن مقاومته لتجارة الرقيق حتى يمنعوا اليد العاملة الرخيصة عن امريكا عقابا لها على تمردها . (١)

---

(١) راجع موسوعة التاريخ الاسلامي ٦/ ٤٤٤ .

هكذا ظهر لنا من خلال هذا النص السبب الحقيقي لصرخة بريطانيا ضد تجارة الرقيق بعدما ملئت بنوكها من فوائد هذه التجارة لكن بريطانيا اذ تعلن هذا الاعلان لم تبين هذا السبب بطبيعة الحال وانما لبست ثوب المسوح ، وراحت تتحدث عن جرائم الرق ومنافاته للانسانية تلك هي نوايا بريطانيا تجاه تحرير الرقيق ولم يكن ذلك أبدا لأجل حقوق الانسان كما تتشدق بها أوربا اليوم وانما كان ذلك لحاجة في نفس يعقوب قضاها ..

والذى يزيد هذا النص وضوحا أن بريطانيا لما رفعت صوتها ضد هذه التجارة كان المرجو منها : أن تقوم بتحسين الأوضاع في افريقيا ان كان الدافع هو الدفاع عن الانسانيـــــــة ولكن بريطانيا لم تفعل شيئا من ذلك بل راحت لتفتح تجارة الرق من نوع آخر وهو (الاستعمار) فحكمت بالرق على الافريقي في بلاده وكان من قبل رقيقا خارج هذه البلاد .

هذه هي الدوافع الحقيقية لموقف بريطانيا من تجارة الرقيق ولم يكن ذلك يوما من الأيام دفاعا عن الانسانية وكرامتها وقد أشرنا في السابق الى أن الخسارة التي تحصل للقبائل الافريقية بسبب تجارة الرق أقل من الخسارة التي تنتج بسبب الاستعمار لأن القبائل انما تخسر فقط بعض افرادها بسبب تجارة الرق ولكنها تخسر نفسها بسبب الاستعمار .

فعرفنا من ذلك ان بريطانيا اتخذت ذلك السبيل أخيرا وسيـــلة لتتسلط على القارة ولتمد نفوذها الاستعمارى .

وفي الصفحات القادمة سنرى كيف حرر الاسلام الرق من العبودية ..

موقف الاسلام من الـــرق

قد قلنا- فيما سبق -ان الاسلام لا يعرف هذا اللون من الرق على الاطلاق ولا يجيزه وانما كان ذلك بضاعة اوروبية ولكن الاسلام - حينما جاء الاسلام لم يحرم الرق دفعة واحدة .. اذ كان الرق في تلك الفترة التاريخية دعامة يرتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصاديــة وتعتمد عليها جميع وسائل الانتاج في مختلف دول العالم.. ولكنه أباحه في صورة مقيدة تؤدى الى القضاء عليه بالتدرج دون ان يحدث ذلك أى ضرر أو اضطراب في المجتمع.(١)

وقد كانت أسباب اتخاذ الرق في العصر الذى ظهر فيه الاسلام (الجاهلية الاولى) كثيرة متنوعة(٢) يرجع أهمها الى ما يلي :

١- الحرب بجميع أنواعها كانت تجعل الأسرى ارقاء أو يقتلون .

٢- القرصنة والسبي والخطف .

٣- ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والزنا والسرقة . كانت عقوبتها استرقاق الجاني لصالح المجنى عليه أولصالح الدولة.

٤- عجز المدين عن الوفاء بدينه في موعده كانت عقوبته استرقاق الدائن له.

٥ - سلطة الوالد على بنيه تعطيه حق بيع ولده رقيقا في حالة فاقته .

٦ - تنازل المرء عن حريته نظير ثمن معين.

٧- تناسل الرقيق كان يجعل ولد الأمة رقيقا ولو كان والد سيد الأمة نفسه .(٣)

هذه هي أهم أسباب الرق في العصر الذى ظهر فيه الاسلام - ولكن الاسلام الدين الرباني العظيم لما جاء قضى على هذه الأسباب كلها الا سببين(٤) فقط هما :

---

(١) علي عبد الواحد وافي : حقوق الانسان في الاسلام ص ٢٠١. ط/ ٤ ، ١٩٦٧م و محمد عبد الله دراز :في الدين والأخلاق والقومية ص ٤٧ - ٥٢ ط/ ١٩٦٧م .

(٢) حقوق الانسان ص ٣٠٢-٣٠٣ . بتصرف .

(٣) راجع كتاب انتشار الاسلام في شرق افريقيا تاليف د/ محمد عبد الله النقيرة ص ١١٨ مع تغييرات .

(٤) دراز : نظرات في الاسلام ص ١٠٤ - ١٠٥ .

١ - رق الوراثة .

٢- رق الحرب الاسلامية المقدسة أى الجهاد في سبيل الله .

ثم لم يتركها على الاطلاق وانما قيدها بقيود شرعية عادلة .

أما الأول الذى هو رق الوراثة فقد استثنى منها الاسلام أولاد الحوارى من مواليهم.(١)

واذا لاحظنا هذا ، ندرك أن ذلك يؤدى في النهاية الى القضاء على هذا الرق نفسه ، وقد حصل ذلك والحمد لله أولا وآخرا .

فأما الثاني : (رق الحرب الاسلامية المقدسة) فقد قيده الاسلام بدوره في استثناء أسرى الحرب بين طائفتين من المسلمين ، كما لم يبح استرقاق الأعداء الا اذا بدأوا بالعدوان (٢) ووقفوا امام الدعوة الاسلامية لئلا تصل الى الناس .. فحينئذ يجب تحطيم هذه القوة المانعة من انطلاق الدعوة الى الاخرين فاذا فعلوا هذا وذاك يعتبر - اذن - عدوانا على حقوق الله عز وجل .. فيجب استرقاقهم لأنهم كانوا سببا لذلك . كما يجب استرقاقهم اذا حاولوا تعطيل آية من كتاب الله .

وهكذا أباح الاسلام الرق في صورة مقيدة تؤدى الى القضاء عليه ، بالتدرج دون أن توجد هناك اضطرابات في المجتمع .

فقد حرر عقل الرقيق وقلبه تحريرا تاما من أول لحظة ووقف من عبودية الجسم موقفا حاسما الا للسببين اللذين ذكرناهما آنفا فضيق المدخل للرق وأفسح المخرج منه .

وبتعبير آخر ان الاسلام جعل الأبواب الكبيرة لاخراج الأرقاء الى التحرير .

فيجمل بنا أن نقف هنا وقفة لبيان أهم هذه الأبواب لفائدة الباحث في المستقبل :

أولا : مفتاح القلوب : فأخذ الاسلام يحرض المؤمنين على عتق الارقاء ويرغبهم في ذلك بشتى الوسائل يقول تعالى :

* فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة،فك رقبة * الآية (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضو من أعضائه من النار) (٤).

---

(١) راجع انتشار الاسلام المصدر السابق ص ١٢١.

(٢) المرجع السابق ص ١٢١.

(٣) سورة البلد آية ١١،١٢،١٣.

(٤) رواه الامام احمد في الترغيب والترهيب .

ثانيا - مفتاح آخر ، هو مفتاح خزائن الدولة فخصص جزءا من ماليتها كل عام لافتداء الأسرى و تحرير المستعبدين يقول تعالى :

﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ... وفي الرقاب ... ﴾ (١)

ثالثا - مفتاح آخر هو مفتاح الكفارات والذى يجعل عتق الرقاب فريضة لمحو خطيئة من الخطايا كالحنث في اليمين والفطر في رمضان عمدا ، والقتل الخطأ وغير ذلك بل جعل الاسلام كفارة اهانة السيد لعبده قولا يسبه أو عملا بتكليفه ما لا يطيق مرارا أو ضربه واصابته كفارة ذلك عتقه .

" ومن لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه " (٢)

بل مجرد تلفظه له بكلمة العتق ولو مزاجا ملزمه للسيد أن يعتق عبده

" ثلاث جدهن جد وهزلهن جد : النكاح والطلاق والعتاق ". (٣)

انطلاقا من هذه التوجيهات الربانية والايضاحات النبوية كان المسلمون يعاملون العبيد عن خلق رفيع فيأخذون على عاتقهم اطعامهم مما يطعمون وكسوتهم مما يلبسون .

كما كان على السيد أن يمد عبده بزوجة وأن يرعى له ذريته وكانوا يتزوجون الاماء ويعلمون عبيده واماءهم ويثقفونهم . (٤)

فكانت هذه المعاملات الاسلامية المجيدة سببا لدخول كثير من الارقاء في الاسلام وذلك بعدما بهرهم سمو مبادئه حين يسوى العبد بمولاه ويجعل المفاضلة بينهما بالتقوى فقط .

﴿ يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ (٥) الآية

بل بعد أن وجدوه يحفظ عليهم كرامتهم كأناس .. ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ الآية

كما ورد في الحديث الصحيح قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه ومن أخصى عبده أخصيناه " (٦)

ويؤاخى بينهم وبين ساداتهم ويأمرهم بمساواتهم بهم في كل شيء .

(اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه بما يطعم ويلبسه مما يلبس ، ولا يكلفوهم ما لا يطيقون والا فأعينوهم ". (٧)

---

(١) سورة التوبة آية ٦٠ (٢) فيض القدير ٦/ ٢١٩ ط سنة ١٩٣٨ م .

(٣) كشف الخفاء ومزيل الالباس ١/ ٣٢٦ ط/ سنة ١٣٥١ هـ .

(٤) محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ١/ ٩٩-١٠٠ ، ط/ ٣ سنة ١٩٠٨ م .

(٥) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٦) رواه الشيخان و أبو داود و الترمذى والنسائي .

(٧) البخارى حديث أبي زيد .

بل أمرهم بالاحسان اليهم مقترنا بأمرهم بعبادته وحده (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم) الآية . (١)

وبهذا الاستعراض السريع لموضوع الرق وموقف الاسلام وأثره في انتشار الاسلام يتبين لنا أن الاسلام لا يعترف بهذا اللون من الرق وانما كان ذلك تجارة اوربية واذا وجد مسلم يعمل في هذه التجارة فهو منحرف جرفه تيار الغرب فلم يعلم نظم الاسلام وادابه في هذا الباب .

وليس غريبا ان يتقبل الافريقيون هذا الدين الذى لا يرضى بحال من الأحوال باستعباد العباد للعباد .

وطبيعي اذن ان يفتح الافريقيون قلوبهم للعقيدة الاسلامية التي تحترم انسانية الشخص وتحافظ على حريته .

وليس غريبا - اذن - ان تكون الاتجاهات الفكرية الاوربية نحو الرق من أهم ما حبب الاسلام الى أهل بلاد السودان الغربي لأنهم (السود) حينما وجدوا الاسلام يرفض فكرة الرق رفضا باتا وجدوا في الوقت نفسه الاوربيين البيض عندما اقتحموا المنطقة السوداء كانت تجارة الرق من أهم أهدافهم فراحوا يختطفون الأطفال والشباب دون رحمة ويحشرونهم حشـرا على ظهر البواخر ويتجهون ببواخرهم الى العالم الجديد (امريكا) .

ومن المعروف كذلك ان هؤلاء السود المساكين لم توجه لهم أى عناية انسانية أوصحية مما جعل الكثير منهم يسقطون في الطريق وتلقى جثثهم طعاما لأسماك البحار .

أما الذين وصلوا منهم الى القارة الأمريكية فقد عرضوا في سـوق النخاسة ويبيعونهم كما تباع الدواب ،وهكذا مرة أخرى ارتبطت مشكلة الرقيق بالاوربيين وانها ليست اسلامية وانما هي اوربية فكانت هذه الممارسة من قبل الأوربيين من أقوى الأسباب التي أدت الى انتشار الاسلام في بلاد السودان الغربي لأن هذه الممارسة تركت آثارا عميقة في نفوس السودانيين بل العداء الذى يكنه الافريقي السوداني للأوربي ،كما كان موقف الاسلام كما أوضحنا سابقا ، ذا أثر فعال في تحويل عدد كبير من الافريقيين للاسلام.

---

(١) سورة النساء آية ٦٣.

وأما قول المستعمرين والنخبة الممتازة ان الاسلام كان هو السبب المباشر لتدهور الاوضاع في المنطقة من القضاء على الحضارة السودانية الأصلية فهو مجرد غزو فكرى وتسميم لعقول النخبة الممتازة حتى تسيء العلاقات بين السود والعرب.
والا أيما رجل يدرس تاريخ انتشار الاسلام في هذه المنطقة ثم يقارن بينه وبين حالة البلاد قبل المد الاسلامي ،ليدرك الفرق الشاسع بين العهدين ولا نريد أن نسترسل في هذا الحديث بل نحيل القارىء الى ما كتبنا في هذا البحث خاصة في البابين الأول والثاني وفيهما الكفاية في رد هذا الزعم المشبوه الذى لا يستند الى سند علمي الا مجرد التخمينات واخفاء الحقائق التاريخية .
والذى يدرس في هذا التاريخ يعلم أن المسلمين الذين نشروا الاسلام في غربي افريقيا من العرب والبربر ما كانوا مستعمرين مثل الاوربيين كما يدعيه بعض الكتاب الاوربيين وانما كانو رسل حضارة الى هذه السلالة السوداء .
وأصرح دليل على ذلك أن العرب ما كانوا يعرفون شيئا يسمى التمييز العنصرى لذا قد ثبت تاريخيا أنهم لما وصلوا في البلاد السودانية بدأوا بالمصاهرة بينهم وبين الزنوج فكان ذلك من أقوى الأسباب لنشر الاسلام في المنطقة وقد أشار الى هذه النقطة عدد من الكتاب الأوربيين المنصفين في أفريقيا فمثلا يقول توماس أرنولد :

" لا شك أن نجاح الاسلام قد تقدم في أفريقيا الزنجية تقدما جوهريا بسبب عدم أى احساس باحتقار الأسود وفي الحق يظهر ان الاسلام لم يعامل الأسود قط على أنه من طبقة منحطة كما كان الحال لسوء الحال في العالم المسيحي ".(١)

ويكفينا هذه الشهادة لنعلم أن هذا القول كذب وبهتان وغزو فكرى شرس بل ان معاملة الحسنة كانت من أقوى الأسباب التي دفعت الافريقيين الى اعتناق الاسلام لذا يعتبر الافريقيون الاسلام دينا قوميا بينما يعتبرون المسيحية دينا أجنبيا .

وكما رأينا في الباب الثاني من هذا البحث ان الاسلام هو الذى طور بلاد السودان الغربي وكان أول وسام شرف الذى قلده الاسلام على الداعي الى الله هو وسام الآذان الذى قلده النبي صلى الله عليه وسلم لبلال الحبشي الأسود الذى ينادى الى الصلاة في أوقاتها الخمسة فيسرع كل شريف وعظيم لتلبية ندائه .

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ١٩٤.

جاء الاسلام في غربي افريقيا فوجد أن أمم السودان أمة أمية فنشر بينهم الكتابة فصاروا في عدد الأمم القارئة الكاتبة ألف منهم عدد كبير عدة كتب .

ووجدهم على الجاهلية والهمجية فرفعهم الى مصاف الأمم المتحضرة وقد تمتع الجنس الأسود بثقافة الاسلام قرونا طويلة قبل أن تفتح عيون أوربا للنور بل انما ساعد على انتشار الاسلام في المنطقة ذلك التفوق الفكري والخلقي الذي كان يتحلى به المسلمون فيدفعهم ليكونوا نماذج يقتدى بها في ناحية الثقافة وناحية الأخلاق .

وليس ذلك خاصا بغربي افريقيا فقط ولكنه ينطبق على جميع الأماكن التي وصل فيها الاسلام من شرق افريقيا وغربها وجنوبها وشمالها .

وهناك رحالة أوربي سافر في افريقيا فأدرك في تجواله كيف حول الاسلام متبعيه من حال الى حال فكتب يقول :

" بينما كانت الباخرة تسير بي صعدا في مياه النهر - يعني النيجر - لم أجد الا قليلا من التغير في الأميال المائتين الأولى ، لأن الوثنية .. وتجارة الخمور قد ظهرت كلها في وحدة متآلفة ولكني لم تركت ورائي المنطقة الساحلية المنخفضة والفيتني على مقربة من الحدود الجنوبية لما يسمونه السودان الأوسط لاحظت تحسنا مطردا في المظهر الأخلاقي عند الأهلين واختفت الوحشة وابتعدت الوثنية وزالت تجارة الخمور الى حد بعيد على حين صارت ملابس الناس اكبر واكثر احتشاما وأصبحت النظافة عندهم عادة وقد دل مظهرهم الخارجي على وقار زائد وأدب جم كما دل كل شيء على أن هناك نواة لمذهب أكثر رقيا الى حد بعيد ومن الواضح ان هذا المذهب كان يؤثر تأثيرا عميقا . (١)

---

(١) راجع Joseph Thomsor,
1. Muhammadanism in central Africa
2. Note on African tribes of the British empire .

نقلا عن كتاب موسوعة التاريخ الاسلامي ١٥٧/٦ .

" في طبيعة الزنجي ويجعل منه انسا نا جديدا ولعلك تدهش ان هذا المذهب هو الاسلام ".(١)

فبهذه الشهادات تبطل مزاعم الأوربيين وتياراتهم الفكرية تجاه هذا الدين الرباني العظيم .

لنواجه الآن جولة أخرى من التيارات الفكرية الوافدة من أوربا وهي تيار حركة التنصير .

---

(١) هذا الكاتب الأوربي يدهش لأنه لا يعرف الاسلام على حقيقته اما الذين يعرفون حقيقة هذا الدين فيعتبرون تطور هؤلاء الزنوج شيئا طبيعيا لأن الاسلام كما قلنا مرارا في هذا البحث حضارة ونور ومدنية وهدى ومن أخص خصائصه أنه يخرج الناس من الظلمات الى النور من عبادة أرواح السلف الى عبادة الله خالق الكون ولكن هذا الأوربي مع كونه منصفا في تقريره هذا ولكنه ما زال يجهل الاسلام لذلك دهش من تطور السود بسبب الحضارة الاسلامية.

الفصل الرابع

حركة التنصير

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

١ - علاقة حملات التنصير بالتيارات الفكرية .

٢ - التنصير في افريقيا ووسائله .

٣ - مستقبل افريقيا الديني .

المبحث الأول

علاقة حملات التنصير بالتيارات الفكرية الهدامة

وقد يستغرب أصحاب النظرة المتسرعة من اضافة النصرانية الى التيارات الفكرية المعادية للعقيدة الاسلامية في المنطقة بينما النصرانية تنتسب الى الأديان السماوية التي أنزلها الله لهداية البشرية وانقاذهم من الظمات الى النور ؟

فنقول ان هذا الاستغراب راجع الى عدم معرفة ما آلت اليه النصرانية بعد سيدنا عيسى عليه السلام وما طرأ عليها من تحريف : تحريف في العقيدة وتحريف في الحاكمية وتحريف في الشعائر التعبدية. التي أتى بها سيدنا عيسى عليه السلام صافية نقية بل ان النصرانية بعدما حرفت صارت عدوا للدين الحق ، خاصة الاسلام لذا لم ينقطع الحجاج العقلي مع أهل الكتاب منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال تعالى :

* قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون *.(١)

----

(١) آل عمران / ٦٤.

واستمرت المحاولات والمناقشات - وما زالت - تشتد حينا وتضعف أخرى . ولا يكاد يخلو عصر من المساجلات الشفوية والمدونة بين الدعاة الاسلاميين ورجال الكنيسة .(١)

غير أننا نعيش في عصر تفرد بمظاهر جديدة خلت منها العصور الماضية ،فقد تحولت فيه اليهودية الى دين سياسي ،كذلك فان النصرانية قد دخلت نفس المرحلة ،أى اكتساب النفوذ السياسي الاستعمارى باعلان البابا الكوثوليكي (لمسيون الثالث عشر في ١٥/ ٥/ ١٨٩١م لارادة الكنيسة في أن تتدخل في الأحداث وأن تدفع بالقوى السياسية المدافعة عن مبادئها في سبيل تحقيق أهدافها المدنية.(٢)

زد على ذلك بعض التصريحات التي اتفقت عليها أمم الغرب في مؤتمر المستشرقين الذى انعقد في ليدن (هولندا) سنة ١٩٣١م

جاء في هذا المؤتمر مايلي :

---

(١) من أشهرها في العصر الحاضر محاورات الاستاذ أحمد ديدات مع رجال الدين النصارى ،ومنها محاورته مع القس الأمريكي (سواجارت) .

(٢) مستفاد من أحد أعلام الفكر الاسلامي المعاصر هو شيخنا وأستاذنا الدكتور مصطفى محمد حلمي المشرف على هذه الرسالة. وقد استفدت منه هذه المعلومات القيمة عند الاشراف في رجب سنة ١٤٠٩هـ.

" يجب انتهاز فرصة سيطرة الغرب على بلاد المسلمين لنشر النصرانية ،فيجب انتهاز هذه الفرصة ،وأنها لو ضاعت فلن تعود ،وأن مما يساعد على التبشير على الاستعمار أن الشاب الذى كان متمسكا بالدين في الماضي بدأ - كما حصل للشباب الذين جندوا في الجيوش الأجنبية بشرب الخمر وبترك الصلاة ولا يصوم رمضان . كل هذا مع ثورة فكرية تقربه من الغرب وتبعده عن الاسلام وأحكامه . وقد صار بعض الشبان " من المسلمين " يغشون محلات العبادة عند النصارى سواء في (سان لويس) في دكار ،ويشتركون في الأناشيد الروحية مما يدل على عقلية لم تكن من قبل ".

" فعلى المبشرين أن يستغلوا هذه الحالة الجديدة بتوجيهها الى جهة المسيح . وقد آن لنا أن نستفيد عبرا من الماضي ".

وفي هذا المؤتمر كان زويمر يردد نفس الفكرة اذ يقول :

" يجب أن نعلم أن هذه الفرصة اذا ضاعت (فرصة تخدير عقول الشباب) فلن تعود أبدا فينبغي أن تكون هزيمة الاسلام في الحرب العامة انتصارا للكنيسة المسيحية ".(١)

---

(١) عن كتاب حاضر العالم الاسلامي ١/ ٢٨١.

ثم بعد ذلك خطط للدعاة الى المسيحية الخطة الذى يجب أن يسيروا عليها لتغيير أفكار المسلمين عن الاسلام وان لم يدخلوا في النصرانية فيرى أن تسميم الأفكار وتخديرها ونشر التيارات الفكرية الهدامة خير وسيلة للقضاء على العقيدة الاسلامية وأفضل من محاربتها وجها لوجه ، وكما يرى أن الملاطفة مع المسلمين خير وسيلة لنشر المسيحية فلندعه يتحدث عن هذه المؤامرة ضد المسلمين بأسلوبه اذ يقول :

" ان الاسلام قد تلاشت قوته وانهارت دعائمه وسقطت مكانته الأولى وفشت سكة الأجنبي في حقله ، فلا تناسب زيادة قهره والظهور بمظهر الشماتة به ، لئلا يحرك ذلك من عصبية أهله . ويثير نخوتهم ويؤجج من نيران أحقادهم . فينهضون ويثوروا للمقاومة . بل يلزمنا أن نأخذهم بالوداعة والملاطفة . . " (١)

كذلك صاحب موجة الاستعمار ، موجات التنصير حتى وصفت هذه المرحلة المعاصرة بأنها امتداد للحروب الصليبية في العصور الوسطى ولكن في أثواب جديدة أشد وأخطر من سابقتها اذ توالت الحملات

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٨١ ، وراجع كذلك الحركة الفكرية ضد الاسلام د/ بركات عبد الفتاح دويدار سنة ١٤٠٦هـ ص ١٢٣ .

على الاسلام وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم بأقلام حاقدة لا تبغى الحقد بقدر ما تبغي الاساءة والطعن .(١)

وها نحن أمام خيوط عدائية تشابكت في شكل استعمار عسكرى وتشويه للاسلام وحملات تنصير ومن ثم فانه من التبسيط المخل ،أن نصف كل هذا بأنه مجرد (غزو ثقافي).

---

(١) وأكبر دليل على هذا الطعن ما قام به الكاتب الانجليزى من أصل باكستاني اسمه سلمان رشدى من شتم الرسول صلى الله عليه وسلم وتمثيل زوجاته الطاهرات بالفاجرات والطعن في كتاب الله . فاذا بجميع الدول الغربية تقوم للدفاع عن هذا الكاتب ويرون جواز ذلك بمبدأ حرية الكلام . فدل ذلك على الحقد الدفين في صدور النصارى منذ أيام البطرس العابد الى يومنا هذا .. ولا يرضون عن المسلمين أبدا مهما تلطفوا وتظاهروا بالحب والصداقة . وكيف لا وقد قال تعالى :

* ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .
قل ان هدى الله هو الهدى * الآية سورة البقرة ١٢٠.

كلا ، انه تكتل ذو أبعاد دينية و نفسية و تاريخية وثقافيـــة يحمل برمته طابع الاصطدام والتحدى الذى لم ينقطع بين الحضارتين : الغربية المسيحية والحضارة الاسلامية.

يقول الدكتور حامد ربيع :

" هذه الرهبة التي ترسبت في ذهن القيادات الأوربيـــة تعود الى بداية العصور الوسطى ، وظهرت خوفا من الدول العثمانيـة يرتبط بهذا الخوف عملية تشويه الحقيقة الاسلامية. الحضارة الأوربية استندت دائما الى كبرياء شكلي فهي في هذا وريثة الحضارة الرومانية : حضارة القوة والغطرسة ... وتأتي الحركات التبشيرية لتكمل هذا التطور : تشويه الاسلام ".(١)

وهكذا رأينا أن انتشار النصرانية في غربي افريقيا وفي جنوبهـا فقد ارتبط بالاستعمار الأوربي بل كانت النصرانية ظلا للاستعمار فـــي حله وترحاله ...وهكذا أيضا دلت هذه النصوص القاطعة على وجـــود علاقة متينة بين التيارات الفكرية الهدامة وبين النصرانية ..

و قد تحدث عن هذا الموضوع عدد من الباحثين واليك فيما يلي بعضا من أقوالهم :

----

(١) الاسلام والقوى الدولية ص ٩ - ١١ ط/ دار الموقف العربي سنة ١٩٨١م.

قد أورد الدكتور فيليب رفلة تفاصيل عن هذه النقطة (يعني كون النصرانية ظلا للاستعمار) اذ يقول : (١)

" وفدت المسيحية الى افريقية مع المستعمرين الأوربيين ، اذ جاء المبشرون في أعقاب المستعمرين ، وتدخل المبشرون في السياسة ورأى الافريقيون هؤلاء الأوربيين يمارسون التفرقة العنصرية وتجارة الرقيق والسخرة وأبشع أنواع الاستغلال في الوقت الذى يقدمون فيه دينا يحث على التسامح والمحبة والسلام . تلك التي بشر بها المسيح بين الطبقات الفقيرة . ومن هنا كان اقبال الافريقيين على المسيحية ضئيلا ومحدودا ، ربما حاولت بعض الارساليات أن تجعل الدين المسيحي متلائما مع البيئة الافريقية فقد صنع تمثالا للمسيح أسود اللون وعلى كل حال فقد اتخذ المستعمرون من المسيحية سلاحا لتنفيذ أغراضهم ولتيسير حكمهم . وكانت هذه العناصر الدخيلة تتعالى على السكان الوطنيين وتستغلهم أسوأ استغلال .. " (٢)

---

(١) راجع موسوعة التاريخ الاسلامي د / أحمد شلبي ٦ / ٥٠ .

(٢) وقد سبق أن قلنا ان طغيان رجال الكنيسة وحماقاتهم كان أقوى سلاح بأيدى العلمانيين لضرب المسيحيين وتقليصهم في جدران كنائسهم . لا يتدخلون في شئون دولهم ولا في التوجيه العام . فأقيمت لذلك أول دولة علمانية في فرنسا . وذلك في السنة ١٧٨٩ عقب الثورة الفرنسية الكبرى فصارت بينهم العداوة والبغضاء اذا أقبل أحدهما استدبر الآخر " .

===

ويتحدث أيضا (جورج كيمبل) عن الموضوع نفسه الا أنه يكثر البحث والتحقيق حول الأثر السيء الذى تركته النصرانية في أفريقية مما جعل المسيحية غريبة بهذه القارة ضعيفة التأثير على سكانها ،لنقتبس بعض عباراته اذ يقول :

" ... كان للمسيحية أثر كبير في تفكك المجتمع الافريقي . لقد قدم المبشرون للتلاميذ في المدرسة مبادئ تعد خليطا من المسيحية ومن النظام الأوربي وعاد التلميذ للبيت ليجد أسرته تمارس حياة مختلفة عما تلقاه بالمدرسة . فحصل صدع كبير في المجتمع . وذلك بخلاف الاسلام الذى كان يقدمه الدعاة للبيت كله أو لبطن من بطون القبيلة فيصبح عاملا جديدا من عوامل التعاون والالتئام .

" ومما زاد في الصدع الذى خلفته المسيحية أنها فرضت على معتنقيها نظما وتشريعات تتنافى مع الطقوس الدينية لقبيلتهم ومع تقاليدهم ،فمنعت تعدد الزوجات وختان البنات.

=== ولكنهم لما أرادوا احتلال افريقيا تناسوا ما كان بينهم من العداوة فاستصحبوا معهم هذه المسيحية لادراكهم أن الدين من أقوى الصلات بين البشر وأنه يفوق في هذا المضمار علائق الدم والجنس والوطن . لذا اتخذت السلطات الاستعمارية المنصرين وسيلة لتنفيذ أغراضهم وبث أفكارهم العلمانية في المنطقة ،لا لنشر دين سيدنا عيسى عليه السلام أبدا ..

وزاد قائلا :

" وانه مهما يكن الاستغلال الاقتصادى شرا ومهما يكن التمييز العنصرى شرا أكثر فانه ليس أشد اذلالا للنفس من انكار حق الشعوب في تقاليدها وأن يفرض هذه الأوامر غرباء .." (١)

في هذه النصوص التي سقناها هنا ما يكفي للاستدلال بأن حركة التنصير لا فرق بينها وبين الفلسفات الهدامة والمذاهب المنحرفة التي اتخذها العلمانيون سلاحا للغزو الفكرى والتي تقوم اليوم مقام السيف والصاروخ في أيدى جنود هذا الغزو الشرس فلا فرق - اذن - بين حركة التنصير وبين الوجودية والفوضوية أو القومية أو العالمية أو الماسونية والنظريات الهدامة والشبهات التي تحارب بها العقيدة الاسلامية في الوقت الراهن من قبل الاستعماريين والصهيونيين والمستشرقين بل ان هؤلاء قد ارتكزوا على حركة التنصير أكثر مما ذكر .

لست أنا الذى أقول هذا القول وانما هو قرارات المؤتمر الاستعمارى الذى انعقد في برلين بألمانيا .. المؤتمر الذى يعتبر اجماعا أوروبيا لتنظيم محاربة الاسلام في المستعمرات الافريقية بطريقة غير محسوسة واليك فيما يلي بعض قرارات هذا المؤتمر الاستعمارى .

---

(١) المصدر السابق ص ٥١ .

يقول القرار :

" ان ارتقاء الاسلام يتهدد مستعمراتنا بخطر عظيم .. لذلك فان المؤتمر الاستعمارى ينصح الحكومة زيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة .."(١)

" والمؤتمر الاستعمارى - مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماما في الشئون الدينية - يشير على الذين في أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام وأن يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية وان ينتفعوا من اعمال الارساليات التي تبثّ مبادىء المدنية.. خصوصا بخدماتهم التهذيبية والطبية ومن رأى المؤتمر أن الخطر الاسلامي يدعو الى ضرورة انتباه المسيحية الألمانية وغيرها لاتخاذ التدابير -من غير تسويف - في كل الأرجاء التي لم يصل اليها الاسلام بعد ..

هذا ما جاء في مقالة المجلة السويسرية ونقله عنه صاحب (الغارة على العالم الاسلامي) .

ونشرت مجلة العالم الاسلامي الانكليزية بعض جمل من خطاب الاستاذ باكر الذى ألقاه في المؤتمر الاستعمارى ، ومن هذه الجملة قوله :

---

(١) الغارة على العالم الاسلامي ت : محب الدين الخطيب ، الدار السعودية للنشر ص ١٣٧- ١٣٨ .

" ان السياسة التي ينبغي الجرى عليها في معاملة المسلمين تحتم علينا وضع خطة جديدة في مجرى سياسة حكومتنا .

" والمبشرون هم الذين اختصوا وحدهم بالاهتمام في أمر الاسلام والبحث في شئونه في كل مستعمراتنا الى هذه الأيام الأخيرة . وأنا لا أرى أن تظل الحالة على ما هي عليه بل من رأيي أن تنتقل أزمة السياسة الاسلامية منذ الآن وبعد الان الى يد الحكومة في كل مستعمراتنا ، ويجب على حكومتنا في هذه الخطة الجديدة التي أشير اليها أن تستعين بالوجهة الوطنية لا بالوجهة الدينية كيما تتوصل الى مقاصدها ..

و ختم خطابه بقوله :

" يجب علينا - بالرغم من العناية برعاية الاسلام - أن نهتم بمقاومة انتشاره في مستعمراتنا على قدر الامكان . وليس هناك غير واسطة واحدة توصلنا الى هذه الغاية وهي انشاء مراكز ثابتة الأركان لدين النصرانية كما تفعل ارساليات التبشير .."

هكذا ظهر لنا - جليا - من خلال هذا القرار الاستعماري أن المسيحية كانت ظلا للاستعمار وسلاحا ضد العقيدة الاسلامية في المنطقة .

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٠ .

لنتحدث الآن - بعد هذه الجولة عن أهم الوسائل التي تتخذها الكنيسة لتنصير الناس في العالم الاسلامي بصفة عامة وفي غربي افريقيا بصفة خاصة .

*

المبحث الثاني

التنصير في أفريقيا ووسائله (١)

قد تحدثنا في المبحث السابق عن علاقة حملات التنصير بالتيارات الفكرية الوافدة من أوربا وبينا هناك ما بينهما من علاقة . ونحن الآن بصدد الحديث عن التنصير ووسائله في المنطقة.

---

(١) عدل الباحث عن استخدام اللفظ الشائع وهو (التبشير) رغم أن من معاني التبشير الدعوة الى دين أو مذهب والترغيب فيه . انظر مجمع اللغة العربية المعجم الكبير ٢/ ٣٣٢ ، الهيئة المصرية ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م الى كلمة التنصير لأن النصارى في الحقيقة ليسوا دعاة الى المسيحية التي جاء بها سيدنا عيسى عليه السلام وانما هم دعاة الى النصرانية كما حكي عنهم القرآن : ﴿ الذين قالوا انا نصارى ﴾ فالتقيد بألفاظ القرآن في مثل هذا الموطن أفضل ، خاصة لقد استخدم النصارى كلمة المبشر على الشخص الذى يدعو الى دينهم استنادا الى أن هذا لقب (مارلوقا) عند النصارى (انظر البستاني ، بطرس ، محيط المحيط بيروت ١٨٧٠م / ١٢٨٦هـ ١/ ٩٦ .

فنقول : إن البعثات التنصيرية قد بدأت أولى خطواتها نحو افريقيا خلف الاستعمار .. لذلك ،استمدت منه العون والسلطة . وشجعها الاحتلال الاوربي لافريقيا ليتخذ منها وسيلة لتثبيت نفوذه في القارة العذراء .
وكان ميدان البعثات التنصيرية أول الأمر عشرات الملايين من الوثنيين بالقارة الافريقية. وبدأت الهيئات والمنظمات المسيحية تدعم البعثات التنصيرية ماديا فجاءت بجحافل من المبشرين المدربين وأخذوا في بناء كنائسهم وتشييد مدارسهم واقامة المستشفيات واستغلوا العديد من الوسائل ضد انتشار الاسلام وعرقلة الدعوة الاسلامية واليك فيما يلي أهم الوسائل التي اتخذت لحركة التنصير في افريقيا وغيرها .

١ - التنظيم الادارى لارساليات التبشير :

ان الخطوة الأولى التي اتخذها رجال الكنيسة وسيلة لمحاربة الاسلام هو التنظيم الادارى لارساليات التبشير . هناك تقارير قد كتبها (ا. ل شاتليه) عن التنظيم الادارى لارساليات التنصير نقتطف منها مايلي :

ومن مراجعة التقارير التي نشرتها جمعية التبشير الكنسية الانكليزية سنة ١٩٠٦م اتضح لنا أن مجموع الاكتتابات والايرادات التي وردت على الجمعية في هذه السنة من البلاد الانكليزية فقط ٢٢٨ر٢٩٥ جنيها وبلغت الايرادات الأخرى ٤٠٠ ألف جنيه وهي مؤلفة من الاكتتابات التي ترد اليها من البلاد الأجنبية ومن المبالغ التي يجمعها المبشرون .

ولها فروع عديدة لجمع النقود لا تقع تحت حصر.[١]

هذا ما يتعلق بالايرادات لهذه الجمعية التبشيرية ،وأما ما يتعلق بالنفقات التي تتكبدها ،فهي كالتالي :

تذكر التقارير أنه قد بلغ ما أنفقته هذه الجمعية في السنة الماضية أى سنة ١٩٠٥م ١٣ ١ر٣٩٤ جنيها . بينما كانت ايراداتها في السنة نفسها قد بلغت ٦١٥ر٤٠٣ جنيها . فأنفقت على الأعمال التبشيرية ٠٠٠ ٣٢٥ جنيها منها ٠٠٠ ٣٥ جنيها صرفته للمبشرين الموجودين في غير البلاد الاسلامية فيكون مجموع ما أنفقته هذه الجمعية كل سنة للتحكك بالاسلام ٠٠٠٠٠ ٥ر٧ من الفرنكات وهي موزعة كما يلي :

٢١٥ر٢١ جنيها لافريقيا الشرقية و

٢٣٫٠٤٨ جنيها لافريقيا الغربية و

٦٫٢٣٤ جنيها للتبشيرفي القطر المصرى و

٨٢٫٢٤٧ جنيها[٢] للبلاد العربية والعثمانية والفارسية و

١٢٢٫٨٤٦ جنيها للهند

٥١٫٦١١ جنيها للصين .

---

(١) الغارة على العالم الاسلامي ص ١٣١ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣١ .

هذا فيض من غيض مما كانت الجمعيات التبشيرية تنفقها لتنصير المسلمين .. ومازالوا يواصلون هذا الأسلوب الى يومنا هذا .

الا أنه قد ورد في هذه التقارير أن الجمعية في تقريرها عن سنة ١٩١١م تقول : ان اعمال التبشير في البلاد الاسلامية ما زالت صعبة وعرضة للنفقات الجسيمة .. (١) ونحن لا نستغرب من هذه النتائج بعدما قرأنا قوله تعالى :

﴿ فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون .. الآية ﴾
- الأنفال / ١٣١ .

وأما في الحديث فقد ازداد التنصير بكثير ،بدليل أنه توجد لدينا تقارير تبين ما تبذله الجمعيات التنصيرية في أفريقيا في سبيل تنصير المسلمين في المنطقة الان واليك - فيما يلي - خلاصة من هذه التقارير ،ننقلها من منشورات نشرتها رابطة العالم الاسلامي . وقد ورد في هذه المنشورات أن بعض الاحصائيات تشير الى أن جهود المنصرين في أفريقيا كبير جدا .

فمثلا هناك :

١ - ١٠٠ ألف منصر في أفريقيا السوداء .

٢ - عدد المعاهد والكليات التابعة لادارة اتحاد الكنائس العالمي في أفريقيا (١١١٣) معهد وكلية .

---

(١) الغارة على العالم الاسلامي تأليف (ا. ل . شاتليه) ت : مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ص ١٣١ .

٣ - عدد المدارس اللاهوتية لتخريج القساوسة : (٥٠٠) لاهوتية .

٤ - عدد المدارس الكنسية الابتدائية والمتوسطة والثانوية (١٦٦٧٣) مدرسة .

٥ - عدد مرضى الصم والبكم والمكفوفين والمعوقين في أفريقيا (١٤٣٥) ملجأ متخصص .

٦ - عدد المستوصفات والمستشفيات الكنسية في أفريقيا : (١٦٠٠) مستوصف ومستشفى .

٧ - عدد الاذاعات التنصيرية في أفريقيا (١٦٥٠٠) اذاعة .

٨ - عدد الأفارقة الوثنيين الذين يعتنقون النصرانية سنويا (١٠٠٠٠٠٠) أفريقي .

٩ - مليون طالب أفريقي مسلم يدرسون في المدارس اللاهوتية الآن وأما شعار المنصرين في أفريقيا الآن هو : (اخلع ثوب الاسلام نخلع عنك ثوب الجوع والجهل والمرض) .

وفوق كل ذلك : قد تحدث البابا في احدى جولاته الثلاث لافريقيا لصحيفة أمريكية أنه سيطلب من العالم المسيحي أن يتعاون لوقف انتشار الاسلام في افريقيا .(١)
ومع ذلك ان تنصير المسلمين أمر صعب للغاية .

ثانيا - اثارة شبهات حول الاسلام عن طريق الراديو والتلفزيون :

قد قام المنصرون بهجمة تنشيرية شرسة على المناطق الاسلامية .
وذلك عن طريق الراديو والتلفزيون . فقد ذكرت جريدة " المسلمون " أشياء كثيرة من ذلك .

فقد حذر تقرير أعدته منظمة الاذاعات الاسلامية من هجمة اعلامية شرسة يشنها المنصرون على المناطق الاسلامية في مختلف أنحاء العالم .

---

(١) راجع جريدة عكاظ ٢٣/١/١٤١٠هـ .

قال التقرير : ان عددا كبيرا من المسئولين عن الاذاعات التبشيرية انتهوا من وضع خطة لبث اذاعة برامجهم في الدول الاسلامية والمناطق المؤهلة لانتشار الاسلام .

"أشار التقرير الى وجود لجان اقليمية تابعة للمركز الرئيسي لراديو الفاتيكان"(١) في أوروبا وافريقيا وجنوب شرق آسيا .
وكذلك الاتحاد الدولي الكاثوليكي للراديو والتلفزيون ومقره بلجيكا مهمتها لتخطيط الأنشطة الموجهة الى عدد من الدول الاسلامية ..

أما مجلس الكنائس العالمي والمجالس الاقليمية التي تتبعه فيعطى توجيهات على المستوى العالمي في مجال التعاون بين الكنائس الكاثوليكية والبروتستنتية في المجال المشترك للتبشير المسيحي عن طريق الراديو والتلفزيون .

ويشير التقرير أيضا الى أن هناك ارساليات انجليزية للراديو وتبث من مركزين :

أحدهما في أوربا والاخر في الولايات المتحدة الأمريكية وتسمى اذاعتهما بالمسيح يحيى .. بينما يقوم مؤتمر كنائس عموم افريقيا بالتخطيط لاقليميته للادعات التبشيرية في القارة الافريقية .

---

(١) المسلمون ، جريدة المسلمين الدولية السنة الخامسة العدد ٢١٨ الجمعة ١ رمضان ١٤٠٩هـ ٧ ابريل ١٩٨٩م ص ١٠

وتهدف هذه الاذاعات الى بث الرسائل الاذاعية التي تدعو الى المسيحية وتشوه التعاليم الاسلامية . وانها على حد زعمهم الحل الأمثل لمختلف العلل الاجتماعية التي يشكو منها العالم وأن فيها الخلاص في الدنيا والآخرة. (١)

هذه الوسيلة من أحدث الوسائل التي يتخذها الآن المنصرون لبلبلة أفكار الشباب في العالم الاسلامي .. وفعلا قد شهد الباحث بعض نشاطاتهم في غربي أفريقيا من هذه الناحية فللمبشرين الان في كثير من هذه الدول برامج اذاعية وتلفزيونية منظمة وخاصة يوم الأحد .. والقصد من ذلك تشويه التعاليم الاسلامية ونشر عقيدة النصارى حتى تبقى افريقيا دوما وأبدا تابعة لأوربا ولكن الله غالب على أمره .

----

(١) راجع " المسلمون " المصدر السابق ص ٠١

٣ - بناء الكنائس في مواطن المسلمين بالمنطقة :

ومن ضمن برامج مجلس الكنائس العالمي القيام ببناء الكنائس في أماكن المسلمين العريقة وذلك بقصد انتشار المسيحية في تلك الأماكن .

وأقرب شاهد على ذلك (الكاتدرال الكبير) الذى بُني في قلب مدينة أبيدجان عاصمة ساحل العاج التجارية على نفقة بابا بولى السادس سنة ١٩٨٥م . وقد كان افتتاح هذا الكاتدرال في حفل حافل لم تشهد غربي افريقية مثله قط بحيث حضره (بابا بول السادس) نفسه ، وفي معيته رئيس الدولة فليكس هوفيت بواني ، وقد تعطلت جميع المواصلات في ذلك اليوم لكثرة الزحام وخرج الناس على بكرة أبيهم لمشاهدة هذا الحفل الغذ . (١)

---

(١) وقد حضر الباحث هذا الحفل وهو في أثناء اعداد هذه الرسالة ليسجل ملاحظاته في ذلك ان هذا الكاتدرال أو (الكنيسة الاسقفية) . بُني تحت الأرض ثم رفع لها عمود طويل جعلوا في أعلاه ناقوسا يصل صوته الى جميع أنحاء المدينة .

وانتهز بول السادس هذه المناسبة لنشر عقيدة النصارى وبيان مزاياها فأوعز الى رئيس الدولة باطلاق سراح جميع السجناء لهذه المناسبة ولم يكتف بذلك بل أعرب أيضا عن رغبته ببناء كنيسة أخرى تعتبر من أكبر الكنائس في العالم . وفعلا قد قام رئيس الدولة ببناء هذه الكنيسة المشار اليها في العاصمة الادارية لساحل العاج وهي مدينة: (ياموسو كورو) ولم يزل العمل يجرى فيها حتى الان وتقدر تكلفة هذه الكنيسة بـ ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (مائتان مليار) (١) .

وعلاوة على ذلك بنوا كنائس صغارا بالمدن الاسلامية القديمة التي لم تشهد منذ الماضي السحيق أية كنيسة قط مثل مدينة (وجيني) ومدينة (بندوكو) (٢) المدينة العلمية العريقة والتي انجبت رجالا عظماء وعلماء مشهورين تفانوا في سبيل نشر الاسلام ، فاليوم توجد فيها كنائس أعلى من جميع مباني المدينة (انا لله وانا اليه راجعون) .

وكما فعلوا هذه الخطة في ساحل العاج فعلوه في جميع أماكن غربي افريقيا ، وقد اخبرني الأخ (كادى درامي) الداعية المالي الذى يشغل منصبا مرموقا في وزارة الشباب في باماكو (٢) عاصمة جمهورية مالي

---

(١) مستفادة من البحث الميداني سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) وقد تم اللقاء بيني وبين هذا الداعية المالي بوزارة الشباب بتاريخ ٨/شعبان / ١٤٠٥ هـ ، وفي محادثتنا حول موضوعات تخص المسلمين أخبرني بهذا الخبر المؤسف وأنا كنت في رحلتي الميدانية.

بأن المسيحيين لم يجدوا ترحيبا في مالي أبدا الا أنهم بدأوا الآن ينتهزون فرصة الجفاف الذى أصاب مالي في وقت متأخر لبناء الكنائس في أماكن هؤلاء المتضررين بالجفاف ، والذين يسكنون فوق الجبال في أماكن نائية ثم يقدمون لهم الطعام من المزارع التي قاموا بزراعتها لهذا الغرض وهكذا دواليك..

وهكذا رأينا لما عجزت دعوة التنصير عن جلب المسلمين الى هذه الدعوة بدأ القائمون بهذه الدعوة يبنون الكنائس في أوساط المسلمين لينجذب اليها بعض البسطاء أو بعض الأسر الفقيرة فعلى الدعاة الاسلاميين أن ينتبهوا الى هذه الخطة التنصيرية الجديدة الشرسة.

*

٤ - بناء دور الرقص :

ومن وسائل الدعوة الى الديانة المسيحية في افريقيا القيام ببناء دور الرقص وقد اتخذ المنصرون أقوال بعض الكتاب الذين يقولون ان من طبيعة الانسان الأسود حب الموسيقى والرقص اتخذوها وسيلة من وسائل نشر العقيدة النصرانية في المنطقة مثل قول القائل :

" وموسيقى الجاز افريقية الأصل وان تطورت خارج افريقيا ، كما أن افريقية مصدر الألوان الأخرى من الموسيقى والعزف ، وللافريقيين ضربات خاصة على الدفوف والطبول حتى يقال ان الطبول لغات في افريقية .

والراقصات الافريقيات ذائعة الصيت وقد أخذ العالم ألوانا من الرقص عن افريقية". (١)

ومثل قول الكاتبة الزنجية (بيرل بريموس) : لست أستطيع أن أفكر افريقية دون أن أسمع دقات الطبول العالية ودون أن تمر أمام عيني حشود الراقصين ."

وكقول الأستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم :

" انه من المحتمل أننا لا نستطيع أن نجد مجتمعا قبليا افريقيا لا تكون للرقص فيه مكانة بارزة في حياة الناس فالرقص أكثر من أن يكون مجرد متعة أو مظهر للسرور انه جزء غير منفصل عن طقوس ترتبط بالمناسبات الرئيسية في حياة الفرد أو حياة الجماعة ، وذلك لأن الرقص يكون تعبيرا عن احساس الفرد وتعبيرا عن تضامن الجماعة ... ودليلا على تشاركها في الفرح والحزن .." (٢)

----

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي ٦/ ٩٥ - ٩٦.
وراجع موجز تاريخ افريقية : ى . سافلييف وج . فاسلييف ص ١٦ نقلا عن الثقافات الافريقية للاستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٨٦.

٥ - من وسائل البعثات التنصيرية اعداد أكبر عدد ممكن من المبشرين الأفارقة للقيام بمهمة التنصير . هذا الى جانب عشرات الالاف من المبشرين الغربيين ، فحوالي ٣٥ ٪ من البعثات التنصيرية البروتستنتية تعمل في افريقيا ولا تقل حصة البعثات التنصيرية الكاثوليكية عن هذا ، يضاف الى هذا العدد الكبير من البعثات التنصيرية الامريكية وفي زائير تشرف البعثات التنصيرية الكاثوليكية على ١٣ الف مدرسة ، كما تدير البعثات البروتستنتية ٧ آلاف مدرسة ،كما يوجد في زائير ١٥ الف بعثة تنصيرية ". (١)

٦ - ومن وسائل البعثات التنصيرية اعداد أجيال من الأفارقة للحكم عقب استقلال الدول الافريقية كي يستمر نفوذ هذه البعثات بعد الاستقلال . وقد نجحت في هذا الى حد ما بحيث أصبح جميع رؤساء الدول في غربي افريقيا ممن تثقف بالثقافة الغربية والأمر لم يزل كذلك الى اليوم . ولا يوجد أحد من بين هؤلاء الموجودين حاليا ممن عنده نصيب ولو قليل من الثقافة الاسلامية وان كان من أسرة مسلمة ، وقد نجحت البعثات التنصيرية في هذا المجال نجاحا باهرا..

لذلك لما قلنا سابقا - ان هؤلاء الرؤساء قد اختاروا العلمانية دستورا بدل العقيدة الدينية لتكون افريقيا - دوما وأبدا تابعة لأوربا .

---

(١) راجع الأقليات المسلمة ص ٤٢.

وهذا هو الواقع المؤسف الذى تعيش فيه افريقيا الغربية اليوم ولكننا مع هذه المؤامرات كلها من قبل المستعمرين وعملائهم الأفارقة نرجع فنقول :

" ان الاسلام ان كان هؤلاء استطاعو أن يقضوا على الناحية التشريعية منه ولكنهم لم يقضوا أبدا على عقيدته في المنطقة ، بل هناك مؤشرات تشير دائما الى أن مستقبل غربي افريقيا الديني للاسلام.

هذا ما نحاول الحديث عنه في الصفحات التالية .

المبحث الثالث : مستقبل غربي افريقيا الديني

اذا ألقينا نظرة عابرة على خريطة افريقيا نجد فيها كثيرا من العقائد البدائية تنتشر فيها كما تنتشر بها مجموعة من العقائد الوافدة في قمتها : الاسلام والمسيحية .

وقد تحدثنا في الباب الأول عن العقائد البدائية وقد أشرنا هناك الى أن بعض العقائد البدائية في غربي افريقيا بصفة خاصة تقديس ظواهر الطبيعة وأرواح الأجداد والأسلاف أو تقديس الأرواح الوهمية الغامضة أو تقديس الأبطال والرؤساء أو بعض الحشرات ، كالثعبان مثلا أو بعض الحيوانات كالتمساح أو الأسد وغير ذلك ..

هذه هي أهم الأديان الموجودة - حاليا - في غربي افريقيا خاصة ويمكن أن نبسط النمط الديني في افريقيا عامة في خطوطه العريضة بأن نقسم القارة كتلتين : اسلام في الشمال ووثنية في الجنوب . أما المسيحية فلا زالت ظاهرة محلية . وظاهرة ساحلية طارئة ...

ولكن لما كانت الوثنية نوعا من اللادينية أكثر منها دينا أو هي دين بالمعنى السلبي فان الصورة تصبح في النهاية صورة قطب موجود في الشمال يزحف باطراد على القطب السلبي في الجنوب .

والدليل على ذلك أن الاسلام المدارى أوفي جنوب الصحراء كما يسميه البعض وهولا يزال يتوسع توسعا سهلا بعيد المدى حتى استطاع أن يضاعف نفسه في العشرين سنة التي بين (١٩٣١ و ١٩٥١ م)

وهو بهذا يكون حربا صامتة تكتسح القارة (١) باذن الله تعالى .

وعلاوة على ذلك لا تمر جمعة هناك الا ويعلن فيها بعض الوثنيين اسلامهم في المساجد ولكننا ما رأينا هناك أحدا انتقل من الاسلام الى الوثنية أبدا . (٢)

بل ان هذا القطاع من القارة الافريقية نطاق أغلبية مسلمة حاليا ، ذلك أن حصة المسلمين في العديد من دولة تصل الى قرابة نصف السكان أو قد تتجاوز هذا القدر في بعض دوله وفي البعض الآخر المسلمون أقلية لها شأن ، مثل غانا وبنين وليبيريا تقرب من حد الأغلبية وتصل حصة الاسلام في دول غربي افريقيا عامة الى ٨ر٤٥ ٪ من جملة سكان هذا القسم من افريقيا ولا يشمل هذا نيجيريا . فلا جدال أن المسلمين بها أغلبية ساحقة ويجب قياس حصة المسلمين بالديانتين المسيحية والوثنية حيث الوثنية ما زالت تشغل حصة في جنوب القارة بصفة خاصة وفي بعض أماكن القارة بصفة عامة.

---

(١) افريقيا الجديدة ، الدكتور جمال حمدان ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
وراجع موسوعة التاريخ الاسلامي ٤٧/٦ المصدر السابق بتصرف.

(٢) مستفاد من البحث الميداني سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ولكن اذا طبقنا هذا على دول غربي افريقيا نجد الاسلام دين الأغلبية ذلك أن الاحصائيات تنسب حصة المسلمين الى مجموع السكان وهذا لا يمثل الواقع فالعديد من الباحثين يعتبر غربي افريقيا مجالا للديانتين : الاسلامية والنصرانية يتجاهل حصة الوثنيين فمثلا يشكل المسلمون ٤٥ ٪ من سكان بنين وليس معنى هذا ان النسبة الباقية وقدرها ٥٥ ٪ من نصيب المسيحيين وحدهم . فيشاركهم في هذا القدر الوثنيون ، فحصة الوثنيين من هذه النسبة ٣٠ ٪ وهذا يشير الى أن الاسلام دين الأغلبية رغم أن نسبته تقل عن ٥٠ ٪ ويمكن تطبيق هذا على معظم دول غربي أفريقيا .

وتشير المصادر الأوربية دائما الى المسلمين بدول غربي افريقيا على أنهم أقلية ، وأقلية ليست لها أثرها الفعال في حجم السكان .(١)

ومعلوماتنا من البعثات التنصيرية ، وهذه تتعمد تقليص حصة المسلمين لتجعل منهم جماعات لا شأن لها في تسيير دفة الأمور في البلاد وتبالغ في حصة المسيحيين أو الاثنيين ، والهدف دائما غبن المسلمين . وهذه قضية كثر الجدل حولها فليس كل ما يكتب عن المصادر الغربية صحيحا بل يجب أن يوضع في منزلة الشك فالأهداف واضحة

---

(١) الأقليات المسلمة في افريقيا السنة الرابعة العدد ٤٢ رمضان ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م سلسلة شهرية تصدر في مطلع كل شهر عربي عن ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامي ص ٢٦٩ بتصرف طفيف .

ولعل في هذا الاحصاء تبيان للحقيقة وقد بنيت أرقامه على أكثر الاراء الاسلامية :

الدولة	عدد السكان	المسلمون	نسبة المسلمون
موريتانيا	١ ٤٠٧ ٠٠٠	١ ٣٥٠ ٧٠٠	٩٩ ٪
مالي	٦ ٩٠٦ ٠٠٠	٤ ٦٤٢ ٠٠٠	٦٦٪
السنغال	٦ ٦٦٣ ٠٠٠	٤ ٦٤٢ ٠٠٠	٨٢٪
غينيا	٥ ٠١٤ ٠٠٠	٣ ٥٠٩ ٨٠٠	٧٠٪
النيجر	٥ ٣٥٤ ٠٠٠	٤ ٥٥٠ ٩٠٠	٨٥ ٪
سيراليون	٣ ٤٧٤ ٠٠٠	١ ٧٣٧ ٠٠٠	٥٠ ٪
ليبريا	١ ٨٧٠ ٠٠٠	٥٩٦ ٣٠٠	٣٣٪
ساحل العاج	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٥ ٢٠٠ ٠٠٠	٦٥ ٪
غانا	١ ٤٥٠ ٠٠٠	٤ ٥٨٠ ٠٠٠	٤٠ ٪
توجو	٢ ٤٧٢ ٠٠٠	١ ٢٣٦ ٠٠٠	٥٠ ٪
بنين	٣ ٥٦٠ ٠٠٠	١ ١٥٥ ١٠٠	٤٥ ٪ (١)

وسنعود الى هذا الموضوع في الملاحق ان شاء الله تعالى مع اضافات
ت اضافات جديدة ومقارنات مفيدة .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٠.

هكذا تتضح حصة المسلمين بدول غربي افريقية من وجهة نظر ا المصادر الاسلامية المعتدلة وتشير النسبة العامة للمسلمين على أنهم أغلبية في غربي افريقيا حتى في الدول التي كانت تعتبر أقلية . وذلك اذا قورنت هذه النسبة بحصة المسيحيين والوثنيين .

وتبرز في هذا القطاع من القارة الافريقية عدة تحديات منها الصراع التقليدى بين المنصرين والاسلام ، فلقد ركزوا جهودهم في هذا النطاق منذ مدة بعيدة تقرب من قرنين الا أنهم أحرزوا نجاحا محدودا بين الوثنين بغربي افريقيا لا يتناسب مع ما بذل من جهد ذلك أن هذا القطاع أكثر مناطق افريقيا تعرضا للنزيف البشرى والذى قام به النخاسون الأوربيون في أيام احترافهم تجارة الرقيق تحت حس وسمع رجال الكنيسة بل كان القساوسة يعمدون اولئك المساكين المكبلين بالأغلال قبل نقلهم - كما قلنا سابقا - لذا ارتبطت المسيحية في ذهن سكان غربي افريقيا بظلم تجارة الرقيق ولما دعم الاستعمار المنصرين زاد نفور الأفارقة من البعثات التنصيرية ، يضاف الى هذا عامل أهم تأتي من ارتفاع نسبة المسلمين وظهور بعض المصلحين في كل فترة من فترات تاريخ هذا القطاع من العالم الاسلامي .

لذا كانت حصيلة التنصير ضئيلة في غربي افريقيا .

ان هذا دليل واضح أن الاسلام دين المستقبل في افريقيا ،

وقد يقول قائل : كيف ذلك والمسيحية موجودة ولم يزل رجالها يخططون لنشر العقيدة النصرانية بل اتخذوا شتى الوسائل لهذا الغرض ؟؟

فنبادر فنقول : لست أنا الذى أقول بهذا القول وانما هو قول جل الباحثين الذين بحثوا عن أحوال الأديان في افريقيا فاليك فيما يلي بعضا من أقوالهم ..

وقد أورد الكاتب الأوربي (بارندر جيوفرى) بحثا في هذا الموضوع فهو يمثل الدقة الى حد بعيد وفيما يلي كلماته :

" يبدو أن المستقبل للاسلام لا للمسيحية في افريقيا الغربية والساحل الشرقي اذ يبدو الاسلام هناك دينا ليس غريبا ، ولكن عدة دول أعلنته دينا لها وأصبح الاسلام طابع السكان ، وليس للمسيحية نفوذ كبير في منطقة الشمال والمنطقة السودانية (غربي افريقيا) ويقتصر نفوذها على الحبشة أما في الجنوب من خط الاستواء وفي جنوبي افريقيا فتوجد الوثنية في الداخل والمسيحية على الساحل وبين البيض ، وهذا لا يضمن لها مستقبلا سعيدا لوقوفها موقف الصراع ضد أصحاب البلاد .." (١)

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي ٦/ ٥٤

ويتحدث الأستاذ المؤرخ الاسلامي الشهير الدكتور أحمد شلبي عن هذا الموضوع اذ يقول :

" أما عن مستقبل افريقية الديني فيكاد يكون محتوما أن الاسلام هو دين المستقبل .. وهو يبدو للافريقيين " دينا قوميا أو دينا افريقيا آسيويا " ولكن المسيحية تبدو لهم دين البيض أو دين الاستعمار وكل شيء يشير الى أن الاسلام هو دين المستقبل في قارة المستقبل ، وربما سجل التاريخ قريبا أن تحرير افريقيا كان معناه أكبر موجة حديثة في انتشار الاسلام وستصبح قريبا قارة الاسلام كما أن محيط الهندى محيط الاسلام."

وأشار (W.H) الى هذه النقطة بالذات الا أنه ركز كلامه على أسباب اقتحام المسيحية في افريقية وعلى أسباب فشلها وعبارته :

" سبب اقتحام المسيحية في افريقية يرجع الى أن الغرب أدرك أن الدين من أقوى الروابط بين البشر وأنه يفوق في هذا المضمار علائق الدم والجنس والوطن فاتخذ المسيحية وسيلة ليربط بعجلته سكان آسيا وافريقية ..ولكن التفرقة العنصرية وبعد المستعمر في سلوكه عن الأديان قلل من انتشار المسيحية ولم يجعلها تقاوم الاسلام في مجال الانتشار والذيوع . ومن أجل هذا فاحتمالات المسيحية بافريقية ضعيفة لجمودها و تناقضها الداخلي ولما بها من مركبات النقص . وكذلك لانحسار الاستعمار الأوربي عن افريقيا لأن المبشرين كانوا ظلالا للاستعمار وأخذ هؤلاء ينحسرون معه ". (١)

---

(١) المرجع السابق ص ٥١.

W.H. Islam and nationalism in Africa p.76.

ويعطي (جورج نيمبل) مزيدا من التفاصيل عن المسيحية بافريقية ملما بالأسباب التي جعلتها غريبة بهذه القارة ضعيفة التأثير على سكانها ومنه نقتبس بعض عباراته توضح رأيه ، اذ يقول :

" قامت بعثات تبشيرية بما فيها أتباع القديس بولس بالدعوة لفكرة أن الأرض ليست دار البقاء وأن مستقبل الانسان في السماء . . ولكن هذه الدعوة كانت أبعد ما تكون في سلوك الانسان الأوربي ثم ان المثقفين من الأفارقة نظروا لهذه الدعوة على أنها متجهة للافريقيين فقط ، لضمان خيرات الأرض للأوربيين .

وزاد قائلا :

" وهناك أعمال قام بها بعض القسس فأثارت الافريقيين على المسيحية أو قل على ديانة البيض كما كانت تسمى أحيانا . فقد روى أن قسيسا ضحل الفكر كان يهتدى بكلام يثير الأحرار بالقارة اذ كان يتساءل :

" أين اللون الأسود في النبات والأشجار والبحر ، هل رأى الانسان ماء أسود أو زهرا أسود ؟ ؟ [1]

---

(١) ولسنا في حاجة لمناقشة هذا القسيس الذى أظهر جهله وسوء طويته . . الا أن نقول من مزايا ديننا الاسلامي الرباني أن حارب أمثال هذه الفكرة الشنيعة ولا نذهب ببعيد فأمامنا قصة أبي ذر الغفارى مع خادمه الأسود فقد ورد في الحديث الصحيح أنه :
" قد سمع الرسول صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفارى يصيح في
===

وكان من نتيجة الاتجاهات الكنسية واتجاهات القسس ضد الوطنيين وتقاليدهم بافريقيا ان قام الزعيم الافريقي المسيحى الكيني (كاجيا) بتأسيس كنائس افريقية تخلصا مما يعرف بالمسيحية الأوربية التي أطلق عليها الدين الأجنبي . وقد وضع (كاجيا) لكنائسه الأسس الآتية ::

١ - أن تكون افريقيا خالصة مستقلة تماما من السيطرة الأوربية.

٢ - تطهير الكنيسة من الرجس الأوربي الذى قد تم للافريقيين على أنه جزء من التعاليم الدينية .

٣ - الغاء جميع الأسماء الأجنبية والعودة الى الاسماء الافريقية .

٤ - احترام التقاليد الافريقية .

٥ - الدعوة الى انتشار هذه الكنائس في كل افريقية.

=== خادمه : يابن السوداء . فانطلق صوت الرسول صلى الله عليه وسلم يصحح هفوة أبي ذر ولكن في حزم وعنف ، قال له عليه السلام طف الصاع طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بعمل صالح " وتعلم أبو ذر هذا الدرس من الرسول فألصق خده بالأرض وقال لخادمه قم فضع قدمك على خدى ، وكما تعلم أبو ذر هذا الاتجاه تعلمه المسلمون وساروا على هديه من مطلع الاسلام حتى الان وكان هذا الموقف من المسلمين وذاك الموقف من البيض/ المستعمرين أكبر الأثر بالنسبة للاسلام والمسيحية بافريقية .

وسرعان ما انتشرت هذه الكنائس حيثما وجد المسيحيون ، والتحق بها الافريقيون أفواجا وهددت الكنائس الاوربية التي لم تكن تهتم بنشر المسيحية بمقدار اهتمامها بخدمة الاستعمار . راحت هذه القوة تلاحق (كاجيا) وأتباعه وألقت بالكثير منهم بالسجن وحاربت الكنائس الافريقية حربا طويلة . فضياع المسيحية كان أيسر في نظر بريطانيا من مسيحية تأخذ الطابع الافريقي أى من مسحية لا تخدم الاستعمار.(١)

هكذا تبين لنا من خلال تلك الاقوال أن مستقبل غربي افريقيا الديني يكون للاسلام . وليس معنى ذلك أن الوثنية والمسيحية تزولان زوالا كليا عن مسرح الحياة . ولكننا نقصد أن الاسلام سيتغلب عليهما فكريا وعدديا وسيصبح بذلك الاسلام دين القارة الافريقية .

وقد جاء في تقويم البلدان الاسلامية ما يوضح هذه الفكرة . فقد ورد فيه ما يلي :

" ان افريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة من بين قارات العالم لأن (١٥٠) مليون نسمة من مجموع السكان الذين يبلغون ٢٣٥ مليونا من المسلمين وهناك ٢٢ دولة مستقلة بافريقيا معظم سكانها من المسلمين وذلك من بين ٣٦ دولة مستقلة بافريقيا ، هذا بالاضافة الى انتشار الاسلام انتشارا كبيرا بين دول تجعل المسيحية طابعها لأن حكامها من المسيحيين ."(٢)

---

(١) راجع Tropical Africa p.5

وكذلك : Jack woddis Africa The Roots of revolt p. 485.

(٢) تقويم البلدان الاسلامية ص ٢ .

ويقول توماس أرنولد :

" ان الاسلام ينتظم ثلثي قارة افريقيا بما فيها من مختلف القبائل وشتى الأجناس ". (١)

وهكذا كانت التيارات الفكرية الوافدة من أوربا بشعة وكريهة وقد بذل أصحابها كل ما في وسعهم للقضاء على الاسلام في المنطقة، ولكن الله أطفأ نار هذه التيارات المتأججة تحقيقا لقوله تعالى :

* هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . (٢)

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ٣٦٥.

(٢) سورة التوبة / ٣٣ وقد وردت هذه الاية في سورة الفتح أيضا ولكن ختام الاية هو : (وكفي بالله شهيدا) الاية ٢٨.

الفصل الخامس

تيارات فكرية نابعة من البيئـــــــة

يشتمل هذا الفصل على المبحثين التاليين :

المبحث الأول : فئات شيوخ في المنطقة .

المبحث الثاني : مظاهر الانحراف في المنطقة .

الفصل الخامس

تيارات فكرية نابعة من البيئة

مقدمة :

قد تحدثنا في السطور الماضية عن أهم التيارات الفكرية التي وفدت مع الاستعمار من أوربا والتي تحارب الاسلام اليوم محاربة لا هوادة فيها هنا وهناك. ونحن بصدد الحديث - الآن - عن أمور قد استغلها الاستعمار لتشويه سمعة الاسلام في المنطقة، وابرازه في صورة غول بشع يطارد الناس في حركاتهم وسكناتهم.

الحقيقة، ان هذه الأمور، لو لم تكن هناك يد استعمارية خفية تؤجج نارها ما كانت لتؤدى - بحد ذاتها - الى محاربة الاسلام ومعاداته. ولكن أصحاب الغزو الفكرى اتخذوها سندا قويا لتشويه الاسلام حتى أصبح في صورة، يستحي كثير من أصحاب الثقافة الغربية من أن يصرحوا أمام زملائهم أنهم مسلمون. بل يستحيون أيضا من أن يرتدوا الزى الاسلامي (١)، من الثوب الفضفاض المتعارف عليه لدى المسلمين شرقا وغربا، فما هي هذه الأمور اذن ؟؟

الجواب : انها هي الخرافات والبدع التي لصقت بالاسلام في المنطقة من قبل طائفة من الشيوخ الذين يتعاطون الطلاسم والتمائم أو ما يسمى بعلم الأسرار.

---

(١) من المعلوم أنه لم يرد نص صريح يلزم المسلم أن يتقيد بزى معين ولكن الاسلام قد نهانا نهيا صريحا عن التشبه بالكفار في أمور منها اللباس. ولا يخفى على أصحاب الذوق السليم أن للكفار في هذا الزمان وغيره لباسا خاصا يرتدون به ولا يقبلون بحال من الأحوال أن يلبسوا ما يلبسه المسلمون من الثوب الفضفاض المتعارف عليه قديما وحديثا. اذا كان هذا هو موقف الكفار من ألبسة المسلمين فكيف لا يرفض المسلم أيضا أن يتشبه بهم لأجل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تشبه بقوم فهو منهم) والعياذ بالله تعالى.

هذه هي الأمور الفظيعة التي اتخذتها السلطات الاستعمارية ورجال الكنيسة سندا لتشويه سمعة الاسلام وابرازه في هذه الصورة البشعة لنتحدث اذن عن فئات هؤلاء الشيوخ .

*

المبحث الأول

فئات الشيوخ في المنطقة

فقبل أن نتحدث عن هذه الخرافات والبدع التي دنست العقيدة الاسلامية في هذا القطاع من العالم الاسلامي ،يجب أن نشير الى حقيقة قد تخفى على كثير من الناس ان سكتنا عنها وهي :

ان طائفة الشيوخ في هذه المنطقة تتركب من فئات عديدة ،لأن هذه الكلمة - كلمة الشيوخ (أو كراموكو) تطلق على كل من هب ودب ،ففيها الصالح كمافيها الطالح . واليك بيانا لفئاتهم ..

الفئة الأولى : وقد تحدثنا في الباب الثاني عن الشيوخ ذوى القيمة العالية، علما وعملا وورعا ،وقد ذكرنا هناك بعض مزاياهم من التمسك بتعاليم الاسلام والدعوة اليها والوقوف الصامد أمام التوغل الاستعمارى .

وهذه الفئة من الشيوخ فئة مثلى من بين طوائف الشيوخ في هذه المنطقة لما أدت من دور تاريخي فعّال . ولم تكن هذه الفئة تركن الى الاستكانة والكسل والتواكل بل كانوا يعتمدون -بعد الله -على الزراعة والتجارة الرابحة مع القيام بمهمة الدعوة و تربية النشئ وقد مثلنا هناك (بالحاج كراموكوصالح باما) البندوكوى مولدا ودبكلوى مسكنا الذى استمات في نشر الدعوة الاسلامية في بلاد جيمنى وما حولها حتى دخل الكثيرون في الاسلام قبل أن يموت في سنة ١٩٥٨م . ان هذا الشيخ الموفق مع استماتته في سبيل انجاح الدعوة الاسلامية هناك كان يأخذ بالأسباب المشروعة

وبالوسائل المعروفة العادية الطبيعية . وقد أثنى عليه الكاتب الفرنسي هوعميه (باباباما وبيما باما) بقوله : " انهم فتية يتصفون بالهدوء والأدب الرفيع والضبط في الأمور ". (١) وقد وجد في المنطقة كثير من هذا الصنف من الشيوخ المعتدلين لا يتسع المكان لذكر أسمائهم واليك فيما يلي نموذجا منهم :

كراموكو بصرى (Karamoko Bissiry)

مات في الأربعينات من هذا القرن وهو من مشاهير العلماء في غربي أفريقيا وكان منزله في مدينة بواكي مأوى المغتربين ، ويرجع أصله الى مدينة كونغ وكذلك (كراموكوالامام كونان دى) ،و (كراموكوفابكرى) ،و(كراموكوماما) ، و (الحاج اسحاق باما) و (كراموكوعبد الرحمن وترا) ،و (كراموكوباادو) ، من علماء بندوكو (ساحل العاج) وكراموكوالحاج قدس الذى عاش ١٣٩ سنة (ت ١٩٨٨م) وهو في خدمة هذا الدين ، وكذلك (كراموكوفيرى - ميرى) و (كراموكويحيى) ،و (كراموكوسناس غراموتى) و (كراموكو ماقامة) ،من علماء مدينة (بورلا) ساحل العاج .

وكذلك (كراموعثمان سيلا) ،و (الحاج أمدو سيلا) من علماء مدينة (وجيني) ساحل العاج . وكذلك (كراموكوأحمد والصاوى) وغيره من علماء قبائل (كوياغا) وطوبا (ساحل العاج) .

وكأمثال الشيخ (دمباواغى) والاستاذ (سعدا) من علماء مدينة سيغو(مالي) و (كراموكومافنى - كابا) وغيره من علماء غينيا .

---

(١) Ce sont des Jeune gens tranquilles et corrects Voir etude sur l'Islam en cote d'Ivoire , Paul Marty p. 204.

وقد تحدثنا عن هذا الشيخ في الباب الثاني راجع هناك.

وكأمثال الشيخ (باموای) وغيره من علماء (فلتا العليا) (١) ، وأخيرا كأمثال (الحاج مالك سـى) وأضرابه من علماء السنغال (٢) . ان هؤلاء الشيوخ وأمثالهم هم الذين صنعوا تاريخ غربي أفريقيا الحديثة أعني من أيام الاستعمار الفرنسي الى اليوم. ولهم الفضل بعد الله - في نشر تعاليم الاسلام في المنطقة ولم يزل تلاميذهم يواصلون المسير الى اليوم وجزاهم الله خير الجزاء عن الاسلام في هذا القطاع من العالـم الاسلامي .

الفئة الثانية : وبعد .. مع الأسف الشديد هناك فئة أخرى من الشيوخ تتعاطى الطلاسم وما يسمى بعلم الأسرار . وقد تطور هذا العلم المزعوم في غربي افريقيا تطورا خطيرا جدا الى درجة استحالة العثور على متعلم بالعربية دون أن يشتغل به بشكل أو بآخر ويسمى هذا العلم في اللغة الفرنسيـة (/ Maraboutage) استخفافا من شأنه وازدراء من الاسلام. ومن مساوىء هذا العلم المذكور ولست أدرى ان كانت له محاسن أن الاهتمام به يفضي الى تدني دراسة وفهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه يصرف المعتنين به - كليا - عن الاشتغال بالعلم الذى يسمونه بعلم البيان أو العلم الظاهر احتقارا من شأنه.. ولا يصرفهم هذا العلم عن دراسـة كتاب الله فحسب بل يصرفهم عن مجرد قراءة كتاب الله عز وجل لانكبابهـم على ترديد الأدعية الصوفية والتراتيل الصوفية التي تشغلهم عن دراسة شئون دينهم .

---

(١) تسمى الآن (بوركينا فاصو).

(٢) مستفاد من البحث الميداني حول هذه الدول سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م بحيث التقيت ببعض هؤلاء الشيوخ أو بمشاهير طلابهم الذين ماتوا منهم.

وأكبر دليل على ذلك تجد الواحد منهم يواظب (ليل نهار) على قراءة كتاب (دلائل الخيرات) هذا الكتاب الخرافي الصوفي للجزولي ، يواظب على قراءته الى حد الحفظ في الوقت الذى يستنكف عن تلاوة كتاب الله عز وجل ولا يعرف عنه شيئا .

وزد على ذلك أيضا أن هذه الفئة تركن دائما الى الاستكانة والكسل والتظاهر بالتقوى والزهد مع تدبير الحيل للاستيلاء على أموال الناس بالباطل (١) .

وينعدم عند هذه الفئة من الشيوخ استعداد عقلي أوروحي . فحياتها في ذلك المستوى السخيف جعلتها بعيدة عن كل عمل نبيل وشريف فضلا عن هذا العمل التافه . .

واليك فيما يلي وصفا موجزا عن سلعة هوءلاء الشيوخ التافهة :

أ - بعضهم يكتبون خواتم بمواصفات خاصة على لوح مصنوع من خشب خاص وبمداد خاص مصنوع عندهم وبقلم معين معلوم عندهم يوءخذ من شجرة كذا . . فلا فرق بين عملهم هذا وأعمال الوثنيين عُبَّادِ أرواح السلف ثم يمحون ما كتبوه على اللوح بالماء فيقدمونه لمن يوءمن بهذه الخرافة ليشربه أو يمسح به جسمه . . وهو يعتقد إعتقاداً جازما أن ذلك يضمن له الحماية من كل سوء، سواء من الناس أو الحيوانات أو الحشرات . وهكذا دواليك .

---

(١) راجع المسلمون في السنغال ،عبد القادر سيلا ص ١٢٥ بتصرف.

ب - وهناك نوع آخر من هذه الخرافات هو أن بعضهم يقتبس من القرآن آيات ثم ينسخها على صفحات قرطاس ويَخَيّطُه بنفسه ثم يعطيه الأطفال وأحيانا يغمس القرطاس في قطعة ماء فيشربه أو يغتسل به ، ويضيف الى ذلك شركياتٍ كثيرةً وتقاليدَ الوَثَنيين لا يتسع المكان لذكرها .

جـ - والبعض الآخر لا يكتب شيئا لا على اللوح ولا على الورقة وانما يكبّ قطرات من المداد في الماء ثم يقدم ذلك للمريض للعلاج قائلا (ان شاء الله تشفى) وهو يدرى أنه لم يجعل شيئا في الماء الا مجرد المداد .. هل بقي عند أمثال هؤلاء الناس أدنى شيء من خلق اسلامي أو نخوة اسلامية؟؟ (١)

د - وبعضهم يصنعون الأحجبة من بداية السنة الهجريـة ولا يوزعها على المؤمنين بها الا فـــي أول ليلة من المحرم التالي وان فتحت هذه التمائم فلا تجد فيها الا حفنة من التراب . ومع ذلك يبيعها بمبالغ باهظة ويتسابق الناس الى شرائها خاصة الليلة الأولى من محرم كل سنة .

وبعض التمائم عبارة عن قرن كبش مخيط في ثوب ذى لون مختلف مع عقد من حبات الودع .. يعلق ذلك على مدخل العائلة لأمنها ..

والبعض الاخر من هؤلاء الشيوخ يعلقون جرسا صغيرا على عنق الكبش الضخم الذى يملكه وذلك لحمايته من السوء .

---

(١) المرجع السابق بتصرف ص ١٢٥ .

هـ - ومنهم من يدعي معرفة علم الغيب - فيخبر الناس بالمغيبات ومثلا يقول لفلان : " يوجد في داركم رجل قصير ذو لون أسود انه يعاديك ويضمر لك السوء فحاذر منه " . فاذا بهذا المسكين اذا وصل في داره يبحث بشدة عن رجل قصير ذى لون أسود ، فاذا رأى أحدا في الدار بهذه الصفة يضمر له العداوة . . أو يقول له : " أنا أدرى ماذا تريدبي من سوء . ولكنك ان شاء الله تعالى لن تستطيع ضربي أبدا " فيستغرب هذا الرجل الأسود الخالي الذهن من ذلك فيقول له مستغربا : ماذا صنعت ؟ فيقول له : أسكت ! أنت تدرى ماذا تصنع جيدا . . فتارة يؤدى هذا الحوار الى مضاربة ومشاتمة فمقاطعة وهم من أسرة واحدة . لا لشيء الا أن هذا الشيخ أخبره بهذه الأوهام فعمل بمقتضاها . . وهكذا دواليك .

ان مثل هذه الأمور لا تحتاج الى أى دليل لأنها شائعة في كل مكان من هذه المنطقة ، وهكذا تقع الأسرة الواحدة في التباغض بسبب هذه الخرافات . .

و - هناك علم أو خرافة تُدْعَى دُوغَا - نَانْتَا (Douga-Nanta) وصفتها :

أن يُغْمِضَ الشيخ عينيه ثم يرمي الخاتمَ من أحد بنانه وينوى عند رميه مكاناً فلانياً . واذا فتح عينيه يجد نفسه في المكان المذكور . ان هذا الاعتقاد الفاسد لم يزل سائداً في عقول الناسِ في المنطقة .

والجدير بالذكر انه توجد عندهم كتبٌ عربية مطبوعة في مصر وتونس والمغرب تستخدم لهذا الغرض . أشهرها شمسُ المعاروفِ الكبرى

ان هذا الكتاب قد جمعوا فيه جميع الخرافات التي سموها بعلم الأسرار . ان هذا الكتاب يوجد في مكتبة كلٍّ من هؤلاء الشيوخ المزعومين وهو المعتمد عندهم مثل القرآن والسنة عند أهل الاسلام الحقيقيين .

وعندهم كتاب آخر مطبوع في المغرب يسمى قرعة الأنبياء . وهو كتاب خرافي أيضا . ومهمّتهُ أن يَدُلَّ الشيخَ على معرفة المغيبات وهو يحتوى على أبواب كثيرة يحمل كل باب منها اسمَ نبيٍّ من الأنبياء ويتم استعماله على النحو التالي :

تُقرَأُ الفاتحةُ ثلاثَ مراتٍ ،ثم تُغمَضُ العينان بعد فتح الكتاب /ويضع الشيخ بنانه الوسطى على احدى الخانات ،وتكون هي السهم . ومن ثمة تقرأ الباب .

ويوجد في الأبواب أهم ما يشغل بال العامة : ان كنت تسأل عن زواج فشأنه كيت وكيت . وان كنت تستفسر عن مشروع سفر فأمره كذا وكذا وهكذا دواليك .. (١)

وعلاوة على ذلك ان هؤلاء يدعون رؤية الجن وتسخيرهم فيما يحبون من الأعمال . كما تدعون أنهم يستطيعون أن يطردوا الجن عمن أصيب بذلك . كما في استطاعتهم أن يتدخلوا في إخصاب الأرض

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٦.

وجلب الأرزاق وإكثار النسل وإزالة العقم والوقاية من شر الحساد وحماية المجرمين والحيلولة دون دخولهم في السجون حتى ولو اقترفوا أكبر الجرائم وأفظعها .

بل يَدَّعِي بائعو الطلاسم أن بعضها يحصن حامله من أن يؤثر فيه السلاحُ ..

وبعضُهم يعطون للمرأة بعض هذه الطلاسم لتكون محبوبة عند أهل الفسق والفساد ولو كانت هذه المرأة متزوجةً .. فالمهم عند هذا البائع للطلاسم أن يجمع المال بأية وسيلة .. وهذه الأمور كلها حقيقة واقعة ولم تزل موجودة في المنطقة الى الآن ..

ومن المضحكات المبكيات أن تجد بعض هؤلاء الشيوخ يذهبون الى القرى الوثنية لا لقصد الدعوة الى دين الله ولكن ليأكل أموال الوثنيين بهذه الطرق الشيطانية فاذا نزل أحدهم في القرى الوثنية ترى الجموع يهرعون الى بابه ليطلبوا منه التمائم والتعاويذ ولكشف المستقبل والغيب . فاذا هو يستعين بالرمل . وهو عبارة عن خطوط مركبة من النقاط تحلل وتقرأ ثم تفسر بعد النقط .

ثم بعد ذلك يقدم لكل واحد من هؤلاء الوثنيين ما يريده من التمائم ليجعلوها حول الخاصرة،بعضها مخيطة في جلد أسد أوفي جلد نمر أوفهد . أوفي جلد ضبع أوثعلب أوجلد وعل أوفيل .

على أنه في بداية هذه الممارسات المنافية لكل عقل سليم ودين صحيح، يدخل الطرفان (الشيخ والوثني) في مساومة حول الأجر الذى يدفعه الوثنى له بعد التمام.. فاذا اتفقا على أجر معين فيجب على

الوثني أن يدفع له عربونا مقدما بشرط أن يكون /ذلك العربون خارجا عن الأجر المتفق عليه . وهذا العربون يسمونه بلغة ماندى (كَارَاتَا -سَا رَا) معناه : أجرة أخذ القلم . أى ان هذا القلم المقدس لا يمكن أن يتحرك الا بأجرة خاصة .. ان هذه الأمور التي سقناها هنا ،معروفة لدى جميع سكان هذه المنطقة ولا يختلف في إثباتها إثنان ..

هذه بعض الخرافات التي تسود غربي افريقيا في الوقت الراهن والتي اتخذه رجال الكنيسة سنداً لتشويه سمعة الإسلام في المنطقة فيقولون إن كان دين محمد حقاً فكيف صَارَ أتباعُه الى هذه الدركات من الانحطاط والانحدار ؟؟

وكيف صاروا عاطلين عن العمل الانتاجي حيث لا يساهمون الا في تقهقر البلاد اجتماعيا واقتصاديا وفكريا .. ؟؟

تلك هي الضربات القاسية التي يوجهها رجال الكنيسة ضد العقيدة الاسلامية في المنطقة . ويأخذون سندهم من تصرفات هؤلاء الشيوخ الذين أساءوا الى أنفسهم .والى دينهم والى جميع المسلمين فكان لزاما علينا- اذن - أن نبادر فنقول ان هذه التصرفات ليست من دين الله في شيء بل ان الاسلام قد حارب أمثال هذه التصرفات محاربة شديدة ، (إِنَّ السبب في وجود أمثال هذه الخرافات في المحيط الاسلامي بالمنطقة فانه يرجع أولا وآخرا الى انحراف المسلمين عن الفهم الصحيح للاسلام..

وعلى سبيل الاجمال يمكن أن نقول : اذا كانت العلمانية قد ظهرت في أوربا نتيجة لطغيان رجال الكنيسة وتحريف العقيدة

والعبادة لديهم. فان التيارات الفكرية الهدامة قد أثرت في المسلمين في هذه المنطقة نتيجة انحراف المسلمين عن الفهم الصحيح للاسلام حتى أصبح بعض المسلمين أضحوكةً لدى رجال الكنيسة بسبب تصرفات هذه الفئة المتدنية من الشيوخ..

هذا يقتضي اذن أن نتحدث ولو بايجاز عن مظاهر هذا الانحراف في الأمة الاسلامية بغرب افريقيا ،ليعلم العالم ومعهم أوروبا .

ان هذه الحالة المتدنية المنهارة التي صار اليها هؤلاء الشيوخ ليست من دين الله. وليست عيبا للعقيدة الاسلامية وانما العيب يرجع الى المعتقدين بهذه الخرافات والأوهام والترهات .

وأما الاسلام فهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يقول تعالى : ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾.(١)

فالاسلام محفوظ بكتاب الله والسنة النبوية الصحيحة وسيبقى محفوظا الى يوم القيامة.. ولا يضره انحراف المنحرفين .

فلنتحدث عن مظاهر هذا الانحراف الفظيع فيما يلي :

---

(١) الحجر / ٩ .

المبحث الثاني

مظاهر الانحراف في غربي أفريقيا

ان الحديث عن هذا الانحطاط الذى صار اليه هؤلاء الشيوخ ومن لف لفهم في المنطقة ، حديث طويل ومتشعب ، ولكن السمة الواضحة في ذلك الانحطاط ذلك الذى يجعلهم يتدنون عن مستوى الانحطاط السابق الذى تحدثنا عنه عند الحديث عن الصوفية. هو الانحراف عن الفهم الصحيح للاسلام نفسه وانحسار مفهوماته التصورية في معان ضيقة ومدلولات محدودة وهذا الانحراف هو نتيجة وسبب في آن واحد.(١)

قد رأينا فيما سبق أن الأمة المسلمة في هذه المنطقة على عهد الرعيل الأول من (كنكا موسى) (وأسكيا محمد تورى) ، قد ارتفعت الى مستوى هذا الدين في عقيدته وعبادته ، وارتفعت الى قمة شاهقة في التطبيق العملي لتعاليم هذا الدين وقيمه وتوجيهاته في واقع حياتها ..

واستمرت حياة هذه الأمـــة هكذا مدة لا تقل عن ستة قرون متتالية اعتبارا من القرن الحادى عشر الى القرن السادس الميلاديين .

استمرت هكذا في الحياة الاسلامية حيث يُطَبَّقُ فيها الكتابُ والسنةُ حتى وقعت في حروب أهلية وخاصة الحرب التي دارت بين المغاربة والسودان والتي كانت السبب الأول لتدهور المنطقة بحيث قتل كثير من العلماء وأُقتِيدَ البعضُ الآخر الى مراكش ليحكم فيهم أحمدُ المنصور الذهبي كما نُقلتْ جُلُّ الكتبِ الى مكاتبِ المغرب .(١)

---

(١) توجد حتى الان بعض هذه المخطوطات السودانية في دار الأرشيف في الرباط وفي مكاتب مراكش العامة وقد صورنا بعضها أثناء الرحلة الميدانية التي قمنا بها لاعداد هذا البحث سنة ١٤٠٥هـ/

من هنا بدأ الانحراف عن التعاليم الاسلامية الصحيحة . وبدأت الخرافات تتسرب الى المحيط الاسلامي بسبب غياب السنة المطهرة ، هذا ما صوره لنا المؤرخ السوداني(محمود كعت) اذ يقول : " ولما أجلاهم (أهلَ السُودَان) القومُ (أهلَ المغرب الغزاة) وارتحلوا صارت تنبكت جسما بلا روح وانعكست أمورها وتغير حالها وتبدلت عوائدها ورجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها وساد أرزلها على عظمائها .. وباعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعطل أحكام الشريعة وأميتت السنة وأحييت البدع ولم يبق فيها من يتمسك بالسنة ولا من يسير على منهج التقوى ".(١)

هكذا صارت البلاد بعد الغزو المغربي لها في نهاية القرن السادس عشر الميلادى فتدهورت حالة البلاد السياسية والاقتصادية وحلت الفوضى والخراب محل الأمن والطمأنينة.فهذه تمبكت التي كانت منارا للعلم والأدب - وقد فصلنا القول في ذلك سابقا - وكان أهلها يتحلون بفضائل الأخلاق آلت الى بؤرة للفساد ومكانا للضلال . لا لشيء الا أن المنصور أراد أن يضيفها الى خلافته في المغرب ..(٢) فغابت آخر امبراطورية إسلامية في غربي افريقيا وهي امبراطورية (صنغاى) .

----

(١) تاريخ الفتاش ص ١٧٥ وراجع ما كتبناه سابقا .

(٢) العلاقات ، الشيخ عوض الله ص ١٢١ بتصرف .

فلنستمع أيضا الى السعدى المؤرخ السوداني الثاني اذ يقول :

" فوجدت هذه الحملة أرض السودان يومئذ من أعظم أرض اللـــه تعالى نعمة ورفاهـــية وأمنا وعافية في كل جهة و مكان ببركة ولايـة أميـــر المؤمنين أسكيا الحاج محمد ... من عدله وشدة حكمه الشامل العـــام الذى كما ينفذ في دار سلطنته كذلك ينفذ في أطراف مملكته .. فتغير الجميع حينئذ وصار الأمن خوفا والنعمة عذابا وحسرة والعاقبة بلاء وشدة ودخل الناس يأكل بعضهم بعضا في جميع الأمكنة طولا وعرضا بالاغارة والحرابة على الأموال والنفوس والرقاب فعم الفساد وانتشر وبالغ واشتهر." (١)

نستنتج من مصادر تاريخ السودان أن دولة سنغى كانت تعيش في رخاء اقتصادى وأمن وسلام ، ولم يكن هناك ما يعكر صفوها ، غير أن الغزو المراكشي للسودان حَوَّلَ الأمنَ والطمأنينةَ الى خوفٍ ووحشـــةٍ ، والرخـــاءَ الاقتصاديَّ الى خرابٍ ودمارٍ .. وعلاوة على ذلك فقد قضى هذا الغزو على دُورِ العلم والمعرفة وكما كان سببا لإماتة السنة وإحياء البدعة في كل مكان .

وبعد هذه المأساة الأليمة آلت شئون الدعوة الاسلامية كما قلنا سابقا الى الطرق الصوفية خاصة والقادرية التي دامت على يديها القيـــادة الروحية قرابة ثلاثة قرون متتالية قبل أن تظهر في المنطقة الطريقة التيجانية.. اعتبارا من أول القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر الذى وصلت فيه

---

(١) تاريخ السودان المصدر نفسه ص ١٤٢-١٤٣.

التيجانية الى المنطقة فكان أحرى بالقادرية أن تَدّعَمَ التعاليم الاسلامية وتدعم جامعة (سَنَكِري) التي خرّبها المغاربة وأن يشجع العلم والعلماء .. ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك .. وانما ازدادت الطين بلة ، حيث أسست أسلوبا جديدا في الطرق الصوفية لا مثيل له في تاريخ الصوفية منذ عهد الجنيد، جَدِّ هذه الطريقة .. وهذا الأسلوب الجديد هو : المعروف عندهم بالطريقة البكائية .

وبيان ذلك أن هذه الجماعة لا تهمها الدعوة الى الله ولا إنكار المنكر ولا فساد المجتمع وإنما يهمها في الاسلام شيء واحد فقط هو الاجتماع في الزاوية للبكاء .. البكاء فقط .. لذلك سُمّيَ أتباع هذه الطريقة بالبَكّائِيِّين . وسمي رئيسهم (السَيِّدُ البَكّائِي) .. ففي هذا العهد دخلت في الاسلام هناك كثير من الخرافات والبدع .. ولما جاءت التيجانية أدخلت في الطرق الصوفية أشياء لم تعرفها القادرية أبدا ولا غيرها من أتباع الطرق الصوفية وهي :

أن يجلسَ الذاكرون في حلقةٍ ثم يجعلوا أمامهم ثوباً أبيضَ ، ويعتقدون اعتقاداً جازماً أن الرسول والشيخَ أحمدَ التيجانيَّ والخلفاءَ الأربعة يجلسون على هذا الثوب حتى ينتهوا من الذكر.(١)

هذا هو الجديد الذى أضافته التيجانية الى الصوفية مع اعتقادهم أيضا ان صلاة الفاتح أفضل من القرآن بستة آلاف مرة ..(٢)

---

(١) انظر البحر المحيط لأبي عبدالله محمد بن يوسف ص ١١٦ ، ومشتهى الخارف الحافي محمد الخضر ص ١٦٥.

(٢) التيجانية ، علي بن محمد الدخيل الله ص ١٢٢.

فلما قُضِيَ على التيجانية من قبل السلطات الاستعمارية في آخر القرن التاسع عشر الميلادى انتقلت الدعوة الاسلامية الى الأفراد الذين يسمون بالشيوخ فقد بينا آنفا أنهم ينقسمون الى قسمين : الى طائفة معتدلة وطائفة متدنية ..

أما الطائفة الأولى فقد ذكرنا - فيما سبق نماذج منهم .

وأما الطائفة الثانية هي المتدنية من أصحاب الطلاسم والتمائم.. ان هؤلاء قد ورثوا عن الصوفية جميع خرافاتها وأضافوا الى ذلك سلسلة من الخرافات والأوهام التي صوَّرت الاسلام في المنطقة بصورة السُخْرية والازدراء . على النحو الذى ذكرناه سابقا .. وكل ذلك راجع الى الانحراف التدريجي الذى وقعت فيه هذه الأمة السوداء في المنطقة.

واذا نظرنا الى مظاهر الانحراف في المنطقة نجدها كثيرة ومتشعبة ولكننا نستطيع أن نوجزها في شيئين أساسيين هما :

١ - الانحراف في مفهوم الألوهية .

٢ - الانحراف في مفهوم الايمان بالقدر .

واليك فيما يلي شرحا موجزا لكل منهما :

أولا - الانحراف في مفهوم الالوهية :

اذا رجعنا الى المصادر الجادة التي تركها لنا علمائنا السلف الصالح نجد أن بعضهم يقسمون التوحيد الى ثلاثة أنواع :

١ - توحيد الربوبية .

٢ - توحيد الألوهية.

٣ - توحيد الأسماء والصفات.

ولكننا سنكتفي هنا بتوحيد الألوهية فقط دون سواه . لأننا في خلال

البحث الميداني في هذه المنطقة ما وجدنا عندهم انحرافا يذكر بالنسبة لتوحيد الربوبية الذى يعني أن الله هو الخالق والرازق والمدبر ...
كما أنهم لا يُقيمون وزناً لعلم الكلام ولا للفلسفة اللذين يبحثان في الصفات .. فمعلوماتهم في هذا المجال ،مجال الأسماء والصفات محدودة جدا لذا يُرجَىءُ الكلامَ عليه الى وقتٍ آخر ..

وأما حديثنا هنا فينصب كما قلنا على توحيد الألوهية .. ان هذا التوحيد بدوره ينقسم الى قسمين أساسيين متلازمين هما :

أ - توحيد الطاعة والأتباع الذى نعنيه في لغتنا المعاصرة (بالحاكمية).

ب - توحيد الارادة والقصد (الشعائر التعبدية).

أ - <u>في الطاعة والاتباع (الحاكمية) :</u>

ان كان المسلمون في الآونة الأخيرة قد انحرفوا عن هذا التوحيد وغاب عن حسهم مفهومه الحقيقي ولكن المسلمين في هذا القطاع من العالم الاسلامي قد ابتعدوا ابتعادا كليا عنه. فقد صرفوا هذا النوع من التوحيد الى عادات بلادهم (أولاً) والى مشايخ الطرق الصوفية (ثانياً) والى هؤلاء الشيوخ المشعوذين (أخيراً) لا تكاد تجد مسلما في طول المنطقة وعرضها من يتوجه الى الله في طلب شيء مباشرة .. وانما يذهبون الى هؤلاء الشيوخ المشعوذين ليقوم بدور الوساطة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى . لذلك كان - ولم يزل - النزاع المرير بينهم وبين أنصار السنة الذين يدّعون الى التمسك بالكتاب والسنة ..

واذا أراد أحدهم أن يتعوذ من شيء ، لا يتعوذ بالله أبدا

وانما يتعوذ باسم أحد المتصوفين مثل عبد القادر الجيلاني . فيقول عند الملمات : "يا عبد القادر اغثني" أو يا قطب ! أو يا أحمد التيجاني أغثني [١] وكذلك الحال اذا أراد أن يحلف لا يحلف بالله وانما يحلف بهؤلاء الأولياء المزعومين .. وأما النذر في هذه المنطقة فلا يكون لله أبدا . وانما يكون للشيخ عبد القادر أوالشيخ أحمد التيجاني .. تجد في بيوت بعض هؤلاء الشيوخ كبشا أوديكا محبوسا باسم الشيخ عبدالقادر الجيلاني لا يؤكل أبدا وانما يبقى للشيخ حتى يدركه الموت .. أليس هذا يشبه فعل الجاهليين الذين نهاهم الله عن أمثال هذه السخافة فقال تعالى :

* ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ..* [٢]

وهكذا رأينا كيف انحرف المسلمون في هذه المنطقة وغيرها عن هذه القاعدة التوحيدية الكبرى ،فكأنهم لا يقرأون قول الله تعالى : [٣]

* اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون ..*

أو الحديث الشريف : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) .

أو قوله تعالي : * أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ..* [٤]

---

(١) قد صليت الجمعة في (دكار) في احد مساجدها فسمعت عند الباب صوتا من أعمى يقول : في سبيل الشيخ التيجاني وكنت في أثناء رحلتي الميدانية بتاريخ ٢٩/ رجب/ ١٤٠٥هـ فارتعدت فرائصي من هذا الصوت والاستغاثة بالشيخ أحمد التيجاني . ولكن الناس لا يبالون بهذا وكأنهم لا يعرفون أن الاستغاثة بغير الله شرك أكبر.

(٢) المائدة/ ١٠٣.   (٣) الأعراف / ٢ .   (٤) الاسراء/ ٥٧.

ب - الانحراف في توحيد الارادة والقصد (الشعائرالتعبدية).

وقد رأينا فيما مضى أضرار الصوفيه على عقائد الناس في المنطقة وانها كانت السبب الرئيسي بعد الغزو المراكشي لابعاد سكان المنطقة من الفهم الصحيح للاسلام والروءيا الصحيحة للأمور. ولكننا اذا نظرنا الى الأخطاء التي ارتكبها رجال الصوفية في هذه المنطقة بنظرة فاحصة سنجد من بين تلك الأخطاء ،خطأ أساسيا له أخطاره الكبيره وهو : النظره العدائيه في الفكر الصوفي الى الحياه الدنيا.

لقد تأثرت الفئة المتدنيه من الشيوخ بهذا الفكر الصوفي في المنطقة فكرهوا العمل والسعي في طلب الرزق كما منعوا المريدين من كسب الحلال فصارت كلمة المريد في المنطقة مرادفا للفقير وكان ذلك سببا لادخال كراهيه الاسلام في نفوس الضعاف أو صار بعض الناس يتقززون من هذا التعليم الذى يوءدى في النهايه الى القعود في البيت مع القاعدين.

وقد أشار الى هذا العوج الفكرى الصوفي شيخنا الفاضل محمد الغزالي في كتابه القيم " الاسلام المفترى عليه " اذ يقول :

" أقبل العامه بقياده المتصوفيين -على الطقوس والأوراد وأقبل الحكام ومن في حواشيهم وركابهم على الشهوات والملذات .. وهذا الخلط الصوفي الأحمق يعتبر أول صدع أصاب التفكير الاسلامي في صميمه بل أول تصدع أصاب كيان الأمة الاسلامية - فيما بعد - بالانهيار ". (١)

---

(١) الاسلام المفترى عليه ،محمد الغزالي ص ١٨.

وراجع كذلك العلمانيه للدكتور سفر عبد الرحمن الحوالي ص ٥١٦.

وسيجد الباحث الناس في أكثر بلاد هذه المنطقه ،أن مصدر تشريعهم في الوقت الحاضر ،يرجع الى شيئين :

١ - الأحزاب السياسيه بالنسبة للمسئولين من أصحاب الثقافة الغربيه .

٢ - التقاليد الموروثه والعادات التليده وذلك بالنسبه للعوام.. وأما الشريعه الاسلاميه فلا محل لها في تشريعاتهم الا في الأحوال الشخصيه من الزواج وغيره .. وحتى هذا الجانب الوحيد قد بدأت الكنيسه بمحاولة القضاء عليها في بعض دول المنطقه مثل ساحل العاج بحيث لا تكون شهادة الزواج رسمية الا اذا حضر الزوجان أمام رجال الكنيسه ليباركوا في هذا الزواج سواء كان الزوجان مسلمين أو كافرين .. هذا هو القانون المطبق في تلك البلاد في الوقت الحاضر..

وبعد ذلك نصل الى حقيقة واقعه وهي ان التدهور الذى صار اليه المسلمون في المنطقه من جراء الفئه المتدنيه من الشيوخ سببه أولا وآخرا انحراف المسلمين -بجهلهم بحقيقه دينهم وسنه الله في الحياه وايمانهم بالخرافات والأوهام وعجزهم عن مسايره الأحداث ،كان المنفذ الرئيسي لتسرب التيارات الفكريه الى الجماعه المسلمه في المنطقه.

ومن هذه الحيثيه ألحقنا الخرافات والبدع التي كانت تسود البلاد بالتيارات الفكريه الوافده من أوربا لأنها هي المدخل الحقيقي لهذه التيارات الى المحيط الاسلامي في المنطقه فكانت النتائج من هذا الخلط الصوفي في المنطقه ،حصر مفهوم العباده الشامل لجميع نشاطات الانسان ،في دائره الشعائر التعبديه والتراتيل الصوفيه فقط، لذا

تعذر القيام لدى هوءلاء الشيوخ باداء الزكاة المفروضه .. ترى الواحد منهم خفيف الظهر من كل حق ، منفك الرقبه من كل رق ولا تتوجه اليه عوائل النائبات ولا يطمع فيه جيرانه .. ولا تنتظر منه في الفطر صدقه ، ولا في العيد أضحيه فهو كالمسجد يحمل اليه ولا يحمل عليه ، ويوءخذ بيديه ولا يوءخذ من يديه .

وكان المسلمون الأولون يعتبرون جميع الأعمال عباده لله تعالى فاذا كانوا يكدحون على عيالهم يعتبرون ذلك عباده لله أو يجولون في الأرض في طلب الكسب الحلال فهو عباده لديهم أو يقومون بدراسه القوانين الكونيه التي أودعها الله في الكون . فكل ذلك كان في قراره أنفسهم عباده لله تعالى . بدون انفصام عمل الدنيا وعمل الآخره. ولكن الصوفيه لما جاءت في المنطقه علمت مريديها من أن العباده تنحصر في الشعائر التعبديه فقط . فكأنها لم تقرأ قول الله تعالى :

﴿ قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له .. ﴾ (١)

فنصت الآيه على أن أى عمل بناء يعتبر عباده وكل نشاط انساني لا يخرج عن دائره العباده بل حياه المسلم كلها لله كما أن مماته أيضا يجب أن يجعلها لله عز وجل ولكن الصوفيه قد أساءت فهم هذه الآيه فحصرت العباده في دائره الشعائر فقط والأذكار الصوفيه . وأما بقيه نشاطات الانسان اعتبرتها الصوفيه عملا للدنيا فنهت أتباعها عن جميع الأعمال ما عدا الشعائر التعبديه فقط ..

وهكذا غاب الفهم الصحيح لمفهوم العباده عند سكان هذه

---

(١) سورة :

المنطقه من هنا يجد الباحث المجتمع الاسلامي في غربي افريقيا ينقسم الى قسمين :

قسم يقوم بأعمال تحسبها للآخره فقط ولا حظ فيها للدنيا .فيعادى كل ما أباح الله للمؤمنين في الدنيا ..

وقسم آخر تراه يتمتع بالملذات ولا يرفع رأسا للدين وتعاليمه .

فكان هذا الموقف صدا لكثير من الناس عن دخول الاسلام لأنه لا يدرى من الذى يكون معه !

أيكون من طلاب الآخره فقط فيقضى على نفسه بالحرمان والفقر الدائم أو ينضم الى طلاب الدنيا فقط فيقع في غضب الله عز وجل .

فنقول : ان كل واحد من هؤلاء وهؤلاء على خطأ فأحش من فهم الاسلام .

المسلمون في غربي أفريقيا ومفهوم الايمان بالقدر

لقد كان الايمان بالقدر لدى مسلمي غربي افريقيا الأول ، قبل أن تنتشر هناك ظلمات الصوفيه قوه دافعه الى العمل المثمر في هذه الدنيا مع رجاء ثوابه في اليوم الآخر..

فانطلاقا من هذه القاعده التوحيديه الكبرى ،نقرأ في كتب تاريخيه جاده أن المسلمين الأولين في هذه المنطقه ،لم يجعلوا التوكل على الله تواكلا كما هو حال المتأخرين منهم ولكنهم كانوا يأخذون بالأسباب ثم يتوكلون على الله لعلمهم أن اتخاذ الأسباب لا يتنافى مع التوكل على الله واكبر دليل على فهمهم الدقيق لمفهوم الايمان بالقدر، أنهم كانوا من الرواد الأول الذين حاولوا معرفه ما بعد المحيط الاطلنطي فصنعوا لهذا الغرض سفناً بحريةً عديدةً ... والقصةُ مذكورةٌ في عده كتبٍ تاريخيهٍ . من ذلك كتابُ (صبح الأعشى) فقد ورد فيه ما يفيدنا بذلك اذ يقول وهو يتحدث عن كيفيه إنتقال الحكم الى منسا موسى امبراطور مالي حين قيامه للحج. مروراً بمصر في زمن الناصر محمد بن قلاوون . لما سئل منسا موسى عن سبب انتقال الملك اليه فقال :

" ان الذى قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غايه لا تدرك، فجهز مئتين (١) سفينه وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنين ،

---

(١) صبح الأعشى للقلقشندى ٥/ ٢٩٤- ٢٩٥ وراجع كذلك مسالك الابصار للعمرى جـ٢ ق٢ ورقه ٥٠٣.
وراجع دافيدسن ص ٧٢ وراجع كذلك حاضر العالم الاسلامي ١/

وأمر من فيها الا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أزوادهم فغابوا مده طويله ثم عاد منهم سفينه واحده ، وحضر مقدمها ، فسأله عن أمرهم ، فقال : سارت السفن زمانا طويلا ، حتى عرض لها في البحر في وسط اللجه وادٌ له جَرْيَةٌ عظيمةٌ - أى تيّار بحرى عنيف - فابتلع تلك المراكب ، وكنت آخر القوم ، فرجعت بسفينتي ، فلم يصدقه فجهز ألفي سفينه : الف للرجال وألف للأزواد ، واستخلفني وسافر بنفسه ، ليعلم حقيقه ذلك ، فكان آخرُ العهدِ به وبمن معه .. "

وهكذا رأينا أن المسلمين الأولين لم يكتفوا بمجرد الشعائر التعبديه وانما فهموا من الاسلام أن كل عمل بناء قصد به وجه الله فهو عمل للدنيا والآخره لأن " الدنيا مزرعةُ للآخره ". لذا قاموا بهذه الأعمال الشاقه الاكتشافيه التي ذهب ضحيتها هذا الملك السوداني .

وقد أثارت هذه القصة تعليق صاحب كتاب حاضر العالم الاسلامي اذ يقول : (١)

وهكذا أيضا دفع الايمان بالقدر المسلمين بصفة عامة الى روح الفداء والتضحية والقيام بالاكتشافات والاختراعات ولكن الايمان بالقدر بعدما وضعت الصوفيه (القادريه والتيجانيه) رحلها في المنطقه تحول هذا المفهوم القيم للايمان بالقدر الى كونه سببا في الجمود والتأخر والجرى وراء الشرق والغرب من العلمانيين . والانبهار بالحضاره الأوربيه البراقه المظهر .

---

(١) " ان صحت هذه الرواية ولا يوجد دليل على كذبها فيكون المسلمون قد حاولوا اكتشاف القارة الجديدة مرتين ، أولاهما : عندما أبحر الأخوة المغرورون من لشبونة عاصمة البرتغال موغلين في بحر الأطلانتيك . والثانية ، على يد هذا الملك الذى حاول هذا الأمر مرتين ، وذهب في سبيله شهيدا ". راجع حاضر العالم الاسلامي ٣ / ٣١ تأليف لوثروب ستودارد الأمريكي ، القاهرة ١٣٥٢هـ.

مقدمها

وقد أشار الى هذه النقطة بعض المستشرقين الألمان وهو يدرس أحوال المسلمين المعاصرين اذ يقول :

" وطبيعه المسلم التسليم لاراده الله والرضا بقضائه وقدره والخضوع بكل ما يملك للواحد القهار . وكان لهذه الطاعه أثران مختلفان : ففي العصر الاسلامي الأول لعبت دورا كبيرا في الحروب اذ حققت نصرا متواصلا لأنها دفعت في الجندى روح الفداء ، وفي العصور الأخيره كانت سببا في الجمود الذى خيم على العالم الاسلامي فقذف به الى الانحدار وعزله وطواه عن تيارات الأحداث العالميه ". (١)

هذا هوحقيقة الفرق بين فهم الرعيل الأول وبين ما فهمه الخلف من الايمان بالقدر . . .

فالمعلوم أن من الواجب على كل مسلم أن يعلم أن كل ما يصيب الانسان من ذل واحتقار وهزيمه داخليه أوخارجيه لا يتم شيء من ذلك الا بارادة الله عز وجل . . الذى لا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . ولا في الماضي والحاضر والمستقبل . . . فعلمه قد عم كل شيء . . .

---

(١) الاسلام قوة الغد العالميه ، باول شمتز ص ٧٨
وراجع كذلك كتاب (العلمانيه) للزميل الدكتور سفر الحوالي ص ٥١٩ .

ان هذا الفهم لحق واضح . ولكن المسلمين في هذه الظروف الراهنه قد غيروا مفهوم الايمان بالقدر . فهم يبررون جميع أخطائهم بالايمان بالقدر فاذا فعل أحدهم شيئا لا يحمد عقباه . يقول : ان الله تعالى هو الذى قدر أن يصيبني هذا فغفلوا أن لله في الكون سنناً يجب التعرف معه والعمل بموجبها .. ومن تلك السنن الربانيه قوله تعالى :

* ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * (١)

وقوله تعالى :

* ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ... *. (٢)

لقد غفل المسلمون عن هذه القاعدة الايمانية العظيمه " فاتخذوا من الايمان بالقدر مبررا واهيا لعجزهم وانهيارهم متناسين ان أقدار الله انما تجرى عليهم وفق سنته الثابته التي أوضحها لهم لكنهم غفلوا عنها وأهملوها فالمسئوليه مسؤليتهم وحدهم ولا يظلم ربك أحدا ". (٣)

---

(١) الرعد / ١١.

(٢) الانفال / ٣٥ .

(٣) العلمانيه المصدر السابق للدكتور سفر الحوالي ٥٢٠.

فلما انحرف المسلمون عن هذا الخط الرباني المستقيم وحرفوا مفهوم الايمان بالقدر من التوكل الدافع الى العمل والسعي، الى التواكل الذى يدعو الانسان الى ترك العمل وتواكل على غيره فقط ،بدأوا يبررون هذا الانحراف وهذا التحريف بالايمان بالقدر ولكن كل ذلك من جراء الأفكار الصوفية التي تسربت الى افكار المسلمين شرقا وغربا .

وقد كان التجار من العرب والبربر الذين نشروا العقيدة الاسلامية في غربي افريقيا أولا - كانوا ينزلون المدن ويتصلون بالمجتمع ويتزوجون منهم ويدعونهم الى هذا الدين .. ولكن الطرق الصوفية التي وصلت الى هذه المنطقة كان لها مجال غير مجالات الدعاة والتجار.

فاذا كان الدعاة ينزلون المدن ،فان رجال الصوفية يميلون للقرى .. واذا كان التجار والدعاة يسعون للربح فرجال الطرق الصوفية لا يكترثون بالمال ولا يسعون الا الكفاف . ومن هنا كان المريد يلقب بالفقير.. ولو رجعنا الى الكتاب الصوفي لأبي حامد الغزالي (٥٠٥ هـ) الذى يقال انه من المعتدلين في الطريقة الصوفية . ولو رجعنا الى هذا الكتاب المسمى (باحياء علوم الدين) لوجدنا فيه هذا المعنى السخيف للايمان بالقدر اذ يقول وهو يبين مقامات التوكل :

" الأول : مقام الخواص ونظرائه وهو الذى يدور في البوادى بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعا وما فوقه أو تيسير حشيش له أو قوت ".(١)

---

(١) احياء علوم الدين ٤/٣٣٣ ومعنى كلمة الخواص هو أحد مشهورى الزهاد المتصوفة (العلمانية) ص ٥٢٠ المصدر السابق .

أو تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك.

المقام الثاني : أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأمصار وهذا أضعف من الأول ، ولكنه أيضا متوكل لأنه تارك للكسب والاسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ،ولكنه بالقعود في الأمصار يتعرض لأسباب الرزق.(١)

هذه هي الحالة ذاتها التي نعيش فيها الفئة المتدنية من الشيوخ في غربي افريقيا في الوقت الحاضر .. قد تركوا العمل وكرهوه وربوا على ذلك أولادهم المتزمتين ،من هنا قامت الحملات الصليبية على أشدها تشوه سمعة الاسلام في المنطقة . بأنه دين الكسل والخمول والتأخر والرجعية .. فشربت جماهير المثقفين هذه الأراجيف وصدقوها . لذا لم يرتضوا أن يبينوا دولهم الفتية بعد الاستقلال على عقيدة دينية بل أعلنوا كلهم أن دولهم علمانية لا دينية حتى(سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا) (وموديبو كايتا رئيس جمهورية مالي) (ورئيس النيجر (حمادى ديورى) وساسة السنغال المسلمين من(محمد ضيا بوغيره). ان كل هؤلاء رغم انتمائهم الى أسر مسلمة قد كرهوا أن يتخذوا الاسلام دستورا لدولهم بل اختاروا كلهم " العلمانية " اللادينية .

ولكن السبب في كل ذلك يرجع لأول وهلة الى انحراف المسلمين عن الجادة وتحريفهم لمفهوم الايمان بالقدر الذى أسند للصليبيين لتشويه التعاليم الاسلامية في المنطقة .. من هنا كانت الخرافات والبدع التي

---

(١) احياء علوم الدين المصدر السابق ٤/٣٣٣.

لصقت بالعقيدة الاسلامية من قبل رجال الصوفية والفئة المتدينة من الشيوخ ..
سببا من أسباب انتشار التيارات الفكرية الهدامة في المنطقة .

ولكننا في ختام البحث عن هذه التيارات التي كانت ولم تزل تواجه العقيدة الاسلامية في المنطقة ، نحب أن نقرر حقيقة في هذا الصدد ، وهي أن من الخطأ الفادح أن ينظر الناس الى آثار هذه التيارات الفكرية الوافدة من أوربا أو النابعة من البيئة التي ظهرت وتواجه العقيدة الاسلامية في المنطقة ...

من الخطأ أن ينظر الناس الى ذلك كله فيظنون أن المرض قد أصبح مستعصيا وأعيا الأطباء ... وأن أصحاب التيارات الفكرية قد استفحل أمرهم واستعصى على المقاومة والتغيير .

كلا ان هناك في المنطقة منذ أيام الاستعمار الى اليوم حركات بعث اسلامية ما انقطعت حتى اليوم عن مقاومة هذه التيارات الفكرية بل حققت الكثير وان لم تبلغ غايتها بعد فانها مصممة على بلوغها مهما يكلفها ذلك من ثمن وتضحيات ...

تحقيقا لقوله تعالى :

* ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور *. (١)

فما هو هذا البعث الاسلامي المقاوم لهذه التيارات الفكرية ؟

---

(١) سورة الحج / ٤٠ .

في الصفحات الاتية سنتحدث عنها ان شاء الله ..

بهذا قد وصلنا الى نهاية الحديث عن هذا البحث فالله هو الموفق وهو يهدى السبيل ولله الحمد أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

لنواجه الآن جولة أخرى للحديث عن حركات البعث الاسلامية التي كانت ولم تزل تقاوم هذه التيارات الفكرية الهدامة التي تعادى العقيدة الاسلامية في بلاد السودان الغربي ."

الباب الخامس

موقف المسلمين من التيارات الفكرية المعادية للعقيدة الاسلامية في المنطقة وحركات البعث الاسلامي

*

ويشتمل على ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : حركات البعث الاسلامي .

الفصل الثاني : واقع الدعوة الاسلامية في الوقت الحاضر بالمنطقة.

الفصل الثالث : طريق الخلاص .

الفصل الأول

حركات البعث الاسلامـــــــــــي

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : حركات البعث الاسلامي بصفة عامة.

المبحث الثاني : حركات البعث الاسلامي في غربي أفريقية .

المبحث الأول

حركات البعث الاسلامي بصفة عامة

قد رأينا فيما مضى من هذا البحث أن المجتمع الاسلامي بصفة عامة قد تعرض لأخطار جسام وتحديات شرسة مختلفة ولو تعرض مثلها مجتمع آخر من المجتمعات البشرية التي تقوم فلسفتها على غير دين الله لأصبح خبرا بعد عين وانطوى ذكره من ساحة التاريخ الانساني ولكن الاسلام قد صمد أمام هذه الضربات كلها .. ابتداء من حين نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم واجهته الحروب الصليبية بكل ثقلها وشراستها .. والآن تواجهه التيارات الفكرية الهدامة التي تسعى جاهدة بادئ ذي بدء الى تسميم العقول وتسخيرها . لذلك يرى الباحثون أن هذا العصر قد تفرد بمظاهر جديدة خلت منه العصور الماضية.

ولكن الهزائم المتعاقبة التي منيت بها الأمة الاسلامية في الغزو الفكري الحديث قد أعقبها ردود فعل متعددة في أرجاء العالم الاسلامي .

وفي هذا دلالة على أن الاستعمار لم يستطع بحال من الأحوال أن يقضي على الجانب العقدي لدى الأمة الاسلامية . وان قضى على الجانب التشريعي وغيره .. كما توجد في هذا دلالة على وجود بقية من الدين لديها توحي اليها أنها ليست ضائعة هالكة كما يدل ذلك على وجود بقية من الايمان بدينها جعلتها تؤمن بأن هناك خطأ ما كان سبب الضياع والانهيار ،وان ذلك حالة لا يمكن

أن تستمر وتدوم ، وأن في استطاعتها أن تغير هذه الحالة لو بدأت بتغيير ما في نفسها واستقامت على الحق وان الله تعالى يريد منها هذا التغيير ويعينها عليه اذا رأى منها الاستعداد الحقيقي والعزم الصادق .

ولئن كانت حال المجتمع الاسلامي في القرون الثلاثة الأخيرة أشبه ما يكون بحال الامبراطوريتين العظيمتين الرومانية والفارسية في أواخر حياتهما حيث كان مهددا من الخارج من القوى الصليبية الحاقدة في الوقت الذى كان يعاني من الانهيار الداخلي والاضمحلال والذبول فقد خرج من محنته ونكبته منهكا راكدا ضعيفا هزيلا الا أن الله تعالى لم يرد زوال هذه الأمة وفناءها . وقد شاءت ارادته تعالى أن تصحوا هذه الأمة من رقادها الطويل وأن تعود اليها القوة والحيوية ،فهيأ لها الفرصة لقيام حركات البعث الاسلامي التي تنير للأمة طريقها من جديد وتجدد لها أمر دينها وتقوم بالدعوة الى العودة الى الاسلام الصحيح في صفائه ونقائه وبساطته .

وهذه الحركات الاسلامية التي قامت في أرجاء العالم الاسلامي منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجرى حتى القرن الرابع عشر (منتصف القرن الثامن عشر الميلادى حتى القرن العشرين) ان هي الا محاولات مبدئية جادة من رجال أصحاب قلوب كبار من رجال الدعوة والاصلاح لايقاظ الأمة من نومها وغفلتها ولتذكيرها أن هناك غارة على العالم الاسلامي جميعا شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ..

واصلاح حالها المتردية ودعوتها الى استئناف الحياة السعيدة في ظل شريعة الله الغراء والبريئة من كل عيب وقصور ليتحقق للمسلمين

الرفعة والريادة ، التي انتزعها من أيديهم عبر قرون الانحطاط ، أصحاب التيارات الفكرية الهدامة من أمم الغرب الصليبية ، فكانت أول دعوة تقوم بهذه المهمة العظيمة دعوة (الامام محمد بن عبدالوهاب) فتجاوبت أصداؤها في أرجاء العالم الاسلامي فقامت حركات بعث ودعوات اصلاح متعددة في مختلف الأقطار الاسلامية خلال القرنين الأخيرين جمعت قلوب المؤمنين على الدين الحنيف وطهرتها من البدع والخرافات وأردان الجهل والشرك ونفخت في المسلمين روح الجهاد في سبيل الذود عن حمى الدين وسد الثغرات وحماية الجبهات وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

" ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ". (١)

---

(١) قامت دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر.حين قامت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد بلغت حال الأمة الاسلامية في هذه الفترة مبلغها من السوء والانهيار واستحوذ على الدولة العثمانية -زعيمة العالم الاسلامي - الضعف والوهن والفتور وظلت ترتع في حمأة الجهل والجمود لا تقوى على اصلاح الفساد الداخلي ولا مواجهة الأخطار الخارجية الماحقة .. والمهم - أن العالم الاسلامي حينئذ كان أشبه ما يكون بالجاهلية الجهلاء التي حاربها الاسلام وكان العالم الاسلامي بحاجة الى مصلح فساق الله اليه هذا الرجل الموفق هو محمد بن سعود (مؤسس الدولة السعودية الحالية) .

===

والدعوات البارزة التي قامت خلال القرن الثالث عشر الهجرى هي :
كما قلنا سابقا : دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب [(١)] في نجد والحجاز
وتجاوبت صداها في الجزيرة العربية .

وحركة الامام محمد بن علي السنوسي .[(٢)]

=== وتتلخص دعوة محمد بن عبد الوهاب في ثلاثة أمور :

١ - معرفة حقيقة توحيد الألوهية .

٢ - الدعوة الى فتح باب الاجتهاد .

٣ - دعوة المسلمين الى توحيد الصفوف وجمع الكلمة لاقامة الامامة الراشدة .

فسماه حاسدوه بالوهابية .

(١) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص ٧ - ٢٢ أحمد أمين .

(٢) هو من أصل جزائرى ولد في بلدة مستغانم بالجزائر سنة ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م وقد حفظ القرآن كله ودرس علوم الاسلام في جامعة القرويين ثم أقام في مدينة فاس سبع سنوات من حيث تعلم التصوف على صاحب الطريقة التيجانية نفسه الشيخ أحمد بن محمد التيجاني . وقد أتت ثمار دعوته في كثير من البلدان الاسلامية وخاصة في ليبيا والمغرب والسودان .. راجع كتاب الطيب الأشهب في كتابه : السنوسي الكبير ص ٧ .

وحركة الامام محمد أحمد بن عبدالله المهدى [١] ،

وحركة الاخوان المسلمين [٢] الجماعة الاسلامية بباكستان .

---

(١) ولد الامام محمد أحمد بن عبدالله سنة ١٨٤٥م وقد كـان معروفا بالصدق وتفاني في طلب العلم ثم تعرف على الطريقة السمائية الصوفية ، كانت دعوته باسم الامام الثاني عشر الذى يترقبه الشيعة الامامية .

وفي سنة ١٨٨١ م أعلن أنه المهدى المنتظر وسمي أتباعـــه بالأنصار لكن خصومهم يسمونهم بالدراويش توفي عام ١٨٨٥م راجع (يسألونك عن المهدية) ص ١٥٨ تأليف الصـادق المهدى .

(٢) في وسط ظروف قاسية اكتنفت العالم الاسلامي كانت دعوة الاخوان المسلمين في مصر وكان من ابرز أهدافهم :

١ - مواجهة الغزو الأجنبي .
٢ - المحافظة على التراث الاسلامي .
٣ - احياء القوة الاسلامية واقامة حكم الله في الأرض .

مؤسس هذه الدعوة هو الامام حسن البنا ولد سنة ١٣٢٦هـ بمصر وله في ذلك مجهودات كبيرة .

(٣) رئيس هذه الجماعة هو أبو الأعلى المودودى وأهدافه مثل أهداف الاخوان المسلمين .

والحركات الاسلامية في تركيا [(١)] وايران واندونيسيا والنيجريا .

---

(١) أما الحركات الاسلامية في تركيا وايران واندونيسيا فقد قامت لنفس الغرض يعني لاعادة الحياة الاسلامية في تلك البلاد ومقاومة الغزو الأجنبي . ومن هذه الحركات :

حركة جماعة النور بتركيا ومؤسس هذه الحركة هو العالم التركي سعيد النورسي ١٩٠٩ م . مجلة المسلمين السنة الثالثة العدد الثاني ص ٩٥ - ٩٦ القاهرة .

وأما حركة فدائيان في ايران فقد قام بتأسيسها السيد نواف صفوى .

وأما الحركة الاسلامية في اندونيسيا فقد قامت بها جماعة اسلامية ضد جيوش الهولنديين ، ثم عمر سعيد شكروا مينوتو سنة ١٣٣٠ هـ هو مؤسس هذه الحركة وهي تعتبر الحركة الرائدة في هذه المنطقة . اختاروا أحد السبيلين : الدين أو اللادينية ،راجع محمد ناصر ص ٧-٨ ، ١١ .

وأما الحركات التي قامت في نيجيريا فقد كانت حركة الشيخ عثمان دان فوديو الذى تأثر بفكرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقد صمدت أمام الاستعمار الانكليزى و محاربة البدع والخرافات .

راجع الدعوة الى الاسلام أرنولد توماس ص (٢٧٨) .

المبحث الثانـــي

حركات البعث الاسلامي في غرب أفريقيا

وأما الحركات الاسلامية في الجزء الذى خصصنا له هذا البحث فهي تنقسم الى قسمين رئيسيين واليك فيما يلي حديثا موجزا :

القسم الاول من حركات البعث الاسلامي في المنطقة :

· تنظيم الجمعيات الاسلامية في المنطقة وبناء المدارس :

لما أدرك المستعمرون أن هناك وعيا لدى المسلمين في هذه المنطقة وأنهم بدأوا/يدركون ما فعله المستعمرون من مكايد وحيل ضد الاسلام لما أدركوا هذا بادروا الى اصدار قانون سنة ١٩٠١م ينص على السماح للمسلمين بتأسيس جمعيات ثقافية اسلامية ولكن في اطار محدود .

وتعتبر الجمعية الثقافية التي تأسســت سنة ١٩٣٠م بمدينة سانت لويس السنغالية اولى هذه المنظمات الاسلامية في غربي أفريقيا بصفة عامة وفي السنغال بصفة خاصة الا أننا لا توجد عندنا معلومات وافرة عن هذه الجمعية الأولى مما يجعلنا نعتقد أنها لم تتح لها فرصة لتقوم بدورها وأن هذا ليس غريبا بسبب وجود القوانين الصارمة لها بالمرصاد .

ثم بعد فترة من الزمن أسست جمعية أخرى عرفت باسم جمعيـــة " لواء تآخي المسلم الصالح " (١) وهي جمعية اسلامية كانت تهــدف حسب أحد بياناتها الى العودة بالاسلام الى سالف عهده .(٢)

---

(١) راجع المسلمون في السنغال ،عبد القادر محمد سيلا ص ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٦ .

وبعبارة أخرى : ممارسته كما كان يمارس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والذى يجب التنبيه اليه هو : لم تنجح أية جمعية اسلامية في ظل الاستعمار في انجاز هدف من أهداف الاسلام في البلاد ولا عرفت حياة طبيعية الا حينما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حيث اضطر المستعمر الى التخفيف من غلواء ضغطه واستبداده ، بعد أن شعرت الشعوب المستعمرة بالظلم من قبل المستعمرين ، لذا بدأ المسلمون بمحاولات جديدة في تأسيس جمعيات أخرى بعدما فشلت الجمعيات السابقة. - تتوفر فيها الشروط للعمل في الحقل الاسلامي واليك فيما يلي أهم هذه الجمعيات :

الاتحاد الثقافي الاسلامي :

ان هذه الجمعية تعتبر بحق أقدم الجمعيات الاسلامية التي أقيمت في المنطقة قبيل انتهاء الفترة الاستعمارية.

لقد تم تأسيس الاتحاد الثقافي الاسلامي سنة ١٩٥٣م على أيدى جماعة مسلمة قد أدركوا خطورة الغزو الفكرى الذى أحاط بالمسلمين بطريقة خفية وقد كان أغلب هؤلاء قد تأثروا بالأفكار الاصلاحية السائدة منذ بداية مطلع هذا القرن في المغرب والمشرق من البلدان العربية .. وقد تعرف بعض مؤسسي هذه الجمعيات على الحركة الاصلاحية الدينية من الاخوان المسلمين بالقاهرة.(١)

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٩.

وقد كان الاتحاد يتمتع برصيد كبير من الحصانة والرصانة وقد تميزت بدايته بحماس كبير لم يسبق له مثيل في تاريخ البلاد لذا أصبح الاستعمار وهو في أواخر أيامه محل متابعة واضطهاد وتنكيل ومطاردة ولما خاف الاستعمار من غضبة الجمهور من المسلمين اذ ظهرت عداوته لهذه الجمعية بشكل ملموس بدأ يوجه الاتهامات الى هذه الجمعية وتشويه سمعتها فادعى أن الجمعية تحاول احياء الجامعة الاسلامية بايعاز من قوى معادية لفرنسا وقد استمرت مدة هذه المجابهة زهاء سبع سنوات اعتبارا من سنة ١٩٥٣م الى سنة ١٩٦٠م حيث نالت أغلب دول المنطقة استقلالها التام .

وهكذا كانت لهذه الجمعية حركة دائبة أيام الاستعمار وقد أظهرت بسالتها أمام السلطات الاستعمارية .. ولكن لما آلت الأمور الى النخبة الممتازة وكانت بأيديها مقاليد البلاد بعد زوال الاستعمار بدأت الجمعية تفقد نفوذها في المنطقة وبدأ ظلها يتقلص لأن الحكام المحليين الجدد يجدون في وجود هذه الجمعية خطرا محدقا بهم ..

لأنهم لما اختاروا العلمانية لدولهم كما جعلوا الأحزاب السياسية عقيدتهم الوحيدة فلا حاجة الى ابقاء جمعية تدعو الى العقيدة الدينية بينما هم قد اختاروا العلمانية لدولهم . لذا بدأوا يخططون بادىء ذى بدء للاحاطة بها حتى لا تكون حجر عثرة أمام دولهم العلمانية .

وكان من الخطط التي رسموها لهذا الغرض قبول أعضاء الجمعية

البارزين في حكوماتهم واعطائهم مناصب عالية .

من هنا استطاعوا أن يجذبوا اليهم رئيس الجمعية نفسه وهو : " شيخ توري " فعلى اثر قبوله هذه الوظيفة الحكومية خفضت تهجماته على النظام القائم على العلمانية اللادينية . فبدأ يحاول توفيقا بين العقيدة الاسلامية وبين العلمانية .

وهكذا - شيئا فشيئا - فقدت الجمعية جميع نفوذها في المنطقة فأصبحت أثرا بعد عين ، وذلك بعد ما قامت بالنضال والبطولات لأجل اثبات وجودها في المنطقة ... وفعلا كانت لها فروع في كل من مالي ، وغينيا ، وفولتا العليا (بوركينا فاصو) وساحل العاج وتوغو ... ولكن قد صارت هذه الجمعية قد صارت / اليوم هيكلا عظميا أجوف لا روح فيه ولا حراك له ...

هذا هو مصير هذه الجمعية فقد قضى عليها الحكام المحليون بعد ما عجز الاستعمار عن القضاء عليها .

وبعد هذه الجمعية قامت في المنطقة جمعيات عديدة ولكنها عبارة عن أشباه جمعيات أو جمعيات خيالية لا وجود لها عمليا فضلا عن تشتت نشاطاتها الموجودة منها بفعل الطائفية وأطماع الزعماء ، ولنضرب على ذلك أمثلة بسيطة :

ان ساحل العاج وحدها توجد فيها اليوم عدة جمعيات أهمها ثمانية هي :

١ - جمعية الاتحاد الثقافي الاسلامي فرع ساحل العاج - التي

كان يرأسها الحاج بيما كوليبالي وهو أحد موظفي البريد .

٢ - وجمعية التنظيم لشئون الحج التي أسسها موسى كومارا الذى كان واليا في الحكومة .

٣ - جمعية أنصار السنة أورتودوكس .

وقد كان جل أعضائها من المثقفين بالثقافة الغربية لذا لم يكتب لها البقاء وقد اختفت الآن اختفاء كاملا .

٤ - جمعية طلاب جامعة أبيدجان . ان هؤلاء يسعون جادين لتحقيق أهداف نبيلة رغم ما يجدونه من الصعوبات من عدم دراسة الاسلام دراسة وافية.

٥ - الجمعية العامة التي أسسها (فاميكي ميثى) الذى كان واليا في الحكومة أيضا ومثقفا بالثقافة الفرنسية . فالجمعية لم تستمر غير سنة واحدة ثم اختفت.

٦ - وجمعية مدرسي اللغة العربية . .

٧ - وجمعية سماسرة الحجاج .

٨ - جمعية المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . .

ان هذه الجمعيات الاسلامية بدلا من أن تتعاون على العمل الاسلامي قد أصبحت سببا لوقوع التفرقة بين المسلمين في ساحل العاج وذلك لا لشيء الا لكونها تتنافس على الزعامة . . الأمر الذى أدى في النهاية الى وقوع التشاجر بين هذه الجمعيات بصفة موء سفة للغاية . .

ولكن اذا أمعنا النظر في سبب كثرة هذه الجمعيات التي تملك كل واحدة تصريحا من الحكومة بأنها هي التي تمثل الاسلام وحدها .

اذا أمعنا النظر في ذلك نجد أن هناك يدا خفية هي التي تمارس سياسة " فرق تسد " لوقوع الفرقة بينها . لذلك لا يوجد اليوم في ساحل العاج رئيس واحد للمسلمين .. فقد أصبح المسلمون متفرقين (شذر مذر) (١) كأنهم ليسوا من أبناء عقيدة واحدة ..

هذه هي الحالة المأساوية التي يعيش فيها المسلمون في الوقت الراهن في ساحل العاج .. فبدلا من أن يكون قيام الجمعيات خدمة للاسلام ،فقد أصبحت بسببه من دسائس الأعداء - ضربة قاسية على الاسلام .. وسببا للتدابر والتباغض بين المسلمين الى اليوم . (٢)

الخطة في السنغال تختلف عن ساحل العاج :

وقد اتخذ الأعداء أسلوبا آخر لايقاف الانطلاق الاسلامي في السنغال غير الذى اتخذوه في ساحل العاج . فقد رأينا أنهم

---

(١) أى ذهبوا في كل وجه وذهبوا كل مذهب ،المنجد ص ٣٧٨ .

(٢) مستفاد من البحث الميداني الذى قمت به سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

اتخذوا في ساحل العاج أسلوب (فرق تسد) ولكنهم اتخذوا في السنغال شيئا آخر وهو : جمع شتات الجمعيات الاسلامية تحت راية واحدة تحت اشراف الحكومة السنغالية باسم الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الاسلامية في السنغال ،فلنستمع الى الأستاذ (عبد القادر سيلا) ليرينا هذه السياسة الحسيانية التي كانت ولم تزل تمارسها (النخبة الممتازة) التي استلمت قيادة البلاد بعد أساتذتهم المستعمرين اذ يقول :

" تأسس الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الاسلامية في السنغال في اكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٦٢م بايعاز وتشجيع من حكومة الرئيس " سنغور " ويضم حوالي ٣٢ جمعية اسلامية .. الا أن بعض هذه الجمعيات ليست سوى دوائر تابعة للزعامات الطرقية.

" يرأس الاتحاد منذ تشكيله السيد عبد العزيز سي الابن ، وينتمي الى أسرة تيجانية كبيرة ،وكان والده خليفة عامة للطائفة التيجانية زهاء خمس وثلاثين سنة. ويحتفظ بالأمانة العامة للاتحاد السيد مصطفى سيسى وهو من أتباع الأسرة المذكورة (وهو يعمل سفيرا) في حكومة (سنغور ومن بعده في بعض البلدان العربية).

وأضاف قائلا وهو بيت القصيد :

" تسير جميع الجمعيات العاملة في الساحة الاسلامية في السنغال تحت رعاية وارشادات الاتحاد الوطني ..

" ففي نظر بعض العاملين في الحقل الاسلامي لم يكن الاتحاد

يوما من الأيام ميدانا صالحا للعمل الاسلامي لأنه لا يعكس الا وجهة نظر سلطات لا تؤمن بالاسلام الا بمقدار ما يخدم مصالحها الزمنية ،بل يذهب بعض ناقديه الى اعتباره عامل عرقلة أمام السير الطبيعي للجمعيات الاسلامية .." (١)

ولو رجعنا الى هذا النص بنظرة فاحصة لوصلنا الى الحقائق التالية :

١ - ان الجمعية الاتحادية قد تأسست بايعاز من (سنغور) وهو المسيحي المتعصب لعقيدته .. ان هذا وحده كاف بأن نعرف الهدف الحقيقي لتأسيس هذا الاتحاد .. وهو جعل حركات المسلمين في السنغال بمرأى و مسمع هذه الحكومة العلمانية. حتى لا تستطيع هذه الجمعيات أن تقوم بأى عمل الا أن يكون تحت رعاية وارشادات الاتحاد الوطني ،والأمر - مع الأسف الشديد - وقع كما خطط من قبل (سنغور).

٢ - اسناد رياسة الاتحاد الى أصحاب الطرق التيجانية بدلا أن يديرها المثقفون بالثقافة الاسلامية من الأخوان الذين تلقوا علومهم في بعض البلدان العربية .

فمتى كانت الطرق الصوفية (وخاصة التيجانية) من الوضوح والبيان حتى تقوم عليها الدولة الاسلامية ؟

من هنا ندرك أن هناك مغزى سياسيا في هذا الاختيار -اختيار الطرق الصوفية لادارة الجمعيات الاسلامية

---

(١) المسلمون في السنغال ص ١٦٠- ١٦١.

البالغ عددها (٣٢) جمعية . لأنهم يعرفون جيدا أن ما تشتمل عليه الطرق الصوفية من عوج فكرى ، لا يصلح أن تقوم عليه دولة أبدا .

٣ - اختيار السيد مصطفى سيسي لادارة الأمانة العامة وهو الذى كرس كل حياته في خدمة حكومة (سنغور) وأخلص نيته لهذه الحكومة العلمانية بل هو الابن البار لسنغور . فاذا أسندت اليه الأمانة العامة للاتحاد فلا يخفى على أحد أن هذا عامل عرقلة أمام السير الطبيعي للجمعيات الاسلامية في السنغال لذا لم يحقق هذا الاتحاد منذ تأسيسه الى اليوم شيئا يذكر في ساحات العمل الاسلامي بل أصبح سببا لركود الجمعيات الاسلامية في السنغال وصرفه عن مهام الأمور الى الاستماتة في سفسطة كلامية . (Sophisme) والى الاتجاه العلماني الذى تبناه جل الحكومات في المنطقة .

٤ - ان تسمية الاتحاد بالاتحاد الوطني ليست أمرا عفوا ، وانما كان ذلك عن دراسة وتخطيط لتبقى الجمعيات الاسلامية في السنغال منقطعة عن جميع الجمعيات الاسلامية في غربي أفريقية . من هنا يتسنى لهؤلاء المخططين الجو ليديروها كيف يشاؤون .

المعلوم أن الاتجاه الوطني أو الاتجاه القومي يتعارض مع أهداف الاسلام الرامية الى توحيد صفوف المسلمين دونما تمييز عنصرى .

* ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون *. (١)

----

(١) سورة الأنبياء آية / ٩٢

وهكذا رأينا أن اليد الخفية التي شتتت شمل المسلمين في ساحل العاج لتكون قائدة لهم هي نفسها التي جمع المسلمين في السنغال تحت راية الوطنية لتكون رائدة لهم أيضا .

هذه هي مصائر الجمعيات في غربي أفريقيا والذى حصل في السنغال وساحل العاج فقد حصل أيضا في كل من موريتانيا وفلتا العليا (بوروكينا فاصو) ومالي والنيجر وداهومي (بنين) فقس ما لم يقل ..

وبعد لنتحدث الآن عن واقع الدعوة الاسلامية في الوقت الحاضر بالمنطقة .

الفصل الثاني

واقع الدعوة الاسلامية في الوقت الراهن بالمنطقة

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : الفئات الرئيسية التي تخصصت في الدعوة الاسلامية في المنطقة.

المبحث الثاني : الخلاص من هذه التيارات الفكرية .

المبحث الأول

الفئات الرئيسية التي تخصصت للدعوة

وتقوم بالدعوة الاسلامية في الوقت الراهن بالمنطقة ثلاث فئات رئيسية . وكل فئة لها اسلوبها الخاص في هذا المجال ، واليك فيما يلي أهم هذه الفئات :

أولا - اتجاه الصفوة المختارة ذات الثقافة الغربية .

ان هؤلاء يسعون جادين الى المزاوجة بين الاسلام وبين الحضارة الأوربية المتفوقة . وقد تحدثنا عنهم في الباب الرابع السابق . ولا نقصد من الحديث عنه هنا سوى التسجيل لوجوده وكونه يمثل اتجاها معينا من الاتجاهات التي تمثلت فيها ردود الفعل لمقاومة الغزو الأجنبي " ورفع مستوى الأمة واصلاح حالها " وخاصة في الفترة الزمنية الممتدة بين قيام الحكم الاستعمارى وانتصاب أنظمة الغرب ومناهج حياته في ديار الاسلام وبين فترة الانتفاضات والتحركات التحررية التي تحاول أن تعيد الى الأمة عزتها وسيادتها ..

وقد نشأ هذا الجيل أثناء الاحتلال الغربي للبلدان الاسلامية كما قلنا سابقا وتوغل المدنيات الأوربية فيها . لذا لما زالت السلطات الاستعمارية وآلت الأمور الى أيدى هؤلاء اختاروا العلمانية لدولهم رغم انتماء أغلبهم الى الاسلام مثل (سيكوتورى) رئيس غينيا و (موديبوكيتا) رئيس جمهورية مالي و (حمادى ديورى) رئيس جمهورية النيجر ، وساسة السنغال المسلمين مثل محمد ضيا ولامين غاى ، ان

هؤلاء كلهم ان دعوا الى الدين انما يدعون الى الارتماء في أحضان الغرب العلماني والأخذ بمناهج الحياة الأوربية في كل مجالات الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وفي سياسة التعليم والثقافة والفن والتقاليد الأوربية والعادات الأوربية .

ان هذه الطبقة لا تمثل القادة السياسيين فحسب ،وانما تمثل أيضا أكثر الطبقة المثقفة بالثقافة الأوربية . وقد يوجد عند بعضهم حسن النية للدعوة الاسلامية. ولكنهم يتقززون من اكثر التعاليم الاسلامية.

وبعبارة أخرى : ان هؤلاء اتخذوا الاسلام فكرة ذهنية فقط ليعارضوا بها الأفكار المسيحية فقط ولكنهم يرفضون تطبيق بعض الأحكام الاسلامية والتمسك بالأخلاق الاسلامية مثل مسألة حجاب المرأة المسلمة وعدم اختلاطها بالرجال . فان هؤلاء يرفضون كل هذا ويقولون انه ليس من التعاليم الاسلامية لأنه يتنافى والمدنية الأوربية .

يعلنون هذا في وسائل الاعلام السمعية والمرئية باسم الاسلام ، وبعضهم يستهزئون من الملتزمين بالتعاليم الاسلامية من الذين يربون لحاهم كما أمرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون : انهم ليسوا واقعيين وانما هم متطرفون وهكذا دواليك .

ولكن هؤلاء يجب الاختلاط بهم لقصد توجيههم توجيها اسلاميا صحيحا .. لعلهم يهتدون لما فيهم من حسن النية وان تأثروا بالمدنية الأوربية والنمط الأوربي في الحياة..

ثانيا - اتجاه الشيوخ أصحاب الطلاسم والتمائم -

وقد تحدثنا عنهم سابقا .

إنّ هؤلاء هم الذين يدعون في المنطقة التمسك بالاسلام في صورته المشوهة الممسوخة التي امتزج فيها الأصيل بالدخيل والسليم بالعليل والخاص بالمشوب ، وأثرت فيها آفات الجمود والركود والانحراف عن حقيقة الاسلام ومفهومه الصحيح الشامل .

ويمثل هذا الاتجاه موقف الجمود والتجبر والانحطاط الفكرى والتخلف العلمي حيث يرفض كل ما جاء اليه الغرب في مجالات التقدم المادى ويعتبره منافيا للاسلام .. فالاسلام عنده دين يقتصر على ما يتعلق بالآخرة فحسب .. وينظر الى الدنيا بتلك النظرة العدائية ..

وهكذا اتخذ أصحاب هذا الاتجاه موقف التزمت والجهل بأمور الحياة المادية والاستنكار للتعرف على السنن الربانية التي أودعها الله تعالى في الكون ..

ان أصحاب هذا الاتجاه قد حاولوا بقصارى جهدهم الانعزال عن التفاعل مع مجرى الحياة المتدفقة بالحيوية والحركة ولم يحاولوا التأثير فيه ومن أكبر ما قام به هؤلاء من عرقلة مسيرة الدعوة الاسلامية المثالية ، معارضتهم للدعوة السلفية التي سنتحدث عنها فيما يلي .

وقد قاوم بعض هؤلاء الدعوة السلفية معارضة شديدة لا هوادة فيها ورموا أصحابها (بالوهابية) التي صوروها في صورة حيوان مفترس يصول على الناس في حركاتهم وسكناتهم ..

ان هؤلاء هم الذين كانوا سببا لتشويه الاسلام لدى الأوربيين بسبب/ما أتوا به في الاسلام من خرافات وبدع..

واذا مات منهم أحد يطبخون له طعاما في الأيام الثلاثة الأولى ثم في اليوم السابع ثم في اليوم الأربعين ثم على رأس السنة .

وهم الذين يحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم بشكل يدعو الى السخرية والازدراء من ديننا الاسلامي ..

ان هؤلاء لا يقومون بالدعوة والارشاد الا بمناسبة الجنازة أو مولد جديد وما أشبه ذلك والغريب انهم لا يقومون بهذا كله الا بعد أن يأخذوا مقابلا على ذلك.

ان هؤلاء ، نقول بكل صراحة ، ليسوا ممن يدعون الناس لأجل نشر الاسلام وانما يقومون بذلك لأجل جمع المال فقط . وهم الأغلبية الساحقة في المنطقة ،وقد تأثر بأقوالهم الجمهور ..

ان هؤلاء لا ينفع معهم أى محاولة لردهم الى الحق لما انغمسوا فيه من الجمود الفكرى موقفهم المتصلب وتخليصهم مما هم فيه من مغالطات وما علق بتفكيرهم من أخطاء وخرافات وخزعبلات وترهات.

فقد أخذ الاستعمار سندهم من تصرفاتهم هذه ليعلن أن الاسلام في الشرق غير الاسلام في افريقيا . فسمى اسلامهم هذا باسلام السود ، فلما تشربت جماهير المثقفين بالثقافة الغربية ، صاروا يستهينون هذا الدين بل يستحي بعضهم أن يصرح بأنه مسلم . . فصار ذلك نوعا من التيارات الفكرية المعادية للاسلام . فهو النوع الذى سميناه بالتيارات النابعة من البيئة . الاأننا لا نملك الوقوف الطويل عندها لأسباب:

١ - انها غير داخلة في التيارات التي خصصنا لها هذا البحث وهي التيارات الوافدة من أوروبا .

٢ - قد بدأ الناس الآن يعرفون العقيدة الاسلامية الصافية البعيدة ومن شوائب الشرك والخرافات والترهات. وأن هذه الخرافات دخيلة على الاسلام.

ثالثا - الدعوة السلفية :

ان هذه الدعوة التي تعتبر صدى لدعوة محمد بن عبد الوهاب هي التي قامت لاصلاح حالة المجتمع الاسلامي في افريقيا الغربية قامت لاصلاح الأوضاع التي كانت متدهورة ولمقاومة البدع والخرافات ، ولمواجهة الغزو الفكرى الأوربي .

ولقد دعت هذه الحركة بادىء ذى بدء المسلمين في هذه المنطقة الى حقيقة الاسلام ومفهومه الصحيح الشامل بمبادئه الأساسية وقيمه الأصيلة المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

كما دعت أيضا الى أخذ التصور الاسلامي الصحيح عن (الله والكون والانسان) .

وقد أوضحت الدعوة السلفية أن الدين الاسلامي هو المنهج الرباني في الحياة .. فهو يوجه المسلم الى العمل في الدنيا على اعتبارها طريق الآخرة . ويحضه على طلب العلم والبحث عن كل ما فيه صلاح المسلمين في الدنيا والآخرة كما يوجهه الى عمارة الأرض والتعرف على السنن الربانية التي أودعها الله في الكون .

وقد فهمت هذه الدعوة سكان المنطقة أن الدنيا مزرعة الآخرة ليس هناك عمل للدنيا وعمل للآخرة عند المسلم وأكدت أن أى نشاط يقوم به في الحياة الدنيا يكون عبادة لله تعالى ما دام فيه أمر الله ..

وقد كشفت دعوة السلفية في المنطقة عن الصورة الأصيلة للاسلام مبينا ما في الاتجاهات الفكرية الشائعة بين المسلمين من عوج فكرى

وانحراف في توحيد الألوهية والأسماء والصفات ومفهوم الايمان بالقدر..
وما ترتب على هذا الانحراف من آثار سيئة ..

وقد دعت الدعوة السلفية الى استرجاع العزة والمجد للأمة الاسلامية حتى تكون قادرة على مواكبة تيار التطور والتقدم.

وقد كان أبرز دعاتها (الحاج جيكورو توري) .وقد لقي في هذا السبيل متاعب جمة من قبل السلطات الاستعمارية فجندت له بعض الشيوخ من أصحاب الطلاسم والتمائم ليقوموا بتشويه اسمه والدعوة التي يدعو الناس اليها ..

وعلى سبيل المثال كان الحاج (محمد لا بي)(1) من أبرز المقاومين لهذه الدعوة .. وكان اذا خرج ليلقي الخطب ضد هذه الدعوة يرافقه الجنود من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية للحماية من الناس .. وما زال يحارب هذه الدعوة حتى أظهرها الله في كل مكان ولم يستطع محمد لا بي أن يقف في مواجهة طوفان هذه الدعوة وسيلها الجارف ..

---

(1) هو من أهل مدينة كونغ وكان أبوه من أبرز علماء عصره يقال له كراموكو (أبو) ولكن (محمد لا بي) قد اغتر بأقوال المستعمرين ووعودهم الفارغة فقام يحارب دعوة السلفية ولم يزل كذلك حتى أصبح ممنوعا من القاء الخطبة والوعظ في الطرقات . الله يهدينا ويهديه انه جواد كريم .

وأما الحاج جيكورو فلم يلتفت الى تهديدات الاستعمار بل ثبت في دعوته الى أن مات سنة ١٩٥٤م بعد أن أيده الله بتثبيت دعائم السنة المحمدية في ربوع غربي افريقيا .

وقد تحدث عنه الأستاذ عبد الرحمن كوني في كتابه القيم: "الاسلام في ساحل العاج" وبين فيه كيف بدأت هذه الدعوة وكيف صارت بعد موته فلنقتطف من ذلك مايلي - وعبارته :

" يعتبر - بحق - الحاج تيكروتوري ، أول موفد في الأربعينات . قصد أرض الحجاز للحج وطلب العلم ، ومكث في مكة المكرمة من سنة ١٩٤٠م الى ١٩٤٧م وأخذ عن علمائها فنون المعرفة والتوحيد ، ثم عاد الى موطنه داعيا صادقا الى التوحيد ، ونبذ الشوائب والخرافات . فسببت له دعوته هذه متاعب جمة . عمل المستعمر على احداث الانشقاق وتعميقه بينه وبين بعض المشائخ . وظل مستمسكا بمبادئه رغم الأعاصير والمتاعب الى أن وافته المنية عام ١٩٥٤م بعد أن ترك أثرا طيبا لمبدأ التوحيد والسلفية في وطنه .." (١)

---

(١) الاسلام في ساحل العاج ، تأليف عبد الرحمن كوني ص ١٠٣ والشيخ عبد الرحمن كوني من أبناء ساحل العاج قد تخرج صحافيا ويعمل الآن في الامارات العربية وكان لكتابه هذا ضجة كبيرة حيث منع انتشاره في ساحل العاج من قبل السلطات .

هكذا انتشرت الدعوة السلفية في أنحاء غربي أفريقيا وتجاوبت صداها في كل مكان ، ولم يكتف أنصار هذه الدعوة بمجرد الخطب بل قاموا بتأسيس مدارس على عقيدة السلف الصالح . فعلى سبيل المثال نذكر أسماء عدد من هذه المدارس السلفية في المنطقة .

أ - مدرسة دار الحديث بمدينة بواكي .

أسسها المناضل الفاضل الحاج موري موسى الذى تلقى بعض الفنون العلمية في مكة ثم ارتحل الى ساحل العاج فأسس هذه المدرسة التي تعتبر أشهر المدارس في غربي افريقيا .حيث يوجد فيها حوالي ٣٠٠٠ طالب وطالبة وفيها المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية ولم ينتقل موري موسى الى الرفيق الأعلى الا بعدما ترك وراءه هذا الأثر ولم يزل أتباعه يواصلون السير حذو القذة بالقذة .

ولم يكتف دعاة السلفية بمجرد تصحيح العقيدة من أدران الخرافات والبدع وبناء المدارس والمساجد ولكنهم رفعوا راية السنة المحمدية في شتى المجالات ولم تزل نساؤهم يضعن الحجاب على رؤوسهن ووجوههن ..(١)

---

(١) مستفاد من البحث الميداني .

ب - جماعة عباد الرحمن :

ان هذه الجماعة تعتبر بحق من أحسن المنظمات العاملة في الساحة الاسلامية في السنغال ،تنظيما وانضباطا وتمسكاً بالاسلام قولا وفعلا . ومن أصدقها فيما تدعو اليه .

ويذكر الباحثون أن هذه الجماعة يقع مقرها بمدينة (تياس) التي تبعد عن العاصمة داكار حوالي خمسين كيلو مترا تمتاز هذه الجماعة عن غيرها من المنظمات الاسلامية في السنغال بعملها علانية بالسياسة ومعارضتها جهرا لسياسة الحكومة التي تعتقد أنها منافيه للاسلام ودعوتها جهرا الى تطبيق الشريعة الاسلامية واعتبار الدين الاسلامي دينا رسميا للبلاد (بدل العلمانية) .

ولم تكتف هذه الجماعة بما ذكر ،وانما قامت أيضا باصدار صحيفة منتظمة تعكس آراءها مختلف القضايا التي تهم المسلمين .

ولم تنفرد السنغال وساحل العاج فقط بأمثال هذه المدارس السلفية السنية ،بل توجد في جميع دول غربي افريقيا من (مالي) وفلتا العليا وبنين والنيجر وغينيا .

---

(١) المسلمون في السنغال ،المصدر السابق ١٦٣.

وأما أهداف هذه المدارس السلفية كلها : وجوب السعي وبذل الجهد لازالة الضعف العلمي والجمود الفكرى ، والتخلف الثقافي الذى يعانيه المسلمون في مجال العلوم الشرعية ومجال العلوم العقلية والنظرية .. ووضع تنظيم علمي جديد يقوم على حقيقة الاسلام وروحه وأسسه العلمية والفكرية والثقافية الصحيحة .. وتهدف الى تحقيق رسالة الاسلام وغايته الى سكان غربي أفريقيا الذين تواجههم اليوم التيارات الفكرية المعاصرة الوافدة من أوروبا أو النابعة من البيئة.

هذه هي أهم أهداف المدارس السلفية في المنطقة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي الكريم .

الفصل الثالث

طريق الخلاص

مما يعانيه المسلمون في بلاد السودان الغربي
ووسائل الاصلاح في سبيل استئناف حياة اسلامية
محضة .

*

ان طريق الخلاص مما تعانيه الأمة الاسلامية في بلاد السودان الغربي هو الصبر على طاعة الله والعودة الصادقة الى العقيدة الاسلامية في جوهره وحقيقته وفي صورته التطبيقية السليمة.

وليس هناك مخرج غير هذا السبيل ولا عاصم للمسلمين من خطورة التيارات الفكرية الهدامة ،الا بالفرارالى الله تعالى والاعتصام بحبله المتين واقامة دينه ومنهجه القويم ،فاذا تحقق هذا فلا يضرنا كيدهم شيئا ،كما قال تعالى :

* وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا * (١)

ان ما أصاب المسلمين في هذه الآونة الأخيرة من ذل وهوان والسير خلف الركب الحضارى كل ذلك نتيجة انحرافهم عن دين الله وعدم تطبيقه في جميع شئونهم القليلة والكثيرة.

ولا يزول هذا الذل وذلك الهوان حتى يغيروا ما بأنفسهم من قابلية الاستعمار وتياراته الفكرية تحقيقا لقوله تعالى :

* ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * (٢)

اذا نظرنا الى واقع المسلمين هناك ،نجد جهلا مطبقا بالنسبة لفهم الاسلام.. وخاصة ما يتعلق بالتوحيد .

---

(١) آل عمران / ١٣٠.

(٢) الرعد / ١١.

فكان لزاما - اذن - على الدعاة أن يبدأوا بادئ ذي بدء بتفهيم المسلمين حقيقة الاسلام ودعوتهم الى تحقيق العبودية الكاملة لله وحده وتطبيق هذا الدين ومبادئه واخلاقياته تطبيقا عمليا من واقع الحياة ..

وقد علمنا من كتاب ربنا وسنة نبيه أن العقيدة الاسلامية الكبرى التي يتمثل فيها الاسلام ويقوم عليها . والتي تعتبر الركيزة الأساسية لبناء المجتمع المسلم والقاعدة التي يقوم منهج الحياة الاسلامية وهي عقيدة " لا اله الا الله محمد رسول الله " .

ان هذه العقيدة كما قلت سابقا لم تعد مفهوما فهما جيدا لدى الكثيرين من سكان هذه المنطقة .

ولا يفهمون من معنى " لا اله الا الله " الا أن الله هو الخالق والرب والرازق .. ومعنى ذلك انهم لا يفرقون بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية..

فتوحيد الربوبية لم تقع فيه خصومة بين الرسل وأممهم بل قد أقر بذلك المشركون كما أخبر الله عنهم بقوله :

﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ (١)

وأما الذى وقعت فيه الخصومة بين الأمم والرسل هو توحيد الألوهية الذى (يعني من بين ما يعنيه) هو : افراد الله تعالى بالعبادة والقوامة والسلطان والحاكمية ...

---

(١) لقمان / ٢٥.

وبتعبير آخر : افراده تعالى بذلك كله اعتقادا في القلب وعبادة في الشعائر وشريعة في واقع الحياة .

﴿ قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ (١)

هذه هي الصورة المتكاملة التي تعطي اقرار الانسان بهذه العقيدة ... ولكن - مع الأسف الشديد ان هذه الصورة قد غابت عن حس الناس في المنطقة . وكثير منهم حصروا كلمة العبادة على الشعائر التعبدية فقط بينما معنى هذه الكلمة أوسع من ذلك . لنرجع الى شيخ الاسلام ابن تيمية ليوضح لنا هذا المعنى الشامل للعبادة اذ يقول :

" ودين الاسلام مبني على أصلين ، على أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيء وعلى أن يعبد بما شرعه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم . وهذان هما حقيقة قولنا " أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله " فالاله هو الذى تؤلهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيما وخوفا ورجاء واجلالا واكراما والله عز وجل له حق لا يشاركه فيه غيره فلا يعبد الا الله ولا يدعى الا الله ولا يخاف الا الله ولا يطاع الا الله " .

وأما الشهادة أن محمدا رسول الله فهي تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر . . "

---

(١) سورة الأنعام /٦ .

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ١٦٢ .

ونفهم من كلام الشيخ ابن تيمية هذا "أن المسلم ، منذ اللحظة الأولى من اسلامه وقبوله هذه العقيدة الربانية يكون قد دخل في عهد جديد منفصل ومستقل عما كان عليه قبل ذلك ، ويتبرأ من كل صور حياته الجاهلية القديمة ومن ملابسات هذه الحياة والتزاماتها وروابطها وعلاقاتها وقياداتها .. وبذلك تتبدل حياته وتتغير أنماطها . وينتقل الى عالم جديد يعتزل فيه الانسان كل أوضاع الحياة الجاهلية والوثنية وتقاليدها .

وكما يجب هذا على الأفراد يجب أيضا على الجماعات فان وجود المجتمع المسلم لا يتحقق في واقع الأمر الا بتحقق هذا الأمر . فلا يكون المجتمع مجتمعا مسلما الا اذا توفرت فيه هذه الشروط أى ما يتمثله الاسلام واقعا عمليا ويحقق العبودية الكاملة لله وحده ويتبع منهج الله في صورته المتكاملة في شئون حياتهم كلها .

واذا تحقق هذا فما بعده من الشعائر التعبدية والحاكمية فهو من مقتضيات هذه العقيدة ، وان المصدر الوحيد لتلقي هذه العقيدة وجميع مقتضياتها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اذن ان المجتمع المسلم هو الذى يقوم فيه منهج الحياة - جملة وتفصيلا على العبودية لله وحده فلا ينفع الناس الاقرار بهذه العقيدة الا بتمثيل حقيقتها ومقتضياتها تمثيلا واقعيا . (١)

---

(١) معالم في الطريق ، سيد قطب ص ٦٤ - ٦٨ بتصرف . فصل نشأة المجتمع المسلم وخصائصه وكذلك ص ١١٣-١١٤ فصل لا اله الا الله منهج حياة.

هذا هو المفهوم الشامل الذى غاب عن حس الكثيرين من المسلمين فيجب على كل مسلم أن يعلم أن الاسلام ليس بمجرد النطق بالشهادتين ولا التمني ولا التحلي ولا بالانتساب الى الاسلام ولا بالايمان ببعض الكتب ، فمثلا يؤمن بآيات الشعائر التعبدية كالصلاة والزكاة والصوم والحج ولا يؤمن بالآيات التي تتحدث عن الحاكمية فالاسلام كل لا يتجزأ ولا يقبل أنصاف الحلول (١) فالاسلام يتضمن الاسلام الكامل لله . كما نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية اذ يقول :

" الاسلام يتضمن الاستسلام لله وحده فمن استسلم له ولغيره كان مشركا ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته . والمشرك والمستكبر عن عبادته كافر ، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته فهذا دين الاسلام الذى لا يقبل الله غيره ".(٢)

فالمسلمون - اذن - في هذه الآونة الأخيرة في حاجة ماسة الى فهم هذه الحقيقة فيجب أن يكونوا على استعداد تام للارتفاع الى مستوى هذا الدين في عقيدته وعبادته ..

والله هو الموفق وهو يهدى السبيل .

وهكذا رأينا ما هو طريق الخلاص من هذه الويلات التي أصابت العالم الاسلامي في كل مكان .

---

(١) راجع حد الاسلام وحقيقة الايمان ص ١٠٥-١٠٦ .

(٢) من الرسالة التدمرية ص ٦٠ .

الخاتمة

الخاتمـــــــــة

قد عرضنا خلال هذا البحث لبيان حالة البلاد قبل المد الاسلامي ليكون هذا ردا على طائفتين متطرفتين :

طائفة التفريط التي تقول : ان هذه السلالة السوداء ،ليست من فصيلة بني آدم . ولـم يكن في استطاعتها ، يوما من الأيـام أن تطور بلادها وانما عاشت طول حياتها منذ الماضي السحيـق مثل الحيوانات التي تدور حولها . وفي جهل مطبق وهمجية حمقاء ..
ولم تخرج من ذلك الا بعد التوغل الاستعمارى في المنطقة ..

وقد ذكرنا نماذج من الذين ذهبوا الى هذا الاتجاه مـن الفلاسفة الأوربيين كأمثال (مونتسكيو الفيلسوف الفرنسي) و (دافيد هيوم الفيلسوف الانجليزى .

وأما الطائفة الثانية : طائفة الافراط ، فهي التي رفعت شأن هذه السلالة فوق مستواها . ونفخت في صورة الشخصية الزنجية حتـى أصبحت أكبر من حجمها .. فادعت أن السود قد أقاموا مجتمعا حضاريـا مثاليا في المنطقة ثم جاء المسلمون بهمجيتهم فوضعوا نهاية لهـذه الحضارة السودانية العريقة .. ولولا ذلك لكانت هذه السلالة من أرقى الأمم .. ولكننا فندنا هذه الادعاءات الفارغة بأدلة مقنعة تدل دلالة واضحة على أن الاسلام هو الذى طور بلاد السودان حتى بلغ أهلها شأوا بعيدا في الحضارة الانسانية ..

ثم بعد ذلك تحدثنا عن حالة البلاد في شتى المجالات :
الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والعقديـة .. الا أننا ما تحدثنا عـن

هذه الحالات بطريقة سرد تاريخي مجرد ،بل كان ذلك بطريقة العرض التاريخي الموضوعي المقارن .

ثم وصلنا بعد هذا البحث الى نتائج هامة نشير هنا الى بعضها :

قد رأينا أن المفرطين والمفرطين كلاهما على خطأ فاحش ،وأن كليهما يريد بذلك محاربة العقيدة الاسلامية ولكن بأساليب مختلفة. فمثلا ان المفرطين من الاستعماريين يريدون ابراز الشخصية الأوربية ودورها في تحضير الأمم والشعوب عن طريق الانتقاص من حضارتها القومية وبالتالي يدعون أنهم الذين وضعوا بذور الحضارة الانسانية في المنطقة لا الاسلام .

وأما المفرطون فهم يريدون بذلك انكار الدور القيادى الذى قام به الاسلام في المنطقة عن طريق رفع شأن هذه السلالة السوداء فوق مستواها . اذن ان كلا منهما يقصد محاربة العقيدة الاسلامية وأثرها في المنطقة ولكن بأساليب مختلفة .. وذكرنا أن ذلك هو(بذرة الغزو الفكرى) في المنطقة ثم قررنا أن القول الوسط هو أن يقال أن هذه السلالة السوداء قد أقامت دولة سودانية على أرض السودان ولكن الاسلام كان عمادها زمن ازدهارها وقوتها .. لأن هذه الأمة كانت أمة أمية طيلة أيامها ثم أصبحت بفضل الاسلام في صفوف الأمم القارئة الكاتبة.

وكانت تعبد الأصنام التي تسمى عندهم (بالدكور) والجمع الدكاكير ،كما تعبد أرواح السلف والأشجار والأحجار و بعض الحيوانات والحشرات ولكنها بفضل هذه العقيدة الربانية تغيرت نظراتها " الى

الله والكون والانسان " فأدركت أن الكون والانسان مخلوقان فلا يستحقان العبادة وانما الخالق وحده يستحق ذلك ،فأقامت على هذه العقيدة الربانية دولا وامبراطوريات من أشهرها امبراطورية غانة الاسلامية ووريثتيها : (مالي وصنغاى) الاسلاميتين .

ومن تلك النتائج أننا قد عرفنا مما سبقت دراسته أن تاريخ السودان الغربي قد خضع لظاهرتين عميقتي الأثر : تتمثل الظاهرة الأولى في الهجرات المستمرة لقبائل البربر ، وخاصة قبائل الملثمين على أوطان الزنوج في الجنوب (جنوب الصحراء) .

وتتمثل الظاهرة الثانية في احتكاك الشعوب البدائية من أهل هذه الأقاليم بقبائل الملثمين الوافدين ،وتأثرهم به واقتباسهم الكثير من نظمهم الاجتماعية والحربية والدينية بل قد أثبتنا بعد مناقشة هادئة هادفة ،أن أول حكومة ظهرت في هذه المنطقة حكومة البيض من البربر على القول الراجح . قد ظهرت هذه الحكومة منذ القرن الأول الميلادى وبلغت ذروة مجدها في القرن الرابع الميلادى ثم استطاع بأبناء المنطقة من السودان أن يطردوا البيض الذين اعتبروهم محتلين ، من الحكم ليديروا حكومة بلادهم بأنفسهم اعتبارا من القرن الثامن الميلادى الى حد القرن الحادى عشر الميلادى حيث تحولت الامبراطورية الغانية الى امبراطورية اسلامية خالصة .

فدل ذلك على أن حكومة غانة ظلت وثنية حوالي ألف عام ،ثم تحولت الى امبراطورية اسلامية استدامت قرابة قرن ونصف يقودها أبناء المنطقة المسلمون السود (١) ولم تزل كذلك حتى اختفت سنة ١٢٤٠م بسبب استيلاء (ملك مالي) سندياتاكيتا عليها ..

---

(١) ما عدا الفترة القصيرة التي استولت عليها المرابطون وهي ١١سنة فقط.

ومن خلال هذا البحث أيضا قد رأينا أن الباحثين قد اختلفوا خلافا كبيرا حول كيفية دخول وانتشار الاسلام في المنطقة . ولم يزالوا في مناقشات وجدل حتى هذا اليوم. ولكننا بمنه تعالى توصلنا الى القول الراجح في كيفية دخوله وانتشاره في المنطقة .

وأما كيفية دخوله فقد فندنا فيها القائلين بأن المرابطين هم أول من أدخلوا الاسلام في المنطقة بعد غزوهم لها في القرن الحادى عشر ،وأثبتنا أن الاسلام قد دخل في المنطقة قبل المرابطين بخمسة قرون وكان أول من وصل المنطقة بالاسلام : عقبة بن نافع الفهرى الذى وصل الى مدينة أوداغست السودانية التي كان حكامها آنذاك من قبائل البربر . فلما نشر عقبة بن نافع الاسلام في هذه المدينة السودانية كان ذلك دخول الاسلام في السودان الغربي وذلك في سنة ٤٣ هـ.

ثم اتخذ الاسلام طريقه في المنطقة ينتشر في أدوار تاريخية بيناها في الباب الثاني على وجه التفصيل واليك فيما يلي خلاصته :

قد توصلنا بعد مراجعة المصادر الجادة الى أن الاسلام قد أخذ ينتشر في المنطقة ببطي* وبطريقة سلمية - ما عدا بعض الحالات - في أربعة * أدوار تاريخية رئيسية :

الدور الأول :

ومدته أربعة قرون تقريبا اعتبارا من السنة ٤٣ هـ الى القرن الخامس الهجرى أو القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلاديين .
وكان رواد هذا الدور من التجار من العرب والبربر والدعاة منهما .

الدور الثاني :

ومدته ستة قرون تقريبا اعتبارا من القرن الحادى عشر الى آخر القرن السادس عشر الميلاديين أو من القرن السادس الى القرن الحادى عشر الهجريين . وكان القائمون في هذه الفترة بالدعوة الاسلامية صنفان : المرابطون والأسر المالكة (قبيلة التكرور وقبيلة السونيكي وقبيلة الماندنغ وقبيلة اسكيا تورى) .

وكان هذا الدور من أهم الأدوار لانتشار العقيدة الاسلامية بالمنطقة ، لأن المرابطين لم يكتفوا بما اكتفى به الأولون من العرب والبربر وانما حاولوا كل المحاولة اطاحة الدعائم الوثنية لذا نازلوا الجيش الغاني السوداني حوالي ١٥ سنة حتى دخلوا مدينة غانة منتصرين على الملوك الوثنيين .

من هنا اندفع جمهور سكان المنطقة عن طواعية لاعتناق الاسلام بل ودخل فيه الامبراطور الغاني نفسه واسمه : تنكامنين ، ففتح بذلك صفحة جديدة من تاريخ البلاد حيث تحولت الامبراطورية الوثنية الى امبراطورية اسلامية.

هذا هو الدور العظيم الذى قام به المرابطون في بلاد السودان الغربي .

وأما دور أسرة الماندنغ فلم يكتف بنشر الاسلام بمنطقة السافانا السودانية فحسب بل هاجر هذا الشعب الى الجنوب لنشر الاسلام والاستيطان هنا . ولم يزل أحفادهم موجودين هناك .(في ساحل العاج) وما جاورها .

الدور الثالث :

ومدته : ثلاثة قرون تقريبا . ابتداء من أول القرن السابع عشر الى اخر القرن التاسع عشر الميلاديين .

أما الذين قاموا بنشر الاسلام في هذه الفترة ،جماعتان :

القادرية ،والتيجانية .

فقد آلت الزعامة الروحية ، بعدما انقرضت امبراطورية صنغاى ، الى الطرق الصوفية . ومن هنا تسربت الأفكار الصوفية الى العقيدة الصافية التي كانت تسود البلاد منذ دخول الاسلام فيها سنة ٤٣ هـ الى آخر القرن العاشر الهجرى .

وبتعبير آخر مكثت غربي افريقيا تحت ظل العقيدة الصافية ألف سنة تقريبا .. ثم جاءت ظلمات الصوفية فامتزجت أفكارها بالعقيدة الصحيحة .

فمن خلال هذه الدراسة يتبين لنا خطأ القول أن غربي افريقيا لم يصل اليها الاسلام الا بعدما أن صار ممزوجا بالخرافات والبدع الصوفية .. ولكن هذه الدراسة كشفت الغطاء عن وجه هذا الأمر فدلت على أن الاسلام وصل في المنطقة صافيا نقيا فتحلى بها القرون الأولى من هذه الأمة ، ثم جاءت الصوفية أخيرا بعد غياب الامبراطوريات التي قامت على هذه العقيدة فاختلط الحابل بالنابل .

ولما جاء الجيل الجديد لم يعرفوا شيئا من الاسلام الا هذا المزيج بالخرافات والتقاليد الافريقية فقالوا : الاسلام جاء في المنطقة بهذه الصورة المشوهة ولكن العكس هو الصحيح .

الدور الرابع :

ومدته تسعون سنة تقريبا ابتداء من آخر القرن التاسع عشر الى يومنا هذا.

وأهم من قاموا بنشر الاسلام في هذه الفترة التاريخية ، معلموا المدارس العربية .. وأبرز ماقاموا به من عمل ، وقوفهم الصامد أمام التوغل الاستعماري وتياراته الفكرية الهدامة وما زالوا يواصلون الدعوة الى دين الله الى اليوم ، الا أن المدارس الجديدة القائمة على الأساليب الحديثة بدأت تزحزح تلك المدارس التقليدية البدائية لتحل محلها الآن .

*

هذه هي أهم الأدوار التي انتشرت فيها العقيدة الاسلامية في المنطقة فيتبين لنا من خلال هذه الدراسة أن العقيدة الاسلامية عاشت في هذه المنطقة حوالي أربعة عشر قرنا اعتبارا من القرن الأول الهجري وبالتحديد سنة ٤٣ هـ الى القرن الخامس عشر الهجري .

فالاسلام - اذن - ليس غريبا على سكان هذه المنطقة ولكن الذي شوه وجه الاسلام هنا : الطرق الصوفية من القاديانية والتيجانية..

ولقد كانت معرفة الكيفية لدخول الاسلام وانتشاره في المنطقة محل خلاف وجدل عريض ولكن هذه الدراسة جاءت لتكشف الغطاء عن هذا الغموض وتبين كيف ومتى دخل ، وكيف أخذ سبيله في الانتشار فالفضل كل الفضل يرجع الى الله عز وجل أولا وآخرا للحصول على هذه النتائج الهامة التي اشتملت عليها هذه الدراسة المتواضعة .

وأما الحديث عن تأثر سكان المنطقة بالاسلام وتأثيرهم بـه جيرانهم الوثنيين فيكفينا دليلا قيام امبراطوريتين عظيمتين اسلاميتين (امبراطورية مالي وامبراطورية صنغاى) في ظل الاسلام و يشير القلقشندى أن حكومة مالي عرفت التخصص في الادارة وان السلطان يكل كل أمر الى صاحب وظيفته .(١) وتأثر أهل مالي في زيهم بالمغاربة الذين نشروا الاسلام في المنطقة فهم يلبسون الجلباب والدراريع .(٢)

و من الأشياء الجديرة بالانتباه هو قلة الظلم في مملكة مالي فقد اتصفت دول شتى بالحضارة والمدنية ولكن انتفاء الظلم عنها لا يحدث في الغالب ،ولذلك تعتبر هذه الظاهرة التي أشاد بها ابن بطوطة من أهم مميزات سلطنات السودان الغربي الاسلامية . والتي تفتقدها كثير من الدول المتحضرة في عالم اليوم.

ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن الذين ينكرون أن يكون للاسلام أى تأثير في شعوب هذه المنطقة ،انما يقولون ذلك لمجرد التعصب وليس عندهم أى سند علمي .

ان هذا سيزيدنا وضوحا عندما ننتقل الى الحديث عن مملكة صنغى الاسلامية.

وقد كشف لنا هذا البحث أن لسلطنة صنغاى الدور البارز في نشر الاسلام في السودان الغربي وخاصة في عهد السلطان اسكيا محمد والذى يعتبر المؤسس الحقيقي لسلطنة صنغى .

---

(١) صبح الأعشى ٥/٢٩٨.
(٢) المصدر السابق ٥/٢٩٩.

فقد نظم الاسكيا محمد بلاده على نحو يثير الاعجاب ، فأنشأ جيشا قويا دائما ولم يكتف بذلك بل أنشأ أيضا أساطيل صفارا من سفن التمرين وكما كانت هذه الدولة تتمتع بأنظمة كثيرة لا يختلف في معناها عن الأنظمة الحديثة التي تتبذخ بها أوربا . ومن الأمور التي أنشأها أسكيا محمد توري مايلي :

١ - أقام نظاما للضرائب يكون الدفع بمقتضاه عينا ليملأ الخزينة العامة .

٢ - وأنشأ الدواوين العسكرية والسياسية والادارية .

٣ - حدد اختصاصاتها تحديدا دقيقا .

٤ - تعيين الشرطة وتقسيم البلاد الى ولايات فأصبحت امبراطورية صنغى دولة عظيمة منظمة على أسس حديثة .

ومن النتائج الهامة التي توصل اليها البحث : أن هناك عدة طرق تربط بين شمال أفريقيا وجنوبها وقد ذكرنا بعض هذه الطرق في الباب الأول ولم تكن الصحراء الكبرى - كما تدعي أوربا - فيافي بلا ماء ولا عشب ولكن كانت بها آبارارتوازية ومياه جارية وقد نظم عبد الرحمن الفهرى بعدما فتح عقبة بن نافع الفهرى هذه البلاد ونشر الاسلام فيها نظم هذه الطرق كلها بين مدينة اودغست وبين الشمال الافريقي . وبهذا يبدو فضح القول بأن بلاد السودان الغربي كانت منعزلة عن العالم ومظلمة قذرة ولم تخرج من هذه الهمجية الا بعدما جاء الأوربيون .

وقد تبين لنا أيضا من خلال هذا البحث أن التجارة بين الشمال الافريقي وبين السودان الغربي كانت تتمشى مع الأساليب الحديثة .

ومن آثار الاسلام الطيبة على سكان هذه المنطقة تأسيس مدينة تنبكت بواسطة المسلمين . وقد بلغت ذروتها في عهد مملكة مالي ومملكة صنغى المسلمتين .

وكانت (جامعة سنكرى) التي تأسست في تنبكت عام ١٤٥٠م - ٨٥٤ هـ مركزا لاشعاع فكرى بعيد المدى ومنارة للعلم في بلاد السودان ولا تقل في مستواها عن قرطبة أو الأزهر أوجامعة القرويين بفاس. وكان الأساتذة الزائرون يحضرون اليها من مختلف بلاد العالم الاسلامي .

وكان الوعي الثقافي مرتفعا جدا في السودان الغربي ودليلنا على ذلك ارتفاع أسعارالكتب . وأن التجارة فيها كانت تعود بأرباح تفوق الأرباح التي تأتي نتيجة أى عمل تجارى آخر في هذه البلاد .

وقد أسفرت هذه الدراسة عن نتائج هامة. منها :
أن سكان هذه المنطقة قد تعلموا أشياء كثيرة نتجية اتصالهم بالمسلمين الوافدين من المغرب ومصر ، من ذلك الزراعة كما عرفوا أساليب البناء في المساكن وأسوار المدن والمساجد وأهم من ذلك أنهم تلقوا مبادىء التنظيم السياسي والاجتماعي .

وأجاد علماؤهم اللغة العربية ،وأسهمت مجموعة منهم في الكتابة وفي مختلف الفنون ووصل علماء السودان الغربي الى مستوى من العلم والمعرفة لا يقل عن مستوى علماء المدارس الاسلامية الأخرى ،وقد دعي بعضهم للتدريس في جامعة الأزهر . ومن أشهرهم ابن عبد الرحيم. .

واستفاد السودانيون من الاسلام الذى جاءهم من مصر والشمال الافريقي ، فالاسلام ليس دينا فحسب بل هو شريعة ومنهاج حياة هو حضارة وبناء اجتماعي على أساس القرآن ..

وأبرز آثار الاسلام في المجتمع السوداني الغربي أن غرس فيهم الوحدة والاتحاد وقضى الاسلام على عبادة أرواح السلف وكذلك على مبالغات السحر والشعوذة .. كما قضى على تعاطي الخمر ، وأنهى نظام سيادة المرأة وتوريث ابن الأخت دون ابن الصلب ..

وأنشأ مدارس تلاوة القرآن بدلا من غابات السحر وأصبح المسجد مركزا للقرية بدلا من دار عبادة الأوثان ذات المنظر المخيف ...

وتلك بعض آثار العقيدة الاسلامية على سكان هذه المنطقة وبقيت هذه العقيدة رغم تلك الحروب الأهلية وخاصة الغزو المغربي للسودان - رغم كل ذلك بقيت البلاد تحت ظل الاسلام ، حتى " ألقت رحلها أم قشعم " يعني التيارات الفكرية الأوربية المدمرة التي دمرت التقاليد الدينية كما دمرت الأخلاق والفضائل .

*

كما توصلنا من خلال هذه الدراسة الى ما قام به المستعمرون من محاولة القضاء على الشريعة الاسلامية وعلى الثقافة الاسلامية طيلة أيام الاستعمار ابتداء بالمدارس الاسلامية بمدينة (سانت لويس) ولما جاءت النخبة المثقفة مشت مع الأسلوب نفسه واتخذت العلمانية دستورا لدولهم . كما اتخذت الأحزاب السياسية والقومية الزنجية عقيدة

لهم . وفتحت الأبواب أمام جميع المذاهب الهدامة المعاصرة من الشيوعية والاشتراكية والوجودية والعالمية والماسونية.. وترصدت لكل من يحاول دعوة الناس الى التمسك بالعقيدة الدينية .. وزجوا الدعاة في السجون .. وهكذا دواليك ..

ولما استيقظ المسلمون من غفلتهم هذه ، بدأوا بردود فعل للاحتلال الأجنبي وقاوموه بالمدارس الاسلامية أولا وبتنظيم الجمعيات الاسلامية ثانيا وباتباع الطريقة السلفية أخيرا .

أما التيارات الفكرية النابعة من البيئة الافريقية فقد رأينا في هذا البحث أنها لا تؤدى بذاتها الى مواجهة الدين ولكن اليد الخفية أخذتها سندا لمحاولة التشويه على الاسلام. فمن هذه الحيثية صارت هذه الأمور من الخرافات والبدع التي كانت تتصف بها طائفة من الشيوخ ناحية من نواحي التيارات الفكرية الهدامة .

كما تبين لنا من خلال هذا البحث أن القائمين بالعمل الاسلامي في الوقت الحاضر بالمنطقة ثلاثة أصناف :

١ - النخبة الممتازة ذات الثقافة الغربية . انها تدعو الى الأخذ بمناهج الحياة الغربية في كل مجالات الحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وفي سياسة التعليم والثقافة والفن والتقاليد والعادات .

وقد علمها أساتذتهم المبشرون والمستشرقون ان الدين الاسلامي هو الذى قضى على أهله بالتأخر والتخلف بسبب دعوة المسلمين الى الامتثال والخضوع لأوامره واجتناب نواهيه التي لم تعد مواكبة

للمجتمعات الانسانية الراقية في عصرنا الحاضر فهو يصرفهم الى العبادة ويحملهم على الاتصاف بالقناعة والرضى بالمكتوب ويحذرهم المغامرة ويقعدهم به من الأخذ بوسائل التقدم التي أصبحت ضربة لازب في المجتمعات الحضارية في الوقت الراهن .

ولقد تأثرت هذه النخبة الممتازة بهذا الاتجاه بهذه المزاعم الباطلة حتى رأت أن الاستقامة في الحياة العملية لا يمكن الا بنبذ الدين الذى لم يعد صالحا في نظرها لحكم الحياة العملية وتوجيهها والهيمنة عليها . أو بفهم الدين فهما غير الفهم الذى عليه الأولون اعتبار الدين مسألة شخصية بين الانسان وربه سبحانه وتعالى أو بالقول بوجوب فصل الدين عن الحياة الدنيا وقطع علاقة الدين بشئون الحياة العامة .. هذا هو الفريق الأول من الذين يقولون أنهم الدعاة الى الاسلام.(١)

٢ - هناك اتجاه ثان يدعو الى التمسك بالاسلام في صورته المشوهة الممسوخة التي امتزج فيها الأصيل بالدخيل والسليم بالعليل والمنقحة بالأفكار الصوفية وبالخرافات والشعوذة .. ان هؤلاء يكرهون كل جديد وان لم يتعارض مع التعاليم الاسلامية . لذا اتخذتهم السلطات الاستعمارية دليلا على تشويه الاسلام والاساءة اليه.

---

(١) مواقف الاسلام ، محمد الحبيب ابن الخوجة ص ٩٤ - ٩٥ .

وقد انعزل هذا الفريق بعيدا عن التفاعل مع مجرى الحياة المتدفقة بالحيوية والحركة ولم يحاول التأثير فيه .

٣ - هذا الاتجاه تمثل حركة البعث الاسلامي التي قامت في المجتمع الاسلامي لاصلاح حالته المتدهورة ورفع مستوى الأمة ومواجهة الغزو الفكرى الأوربي ..

ولقد دعت هذه الحركات الاصلاحية المسلمين الى الرجوع الى حقيقة الاسلام ومفهومه الصحيح الشامل بمبادئه الأساسية وقيمه الأصيلة المستقاة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

وهذه الحركات تبتدئ بدعوة الامام محمد بن عبد الوهاب التي قامت في نجد والحجاز خلال القرن الثاني عشر الميلادى .

ثم تلتها دعوة الامام محمد بن علي السنوسي الكبير في ليبيا وحركة الامام محمد أحمد بن عبدالله المهدى في السودان .

وحركة الشيخ عثمان بن فوديو في نيجيريا وحركة الحاج عمر تال التكرورى .

وأما حركات البعث الاسلامي المعاصرة فأبرزها حركة الاخوان المسلمين بمصر وحركة الجماعة الاسلامية بباكستان والحركات الأخرى في تركيا وايران وأندونيسيا .

وحركة الحاج (جيكوروتورى) في ساحل العاج والحركات الأخرى التي قامت أخيرا في غربي افريقيا في كل من السنغال ومالي وغينيا وفلتا العليا (بوروكينافاصو) وبنين وموريتانيا . ان هذه الحركات

كلها تسعى لتحقيق شيء واحد وهو الرجوع الصادق الى أخذ بالتصور الاسلامي الصحيح عن الكون والحياة والتقدم في النواحي المادية من هذه الحياة من هذين المصدرين الأصليين واختيار مواقف المسلمين الفكرية واتجاهاتهم المستخدمة وقياسها على هذين المصدرين وفهم السلف الصالح لما ورد فيهما من الأصول والقواعد الكلية .

هكذا وقفنا في هذا الختام على بعض النتائج الهامة التي وردت في هذا البحث وان وفقنا فمن الله وان حصل منا قصور فذلك هو الصفة الذاتية للانسان .

فالله نسأل أن يسدد خطانا ويجعل هذا العمل في رضاه نلقاه به يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن بيضة هذا الدين الحنيف .

اللهم اغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين والمسلمات انك بالاجابة جدير ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الختامي :

الاسلام الذى يــــراد نشره لمواجهة التيارات الفكرية الوافدة من آوروبا أو النابعة من البيئة الأفريقيـــة

فيه مقدمه وثلاثة مباحـــث :

المبحث الأول : مفهوم لفظة (اسلام) لغة وشـــرعا .

المبحث الثاني: الاســلام الذى يــــراد نشـــــره.

المبحث الثالث : منهـــج المواجهـــة :

(القضايا - الأساليب - الوسائل)

للطـــالب

صالح اسحـــاق بـامبــــــــا

من جمهورية ســـاحل العـــــــــاج

(مقدمـــــه)

في السطور الماضية ، قد تحدثنا عن حالة البلاد قبل المد الاسلامي أولا ، وعن كيفية دخول وانتشار الاسلام فيها مع بيان الآثار الطيبة المترتبة على ذلك - وعن أهم التيارات الفكرية التى كان - ولم تزل - تواجه العقيدة الاسلامية أخيرا .

والآن وصلنا الى المرحلة الحاسمة ، مرحلة الفصل الختامي ، لنتحدث فيه عن حقيقة الاسلام الذى يراد نشره لمواجهة تلك التيارات الفكرية الهدامة .

والذى يدعونا الى كتابة هذا الفصل ، هو كثرة الجدال والأقاويل حول أسلوب المواجهة ... ومنهج المواجهة ... لدى الدعاة المعاصرين ..

هناك من الدعاة من يرغب فى أن نبدأ أولا ، ببيان الفكر الاسلامي في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ، لأن الأزمة - فى وجهة نظرهم - أزمة الفكر لا أزمة العقيدة ..(١)

وبتعبير آخر : نقوم - بادىء ذى بدىء بشرح مزايا الاسلام فى المجالات السياسية والاقتصادية ليقتنع الناس ... ومن هؤلاء الدعاة الاسلاميين من يرى أن الأزمة أزمة عقيدة لا أزمة فكر ، فيتحتم علينا في هذا العصر بالذات أن نقدم للناس - بادىء ذى بدىء - العقيدة الاسلامية الصحيحة ، ثم نشرح خصائص تصور الفكر الاسلامي المبنى على هذه العقيدة .....(٢)

وهناك أيضا من يمارس الدعوة الاسلامية لمواجهة هذه التيارات بالطريقة

---

(١) راجع الندوة العالمية للشباب الاسلامي ،قضايا الفكر الاسلامي المعاصر، الطبعة الثانية ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م ص (٣٥٥) بحث للدكتور عبد الحميد ابوسليمان ....

(٢) المرجع السابق ص (٤٢٠ - ٤٤٧) بحث للشيخ محمد قطب .

المذهبية التى تمزق كيان الأمة الاسلامية الى فرق وأحزاب ، يعنى المذاهب الفقهية والطرق الكلامية من أشعرية وغيرها .

وفي الطرف الأخير أيضا تقف الصوفية بجميع طوائفها من التيجانية والقادرية والدسوقية والبدوية والشاذلية ، تقف هناك وتدعى أن الأسلوب الأمثل للدعوة الاسلامية هو الطريقة الصوفية (١) .

لذا أحببت وأنا فى ختام البحث أن أتبين - بعون الله وقوته - الرأى الراجح من هذه الآراء المتضاربة .

فاليك - فيما يلي - شرحا موجزا لذلك : فلنبدأ (أولا) ببيان مفهوم لفظة اسلام لغة وشرعا ، ثم نتحدث عن الاسلام الذى يراد نشره (ثانيا) ثم نتحدث (أخيرا) عن منهج المواجهة :

أولا : مفهوم لفظة اسلام لغة :

ان الوضع المنطقي السليم فى ترتيب أعمالنا العقلية ، يقتضينا - حين نطلب حقيقة معينة - أن نبدأ - بادىء ذى بدىء - بمعرفة عناصرها العامة ومقوماتها الكلية ، قبل أن نأخذ فى البحث عن مميزاتها ومشخصاتها .

فمن أحب - مثلا - أن يتعرف كنه دين الاسلام أو دين اليهودية أو دين النصرانية ، أو غيرها من الأديان ، يجمل به أن يوفر همته قبل كل شىء على تعرف المعنى الكلى الذى يجمعها .

فما هو المعنى الكلى للفظة (اسلام) لغة وشرعا ، وما هو مفهوم كلمة (الدين) عند الماديين الأوروبيين ؟ .

---

(١) راجع ميزان العمل ، ابوحامد الغزالي : المتوفي سنة ٥٠٥ طبع سنة ٣٢٨ وراجع كذلك احياء علوم الدين للمؤلف نفسه ، ج ١، ص ٢٣٣ .

١ - المعنى اللغوى للفظة (اسلام) :

وللاجابة على هذا السؤال ، لا غنى لنا عن الرجوع - قبل كل شيء الى الكتاب والسنة ومعاجم اللغة العربية ، لنصل الى المفهوم اللغوى أولا والى المفهوم الشرعي ثانيا .

فنقول : اذا تتبعنا مادة (سلم) في اللغة ، سنجدها تأتي بهذه المعاني التالية :

أ - تأتي بمعنى الخلوص والتعرى من الآفات الظاهرة والباطنة (١) .
قال تعالى : ﴿ اذ جاء بقلب سليم ﴾ (٢) ، اى متعر من الدغل فهذا في الباطن .
وقال تعالى : ﴿ مسلمة لاشية فيها ﴾ (٣) ، فهو في الظاهر .

ب - وتأتي أيضا بمعنى الصلح والأمان : قال تعالى :
﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ (٤) .

ج - وتأتي كذلك بمعنى الطاعة والاذعان ، قال تعالى :
﴿ يدعون الىالسجود وهم سالمون ﴾ (٥) أى مستسلمون .

وقوله تعالى : ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها ﴾ (٦) الآية . لأن الخلق كلهم خاضعون لله ومنقادون له بحكم خلقهم رضوا أم كرهوا ، تسرى عليهم قوانين العالم (٧) .

هكذا رأينا بعض معان الكلمة اللغوية .. وأما المعنى الشرعى فهوكالتالي:

---

(١) راجع لسان العرب مادة (سلم) وراجع كذلك معجم مفردات الفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني، دارالفكر، تحقيق - نديم مرعشلي ص (٢٤٦) .
(٢) الصافات / ٨٤
(٣) البقرة / ٧١
(٤) الأنفال / ٦١
(٥) القلم / ٤٣
(٦) آل عمران / ٨٣
(٧) أساس البلاغة ،الزمخشرى ص (٣٠٦) بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، وراجع أيضا تاج العروس
==

(المعنـــى الشـــرعي)

قد عنى كثير من اللغويين والمستشرقين والمفسرين ،برد المعنى الشرعـــي للفظ (اسلام) الى أصله اللغوى ، وأثار البحث فيه كثيرا من الجدل .
نعم ! ان كانت الأسماء الشرعية متفرعة عن المعاني اللغوية ولكن الأســـماء الشرعية أوسع وأشمل من المعاني اللغوية ويتبين ذلك في السطور الآتية :

اذا تتبعنا الآيات القرآنية للوصول الى المعنى الشرعي لهذه اللفظـــة سنجد أن الشرع قد استعملها لأمرين لهما أهميتهما الكبرى :

(١) لمجرد الاعتراف باللسان ، بحيث اذا نطق بها الانسان حقن دمه سواء حصـــل معه الاعتقاد أو لم يحصل ،(١) ويستدل لذلك بقوله تعالى :
﴿ قالت الاعراب آمنا ، قل لن تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخـــل الايمان في قلوبكم ﴾(٢) .

أقول :ان كان مسمى كلمة الاسلام ، يتناول هذا ، ولكنه ـ طبعا ـ ليـــس هو المراد بقوله : ﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾(٣) لأنه ليس هناك ديـــن جاء من عند الله وهو مجرد التلفظ بكلمة الاسلام فقط .. بل ليس هنـــاك دين جاء من عند الله وهو اعتقاد فقط ويترك الحياة لغير دين الله يحكم..

(٢) ان كلمة الاسلام في المفهوم الشرعي تعنى أول ما تعنى اعتقادا فى القلب ومنهجا ســـلوكيا عمليا شمل واقع الحياة كلها ، واستسلاما لله تعالـــى في كل ما قضى وأمر .....

هذا ما أشارت اليه تعريفات علمائنا الكرام .

== من جواهر القاموس المجلد الثاني . مادة (سلم) ص (٣٤٠).وقال :"وأسلـــم الرجل: انقاد وبه فسر الحديث " ولكن الله أعانني عليه فأسلم أى أنقاد وكـــف عن وســـوستي .
(١) معجم مفردات القرآن المرجع السابق ص (٢٤٦).
(٢) الحجرات / ١٤ .
(٣) آل عمران / ١٩ .

قد تحدث عنه العلامه الراغب الاصفهاني اذ يقول :

"والاسلام في الشرع على ضربين :

أحدهما دون الايمان ، وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم .

حصل منه الاعتقاد أو لم يحصل وأياه قصد بقوله تعالى :

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ...﴾ .

والثاني : فوق الايمان ، وهو ان يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وأمر .... " (١) .

وقد أكد ذلك شهيد الاسلام بكلمات موجزة ولكنها شاملة وعبارته :

" الاسلام هو : الاستسلام والطاعة والاتباع والتلقي من الله وحده في كل شأن من شئون الحياة ... " (٢) .

وكذا ظهر لنا بكل وضوح ، ان المعنى الشرعي لمفهوم الاسلام ، ان كان وثيق الصلة بالمعنى اللغوى ولكنه أوسع منه وأشمل لأنه ـ كما أفاد بذلك العالمان: الراغب الأصفهاني وسيد قطب ـ توحيد الله والانقياد والخضوع وأخلاص الضمير له والايمان بالأصول الدينية التى جاءت من عند الله ، والمنهج السلوكي العملي يشمل واقع الحياة ....

هذا هو الاسلام الذى يراد نشره لمواجهة لتيارات الفكرية الغازية لأنه هو الاسلام الذى جاء به جميع الرسل والأنبياء لقوله تعالى :

﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾ (٣) .

يعنى الوهية واحدة ، ودنيوية واحدة ، واستسلام لهذه الالوهية لايبقى معه شيء فى نفوس العباد ولا في حياتهم خارجا عن سلطان الله ، وبعبارة أخرى ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ لايقبل من العباد الا العبودية الخالصة له ، الممثلة في

---

(١) معجم مفردات القرآن المرجع السابق ص (٢٤٦) .

(٢) في ظلال القرآن جـ ١ ص ٣٧٨ .

(٣) آل عمران / ١٩ .

الاسلام بمعنى الاستسلام لا اعتقادا وشعورا فحسب ـ ولكن كذلك عملا وطاعة وأتباعا للمنهج العملي الواقعي المتمثل في أحكام الكتاب .
وبهذا التعريف الواضح بكلمة الاسلام يظهر زيف قول من يدعي الاسلام ولكنه يشرك بالله في الالوهية ، حين يحاكمون الى شريعة من صنع غيره ، ويؤسسون حكوماتهم على العلمانية الا دينية ، فدول أفريقيا السوداء خير مثال على ذلك..
فقد رأينا في الباب الرابع ان أغلبهم أختاروا العلمانية لدولهم رغم انتماء أغلبهم الى الاسلام ، وتلقوا تصورات وقيما وموازين وأخلاقا وآدابا من غير دين الله ، فهذه كلها تناقض القول بأنهم مسلمون ومؤمنون بالله ... ولاتستقيم مع شهادة الله ـ سبحانه ـ " بأنه لا اله الا هو " .

وأصرح الدليل على ماقلت هو ان الله تعالى جعل الاسلام في مقابلة الكفر بقوله تعالى :

﴿ ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ﴾ (١) .

هذا هو المفهوم الشامل لمعنى الاسلام الذى آمن به نبى الله ابراهيم ، بقوله تعالى في حقه :

﴿ ولقد أصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخره لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ...﴾ (٢) .

ويوصى ابراهيم بنيه بهذه العقيدة اذ يقول :

﴿ ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴾ (٣) .

---

(١) آل عمران / ٨٠
(٢) البقرة / (١٣٠ ـ ١٣١)
(٣) البقرة / ١٣٢

ويقول سيدنا يوسف مخاطبا ربه :

* انت ولي في الدنيا والأخرة توفنى مسلما والحقني بالصالحين * (١) .

ويقول نبى الله موسى لقومه :

* ياقوم أن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا أن كنتم مسلمين * (٢) .

وجاء في القرآن عن سيدنا عيسى عليه السلام :

* فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون * (٣) .

ومن ثم يلقن الله تعالى ـ رسوله ـ صلى الله عليه وسلم كلمة واحده تبين عقيدته كما تبين منهج حياته اذ يقول :

* فان حاجوك * اى في التوحيد وفي الدين ـ * فقل أسلمت وجهى لله أنا ومن أتبعن * (٤) .

اذا دققنا النظر في هذه الآية الكريمة نصل الى حقائق لها أهميتها الكبرى في فهم الاسلام :

أ ـ أن التعبير بأسلام الوجه ذو مغزى ، فليس الاسلام مجرد النطق أو الاعتقاد بالجنان ، انما هو كذلك الاستسلام .. استسلام الطاعة والاتباع كماقلنا .

وأستسلام الوجه كناية عن ذلك .. لأن الوجه أعلى وأكرم مافى الانسان فهى صورة الانقياد الطائع الخاضع المتبع المستجيب .

ب ـ أن التعبير بالاتباع ذو مغزى هنا كذلك ، فليس مجرد التصديق ، انماهو الاتباع .

---

(١) يوسف / ١٠١
(٢) يونس / ٨٤
(٣) آل عمران / ٥٢
(٤) آل عمران / ٢٠

هذا هو اعتقاد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنهج حياته والمسلمون متبعوه ومقلدوه في اعتقاده ومنهجه في الحياه .

فالاسلام الذى يراد نشره يتمثل في هذه الصورة فقط بحقيقتها تلك وطبيعتها. وليس هناك صورة آخرى ولا تصور آخر ولا وضع آخر ولا منهج آخر يتمثل فيه الاهتداء ، انما هو الضلال والجاهلية والحيرة والزيع والالتواء .

يقول تعالى :

﴿ ومن أتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخره من الخاسرين ﴾ (١) .

هذا هو الاسلام كما يريد الله ، ولا عبرة بالاسلام كما تريده أهواء البشر في جيل من أجيال الناس او لا كماتصوره رغائب أعدائه المتربصين به من العلمانيين والاستعماريين والمنصريين والشيوعيين وعملائهم هنا وهناك .

وأما الذين لا يقبلون الاسلام على النحو الذى أراده الله ، بعدما عرفوا حقيقته وانه عقيده وشريعه ، ثم أكتفوا بالجانب العقدى دون الجانب الشرعي ، أو أستوردوا العلمانية والتصورات الالحادية من الشيوعية المنهارة أو من العلمانية الغربية الزائفة ، فهم في الآخرة من الخاسرين ولن يهديهم الله ولن يعفيهم من العذاب . يقول تعالى :

﴿ كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم ، وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات ، والله لا يهدى القوم الظالمين * أولئك جزاءهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ (٢)

هكذا رأينا جزاء الذين لم يأخذوا الاسلام كما يريده الله تعالى بل أتبعوا

---

(١) آل عمران / ٨٥

(٢) آل عمران (٨٦ – ٨٧ – ٨٨).

أهوائهم واستوردوا من أعدائهم قوانين وضعية ونظريات الحادية علمانية.
ولكن القرآن ، بعد هذه الحملة الرهيبة التى يرجف لها كل قلب فيه ذرة من ايمان ، يفتح باب التوبة فلا يغفله في وجه ضال ، يريد ان يتوب .. فان الله غفار لمن تاب يقول تعالى :

* الا الذين تابوا من بعد ذلك فان الله غفور رحيم * .[1]

وأما الذين لا يتوبون ولا يثوبون ويريدون الاصرار على ماهم عليه من التحاكم الى غير دين الله وعدم تطبيق شريعته فى واقع الحياة . بل يفضلون هذه القوانين الوضعية لمستوردة على دين الله وهديه ولا يريدون عنها حولا ،وأستمروا على ذلك هؤلاء لا توبة لهم ولا نجاه ،[2] يقول تعالى :

* ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون * ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن تقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو أفتدى به أولئك لهم عذاب اليم وما له من ناصرين * .[3]

وهكذا يحسم القرآن القضية بهذا التقرير المروع المفزع ، ولهذا التوكيد الواضح الذى لا يدع مجالا لريب مستريب .

وهكذا أيضا رأينا أن لا واسطة بين الأمرين :

أما أتباع منهج الله ، وأما الكفر والضلال والانحراف .

ومع هذا التوكيد الرباني الواضح يوجد في العالم الاسلامي ـ حتى الآن ـ من يرى ان العلمانية والاسلام قد يستطيعان ان يتعايشا في حكومة واحدة ـ يعني أن يكون دستور الدولة علمانيا ـ ثم يظل الناس مسلمين تحت هذا الحكم العلماني اللا ديني .

---

(١) آل عمران / ٨٩

(٢) راجع تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب .

(٣) آل عمران (٩٠ ـ ٩١) .

وقد بينا في الباب الرابع السابق ان العلمانية والعقيدة الاسلامية في خطين متوازيين – لا يلتقيان مهما امتدا .... ولكن هنا نود أن نرجع الى المصادر الاوروبية العلمانية لننقل نصوصا تدل على ان العلمانية والاسلام متعارضان .. اذا استقبل احدهما استدبر الآخر .

واليك – فيما يلي – هذه النصوص :

" مفهوم الدين عند العلمانية "

ان الهاربين من دين الكنيسة بسبب طغيان رجالها وحماقاتهم الذين كانوا السبب المباشر لظهور العلمانية فى أوروبا – كما تحدثنا عن ذلك سابقا – ان هؤلاء الهاربين ، لا يرون للدين فائدة ، لذلك أبعدوه عن واقع حياتهم " .

ان هذا الكلام ليس منى وانما هو مأخوذ من تصريحات قادتهم وساستهم واليك – فيما يلي – بعضا من أقوالهم الدالة على ذلك "

يقول هوبرت سيبنسر (١) .

" الدين هو الايمان بقوة لايمكن تصور نهايتها الزمنية ولا المكانية ، هو العنصر الرئيسي فى الدين " (٢)

---

(١) هو (سينسر هوبرت) ١٨٢٠ – ١٩٠٣ م فيلسوف انجليزى ، درس الهندسة ثم تحول الى دراسة العلوم الطبيعية وعلم النفس ، ويرى ان الفلسفة هى حصر المعرفة فى مبدأ التطور ، وطفق يطبقه على جميع الظواهر حتى لقب ب " فيلسوف التطور " راجع الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص (٩٦٠) .

(٢) النص الفرنسي :

راجع كتاب الدين د. الدروز ص (٣٤) .

هكذا يدعي هذا الفيلسوف الأوروبي أن الدين مجرد عقيدة بقوة غامضة ، عقيدة بلا منهج يطبق في حياة الانسان ، هذا هو مبلغه من العلم بالنسبه للدين .

ويقول " تايلور "[1] في كتابه (المدنيات البدائية) :

" الدين هو الايمان بكائنات روحية)[2]

ويتحدث عن الموضوع نفسه " جويوه "[3] في كتابه (لا دينيه المستقبل) وينص على مصدر التدين هو الشعور ، مجرد الشعور بأن هناك كائنات آخرى غير الانسان يركزها السطحيون في هذا الكون والا لا حقيقة للدين وعبارته :

" الديانة هى تصور المجموعة العالمية بصورة الجماعة الانسانية والشعور

---

(١) هو تايلور (سير) أدوارد بيرنت : (١٨٣٢ - ١٦١٧) أنتروبولوجي انجليزى ، ساعدت دراسته على تحديد مجال الانتربولوجية وتطور الاهتمام بذلك العلم . كان استاذا لللانتروبولوجية بجامعة اكسفورد (١٨٩٦-١٩٠٩) أهم كتبه : " الثقافة البدائية أو المدنية البدائية "(١٧٨١م) وانتروبولوجية (١٨٨١م) . راجع الموسوعة ج ١ ص ٤٨٨)
وانتروبولوجية ، أو علم الانسان ، هى ثلاثة أنواع : (أ) الطبيعية : دراسة نمو الجسم ، (ب) الاجتماعية : دراسة البدائيين الثافية ، (ج) ثقافتهم .

(٢) راجع كتاب الدين ص (٣٥) .

(٣) (جويوه) لم أقف - بعد - على ترجمته .

الديني هو الشعور بتبعيتنا لمسيئات آخرى يركزها الانسان البدائي في الكون "[1] .

ويقول ايميل دور كايم[2] ، في كتابه : (فى الصور الأولية للحياه الدينية) :

" الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة (أى المعزولة المحرمة) اعتقادات وأعمال تضم اتباعها في

---

(1) المرجع السابق ص (٣٦) .

(٢) دور كايم : (١٨٥٨ - ١٩١٧ م) رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد (كونت) كان استاذا بالسربون ، تأثر اتجاهه في علم الاجتماع بفلسفة (كونت) الوضعية ، وكان له تابعا ناقدا .

عزا الى العقل المشترك اى العقل الجماعي للمجتمع ، أصل الدين والاخلاق (عن طريق الزام الفرد) وحتى بعض التصورات الاساسية ،كالمكان والزمان ودعما لنظرياته ، استعان في نطاق واسع بمعطيات الانتروبولوجية والاحصائية ... وتشمل مؤلفاته :" تقسيم العمل في المجتمع ١٨٩٧م وغيرذلك (راجع لموسوعة ج ١ ص (٨١٦) م) .

وحـــدة معتوياته تســـمى الملـــة "[1]

هكذا رأينـا ان العلمانيين في أوروبـا يقولـون ان الدين ليس مركوزا فـــي الفطرة الانسانية وانما يؤمن به البدائيون في العالم ، وأما المثقف ــ فـــي زعمهم ــ لايجوز ان يعتنق بالدين ، لذا اقاموا في فرنسا أول دولة علمانيـــة ، فقلدهم في ذلك النخبة الممتازة في غرب افريقيا وفي بعض بلدان العالـــــم الاسلامي مثل مصطفى كمال (آتا تورك وأمثاله) من السياسيين والمفكرين ......

لذا يجمل بنـا ان نقف قليلا لنبرهن لهؤلاء وهؤلاء بأن الاسلام ليس كما يظنون ... ان كان وصفهم للدين ينطبق على الديانة المسيحية المحرفة ، فانه لاينطبق على الاسلام بحال من الأحوال .

واليكم ــ فيما يلي ــ بعض مزايا الاسلام تنيتهـــا هنا لأمرين :

(١) لدحض الافتراءات التى يقول بها العلمانيون لمفهوم الدين .

(٢) لبيان حقيقة الاسلام الذى يراد نشره لمقاومة التيارات الفكرية الوافدة من أوروبا أو النابعة من البيئة الافريقية .

وقبل هذا نؤكد أيضا ان المصادر الاساسية التى سنعتمد عليها فى تصوير هـــذه الحقائق العلمية ، كتاب الله (أولا) والسنة المطهرة (ثانيا) ثم المصـــادر الآخرى (أخيرا) اذا احتجنا اليها .

---

(١) الأصل الفرنسي :

ص (٣٧) من المرجع السابق .

المبحث الثاني

" الاسلام الذى يراد نشره لمقاومة التيارات الفكرية "

يتطلب منا هذا المبحث أمرين أساسيين هما :

(١) هل الاسلام أولا أم الفكر الاسلامس .
(٢) خصائص التطور الاسلامي ومزاياه .

(أولا) : هل الاسلام أولا أم الفكر الاسلامي :

لقد عنى الكثيرون من المثقفون الذين عاشوا في بعض الدول الأوروبية أو الذين تشربوا الافكار الاوروبية المادية ، ان يقولوا : ان الاسلوب الأمثل لدعوة الناس الى الاسلام في الظروف الراهنة ، ان نبدأ ببيان الفكر الاسلامي المجرد كبديل عن الافكار والعقائد والايديولوجيات المستوردة من أوروبا وان الازمة – كما يدّعون – هى ازمة فكر وليست ازمة عقيدة .(١) ومن ناحية آخرى هناك دعاه الىالاسلام بالطريقة المذهبية التى تجعل المسلمين فرقا وأحزابا . وكما يرى المتصوفون ايضا ان الدعوة الصحيحة الىالاسلام ينبغي أن تكون علىالطريقة الصوفية وأقول بالله التوفيق .

وأما الدعوة الى الاسلام بالطريقة المذهبية أو الصوفية فلا تستحق أن نقف عندها طويلا . يكفينا ماذاقته الأمة الاسلامية من مرارة التصدع والتفرد من جراء تعدد المذاهب الفقهية .. كما يكفينا ما لاقته الامة الاسلامية طيلة هذه القرون الطويلة ويكفينا ماجلبته الصوفية الى الامة الاسلامية من ويلات وعدم فهم صحيح

---

(١) راجع قضايا الفكر الاسلامي المعاصر ، بحث للدكتور عبدالحميدأبوسليمان ص ٣٥٥ المرجع السابق .

للعقيدة الاسلامية التى جاء بها رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم ، ان هاتين الدعوتين لا نملك ان نقف عندهم اكثر من هذا وانما الوقوف الطويل فينبغى أن يكون مع الذين عاشوا في أوروبا وواجهوا تحديات معينة مثل الاقتصاد الاسلامي ، وغيره .

ان هؤلاء يريدون منا ان نقدم تصورا فكريا للاسلام لمواجهة التيارات الفكرية والايديولوجيات التى تأتينا من أوروبا ، ويريدون ان نقدم لأوروبا وأمثالها النظام الاسلامي في الاقتصاد او الحكم او الاجتماع مثلا قبل ان نقدم لها العقيدة .. لأن التحديات التى تقف امام الدعوة الاسلامية في الآونة الأخيرة هى تتعلق بعدم وجود الفكر الاسلامي الواضح في الاقتصاد والحكم والاجتماع .

فاذا فعلنا هذا – على حد زعمهم – فاننا قدمنا للدعوة الاسلامية نصرا مؤزرا وخطوات بعيدة لنشر الاسلام في الوقت الراهن لأن الازمة كل الازمة امام نشر الاسلام في اوروبا مثلا هى ازمة الفكر لا ازمة العقيدة هذا ماصرح به (الدكتور عبدالحميد أبو سليمان) فى الندوة العالمية للشباب الاسلامي وعبارته بعنوان: " ازمة فكر لا ازمة عقيدة " .

" اذا سلمنا بتلك الصفات للعقائد والأسس الاسلامية ، يتبين لنا ان أزمة العالم الاسلامي عند كل منصف عاقل – ليست ازمة عقائد ولا قيم يشهد بذلك تاريخ هذه الامة وتجارب ابنائها ودعاتها في كيانهم وحوارهم وصراعهم مع غيرهم من اتباع شتى الملل والنحل والمذاهب .. وهى كذلك ليست عند كل ذى عينين – ازمة موارد ولا خامات ولا امكانيات مادية او بشرية ، وهى كذلك لابد وانها ازمة فكر واسلوب يلمسها كل دارس متحقق في فكر المسلمين ونظراتهم في مواجهة تحولات العالم المعاصر وتحدياته "(١).

فنقول لهؤلاء وأمثال هؤلاء هنا وهناك ، اننا – ان كنا – نرحب دائما بأن يؤمن

---

(١) المرجع السابق ص (٣٥٥) .

الغرب بالاسلام ، والغرب مادى كما يقول عن نفسه (براجماتيك) يعنى أنه يبحث عن الناحية الواقعية النفعية من أية فكرة .....

وبتعبير آخر .. أن الغرب لايؤمن بشئ الا اذا عرف مقدار نفعها له في حياتها الدنيا .

واذا كان الغرب بهذه المثابة ، هل يجوز لنا – نحن المسلمون – ان نلوى عنق الاسلام او نحرفه ليوافق هذا المزاج المنحرف لكى تقبل اوروبا على الاسلام وامثالها ..... ؟ الجواب لا !

ان أوروبا ، اذا ارادت ان تسلم ، او اذا اردنا – نحن – لها ان تسلم فينبغى ان تدخل الاسلام من بابه الرباني وهو باب العقيدة المتمثل في كلمة " لا اله الا الله محمد رسول الله " ..... اى نقول لها عليك ان تؤمني – أولا – يا أوروبا – بأن لا معبود بحق الا الله . فاذا آمنت بهذا نتحدث لأوروبا وللعالم أجمع عن التصور الاسلامي الفكرى وعن النظام الاقتصادى والسياسي والاجتماعي في الاسلام الى آخر الانظمة الاسلامية .

ولكن لا نتحدث عن الفكر الاسلامي مجردا منفصلا عن العقيدة ، ان فعلنا هذا لكى نرضى الاوربيين الماديين ، فقد جنينا على ديننا وجردناه عن طبيعته الأصلية ، يقول تعالى :

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ .(1)

ان هذه هى العلة الاصيلة ، ليس الذى ينقصهم هو البرهان او عدم وجود تصور للفكر الاسلامي الواضح وليس الذى ينقص الاوروبيين هو الاقتناع بأن الاسلام دين حق . بل يعرفون حقيقة الاسلام أكثر من كثير من المسلمين أنفسهم ولو قدمت اليهم ما قدمت من تصور الفكر الاسلامي في الاقتصاد والسياسة والحكم،

---

(1) البقرة / ١٢٠

ولو توددت اليهم ما تودد، لن يرضيهم من هذا كله شيء، الا ان تتبع ملتهم وتترك مامعك من الحق ".(١)

انها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها. ولكن المفكرين العريقين في العداوة للاسلام والمسلمين يلونونها بألوان شتى .....
ويرفعان عليها اعلاما شتى، في خبث ومكر وتورية .. أنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة .. ومن ثم استدار الاعداء العريقون فغيروا اعلام المعركة، لم يعلنوها حربا بأسم العقيدة- على حقيقتها - خوفا من حماسة العقيدة وجياشتها، انما أعلنوها بأسم الأرض، والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية .. وما اليها.

والقوا في روع المخدوعين الغافلين منا ان حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولا يجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! ذلك كي يأمنوا جياشان العقيدة وحماستها، بينما هم فى قرارة نفوسهم: الصهيونية العالمية والصليبية العالمية - باضافة الشيوعية العالمية - جميعا يخوضون المعركة أولا وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التى نطحوها طويلا فأدمتهم جميعا ......(٢)

قد علق على ذلك شهيد الاسلام الاستاذ سيد قطب بحديث مستفيض اقتطف منه مايلى:
" أنها العقيدة الدائمة التى نرى مصداقها في كل زمان ومكان .. أنها العقيدة هذه حقيقة المعركة التى يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة .. أنها معركة العقيدة هى المشبوبة بين المعسكر الاسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها تلتقي دائما فى المعركة ضد الاسلام والمسلمين.(٣)

(١) راجع الاسلام والعالم المعاصر، انور الجندى ص (٣١٠-٣١١) ط الأولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

(٢) راجع في ظلال القرآن مع تغييرات طفيفة ج ١ ص (١٠٨).

(٣) المرجع السابق ج ١ ص (١٠٨).

هكذا أتضح لنا بكل وضوح ان المعركة بيننا وبين هذين المعسكرين معركة العقيدة وليست معركة الارض ولا معركة عدم وجود تصور الفكر الاسلامي ولا هذه الرايات المزيفة كلها .

انهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين ، ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها ، وقد أوضحنا كل هذا في الباب الرابع ، واما هنا فنود أن نقول اذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن الا أنفسنا .. ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم - ولأمته - وهو - سبحانه - أصدق القائلين اذ يقول :

﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾

فليعلم المخدوعون منا أن الثمن الوحيد الذى يرتضونه هو اتباع طريقة تفكيرهم في الله والكون والانسان .. وما سواه مرفوض ومردود .. فاذا اردنا - اذا - ان ندعوا الناس الى الاسلام فيتحتم علينا ان نقدم لهم الاسلام بكل شموله وبكل واقعيته وبكل جديته وبكل حيويته ، هو البديل لهذه التيارات الفكرية .

وقد أكد هذا شيخنا محمد قطب في عدة كتب وعبارته :

" نقاوم هذه الايديولوجيات بالاسلام نفسه وليس بالفكر الاسلامي لأن الذين يحاولون التأثير على شباب العالم الاسلامي ، لا يدخلون بهذه الايديولوجيات في عقول الشباب كفكر- مجرد فكر - انما يقصدون من وراء هذا كله قصدا معينا ... وهو ان يخلخلوا عقائد الشباب وان يزلزلوا انتمائهم الى الاسلام ... لذا واجهونا بسياسة كاملة مدبرة ، وليست المسألة - اذا - محاربة فكر بفكر بل هى محاربة عقيدة بعقيدة ، فينبغي - اذا - ان نواجه سياساتهم هذه بسياسة متكاملة هى الاسلام ...... " (١) .

---

(١) راجع الندوة العالمية للشباب الاسلامي ، بحث للشيخ محمد قطب ص (٤١٠) .

ولقد حذر القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أن يتنازل عن شيء من الاسلام لكي يؤمن الآخرون فقال :

﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ .

وهكذا يبين لنا القرآن الكريم أن الكفار قاطبة يحبون ادهانه ليدهنوا وهم لايريدون من الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الادهان نصحا بل يريدون منه الادهان فيتوسلون بادهانه الى ادهانهم ويستعملونه لأغراضهم فى صورة الناصح.

(موقفنا من الماديين)

فموقفنا مع هؤلاء الماديين العلمانيين الملحدين الذين يريدون اقامة الحياة بمعزل عن الدين ، فموقفنا معهم كموقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع كفار زمانه .. أى نقدم لهم الاسلام على حقيقته الربانية . عقيدة تفسر لنا الكون كله .. وموقف الانسان فى هذا الكون ، وتشريعا منظما لحياة الجماعة المسلمة .....

وقيما أخلاقية ، وشعائر التعبدية ... ويستمد ذلك من التصور الاعتقادى الذى جاء عند الله عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم .. لأن الايمان ليس كلمة تقال ولا مشاعر تجيش ولا شعائر تقام ولكنه طاعة الله والرسول ، وعمل بمنهج الله الذى يحمله محمد صلى الله عليه وسلم :

ولقد أشار كثير من علمائنا الكرام الى هذه النقطة بالذات . فاليك فيمايلي بعضا من أقوالهم :

وقد تحدث ابن كثير عن هذه النقطة عند تفسير قوله تعالى :

﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ .(١)

فقال :

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص (٣٥٨) .

" هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فانه كاذب فى نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدى والدين النبوى فى جميع أقواله وأعماله " .

وزاد قائلا : " كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنه قال : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "

ويؤكد ابن كثير مرة أخرى هذا المعنى الذى خفى عن حس كثير من الباحثين يؤكد عند تفسير قوله تعالى :

﴿ قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين ﴾ .

فقال : " فدلت الآية على أن مخالفته فى الطريقة كفر .... والله لايحب من اتصف بذلك ... وان ادعى وزعم فى نفسه أنه محب الله " .(1)

وقد أورد العلامة ابن القيم الجوزية فى كتابه القيم : " زاد المعاد " في هدى خير العباد " مايلي :

" ومن تأمل فى السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له - صلى الله عليه وسلم- بالرسالة ، وأنه صادق ، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الاسلام " .

فزاد قائلا وهو بيت القصدة :

" علم أن الاسلام أمر وراء ذلك ، وأنه ليس مجرد المعرفة فقط ولا المعرفة والاقرار فقط . بل المعرفة والاقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا " .(2)

هكذا تبين لنا جليا زيف القول بأن الأزمة أزمة الفكر وليست أزمة العقيدة.

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص (٣٥٨) .

(٢) زاد المعاد ج ١ ص (١٥٣) .

لأن هذا الدين - كما أفاد بذلك العالمان الجليلان :

(ابن كثير وابن القيم) - له حقيقة مميزة لايوجد الا بوجودها حقيقة شريعة الله ، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم ، والتحاكم الى كتاب الله . وهى الحقيقة المنبثقة من عقيدة التوحيد كما جاء بها الاسلام " .

فمن قبل هذا الاسلام الذى شرحناه آنفا فمرحبا به فى الأرض وفي السماء . ومن لم يرد أن يقبله الا اذا شرح له النفع الأرضي الذى يترتب على دخوله في الاسلام ، فهو ليس مسلما في الحقيقة لأنه حين نقدم له الاسلام من جانب النظام ومنافعه فقد يجادل ويقول : لا! الشيوعية تعطيني منافع أكثر من هذا أو الديمقراطية تعطيني منافع أكثر من هذا ، مادام الحكم هو المنفعة أو تقديم المنفعة مردود الى الهوى الشخصي ، فقد يميل به الهوى هنا أو هناك .

أما حين أعودهم الى العقيدة فهى نعم أولا ! حاسمة لاتحتمل تردد .

﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .... ﴾ (١) .

فالعقيدة - اذن - ليس أمرها ثانويا حتى نؤجله أو نؤخره الى حين يقتنع الناس بالفوائد العملية للاسلام .

وفي صفحات قادمة سنتحدث عن قضية الألوهية بالتفصيل ان شاء الله تعالى.

هكذا رأينا أن الدين الذى يراد نشره لمواجهة التيارات الفكرية ، هو الاسلام بعقيدته وشعائره التعبدية وأخلاقياته وحاكميته الفذة ، وليس المراد بنشر الاسلام هنا الاسلام المذهبي الذى يولد المذهبية والفرقة بين المسلمين . وليس ذلك المراد بالطريقة الصوفية التى تترك الناس بلا شريعة وانما نعني بالاسلام ، اسلام أهل السنة والجماعة اسلام السلف الصالح المستمد من القرآن والسنة . وقد جاء في الأثر (لن يصلح آمر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) .

---

(١) سورة الكهف / ٢٩

ونعنى الاسلام الذى يحرر النفس البشرية من غرائز الهوى والشهوات .

الاسلام الذى يدفع الى العمل .

الاسلام الذى يدفع الى التعليم والعلم .

الاسلام الذى يدفع الى القوة المادية والمعنوية .

الاسلام الذى يحث على الاخلاق والفضائل .

الاسلام الذى يحث على الأخذ باسباب السعادة بالدنيا والآخرة (١)

هذا هو الاسلام الذى يراد نشره في العالم الاسلامي بعامه وفى غربي افريقيا بخاصة .

وبعد هذه الجولة الطويلة التى رأينا فيها مفهوم لفظة الاسلام لغة وشرعا ، ورأينا صورة موجزة عن الاسلام الذى يراد نشره لمواجهة التيارات الفكرية الوافدة من أوروبا أو النابعة من البيئة الأفريقية ... بعد هذه الجولة نود أن نتحدث عن التصور الاسلامي أو مايسمى بالفكر الاسلامى .... لا كبديل من الأيديولوجيات المستوردة ولكن كمعين لنا فقط على تفهم الاسلام لكى نمارس اسلامنا كاملا ونقدمه للناس كاملا .....

واليك - فيما يلي - بعض خصائص التصور الاسلامي أولا وبعض مزاياه ثانيا .....

فلنتحدث أولا عن الخصائص وهى كالتالي :

١ - الشمول .

٢ - التكامل .

٣ - التوازن .

٤ - دين الفرقان بين الحق والباطل .

فنعط .. شرحا موجزا لكل من ذلك .

---

(١) مستفاد من المحادثات التى أجريتها مع أستاذنا الفاضل الدكتور السيد عبدالمجد نوفل - في مبنى كلية الدعوة وأصول الدين وفي رجب ١٤١٢هـ فجزاه الله عن الاسلام خير الجزاء وعن تثقيف ابنائه (الطلاب) تثقيفا اسلاميا.

(خصائص التصور الاسلامـــــي)

من يلق نظرة فاحصة فى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفـــة يجد أن التصور الاسلامي فريد في نوعه ، فمتميز ، لا تشابهه شيء على وجـــه الأرض ، على الاطلاق ، مما صنعه البشر في ماضيهم أو حاضرهم أو مايتصـــور أن يصنعوه فى مستقبلهم ..

واليك فيما يلي نماذج من هذه الخصائص :

(أولا) :الشـــمول .

(ثانيا) : التكامل .

(ثالثا) : التوازن .

لنعط ـ كلا .. شرحا موجزا ......

(أولا) : الشـــمول :

ان مما امتاز به الاسلام على جميع الحضارات أو النظم أو أيدلوجيـــــات البشرية ، الشمول .

ان هذا المنهج الرباني يشمل كل حياة الانسان ، وكل نفس الانسان .. لا يأخـــذ عقله دون روحه .. كما فعلت الفلسفة (١) اليونانية وغيرها من العقلانييـــــن قديما وحديثا .

---

(١) فلسفة : دراسة المبادىء الأول للوجود ، والفكر ، دراسة موضوعية تهتدى بمنطق العقل فقط ، ولذلك لا تبدأ الفلسفة بمسلمات مهما كان مصدرها ... فاذا كان الدين يرتكز على الايمان ، فالفلسفة لا تجعل الايمان ســـندا لما يوصف بأنه حق ... وللفلسفة فروع ، فالميتافيزقا تبحث فـــي مطلق الوجود ، أى الوجود مجردا عن كل صفة ، والمنطق يبحث في صور الفكر مجردة عن مادته وفى مبادىء الاستدلال ، ونظرية المعرفة تبحث في علاقـــة

==

ولا يأخذ وعيه والقوة المعنوية فيه ويترك الجانب الفكرى كما فعل التصوف الهندى والتصوف البوذى والرهبانية النصارانية وغير ذلك .....

ولايأخذ دنياه ويترك آخرته كما فعل الماديون الملحدون فى كل زمان ومكان .

ولايأخذ اقتصادياته أو اجتماعياته أو سياسته ويهمل عقيدته وأخلاقياته كما فعل (ماكيافيللي) وأتباعه من السياسيين وبعض الباحثين الاسلاميين المعاصرين ..

كلا انه شامل لكل كيان الانسان وشامل كذلك لكل واقعة العظيم ... فهذا هو الاسلام الذى يراد نشره فى المنطقة وفى العالم بأسره ..

وأما تلك الأنظمة البشرية كلها التى يصنعونها لأنفسهم من وحى أفكارهم أو وحي أهوائهم ، فلا يمكن - بحال من الأحوال - أن نتصف بهذه الصفات ، لأن هذا من صنعة الله تعالى ، وذلك من صنعة البشر المتصف بالقصور العلمى والنسيان والخطأ وصدق الله تعالى :

" صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " (١) .

ويقول تعالى :

﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ (٢) .

ان الله تعالى قد خلق الانسان أول مرة قبضة من طين الأرض ونفخه من روح الله تعالى . يقول سبحانه وتعالى :

== الذات العارفة بالشيء المعروف . ويختلف الفلاسفة فى هذه المباحث .. فالمثاليون يردون كل شيء الى العقل فقط .
والماديون يردون كل شيء الى المادة والحركة ..راجع الموسوعة العربية الميسرة ج ٢ ص (١٣١٠) .

(١) البقرة / ١٣٨

(٢) الحجر / ٢٩

﴿ اذ قال ربك اني خالق بشرا من طين ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ، فقعوا له ساجدين ﴾ (١) .

هكذا ، خلق هذا الكائن الانساني ، قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله عز وجل .. خلقهما مترابطتين ممتزجتين حتى أصبحتا عنصرا واحدا عرف باسم (الانسان) ، كل محاولة – اذن – لتمزيق هذا الكيان الموحد لتتعامل معه قبضة من طين منفصلة ، أو نفخة من روح منفصلة ، فانها تجعله في مصاف الأنعام أو أضل منهما .

ان هذه الحقيقة ، حقيقة أن الاسلام فريد في نوعه بعدة مميزات لاتعد ولا تحصى، منها الشمول – تجعلنا مضطرين الى القاء نظرة فاحصة في الحضارات والأيدلوجيات البشرية ، ليتجلى لنا بكل وضوح أن هذا الدين يهدى للتى هى أقوم وأنه دين شمولي ، وأن هذه الايدلوجيات البشرية كلها قاصرة ، لم تسعد في ظلالها البشرية قديما وحديثا .

" نظرة في الحضارات والأيديولوجيات البشرية "

أ – الرهبانية :

ان الرهبانية – مثلا – لم تأخذ الانسان كيانا موحدا بل أخذت منه الجانب الروحي فقط وتركت الجانب الطيني . ولما فعلت ذلك ، حدث التخلف الروحي نفسها ، لأن هذا الاتجاه ليس من عند الله سبحانه وتعالى يقول الله تعالى : –



﴿ ورهبانية أبتدعوها ماكتبناها عليهم الا أبتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ﴾ (٢) . (الا – استثناء منقطع) .

---

(١) ص / ٧١
(٢) الحديد / ٢٧

هذه نهاية حتمية لكل انحراف روحاني أنه ما يمكن تنفيذه فى الأرض ..مارعوها حق رعايتها .. ودخل في هذه الرهبانية . ودخل في أديرة الرهبان والراهبات أشياء بشعة لاتوجد فى الحياة السابقة في الخارج ... هذه هى نتيجة أخذجانب من الحياه دون جانب آخر ... يقول أستاذنا محمد قطب حفظه الله فى كتابه القيم (١) :

" ومن ثم كانت كل تعاليم المسيح عليه السلام دعوة للتطهير والروحانية دعوة ترتفع بالانسان عن نفسه ، وتصل به الى الآفاق العليا التى تسمو عن الجسد والمادة " الافاق الطليقة من قيود الارض ومن نوازع الشهوات (٢) .

وهكذا عجزت الرهبانية عن تطبيق هذا الجانب الروحي عجزا تاما .

(أما الاسلام فلم يعجب الجسد على حساب الروح وبالعكس لذلك فتح للمؤمنين.

ب ـ خصائص الحضارة اليونانية :

ان اليونان أمة موهوبة ومن أذكى أمم العالم وأكثرها استعدادا للعلم والآداب ولكنهم لما أخذوا الجانب الطيني على حساب الجانب الروحي ، صاروا في الدرك الأسفل من ناحية التدين والعبادة ..

ورغم ظهور فلاسفة وأدباء وعلماء منهم ، كانت الحضارة اليونانية تمتاز بالخصائص التالية :

١ ـ الايمان بالمحسوس فقط .

٢ ـ قلة التدين والخشوع .

٣ ـ شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائذها.

وعليه أن نلخص هذه الظاهرة فى كلمة واحدة هى : (المادية) ....

(١) بحث له فى كتاب الندوة العالمية ث (٤٣٤) المصدر السابق .

(٢) الملاحظة : ان النصارى لم يتبعوا التعاليم الصحيحة للمسيح عليه السلام :لأن المسيح جمع بين العقيدة والشريعة يقول تعالى ﴿ ومصدقا لمابين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ﴾ وأما النصرانية فلم تعمل بالشريعة وانما تركوا الشريعة للقيصر وأهوائهم .

فقد كان شعار الحضارة اليونانية (المادية فقط) وقلة التقدير لمالا يقع تحت الحس .

وتشير كتب التاريخ الى أنه قد كثر فى حياة اليونان الطرب والرقص ورقة الدين وقلة الخشوع والولوع بالصور والتماثيل ، فقد كانوا يعظمون آلهتهم كما يعظمون حكامهم وشيوخهم .

وكانت عباداتهم وأعمالهم الدينية ، جسدا بلا روح .. فأدى هذا الى حب الوطنية حتى أن بعض علماءهم طالب بمعاملة الأجانب كما تعامل البهائم ... وكانوا يميزون بين اليونان وغير اليونان ..

وقد أوضح ذلك شيخنا الجليل أبوالحسن الندوى اذ يقول :

" .....بل ان أرسطاطاليس لم يكتف بحب وطنه والولاء له فحسب بل قال : ان اليونانيين ينبغي لهم أن يعاملوا الأجانب بما يعاملون البهائم (١) .

وهكذا أدى تمزيق الكيان الانساني عند اليونان الى هذه النتيجة الحتمية البشعة وهى تغليب المادية على الجانب الروحي .. والحضارة المادية الأوروبية القائمة فى الوقت الحاضر تتبعت خطوات اليونان شبرا بشبر في اقامة الحياة الانسانية على المادية فقط . ستلقى جزاء ذلك كما لقيتها الحضارة اليونانية المنهارة .

ج ـ خصائص الحضارة الرومانية :

ولم تكن الحضارة اليونانية بأقل من الحضارة الرومانية فى حب المادية والوطنية والغطرسة واليك فيما يلي تصريحات بعض العلماء الأجلاء في ذلك :

يقول الأستاذ محمد أسد :

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبوالحسن المندوس ص (٥٥) .

" كانت الفكرة التى تقوم عليها الأمبراطورية الرومانية هى الاجتياح بالقوة واستغلال الأقوام الآخرين لفائدة الوطن الأم وحده ..
وفي سبيل الترقية عن فئة ممتازة ، لم ير الرومانيون فى عنقهم سوءً ولا في ظلمهم انحطاطا .. وأن العدل الروماني الشهير كان عدلا للرومان وحدهم".

"ومن البين أن اتجاها كهذا كان ممكنا فقط على أساس ادراك مادى خالص للحياة وللحضارة ، ادراك مادى هذبه على التأكيد ذوق فكرى ، ولكنه على كل حال بعيد عن جميع القيم الروحية ان الرومانيين فى الحقيقة لم يعرفوا الدين وان آلهتهم التقليدية لم تكن سوى محاكاة شاحبة (١) للخرافات اليونانية .. لقد كانت أشباحا سكت عن وجودها حفظا للعرف الاجتماعي ولم يكن يسمح لها قط بالتدخل فى أمور الحياة الحقيقية ، بل كان عليها أن تنطق بالرجز على السنة عرا فيها اذا سئلت مثل ذلك . ولكن لم يكن ينتظر منها أن تمنح البشر شرائع خلقية " (٢) .

وعلى هذا الأساس نعلم أن الرومان أخذوا - فقط - الجانب الطيني على حساب الجانب الروحي أى أنهم لايؤمنون الا بالحياة المادية البحتية وتكر تدخل الله سبحانه وتعالى فى شئون السياسة والحكم وفرض الشرائع الأخلاقية عليهم .

أوروبا فى جاهليتها المعاصره :

ان أوروبا فى جاهليتها اليوم أخذت قبضة الطين وحدها مثل اليونان والرومان . فبدأت تتعامل مع الواقع الحسي أو تتعامل مع الجانب الحيواني للانسان أو تريد أن تفسر الانسان تفسيرا حيوانيا ثم تضع له نظما تتوافق مع هذا التفسير الحيواني،واليك فيما يلي بعضا من تصريحات أقطابهم :

---

(١) شاحبة : صاحب اللون ، أى متغيرة .

(٢) الاسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ص (٣٥ - ٣٦) .

يقول جوليان هكسلي :

" من المسلم به أن الانسان فى الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطه والفأر " [(١)] .

هكذا فسرت نظرية التطور الداروينى الانسان تفسيرا حيوانيا متطورا ... وكان من نتائج هذه الفكرة أن أصبح كثير من علماء أوروبا يعتقدون بنظرية الصدفة العمياء اى أن الانسان وهذا الكون الذى بلغ فى الدقة المبدعة فى خلقه - جاء نتيجة للصدفة العمياء بلا خالق مدبر - ونجم من هذه الفكرة الدروينية الشنيعة أن شعر الناس في أوروبا وغيرها بالضياع حيث تزعزعت قيمة الحياة فى نظرهم . ونشأت اجيال في أوروبا ضائعة الى الغاية .. ولا تفكر في هدف ، لأنه يعتقد أعتقادا جازما أنه تطور من أصل جرثومي صغير حتى صار قردا ثم صار انسانا أخيرا ..... وخيم الخواء الروحي على نفوس المثقفين هناك ، وكل هذا نتج عن تمزيق الانسان وتغليب الجانب الطيني على الجانب الروحي فيه .

هذا ما أكده جيمس جنتير في كتابه " عالم الأسرار " اذ يقول :

" ان في عقولنا تعصبا يرجح التفسير المادى للحقائق " [(٢)] .

ويقول سير آرثر كيب : ان نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علميا ولاسبيل الى اثباتها بالبرهان ، ونحن لا نؤمن بها الا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو الايمان بالخلق المباشر ، وهذا ما لايمكن حتى التفكير فيه " [(٣)] .

هذه هى النتيجة الحتمية التى أدت اليه تمزيق الكيان الانساني الموحد ..

---

(١) انظر معركة التقاليد تأليف استاذنا محمد قطب ص (١٥٩) .

(٢) عالم الاسرار ص (١٨٩) نقلا عن الاسلام يتحدى - وحيد الدين خان (٣٩) .

(٣) عن المصدر نفسه ص (٤٠) وانظر مذهب النشوء والارتقاء ص (٦) منيره على الغاياتي تقديم د. محمد البهى - مصر ١٣٩٥ هـ .

ان كنت تعجب فاعجب من أصحاب الجهالة العلمية حيث يعلمون علما يقينيا بأن هذه النظرية التى تهمل الجانب الروحي فى الانسان ، شيء غير ثابت علميا ، ومع ذلك يلتمسون بها مخافة أن يؤمنوا بأن آدم خلقه الله خلقا مميزا بروحه التى هى نفحة من روح الله ..

وما رفضوا ذلك بأنه يتنافى مع العلم الحديث بل رفضوا لأنه يثبت بأن هناك خالقا لهذا الكون ويثبت الجانب الروحى للانسان .

والسؤال الكبير الذى ينتج من هذا الاتجاه الأوروبي المنحرف هو : هل البحث العلمي أداهم الىهذه النتيجة الشنيعة أم تأمرهم أهواءهم بهذا!! ؟ أم هم قوم ضالون منكرون للحقائق الثابتة ؟ .

الجواب عند الأوروبيين !!

ولنتحدث ـ اذن ـ عن بعض الآثار السيئة التى نتجت عن هذا الاتجاه الأوروبي الشنيع من تمزيق الكيان الانساني ....

" الآثار السيئة المترتبة على تغليب الجانب الطيني على الجانب الروحي في أوروبا " :

خلفت هذا الاتجاه الاوروبي آثارا بالغة الخطورة فى أوروبا من أهمها :

(أولا) : انهيار العقيدة الدينية :

ولقد كانت النصرانية ـ بكل مافيها من تحريف وانحراف ـ تؤمن ايمانا جازما بأن الله سبحانه وتعالى ـ خلق آدم بنفحه من روح الله وقبضة من طين الأرض ولكن حينما جاء (دارون) بنظرته القاتلة بمادية الانسان وانكار الجانب الروحي .. تزعزع الايمان بأدم وحواء وجنة عدن والخطيئة التى يقوم عليها صرح الايمان النصراني .. ومادام الانسان الأوروبي " يعرف الا الدين النصراني

المحـــرف فانه سيجد نفسه تلقائيا ملحدا بالعقيدة التى تقوم على هـــــذا الاساس الباطل فى نظر العلم الداروينى .

(ثانيا) : نفي فكرة الغاية والقصـــد :

ان الأديان السماوية كلها جاءت لتذكر الانسان بأن لوجوده غاية ومقصدا يقول الدين الأخير (الاســلام) :

﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ (١)

ويقول أيضا :

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون ﴾ (٢) .

فلما ظهرت الداروينية على مسرح التفكير الاوروبي فندت الأديان السماويـــة وأدعت ان لاتوجد للوجود الانساني غاية لأن الله - في زعمها - لم يخلق الانسان خلقا مستقلا مميزا ، وانما هو وليد جرثومـــة يقال لها : " أميبا " تعاقـــب عليها خط التطور حتى وصلت الى وضعه الحاضر .. فمن العبث ، البحث عـــن غاية ومقصود من خلق الانسان ، لأن الطبيعة لو شاءت لأعطت القطة القدرة علـــى التطور ولجعلتها سيدة المخلوقات (٣) .

يقول جوليان :

" من المسلم به أن الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محلـــه القطه أو الفأر " (٤) .

فأدى هذا الاتجاه الأوروبي الى الاعتقاد عند كثير من علمائهم الى الايمان بصدفه اى ان هذا العالم المتقن العجيب جاء من الصدفه العمياء . وليس اللـــــــه

---

(١) الذاريات / ٥٦

(٢) المؤمنون / ١١٥

(٣) معركة التقاليد - محمد قطب ص (١٥٩) .

(٤) المصدر السابق ص (٥٩ - ٦٠) .

- سبحانه وتعالى - بخالق له - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

(ثالثا): حيوانية الانسان وماديته :

أن هذه الفكرة التى تنكر الجانب الروحي في الانسان ، هزت المجتمع الأوروبي هزه عنيفه ، ووجهت الى الكرامة الانسانية ، اعظم لطمه فى التحقير عرفته البشرية . وأصبح الانسان الاوروبي على حد زعم هكسلى ، بعد نظرية (داروين) لا يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوان (١) .

(رابعا) : القول بالتطور المطلق :

لقد زعم داروين واتباعه ان لا غاية للوجود الانساني في هذه الحياة وان كل شيء يتطور : الدين والتقاليد والقيم والموازين وليس هناك شيء ثابت على الاطلاق .

يقول لوبون :

" ان الزمان اله الآ انه هو الذى يولد المعتقدات وينميها ثم يميتها ، ومنه تستمد قوتها ، وبفعله يتولاها الضعف والانحلال " ان الزمان هو صاحب السيادة .

" الحقيقة فينا وما علينا الا ان نتركه يعمل لنرى كل شيء يتحول ويتبدل" . وهكذا آمنت اوروبا بالتطور المطلق وحسبته - وان كانت انتكاسا وانحطاطا - تقدما وكل ذلك راجع الى تمزيق الكيان الانساني الموحد الذى امتازت العقيدة الاسلامية بشمولية هذا الكيان . والحمد لله على ذلك .

---

(١) روح الجماعات ، تأليف غوستاف لوبون ت : عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٥ م .

وهكذا ظهر للناس ﴿ أن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ [(١)] ، وان الاسلام الذى يراد نشره هو الاسلام الذى يتصف بالشمولية والتكامل .

ان هذه الحقيقة تظهر لنا بكل وضوح عندما نقرأ الصحفات الآتية :

الانسان على طبيعته

. ومن محاسن هذا الدين الرباني ، أنه يأخذ الانسان على طبيعته وعلى حقيقته الربانية وهى كونه : قبضه من طين الأرض ونفحه من روح الله [(١)] .

ثم الشريعة كلها أنزلت لهذا الكيان على أساس هذا المنهج بحيث لايطغي جانب على جانب يقول تعالى : ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ آية ١٤ سورة الملك .

---

(١) والله – سبحانه وتعالى : يقول : ان النفحة من روحه في آدم هى التي جعلت له الامتياز والكرامة – حتى على الملائكة ..كما قال تعالى : ﴿ واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون ﴾ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (الحج / ٩٩) فلابد – اذن – أن تكون الروح الانساني شيئا آخر غير مجرد الحياة الموهوبة للدود والميكروب ، وهذا مايقودنا الى أعتبار الانسان جنسانشا نشأة ذاتية وأن له أعتبارا خاصا في نظام الكون ليس لسائر الأحياء ، هذا هو مذهب أهل السنة " من ان الروح هو النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب ولا تفنى بفناء الجسد وأنه جوهرلا عرض ويشهد لذا قوله تعالى : ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ والمراد هذه الأرواح " . راجع المصباح المنير في غرائب الشرح الكبير للرافعي تأليف العالم العلامه أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ ص (٣٣٤) دارالقلم
==

ان هذا المنهج يأخذ جسد الانسان وروحه في آن واحد ، وأقرب مثال على ذلك الصلاة في الاسلام .

ان الصلاة الاسلامية التى تعتبر بحق عنوانا للعبادة في الاسلام والتى يتمثل فيها خلاصة المنهج هى تعبير عن المنهج الاسلامي بلا جدال وذلك للامور التالية ان الصلاة يشارك فيها الكائن البشرى بكله :

١ - الروح تشارك بالخشوع لله بالتجرد لله ، بالاتصال الروحي بالله عز وجل .

٢ - العقل يشارك بالوعى ، ليس لك من صلاتك الا ماوعيت أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ - والجسد يشارك بالقيام والقعود ، فالانسان كله في هذه الصلاة التى تمثل المنهج الرباني يشترك بكله بعقله وروحه وجسده وهو عنوان للمنهج كله ، والمنهج كله يتعامل مع الانسان في هذا الشمول وهذا التكامل ، وهناك العديد من الأمثلة ولكن نختتم الفقرة بما يلي :

== بيروت ، لبنان .

اذا فهمنا هذا لا نلتفت الى أقوال (الحكماء) الذين يقولون: (الروح هو الدم) ولهذا تنقطع الحياه بنزفه وصلاح البدن وفساده بصلاح هذا الروح وفساده ، المرجع السابق ص (٣٤) .
كما لانلتفت الى من يقول :(الروح هو النفس) فاذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياه فنقول : ان الروح - كما قال تعالى - (من أمر الله لايعلمها الا الله تعالى).

(مفهوم الدنيا والآخرة فى الاسلام)

وكما يوجد هذا المنهج الرباني فى الصلاة يوجد في جميع أمور الاسلام.
فمثلا الدنيا والآخرة في الاسلام : انه لايوجد على الاطلاق في المفهوم الاسلامي الصحيح عمل يعمل لأجل الدنيا فقط وليس للآخرة فيه نصيب .. وكذلك الحال لا يعمل عمل لأجل الآخرة وليس للدنيافيه نصيب . كل أعمال الانسان تعمل من أجل الدنيا والآخرة في آن واحد، أنه طريق واحد.. وليس طريقين أثنين كما قال رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه (الدنيامزرعة للآخرة) فهى هذه الصلة بين الدنيا والآخرة .

يخيل الينا أحيانا أن هناك أعمالا آخرويه بحته ، وأول مايتبادر الى اذهاننا الصلاة ، الصلاة لله للآخرة .. لكى تتقرب بها الى الله ، لكى يدخلنا الجنة ، نعم ، ولكن القرآن يقول : ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾.
هنا في الدنيا أى وهى عمل موجه للآخرة نعم ، عبادة للآخرة ولكن القرآن يقول:
﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ .
أى أن هناك أثرا فعليا هنا للصيام في الحياة الدنيا ، فعبادات الاسلام كلها على هذا النحو ، أمر يتوجه به الى الله فىالآخرة وله أثرفي الحياة الدنيا.
من الجانب الآخر في الأعمالالدنيوية أو التى نسميها دنيوية ، قد يخطر على بالنا انها منقطعة الصلة عن الآخرة ، فلنأخذ الزواج مثالا على ذلك ، أن الزواج ربما كان في نظرالناس انه أوثق الاشياء بالارض والصق الاشياء بالحياة الدنيا ، نعم حين يلتزم الانسان في زواجه بالحلال الطيب ، وحين يطلب من الله النسل الطاهر ، وحين يفعل اى فعل لوجه الله ،ويتحول بنيته الطيبه الى عمل الآخرة كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام (انما الأعمال بالنيات وان لكل أمرئ مانوى) الحديث .

وهكذا الأسلام كله كما وحد الروح والجسد كذلك وحد طريق الدنيا والآخرة فصار طريقا واحدا لاطريقين اثنين ، ولم يعد هناك عمل يعمل من أجل الدنيا وحدها ولا عمل يعمل من أجل الآخرة وحدها، هذا هو الاسلام الذى يراد نشره في العالم.

وبعدهذه الجولةالتى رأينما أمتازبههذا المنهج الرباني من الشمول لنتحدث الآن عما أمتازبه أيضا هذا الدين الرباني من التكامل .

(ثانيا) : التكامل :

ان مما امتاز به هذا المنهج الرباني التكامل ، وهو بمعنى ان كل جزئية من هذا الموضوع تكمل الآخريات حتى ينتج منها نظام متكامل .

وبتعبير آخر كما كان هذا الدين دينا شموليا بمعنى أنه شمل النشاط البشرى كله وهو في الوقت دين متكامل .. لايقبل انصاف الحلول لذلك نعى القرآن على اليهود الذين أخذوا جانبا من دينهم وتركوا الجوانب الآخرى فقال تعالى : ﴿ أتأمنون ببعض الكتاب وتكفروا ببعض فما جزاء من يفعل ذلك الا خزى في الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (١) .

ولكن بعض الباحثين المعاصرين يريدون أن نلوى عنق الاسلام ليوافق الاتجاهات الاوروبية التى تقول ان الاختصاص - مثلا - مستقل بذاته له قوانينه الخاصة ولا يخضع للمقاييس الخلقية وهكذا .

فنحن نقول لهؤلاء وأمثالهم أنه لايوجد في الاسلام شيىء - على الاطلاق - من نشاط الانسان يخرج أو يمكن ان يخرج عن القاعدة الاخلاقية بل ان المفهوم الخلقي في الاسلام قد شمل نشاط الانسان كله ، ان السياسة لها اخلاقها ومنبثقة من قاعدة اخلاقية والاقتصاد له اخلاقياته ومنبثق من القاعدة الاخلاقية العامة للاسلام .

والنشاط الجنسي والنشاط الفني والنشاط الفكرى والنشاط العلمي كل ذلك له اخلاقياته ومنبثق من قاعدة اخلاقية في الاسلام .

بل كل ذلك جزء من العقيدة الاسلامية ، فلنأخذ لذلك مثاليين وقع في صدر الاسلام:

---

(١) البقرة / ٨٥ .

(أولا):

هناك نماذج رائعة في أوائل التاريخ الاسلامي حيث طبّق الاسلام تطبيقا كاملا والذى اليوم ينبغى ان نعود اليه مرة آخرى ، ومن تلك الامثلة الرائعة نذكر هنا مثالا وقع في عهد الخليفه الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يذكر التاريخ الاسلامي الصحيح ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال أسمعوا وأطيعوا تصدى له سلمان الفارسي يقول : لا سمع لك علينا اليوم ولا طاعة حتى تبين لنا هذا البرد الذى اتزرت به من أين لك هو؟ (هذا هو المقياس الخلقي للسياسة ، هو تعامل سياسي بين الحاكم والمحكوم قائم على القاعدة العقدية ويتسم بالسمة الاخلاقية)، وحين لم يغضب عمر لهذه القولة واستجاب وقال: ياعبدالله بن عمر - ينادى ابنه عبدالله - ناشدك الله هذا البرد الذى اتزرت به أهو بردك ؟ قال : نعم ! ثم التفت الى المسلمين يقول : ان أبى ناله برد واحد كما نال بقية المسلمين ولكنه رجل طويل ، اى طويل لايكفيه برد واحد فتركت له بردى .. هذا هو مقياس اخلاقي في الوقت الذى هو مقياس عقدى وفي الوقت الذى هو القاعدة الذى تقوم عليها السياسة في الاسلام .(1)

(ثانيا):

مثال آخر من فجر التاريخ الاسلامي المضىء بكل شفافيته - حين يجىء على ابن ابى طالب فيجد درعه مسروقا عند واحد من اليهود ، فيقول له هذا درعي ، فيقول لا ليس درعك ، فيقول له تعالى الى القاضي ، هذه هى الصورة الاسلامية العقائدية الاخلاقية يذهب به الى القاضي ليشكوه .. ويقول الدرع درعي ولم أهب ، فيلتفت القاضي الى اليهودى ولا يحكم في القضية ابتداء ، وهو يعلم صدق على الذى كرم الله وجهه ، لم يسمع عنه كذب قط ويعلم القاضي علم اليقين

---

(1) راجع كتاب بين يدى عمر ، خالد محمد خالد ، ط ٢ (١٣٨٤ - ١٩٦٤م) ص (١١٠) مكتبة وهبه وراجع الطبقات لابن سعد والكامل لابن الاثير .

أنه صادق في دعواه فلا يحكم بعلمه ، انما قال لليهودى ، يايهودى ماتقول في قول أمير المؤمنين ، فقال قوله ملتوية : الدرع درعي وما أمير المؤمنين بكاذب ..

كلمة كما ترونها على طريقة اليهود في الالتواء والخداع فيلتفت القاضي الى أمير المؤمنين ويقول له : ياأمير المؤمنين هل من بينة ؟ هذه قمة الاخلاقيات السياسية الاسلامية .. والقمة الثانية يبتسم على رضى الله عنه ويقول : صدق شريح وهو القاضي ـ مالى بينة فيحكم القاضي ـ تلك هى القمة الثالثة ، فيحكم القاضي بالدرع لليهودى وهو يعلم انها لعلي أمير المؤمنين ولكن تنفيذا للشريعة الربانية ، (البينة على من أدعى) وعلى ابن ابي طالب مدع ،اى هو رافع الدعوى علىاليهودى ولا توجد عنده فينطلق اليهودى بالدرع بفع خطوات ثم يعود فيقول : أمير المؤمنين يشكوني الى قاضيه فيقضى عليه ان هذه لاخلاق انبياء ، اشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمد رسول الله فيقول علي كرم الله وجهه اما واذ اسلمت فهى لك .(١)

هكذا رأينا شيئا من اخلاقيات الاسلام الدالة على انه لا انفصام في الاسلام ـ لا شيىء في الاسلام منفصل عن الاخلاق هكذا تكون السياسة في الاسلام على قاعدتها العقدية ، مبنية على قاعدة اخلاقية ، هى الصورة التنفيذية لعقيدة الله سبحانه وتعالى .

الاقتصاد هكذا ، والاجتماع هكذا وعلاقات الاسرةهكذا وعلاقة المعلم بتلاميذه والتلميذ بأستاذه هى هكذا منبثقة من عقيدة وذات طابع اخلاقي .

وهكذا ايضا لا يوجد في الاسلام هذا الانفصام بين النشاط البشرى وبين قاعدته الخلقية .. لايكون الانسان بلا اخلاق او لا يكون عمل الانسان بعيدا عن الميدان الخلقي الا اذا كان الانسان ذا طبيعة واحدة مثل الحيوان الذى لا اختيار له في السلوك .. وكذلك ليس هناك ميزان خلقي للحيوان لأن الميزان

---

(١) راجع المرجع السابق .

الخلقي يستدعي حرية الانسان في أن يعمل احد عملين ، ومن هنا يسير أحد العملين اخلاقيا والآخر غير اخلاقي لذا يترتب على الانسان ان يكون ذا خلق والا يقف في صفوف الحيوان .. واما الانسان الذى لم تتعطل فيه اجهزة الاستقبال الفطرى يجب عليه ان يختار الجانب الاخلاقي من الجانب غير الاخلاقي وقد أشار القرآن الى هذا في عدة آيات بقوله تعالى :

﴿ ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها ﴾ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ .(١)

ويقول تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ .(٢)

ويقول تعالى : ﴿ انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ﴾(٣)

وهكذا يربط الاسلام بين النشاط البشرى وبين القواعد الخلقية والعقدية ، ولقد بينا في الباب الرابع ما اتجه اليه الاوروبيون من فصل السياسة والدين والأخلاق وبينا هناك ان الاتجاه الاوروبي ينسب الى (ماكيا فللى) نيلولو (١٤٦٩ - ١٥٢٧م) الذى أبان في كتابه الشهير (الأمير) الذى كتبه عام١٥١٣م واهداه الى حاكم فلورنسا الذى أيد فيه نظام الحكم المطلق ، وأحل فيه للحاكم اتخاذ كل وسيلة تكفل استقراره واستقرار حكمه واستمراره ولو كانت منافية للدين والاخلاق وذلك على اساس (ان الغاية تبرر الوسيلة) .

ومن هنا صار لفظ (الماكيافلليه) وصفا لكل مذهب سياسي ينادى بأن الغاية تبرر الواسطة أو الوسيلة .(٤)

---

(١) الشمس / ٧

(٢) البلد / ١٠

(٣) الدهر / ٣

(٤) راجع الموسوعة العربية الميسرة ج ٢ ص ١٦٢٨ .

هذه هى السياسة التى تقوم الحكومات الاوروبية اليوم عليها ومن لف لفهم ....

وأما الاسلام العظيم فهو يخالف هذا الخلق الحيواني الماكيافللي فجعل كل نشاط الانسان منبثقا عن الخلق والعقيدة حتى صار الخلق عنوانا للاسلام كله يقول تعالى :

﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ .(١)

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام (بعثت لاتمم حسن الأخلاق) .(٢)

وبعد هذه الجولة ننتقل لى الجولة الأخيرة للحديث عن التوازن في الاسلام.

التوازن :

وقد تحدثنا فيما مضى عن الشمول والتكامل في الاسلام ورأينا وحدة الروح والجسد والدنيا والآخرة ، كما وحد النشاط على قاعدة عقديه وموازين اخلاقية .. فانه كذلك وازن بين نشاطات الانسان كلها .

ان هذا التوازن مما أمتاز به الاسلام لأنه لايوجد هناك نظام بشرى استطاع أن يوازن بين جميع نشاطات الانسان كما وازن بينها هذا الدين الرباني العظيم.

فهو الذى يوازن بين المقادير المختلفة التى يمارس بها الانسان نشاطاته فلا يطغى منها جانب على جانب ، وان جانب الجسد لا يطغى على جانب الروح . لا العباده تطغى على سعيه الى الرزق ، ولا السعى الى الرزق يطغى على التعلم ، ولا هذا ولا ذاك تطغيان على واجب عمارة الأرض ، يقول تعالى :

---

(١) القلم / ٤

(٢)

﴿ هو الذى انشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ (١)

ولا شيء من ذلك يطغى على وجوب تسخير الطاقات السماوية والارضية للانسان. يقول تعالى :

﴿ وسخر لكم مافي السماوات والأرض جميعا منه ﴾ (٢) .

ولا كل أولئك يشغلون من الجهاد في سبيل الله ، هنا توازن مع الشمول والتكامل، شمول لكل نشاط الانسان على قاعدة متوازنة لا تجعل الانسان يميل أو يختل .

وأما قاعدة التوازن فيستدل بها قوله تعالى :

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لايحب المفسدين ﴾ (٣) .

هذا نوع من الموازنة ... بل التوازن هو الفطرة التى فطر الله عليها الكون كله بما في ذلك الانسان يقول تعالى :

﴿ وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ (٤) .

وأما هذا الفصل بين الدين وبين العلم فهو بضعة أوروبية بحتة لايعرفه الاسلام ولا يعترف به ولا بين الدين وبين الدولة ولا بين الدين وبين الحياة .

كل هذه الانفصالات جاهلية ، اما دين الله - كما قلنا - فلا يعرف الفصل بين هذه الأمور .

الاسلام دين العلم لا يعرف هذه الجفوة المصطنعة بين العلم والدين أبدا وأكبر شاهد على ذلك الآيات التالية :

---

(١) هود / ١٦

(٢) الجاثية / ١٢

(٣) القصص / ٧٧

(٤) الحجر / ١٩

يقول تعالى : ﴿ أقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ .(١)

يقول تعالى : ﴿ هل يستوى الذين يعلمونوالذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ .(٢)

يقول تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات ﴾ .(٣)

هكذا يربط الاسلام بين العلم والعقيدة ، بين الايمان بالله والعلم ،

بل انما قامت الحركة العلمية الاسلامية في جميع الامصار الاسلامية بدافع من العقيدة ، في المدينة المنورة (أولا) وفي الشام والعراق (ثانيا) وفي مصر وما وراءها (أخيرا) والمكتبات الاسلامية التى لم تزل توجد في هذه الامصار شاهدة على ذلك .

من هنا لم تحدث الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم في الاسلام كما حدث في أوروبا بين الكنيسة وبين العلم ـ كما تحدثنا عن ذلك سابقا وخاصة في الباب الرابع ـ وقد تحدثنا هناك عما جرى بين الكنيسة وبين العلماء الثلاثة (كوبرنيكس ـ بورنو ـ جاليلو) من تقتيل وتعذيب ...

ولم يحدث في الاسلام هذا الفصام في الدين والعلم لأنه دين الفطره لأنه دين التوحيد الذى يوحد كل شيىء .

لم يحدث في الاسلام ذلك الفصام بين الدين والدولة الا في هذه الآونه الاخيرة حين نحى بعض المسلمين شريعة الله عن الحكم وجعلوا الدين دينا بالمعنى المسيحي اى تركوا وقع الحياه تحكمه المناهج الجاهلية العلمانية ، فصار الدين في هذه البلاد علاقة بين العبد وربه ، فأقرب دليل على ذلك الدول الافريقية الغربية التى خصصنا لها هذا البحث ، فان رؤساءها لماأستقلوا

---

(١) العلق / ١
(٢) الزمر / ٩
(٣) المجادلة / ١١

من نير الاستعمار الاوروبي ، اتخذوا العلمانية اللادينيه شعارا لدولهم ولم يكتفوا بهذا الاعلان فحسب بل يفتخرون ايضا في جميع المناسبات ويقولون ان دولنا علمانية - فلا تعترف اذا بأى دين من الاديان ولا نفضل دينا على دين فالمسيحية أو اليهودية او الاسلام أو الوثنية سواءا بسواء عندنا .

ان هذا الانحراف الذى اتصف به هؤلاء العلمانيون يتطلب منا ان نتحدث عن بعض مزايا الاسلام زيادة على ماذكرناه آنفا من الشمول والتكامل والتوازن الذى امتاز بها هذا الدين الرباني العظيم .

واليك فيما يلي ذكر نموذج من مزايا الاسلام التى يجهلها العلمانيون في غرب افريقيا بخاصة وفي غيرها بعامة .

(دين الفرقان (١) بين الحق والباطل)

كما كان هذا الدين دينا يتصف بالشمول والتكامل والتوازن ، يتصف آيضا بأنه دين الفرقان يفرق (٢) بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد

---

(١) الفرق بالضم والفرقان يطلق على القرآن وعلى كل مافرق به بين الحق والباطل ويطلق الفرقان على النصر والبرهان والصبح والتوراه وانفراق البحر ومنه قوله تعالى : ﴿ واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان ﴾ سورة البقرة / ٥٣ ، ويوم الفرقان يوم بدر .

(٢) ففرق بينهما : أى فصل ومنه قوله تعالى : ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ سورة الدخان آية (٤) أى يفصل ، وقوله تعالى : ﴿ وقرآنا فرقانه ﴾ سورة الاسراء / ١٠٦ أى فصلناه وأحكمناه ، وقوله تعالى : ﴿ واذ فرقنا بكم البحر ﴾ أى فلقناه ، وقوله تعالى : ﴿ فالفارقات فرقا ﴾ سورة المرسلات آية / ٤ أن الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل .

والبغي والصدق والكذب والعلم والجهل والمعروف والمنكر ، وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء وبين ماعليه الناس من اختلاف وكذلك النبيون قبل الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول تعالى :

* كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوا من بعد ماجاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى[1] الله الذين آمنوا لما أختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط المستقيم * سورة البقرة / ٢١٣ .

قال تعالى :

*وتالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم*وما أنزلنا عليك الكتاب الالتبين لهم الذى أختلفوا فيه ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون *[2] .

---

(١) وهدى : معناه ، ارشداى فهدى الله أمة محمد الى الحق بأن بين لهم ما أختلف فيه من كان قبلهم وقالت طائفة : معنى الآية ان الأمم كذب بعضهم كتاب بعض فهدى الله تعالى أمة محمد للتصديق بجميعها وقالت طائفة : أن الله هدى المؤمنين للحق فيما أختلف فيه أهل المتابين من حولهم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا . وقال ابن زيد أختلفوا في الجمعة فان النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذا اليوم الذى أختلفوا فيه فهدانا الله له فلليهود غد وللنصارى بعد غد وأختلفوا في عينه فجعلته اليهود فريضة وجعلته النصارى ربا فهدى الله المؤمنين بأن جعلوه عبدا ، (راجع التفسير الكبير لابن تيميه ج ١ ، ص ٨٨

(٢) سورة النحل / (٦٣ – ٦٤) .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ .[١]

وقال تعالى :

﴿ الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لمابين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ﴾ .[٢]

والفرقان هنا القرآن الذى بين الله فيه دينه الاسلامي وشرع فيه شرائعه وأحل حلاله وحرم حرامه ، وحد حدوده ، وأمر بطاعته ونهى عن معصيته .

ومما أمتاز به هذا الدين الاسلامي الرباني العظيم التفريق بين الحق والباطل وبين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات ، وبين أهل الباطل الكفار الضالين المفسدين أهل السيئات ، قال تعالى :

﴿ أم حسب الذين أجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين أمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ﴾ .[٣]

قال تعالى :

﴿ أم نجعل الذين أمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ .[٤]

قال تعالى :

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف يحكمون ﴾ .[٥]

قال تعالى :

﴿ مثل الفريقين كالاعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاأفلا تذكرون ﴾[٦]

---

(١) الفرقان / ١
(٢) آل عمران (١ – ٤)
(٣) الجاثية / ٢١
(٤) ص / ٣٨
(٥) القلم (٣٥ – ٣٦) .
(٦) هود / ٢٤

وقال تعالى :

﴿ أمن هوقانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * انما يتذكر أولو الالباب ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ وما يستوى الأعمى والبصير * ولا الظلمات ولا النور*ولا الظل ولا الحرور* وما يستوى الأحياء و لا الاموات * ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ان أنت الا نذير * انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا .... ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به فى الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ (٣) .

وقال تعالى :

﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون ﴾ (٤) .

ان هذه الآيات التى سقناها هنا تدل دلاله واضحة على أن هذا الدين فريد من نوعه لأنه من لدن حكيم عليم . كما شمل جميع نشاطات الانسان كذلك فرق بين أهل الباطل وأهل الحق ، وبين المؤمنين الخلص ، والمنافقين ، فلايستطيع منافق أن يخفي نفاقه مدة طويلة لأن صفاته كما بينها القرآن والسنة معلومة. كما لايقدر كافر يبطن كفره فى دولة الاسلام الى أمد بعيد. لأن مواصفاته

---

(١) الزمر / ٩

(٢) فاطر (١٩ - ٢٤) .

(٣) الأنعام / ١٢٢

(٤) السجدة / ١٨

كلها معروفه وموضحه لدى المسلمين .. (هذا هو الدين الذى يراد نشره في العالم) .

(الغرض من التفرقة بين المؤمن والكافر)

ان الغرض الأساسي فىالتفرقة بين المؤمن الصادق وبين الكافر الفاجر أن يكون كل منهما مثلا يعتبر به ويقاس عليه غيره فمن عمل بمثل عمله جوزى بجزائه ليتعظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله (١) .

وقد وردت آيات كثيرة فى بيان هذا الغرض الأساسي منها مايلي :

قال تعالى :

﴿ ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ﴾ (٢) .

أى ماذكره الله سبحانه وتعالى من أحوال الأمم الماضية التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الأمم المستقبلية .

كما قال تعالى :

﴿ لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾ (٣) .

فمن كان من أهل طاعة الله قيس بهم وعلم أن الله يسعده فى الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم أن الله يشقيه في الدنيا والآخرة .

كما قال تعالى في خلق الكفار :

﴿ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم برءة فى الزبر ﴾ (٤) .

---

(١) راجع التفسير الكبير للشيخ ابن تيمية ج ١ ص (١٠١) بالتصرف .

(٢) النور / ٣٤ .

(٣) يوسف / ١١١ .

(٤) القمر / ٤٣ .

قال تعالى :

﴿ وقد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (١)

وقال تعالى في حق المؤمنين :

﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم ﴾ (٢) .

---

(١) آل عمران / ١٣٧ .

(٢) سورة النور / ٥٥ :

ويقال نزلت هذه الآية فى أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما قال مالك : ان سبب نزول هذه الآية أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، شكا جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على أنفسهم ، وأنهم لايضعون أسلحتهم فنزلت هذه الآية .

وقال أبو العالية مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين بعد ما أوحى اليه خائفا هو وأصحابه ، يدعون الله سرا وجهرا ، ثم أمر بالهجرة الى المدينة ، وكانوا فيها خائفين يصبحون ويمسون فى السلاح فقال رجل : يارسول الله أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح .

فقال عليه السلام : لا تلبثون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس عليه حديده وأنزلت الآية .

وأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وآمنوا . قال النحاس فكان في هذه الآية على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل الله جل وعز أنجز وعده .....

وقال تعالى :

﴿ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لا نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ (١) .

وقال تعالى فى قصة أيوب :

﴿ رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ﴾ سورة الانبياء / ٨٤

﴿ رحمة منا وذكرى لأولى الألباب ﴾ سورة ص / ٤٣

وقال تعالى :

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده ﴾ الأنعام / ٩٠

وأن يتبين بأن النصر لايأتي الا بعد الصبر اى كما صبر الذين خلوا من قبلنا .

وقال تعالى :

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب ﴾ (٢)

يقول تعالى :

﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماتثبت به فؤادك ﴾ (٣) .

هكذا رأينا ان الغرض الأساسي في ضرب الامثال والتفرقة بين أهل الايمان وأهل الكفر ،ليتخذ كل من الفريقين مثلا يحتذى ويكون نظيرا يقاس عليه ويعتبر به .

---

(١) الانبياء (٨٧ – ٨٨) .

(٢) البقرة / ٢١٤

(٣) هود / ١٢٠

كما قال تعالى في المقاتلين يوم بدر من المؤمنين والكفار :

* أن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار * (١)

أى خذوا عبرة من الفئة المؤمنة التى غلبت الفئة الكافرة الكثيرة العدد والعدة .

ويقول تعالى في حق فرعون :

* فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين * (٢)

أى مثلا يقاس عليه كل من اتجه الى هذا الاتجاه الفرعوني ، فيجازى من الله بجزاءه بلا هواده .

(التفرقة بين الخالق والمخلوق)

وكما فرق هذا الدين الرباني بين أهل الطاعات لله والرسول والمعاصي لله والرسول وبين ما أمر الله به وبين مانهى الله عنه ، كذلك فرق بين الخالق والمخلوق ، وان المخلوق لا يجوز ان يسوى بين الخالق والمخلوق في شيء فيجعل المخلوق ندا للخالق .

قال تعالى :

* ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله * (٣)

---

(١) آل عمران / ١٣ .
جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى * قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وآخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء * .

(٢) الزخرف / ٥٦ .

(٣) البقرة / ١٦٥

قال تعالى :

* هل تعلم له سميا * .(١)

قال تعالى :

* ولم يكن له كفوا أحد * .(٢)

قال تعالى :

* ليس كمثله شيء * .(٣)

وهكذا يختلف الانسان عن جميع الاديان المحرفة فالنصرانية التى تجعل لله شركاء في الحكم مثل عيسى وروح القدس وكذلك اليهودية المحرفة المبدلة التى تجعل عزيزاً ابن الله والمشركون الذين يجعلون معبوداتهم الباطلة شركاء مع الله في الحكم ، وان الاسلام العظيم فقد فرق بين الخالق والمخلوق وضرب الأمثال الكثيرة في القرآن على من لم يفرق وعدل بربه وسوى بينه وبين خلقه يقول الكفار وهم في النار يصطرخون فيها :(٤)

* تالله انا كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم برب العالمين *(٥)

وجعل القرآن مما يمتاز به الخالق عن المخلوق ، الخلق فقال تعالى :

* أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وأن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الله لغفور رحيم * والله يعلم ماتسرون وماتعلنون * والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء ومايشعرون *

---

(١) مريم / ٦٥

(٢) الاخلاص / ٤

(٣) الشورى / ١١

(٤) اشارة الى آية فاطر رقم (٣٧) * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا * .

(٥) سورة الشعراء (٩٧ – ٩٨) .

قد دلت الآية على أن الخالق العليم ، الحق الحى الذى لا يموت ، شيء ومن سواه الذى لا يخلق شيء آخر وقد أكدت هذا المعنى آيات كثيرة منها :

﴿ ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمع له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذونه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره ﴾

وهكذا فرق القرآن بين الخالق والمخلوق وضرب في ذلك اروع مثل فأن الذباب من أصغر الموجودات وكل من يدعى من دون الله لا يخلقون ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه واذا تبين أنهم لا يخلقون ذبابا ولا يقدرون على انتزاع مايسلبهم فهم عن خلق غيره وعن مغالبته اعجز وأعجز.

هذا هو الدين الذى يراد نشره في العالم الذى يفرق بين المؤمن والكافر وبين المؤمن والمنافق بل بين الخالق والمخلوق .

وبتعبير آخر ان الله سبحانه وتعالى كما يفرق في هذا القرآن المختلفه فانه يجمع ويسوى بين الامور المتماثلة فيحكم في الشيء خلقا وأمرا بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين اى مثل الصالحين الاولين عن الصالحين المتأخرين أو بين الكفار السابقين عن الكفار المتأخرين ، ولا يسوى ايضا بين شيئين غير متماثلين ، كما بين ان سنته في كل ذلك لاتتبدل ولا تتحول .

والسنة : هى العادة التى تتضمن ان يفعل في الثاني مثل مافعل بنظيره الأول ان هذه الميزة لا تتوفر الا في ديننا الاسلامي وحده ، لذا يقول تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب ﴾ (١) .

أفاد بذلك أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل جزاءهم ليحذر ان يعمل مثل أعمال الكفار ، ان هذا لاشك فيه تحذير لمن له ذرة من ايمان في قلبه والا كيف

---

(١) يوسف / ١١١

يستطيع أحد فهم ذلك من دينه وكتاب ربه أن يستورد عادات الكفار وأسلوب أفكارهم الى المسلمين ؟.

وخاصة "العلمانية " .. التى أصبحت صنما يعبد في بلاد ينتسبون الى الاسلام، والاسلام برئ من العلمانية براءة الذئب من دم يوسف .

وكذلك الحال عندما يذكر القرآن المؤمنين يريد بذلك ترغيب المؤمنين في أن يعملوا مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء في أعمالهم وصفاتهم لذلك يقول دائما :

﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ .(١)

وقال تعالى :

﴿ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ .(٢)

هكذا نصت هذه الآية الكريمة على أن من أتبع السابقين الأولين كان منهم وهم خير الناس بعد الأنبياء ـ فأما أمة محمد خير أمة أخرجت للناس ، وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في الصحيح من غير وجه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خير القرون القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) .(٣)

وهكذا عرفنا ان من خصائص هذا الدين التفرقة بين المختلفين والتسوية بين المتماثلين .

---

(١) الاحزاب (٦٠ ـ ٦٢) .

(٢) سورة الجمعة / ٣

(٣) الحديث أخرجه البخارى في كتاب الشهادات ٩ وفي فضائل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (١) وفي كتاب الرفاق (٧) وكتاب الايمان (١٠) ، (٢٧) ورواه ابن ماجه في كتاب الاحكام (٢٧) باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد ٢٣٦٢ .

وبعد هذه الجولة الممتعة في محيط خصائص التطور الاسلامي ، ننتقل الى الحديث عن مزايا الاسلام التى امتاز بها عن الأديان المحرفة والأيديولوجيات المنحرفة والمذاهب الهدامة والتيارات الفكرية الفتاكة.

(نماذج من مزايا الاسلام)

فيما سبق قد تحدثنا عن نماذج من خصائص التطور الاسلامي ، وقد آن الاوان أن نتحدث عن نماذج آخرى من مزايا الاسلام .

وقد أخترنا من مزاياه ثلاث مزايا هي :

١ – مرونة الاسلام .

٢ – مبدأ الشورة في الاسلام .

٣ – المساواه في الاسلام .

وفيما يلي نعطي لكل من ذلك شرحا موجزا .

أولا : مرونة الاسلام :

وليس غريبا أن يكون الاسلام دينا يتصف بالمرونة لأنه دين الفطرة دون منازع .. أى أنه الدين الذى يتلائم كل الملائمة مع البشرية جمعاء .. يستطيع أن يطبقه الفرد او الجماعات .. ومن هنا صح لنا ولغيرنا ان نسميه دين البشرية ، وما كان الاسلام ليسمى دين البشرية اعتباطا او تحمسا ولكن ماجاء به هذا الدين من مرونة ، تصلح لكل زمان ومكان ومن دستور يقبله العقل السليم البعيد عن الهوى والضلال .. وماجاء به من هداية يستنير القلب بها وعمق يرتكز عليه الايمان وتطور يصلح لجميع الظروف وشريعة – كما قلنا سابقا – تنظم أحوال المجتمع ومساواة تربط بين جميع الناس ، وتأمين للنفس

البشـــرية يجعلها تطمئن الى حياة آخرى تلقى النعيم بقدر ماقدمت من خيــر كل ذلك وغيره جعل الاسلام اقرب الى طبيعة النفس البشرية دينا ترتضيه وسراجا تستهدى به .

وأما اتصال الاسلام بالمرونة فهو شيء لاينازع فيه كل من تجرد من هـــوى النفس والمكابرة .. فالاســلام دين يتميــز بمرونه تحببه الى النفس البشرية وآية ذلك مايلي :

" اعترافه بالعقـــــل "

ان كان من مزايا الدين الاسلامي اعترافه بدور العقل الفعال واحترامه لـه ولكن الاسلام - في الوقت نفسه - حدد مجالات العقل تحديدا لم يسبق له مثيل ولو عرف الفلاسفة ذلك لما وقعوا فيما وقعوا فيه من التخبط والضلال والهذى وقـــد اشار القرآن الكريم الى هذه الجوانب التى لم يزود الانسان بالقدرة علـــى الاحاطة بها بماهيتها او بكيفيتها .. اما لأنهالاتدخل في حدود طبيعتـــه البشرية المحدودة ، وانما لأنها لا تلزم له في النهوض بوظيفته المحدودة .

من هذه الجوانب مسألة كنه الذات الالهية ، فالادراك الانساني لم يفهم من ذلـك شيئا .. وليست مما نعرفه شيء يماثلها فيمكن ان نقيسها عليه ، يقول تعالى :

﴿ لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾ (١) .

﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (٢) .

﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ (٣) .

ومنها مسألة المشيئة الالهية وكيفية تعلقها بالخلق .. يقول الله تعالى :

﴿ قال ربى أنى يكون لى غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك اللـــه

---

(١) الأنعام / ١٠٣

(٢) الشورى / ١١

(٣) النحل / ٧٤

يفعل مايشاء ﴾ .[١]

﴿ قالت ربي أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك يخلق الله مايشاء اذا قضى امرا يقول له كن فيكون ﴾ .[٢]

هكذا دون بيان الكيفية ، لأنها فوق ادراك الكينونه البشرية وكل من أراد من البشر بيان الكيفية تخبط تخبطا ذريعا وخلط تخليطا فظيعا ، لذلك اضطربت أقوال جميع الفلاسفة والمتكلمين والماديين ، لأن كل واحد من هؤلاء قاس الكيفية على كيفيات عمل الانسان ، وشتان وشتان .. ولم يسلم من هذا التخبط أحد حتى ارسطو الذى يعتبر عندهم المعلم الأول وكما تخبط في ذلك أنصار أفلاطون وغيرهما حينما ارادوا ان يبينوا كيفية تعلق عمل الخالق بالمخلوقات ، لأنهم قاسوه بما يعرفونه من كيفية تعلق عمل الانسان بما يعمله ، والله ليس كمثله شيء .

ومن تلك المجالات ايضا التى حظر الانسان اتباعه من الخوض فيه مسألة الروح[٣] سواء كان المقصود بها : (الحياه) او (جبريل) او (الوحى) يقول تعالى :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ .[٤]

ومن تلك المجالات أيضا مسألة الغيب المحجوب عن العلم البشرى الا بالقدر الذى يأذن الله به لمن يشاء واليك فيما يلي آيات داله على ذلك .

---

(١) آل عمران / ٤٠

(٢) آل عمران / ٤٧

(٣) أختلف المفسرون في معنى لفظة الروح المذكورة في الاية الى هذه الأقوال الثلاثة ولكن الفخر الرازى رجح كونها لماهو سبب الحياه ،راجع التفسير الكبير عند تفسير هذه الآية .

(٤) الاسراء / ٨٥

قال تعالى :

﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ﴾ .(١)

قال تعالى :

﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احد الا من ارتضى من رسول ﴾ .(٢)

قال تعالى :

﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ﴾ .(٣)

قال تعالى :

﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى ارض تموت ﴾ .(٤)

ومن تلك المجالات أيضا مسألة موعد الساعة :

قال تعالى :

﴿ ان الله عنده علم الساعة ﴾ .(٥)

قال تعالى :

﴿ يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الا ربك منهاها انما انت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها ﴾ .(٦)

---

(١) الانعام / ٥٩

(٢) الجن (٢٦ - ٢٧) .

(٣) الانعام / ٥٠

(٤) لقمان / ٣٤

(٥) لقمان / ٣٤

(٦) النازعات (٤٢ - ٤٦) .

قال تعالى :

﴿ بل تأتيهم بغته فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴾ .[١]

هكذا رأينا بعض المجالات التى لا يستطيع الادراك البشرى ان يجول فيها – الا بالتلقى من الله تعالى – ولكن كيف ينبغى التلقى لهذه الأمور وأمثالها مما هو فوق مدركات الكينونه البشرية ؟ هذا مانود ان نشير اليه فيما يلي من السطور :

يقول تعالى مبينا كيف تتلقى هذه الامور التى تفوق الادراك البشرى :

﴿ هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ سيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به قل من عند ربنا وما يذكر الا اولو الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب ﴾ .[٢]

فظهر لنا ان الايات المحكمات واضحات بل هى ام الكتاب(تفسيرها تنزيلها) واما المتشابهات التي لايعلم تأويلها الا الله فيجب الايمان بها فقط دون الخوض في فهم كيفيتها وكل من يحاول ان يصل الى فهم ماهيتها وكيفيتها فما له الا الزيغ والانحراف والتخبط العشوائي ولكن ماعدا هذه المجالات فان الفكر البشرى او العقل البشرى مدعو للتدبر والتفكر والبحث والتأثر والتطبيق سواء كان ذلك في عالم الضمير او في عالم الواقع .. لذا لايوجد هناك دين احتفل بالعقل البشرى وتخليصه من قيود الوهم والخرافات كما فعله الدين الاسلامي .

---

(١) الانبياء / ٤٠

(٢) آل عمران / ٧ ، ٧

ولا يوجد دين وجه النظر الى سنن الله فى الانفس والآفاق والى طبيعة هذا الكون المادى والى سنن الحياة البشرية مثل ما فعله هذا الدين الرباني العظيم . واليك فيما يلي آيات تبين ذلك .

أ – آيات تقرر منهج النظر والحكم :

يقول تعالى :

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ﴾ (١) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن أثم ﴾ (٢) .

﴿ ومايتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ (٣) .

﴿ مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون ﴾ (٤) .

هكذا رأينا في هذه الآيات كيف يربي الاسلام العقل البشرى وينهاه عن كل ماليس له فيه علم لماذا ؟ لأن كلا من السمع والبصر والفؤاد يسأل عنه الانسان يوم القيامه .. فلا يجوز له ان يستمع الى ما لا يرجع اليه بالخير وكذلك نظره وتفكيره بقلبه .. وكما تقرر الآيات الآخرى ان الظن لايجوز ان يقوم عليه البحث العلمي لأن الظن معرض للصواب والخطأ .

ب – آيات تأمرنا بالنظر الى سنن الله في الحياة الانسانية وفي عواقب الذين سبقونا فيقول تعالى :

---

(١) الاسراء / ٣٦ .

(٢) الحجرات / ١٢ .

(٣) يونس / ٣٦ .

(٤) الزخرف / ٢٠ .

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير ﴾ (١) .

﴿ أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ﴾ (٢) .

كما حثنا القرآن على النظر في السموات والأرض يقول تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (٣) .

يقول تعالى :

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٤) .

يقول تعالى :

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ (٥) .

وهكذا رأينا هذا المنهج القرآني لتربية العقل البشري وتوجيه ونكرر أيضا ان الدين الذى يراد نشره هو الاسلام .. الذى امتاز بهذه الميزات ، من تلك الميزات ان الاسلام لا يتعامل مع الانسانية كمعنى مجرد .. ولا يتخذها آلها يتوجه اليه بالعبادة كما يرى (فيرباخ) من فلاسفة المذهب الوضعي .

كما لا يتعامل الاسلام مع (العقل المطلق) كما يرى (فيشتا) من فلاسفة (المثالية العقلية) ومن ثم فليس هو الذى يخلق الكون او يخلق الروح كما يرى (أفلاطون) زعيم الافلاطونيه الحديثة .

---

(١) العنكبوت / ٢٠ .

(٢) الرعد / ٤١ .

(٣) فصلت / ٥٣ .

(٤) الذاريات (٢٠ – ٢١) .

(٥) يونس / ١٠١

كما أنه يختلف عن " المثالية العقلية " التى تتعامل مع مقولات عقلية بحتـه لاصلة لها بالموجودات المؤثرة والمتأثرة في الكون والحياة .

وفي الوقت نفسه يفترق عن " الوضعية الحسية " التىتتخذ من الطبيعة الهـا يخلق العقل أو يخلق الادراكات العقلية ـ سيأتي تفصيل كل ذلك فيما يأتـي ان شاء الله تعالى ـ فالله فى التصور الاسلامي هو خالق " الطبيعة " وخلـق " الانسان " والعقل الانساني يدرك نواميس الطبيعـة ويتعلم قوانينهـا ويتعـرف الى طاقاتها ومدخراتها ويؤثر فيها تأثيرا ايجابيا ويتأثر بها تأثيرا حسيا وعقليـا في توازن واعتدال .

هذا هو موقف الاسلام من العقل بدون افراط ولا تفريط وهو في ذلك وحيـد بين الأديان جميعا سماويها وارضيهـا .

وكأنما كان الاسلام ـ بل هو كان ـ ينظر من وراء القرون الى هذه اللوثـات التى ستصيبالبشرية على ايدى " الفلاسفة " و " المفكرين " المحدثين مـن " مثالية عقلية " الى " وضعية حسية " الى " مادية جدلية " .. فصَار تصوره في هذا التوازن العجيب الشامل المتكامل ، ليستقر منه الضمير البشرى علـى قرار ثابت وليعود اليه الادراك البشـرى بكل ركام وكل هذه البلبلة ، فيجـد عنده الوزن الحق والقول الفصل ، ويجد عنده الهدى والنور في متاهات العقـول والأهواء وصدق الله العظيم :

﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ .(١)

﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ﴾ .(٢)

وسنعود ان شاء الله الىهذا المبحث بزيارات آخرى عند الكلام عن قضية الانسـان

---

(١) الاسراء / ٩ .

(٢) فصلت / ٣٣ .

وقبل ذلك يحسن بنا ان نأتي بأحاديث تدل على اهتمام الاسلام بالعقل البشرى .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ما أكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى ، ويرده عن ردىء ، وماتم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله) .

وفي الحديث الصحيح أيضا : (لكل شيىء دعامه ، ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته ، اما سمعتم قول الفجار في النار ﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾[1]) .

والعقل المقصود هنا هو عقل الانسان بطبيعة الحال ومن هنا كانت من مزايا هذه المرونة الفذة ، حيث لم ينكر دور العقل ولم يرفعه فوق درجته كما فعل بعض الفلاسفة والمفكرين الأوربيين . ولكى نوضح هذه النقطة الحساسة يحسن بنا ان نقتبس من الفصل الذى كتبه الدكتور محمد البهي بعنوان " الدين مخدر " في كتابه القيم (الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) اذ يقول :

(الصراع بين الدين والعقل والحث في تاريخ الفكر الاوروبي : اربع مراحل فى تاريخ التفكير الاوروبي ، منذ القرن الرابع عشر الى الآن ، شهد فيها العقلية الاوروبية صراعا فكريا ، واتجاهات عقلية مختلفة تدور حول (تبرير) مصدر من مصادر المعرفة التى عرفتها البشرية في تاريخها حتى الوقت الحاضر . وهى : الدين والعقل والحس أو الواقع وفى كل مرحلة من هذه المراحل ينشأ سؤال عن " قيمة " أي واحد من هذه الثلاثة لمصدر للمعرفة المؤكدة أو اليقينية ثم يكون الجواب على هذا السؤال ايجابا ؟ أو سلبا .[2]

---

(١) سورة الملك / ١٠

(٢) من كتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٢٨٩) .

السؤال ومايدور حوله من جدل ، وأخذ ورد ، تتكون المذاهب الفلسفية التي تعبر عن قيمة المصدر، الذى وضع للاختبار والتقدير (سيادة النص أو الدين) كان الدين أو النص طوال القرون الوسطى سائدا في توجيه الانسان في سلوكه وتنظيم جماعته ، وفي فهمه للطبيعة وكل يقصد بالدين (المسيحية) وكان يراد من المسيحية الكاثولوكية وكانت الكاثولوكية تعبر عن " الباباوية " والباباوية نظام كنسى يركز " السلطة العليا " - بأسم الله - في يد البابا، وقصر حق تفسير " الكتاب المقدس " على البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى ، وسوى في الاعتبار بين نص الكتاب المقدس وأفهام الكنيسة الكاثولوكية وحل عقيدة " التثليث " عقيده اصيله في المسيحية ، كما جعل " الاعتراف بالخطأ ""وصكوك الغفران " من رسوم العبادة .. وغير ذلك ممايتصل بالكاثولوكية كمذهب وكنظام لاهوتي .

حتى كان القرن الخامس عشر ، وحتى ابتدأت الحروب الصليبية تثمر ثمرتها الايجابية في العقلية الاوروبية . فقام مارتن لوثر (   ) (١٤٥٣ - ١٥٤٦ م) وكافح " تعليم الشيطان " كما سماها - وهى تعاليم الباباوية والكنيسة الكاثولوكية فحارب صكوك الغفران ، ونظر اليها كوسائل للرق والعبودية ، وحارب عقيدة " التثليث " كما حارب سلطة البابا وجعل السلطة الوحيدة في المسيحية في الكتاب المقدس ، وكلمة الله " النص " وطالب بالحرية في بحث الكتاب ، ولكن ليست اية حرية على العموم ومع ذلك جعل الكتاب المقدس نفسه هو مصدر الحقيقة فيما يتصل بالايمان ، ثم جعل الايمان في الاعتبار ، سابقا على أى شيىء آخر عداه ، من العقل أو الطبيعة .

وجاء بعد لوثر - فى طريقه (كالفن   )(١٥٠٩ - ١٥٦٤م) وأقر لوثر على ان الانجيل وحده هو المصدر (للحقيقه المسيحية) وان عقيدة التثليث لا تقبلها المسيحية الصحيحة .

" وبحركة لوثر وكالفن الاصلاحية تعرضت المسيحية للجدل الفكرى ، وأصبحت موضوعا

للنقاش العقلي ، والمذاهب الفلسفية والمسيحية التى تعرضت كذلك هي المسيحية التى تناولها لوثر باطلاحه ، اى الكاثولوكية الباباوية ، ومن أنكر من الفلاسفة على الدين ان تكون له " سلطة " انكر سلطة الباباوية ومن وضع العلاقة بين الدين والعقل كشيئين متقابلين او متناقضين ، حدد العلاقة بين الكثلكة - ومافيها من عقيدة التثليث ومراسم صكوك الغفران - وبين العقل الانساني العام ومن دافع عن المسيحية من الفلاسفة ، كهيغل ، دافع عن " التعاليم النقية للمسيحية " التىاحتضنها لوثر في مقابل تعاليم الكنيسة الكاثولوكية ......

وهكذا كان الدين الذى جعل موضوعا للصراع العقلي الأوروبي ، نوعا خاصا من الدين ، والذى قبل منه بأسم الفلسفة ، كان جملة خاصة من تعاليمه والذى رفض منه بأسم الفلسفة ايضا كان كذلك جملة خاصة من تعاليمه .

" سيادة العقل " :

استمر اعتبار الوحي كمرجع أخير للمعرفة ، على خلاف في تحديد تعاليمه حتى كان النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وهو عصر " التنوير " في تاريخ الفلسفة الاوروبية . وعصر التنوير له طابعه الخاص الذى يتميز به عن العصر السابق عليه والآخر اللاحق له ، وله طابعه المشترك في الفكر الالماني والانجليزى والفرنسي ، فى الفترة الزمنية التى تحدده ، وله فلاسفة في دوائر الفكر الثلاث ، كونوا الطابع الفكرى الذى عرف به .

وطابعه الفكرى :

(أ) تزايد شعور العقل واحساسه بنفسه ، وبقدرته على أن يأخذ مصير مستقبل الانسانية في يده بعد ان يزيل كل عبودية ورثها هو ، حتى لاتحجبه عن التخطيط الواضح لهذا المصير .(١)

---

(١) وهكذا أضلت أوروبا عن سواء السبيل ، والمسئول عن هذه الانحرافات كلها =

(ب) الشجاعة والجرأة التى لاتتأرجح فى اخضاع كل حدث تاريخي لامتحان العقل. وكذلك في تكوين الدولة والجماعة ، والاقتصاد ، والقانون ، والدين والتربية ، تكوينا جديدا ، على الأسس السليمة المصفاة لكل واحد منها

(ج) الايمان بتعاون جميع المصالح والمنافع ، وبالاخوة في الانسانية على أساس من هذه الثقافة العقلية ، المستمرة في التطور ....

ومعنى ذلك كله : سيادة " العقل " كمصدر للمعرفة ـ على غيره ـ وغيره الذى ينازعه " السيادة " هو الدين . اى المسيحية الكاثوليكية أولا . وقد تكون معها البروتستانتينيه ، كمذهب عرف للاصلاح الديني هناك ....

" فللعقل الحق فى الاشراف على كل اتجاهات الحياة ، ومافيها من سياسة وقانون ودين " الانسانية " هى هدف الحياة للجميع .

" وكما يسمى هذا العنصر ب " عنصر التنوير " يسمى ايضا ب " العنصر الانساني " وكذا (الـ) أى عنصر الايمان الفلسفي باله ، ليس له وحى ، وغير خالق للعالم . اذ كل مسميات هذه الأسماء تعتبر من خواصه فالتنوير لايقصد به الا ابعاد الدين عن مجال التوجيه واحلال العقل فيه كله والانسانية التى يبشر بها هذا العصر ليست الا عوضا عن " القربى من الله " كهدف للانسان في سلوكه في الحياه . والاله ، الذى ليس له وحى ولا خلق ، يتفق مع تحكيم العقل وحده ، وطلب سيادته على احداث الحياه واتجاهاتها".

واذا في عصر التنوير كانت الخصوم الفكرية بين الدين والعقل واتجه التفكير فيه الى اخضاع الدين للعقل . ولذلك عذر زمن هذا

== الكنيسة التى حاربت العلم بالجهل ، أما هذا الانقسام بين الدين والعقل فلم يحصل في الاسلام أبدا .

العصـــر فترة سيادة العقـــل .. كما عـد العصـر السابق عليه فترة ســـياده الديـــن (١) .

ومن هذا يتضح أن صراع العقل مع الدين ، هو صراع الفكر الانساني مـــع مسيحية الكنيسة في الحياة الاوروبية ، سواء في مجال التوجيه والبحث ، أو في مجال السياسة أو نطاق العقيدة والايمان .

" سيادة الحـــس " (٢) :

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن التاسع عشر ، وموضوع الصراع واحد لم يختلف عن ذى قبل ، هو الدين والعقل ، والطبيعة ولكن تميز القرن التاســـع عشر بأنه عصر " الوضعية " (   ) والوضعيـــة نظرية فلسفية نشأت في دائرة " المعرفة " وقامت في جو معين ، وعلى اساس خاص ... أما جوها المعين فهو أولا وبالذات سيطرة الرغبة على بعض العلماء والفلاسفة في معارضـــة الكنيسة ... والكنيسة تملك نوعا خاصا من المعرفة ، وتستغله في خصومة المعارضين

---

(١) ان مما يدل دلاله واضحة على مرونة الاسلام – عدم وجود هذه الفترات فـــيه لأنه دين شمولي يشمل الدين كما يشمل العقل بل ﴿ يجعل الرجس على الذيـــن لايعقلون ﴾ الايه بقوله تعالى ﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ﴾

(٢) ولولا طغيان الكنيسة التى صدت الناس عن التدين بحماقتها وضلالها لما وصل الاوروبيون الى تأليه الطبيعة أو الحس او المادة . واذا سئلوا ماهـــى الطبيعة ؟ وماهى ماهية هذه المادة ؟ انهم – بلا جدل – لايستطيعون تحديد ماهيتها .. لأن المادة تنحل فاذا هى اشعاع فهل الاشعاع هو الطبيعـــة ؟ وهو المادة ؟ ام ان المادة والطبيعة ؟ متى يكون لهذا الاله قوة الخلق؟ في اى حالاته ، ومن الذى خلـــق الانســـان الـــذى تخلـــق الطبيعه عقله . اسئلة بلا جـــواب !

لنفوذها من العلماء والباحثين .. وقد تسوء به على هؤلاء المعارضين فترة من الزمن .. وهذا النوع هو : " المعرفة المسيحية الكاثوليكية " بوجه خاص – كما سبق ان ذكر – او المعرفة الدينية ، او المعرفة الميتافيزيقية بوجه عام .... يضاف الى هذه الرغبة القوية في معارضة الكنيسة ، ومعارضة ما تملك من معرفة خاصة ، ان فلسفة عصر " التنوير " وهى الفلسفة " العقلية" فيما ارادت ان تصل اليه وهو :

ابعاد التوجيه الكنسي كلية عن توجيه الانسان وتنظيم الجماعة الانسانية . فقد مالت هذه الفلسفة على عهد (هيجل) الى تأييد الوحى والدين من جديد!!!...

فالغاية الأولى للمذهب الوضعي ، من منطقة ، هى معارضة الكنيسة أو معارضة معرفتها ... ومن باب التغطية باسم (العلم) هى معارضة الميتافيزيقيا (ماوراء الطبيعة) والمثالية العقلية والا فالمذهب الوضعي في الوقت الذى ينكر فيه دين الكنيسة يضع دينا جديدا بدله .. " هو دين الانسانية الكبرى " . ويقوم على " عبادة " و " طقوس " كما تقوم المسيحية وله قداسه واحترام على نحو ما للكثالكه .

وأما الاساس الخاص الذى قامت عليه الوضعية فهو تقدير: الطبيعة على هذا النحو : أن الطبيعة . هى التى تنقش الحقيقة في عقل الانسان وهى التى توحى بها ، وترسم معالمها الواضحة ... وهى التى تكون عقل الانسان .... والانسان لهذا لا يملي عليه من خارج الطبيعة ، مما وراءها .. كما لايملي عليه من ذاته اذ ما يأتي من (وراء الطبيعة) خداع للحقيقة وليس حقيقة ! ومايتصوره العقل من نفسه وهم وتخيل للحقيقة ، وليس حقيقة أيضا .

" وبناء على ذلك الدين وهو وحى " مابعد الطبيعة " خداع .... وكذلك (المثالية العقلية) وهم لايتصل بحقيقة هذا الوجود الطبيعي .. اذ هى تصورات الانسان عن نفسه ، من غير ان يستلهم فيها الطبيعة المنثورة التى يعيش فيها وتدور حوله .. . "

" ان عقل الانسان اى مافيه من معرفة - وليد الطبيعة التى تتمثل في الوراثة والبيئة والحياة الاقتصادية والاجتماعية انه مخلوق " ولكن خالقه الوجود الحسي " (١) .

هذه النتيجة الحتمية لكل من انحرف من التعاليم الربانية ، والا فما هى الطبيعة التى اتخذوها آلها يعبد . واذا كانت الطبيعة هى التى " تنقش الحقيقة في العقل الانساني " فلماذا العقل الانساني بالذات ولماذا لاتنقش هذه الحقيقة في عقول الابقار والقرود .....

هذه الاسئلة كلها لايوجد لها اى جواب مضبوطة عند الهاربين من الكنيسة من أجل طغيانها وحماقاتها وقد سبق ان تحدثنا عن ذلك في الباب الرابع .

ونذكر بعد هذه الجولة ان التصور الاسلامي يدع العقل البشري وللعلم البشري ميدانه واسعا كاملا .. ولا يقف دون العقل الانساني يصده عن البحث في الكون ابدا .. بل هو يدعوه الى هذا البحث ويدفعه اليه دفعا .

ولايقف دون العلم البشري في المجال الكوني .. بل هو يحل أمر الخلافة كله - في حدود التصور الرباني - للعقل البشرى وللعلم البشرى .. وندرك مقدار نعمة الله ومقدار رحمته فى تفضله علينا بهذا التصور الرباني وابقائه وحفظه على أصله الرباني ، يقول تعالى :

﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك بالدين القيم ﴾ (٢)

وبعد ما تحدثنا عن مرونة هذا الدين الرباني الحنيف ، لنتحدث الآن عن مبدأ الشورة في الاسلام .

---

(١) المصدر السابق ص (٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٢)

(الشـــــورى فــــي الاســــلام)

ومن مزايا الاسلام تقريره مبدأ الشــورى (١) ، فهذه الديمقراطيات المعاصـره جميعا والتى تتغنــى الشــعوب الاوروبية ومن لف لفهـــا وتمجدها وتدعــــي انها تحارب في سبيلها ، قد وطد الاســـلام ماهو افضل منها وهو مبدأ الشـــورة، منذ اربعة عشر قرنا .

فلذلك ان نظام الحكم في الاسلام يقوم باختيار الخليفة الذى يشترك النـاس فــــي اختياره .. ان هذا وضع في عهد الخلفاء الراشدين ومن صاروا على نهجهـــــم القويـــم .

وقد ردد القرآن الكريم مبدأ الشـــورة في اكثر من موضع في قوله تعالى :

﴿ وأمرهم شـــورى بينهم ﴾ (٢) .

﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (٣) .

ولعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى دعا الى الشورى في الحكم وهو بها يفـــرض نفسه – في جداره وعدل – على نظام الدولة وطريقة الحكم فيها .

والخليفه في الاسلام – رغم انه بحكم مركزه يعتبر الحاكم الاعلى للمسلميــــن – الا أنه لا يظلم ولايستبد . ولكن عليه ان يستشير عقلاء الامة ومفكريها وينــــزل

---

(١) وقد قلنا فيما ســبق : ان الديمقراطيـــة مادامت تقوم على المبـــــدأ القائـــل (ان الحكم الا للشعب) فلابد ان تتعارض مع الاسلام القائـــــل: ﴿ ان الحكـــم الا لله ﴾ وقد بينا هنـــاك بعـــض عيوب الديمقراطيه وخاصة في الباب الرابع من الرسالة .

(٢) الشورى / ٨٨

(٣) آل عمران / ١٥٩

على حكمهم ، ثم هو ذلك يعتبر نفسه خادما للناس لا سيدا على الناس فهذا أبوبكر الصديق الخليفه الأول يقول فور انتخابه موجها خطابه الى المسلمين :

(ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني. وأن رأيتموني على باطل فسددوني .. أطيعوني ما أطعت الله فيكم . فان عصيته فلا طاعة لى عليكم).

وفى رواية آخرى : (اننا انا متبع ولست بمبتدع .. فان استقمت فتابعوني وان زغت فقوموني) .

هل يوجد رئيس (ديمقراطي) يتوخى (الديمقراطيه) اكبر من هذا يدعو الناس الى اتباعه ماكان الحق رائده ، فان انحرف طلب اليهم ان ينصرفوا عنه .
ان هذه المزية الاسلامية لم يكن أبوبكر الصديق وحده صاحب مثل هذا القول ، وكذلك كان عمر الخليفه الثاني ، نعم كان عمر كذلك لأن الشريعة الاسلامية تقتضي ذلك . لقد خطب عقب توليه الخلافه قائلا :
(أيها الناس الا ان رأيتم في اعوجاجا فقوموني فنهض رجل من عامة المسلمين قائلا له :
والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا) فلا يغضب عمر ولا يرى في هذا القول الجاف مايخدشه أو يجرحه كخليفه للمسلمين بل يتقبل القول راضيا قرير العين قائلا :
(الحمد لله الذى جعل في أمة محمد من يقوم امير المؤمنين بسيفه)[1] .

بهذا يعلم أن الاسلام قد سبق هذه المسرحية الضخمة التى سموها ب(الديمقراطيه) .. الديمقراطيه الزائفة التى لا يديرها الا الرأسماليون القائمة على دعايات فارغة والتى تقضي على الميزات لرجل عالم على رجل غبي والتى يصعب تحديدها تحديدا كاملا .. لأن لكل دولة اسلوبا خاصا للديمقراطية

(١) راجع كتاب اسلام بلا مذاهب، د.مصطفى الشكعه ص (٥٦ – ٥٧) .

ففي بريطانيا نظام الحزبين وفي فرنسا نظام تعدد الحزبيه وفي الاتحاد السوفيتي نظام الديمقراطيه الشعبية وفي دول غرب افريقيا نظام الحزب الواحد . فأى نظام ديمقراطي من هذه الانظمة نتبعها ؟ .

وهكذا ـ كان ولم تزل ـ الديمقراطيه مسرحية ضخمة يمولها الرأسماليون لاغراضهم الشخصية لا لمصلحة الشعوب والأمم كما يدعون ويضللون شعوبهم بها .

" المساواه في الاسلام "

من المزايا الاسلامية التى يجب ان يفتخر بها كل مسلم وكل مؤمن ، مبدأ المساواه التى اشترعها هذا الدين الرباني العظيم للناس فكل الناس في الاسلام سواء ، لا فرق بين أبيض أو أسود ،ولا أصفر أو أحمر ، ولا غني ولا فقير ، ولا ملك ولا حقير ، انما أفضل الناس أقربهم الى التقوى وأفعلهم للخير، وسجل القرآن الكريم هذا الدستور الرائع في قوله تعالى :

* ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم * (١) .

وفي قوله تعالى :

* من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا * (٢)

ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المساواة بين الناس جميعا من كل لون وجنس فى قوله الشريف :

---

(١) الحجرات / ١٣ .

(٢) النساء (١٢٣ ـ ١٢٤) .

(الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى).(١)

وهذه المساواة التى طبقها السلف الصالح . فأين هذه العدالة المطلقة في الفلسفة اليونانية عند أرسطو الذى يطلق عليه اسم المعلم الأول . ؟

ولم يكتف الاسلام بالمساواة بين أفراده بل هناك عنصر المساواة بين المسلمين وغير المسلمين - والعيش معهم فى سلام ووئام والحفاظ على جوارهم ، والمحافظة على أموالهم وأعراضهم وحرماتهم ومقدساتهم ينظم هذا المبدأ قوله تعالى :

﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ﴾(٢)

وليس التشريع في ذلك آية مكتوبة في كتاب الله وحسب بل ان ذلك نزل الى ميدات التطبيق العملي ، فقصة ابن عمرو ابن العاص مع المصرى القبطي معروفه حين اعتدى ولد العمرو ابن العاص ايبان حكمه لمصر على أحد المصريين فهدده القبطي بشكايته لامير المؤمنين، فلم يأبى ابن عمرو لذلك وقال انا ابن الاكرمين فلما كان موسم الحج وقد ذهب عمرو وابنه الى مكة كان القبطي في أثرهما ودخل الى الخليفه وعنده عمرو وولده ، فشكا اليه ماقد وقع عليه واعاد على سمع أمير المؤمنين كلمة ابن الاكرمين، فغضب عمر بن الخطاب غضبا شديدا، ونظر الى عمرو قائلا جملته الخالده :

(متى أستعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا) ثم ناول الشاكي سوطا وقال له أضرب أبن الاكرمين كما ضربك .(٣)

هذا هو الاسلام الذى يراد نشره فى المنطقة وغيرها .

ولنتحدث اذا عن آخر ما اخترناه من مزايا الاسلام وهو:فنهج المواجهة .

---

(١) الحجرات / ١٧

(٢) النساء / ١٤٣

(٣) راجع اسلام بلا مذاهب المرجع السابق ص (٦٤) .

(ثالثا) : منهج المواجهة :

مقدمة :

وقد تحدثنا في هذا الفصل الختامي عن مفهوم لفظة (اسلام) لغة وشرعا كما تحدثنا (ثانيا) عن الاسلام الذى يراد نشره والآن وصلنا الى الفقرة الاخيرة لهذا الفصل وهى : منهج المواجهة . وهو كما يلي :

نقول ان الله سبحانه وتعالى قد أرسل الى البشرية محمدا صلى الله عليه وسلم لعالم بعدت الشقه بينه وبين هدى السماء ففشا فيه الظلم وعمه الجهل وظهر فيه الفساد .. ليس لهم عاصم من نظام أو قانون ، ولا وازع من دين أو خلق ، ولا رادع من وعى الشعوب وثوراتها - ورجال الدين والعلماء من أنفسهم سدنة للظلم وركائز للطغيان ، وشعوب الارض كالسائمة لاتعرف حقا ولا تنكر ظلما ولا تفكر في ثورة أو اصلاح .. عالم كأنه غابة تسودها شريعة المخالب والغاب ... وقد رفعت فيه كفة الكفر والضلال فصار الناس يعيشون في ظلمات لا يعلم احد مقدارها الا الله . اذ يقول :

﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ (١)

في هذا العهد جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج العالم من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام فكانت بعثته نهاية لعهد الطفولة البشرية وبداية لعهد الرشد والاكتمال وقد صور لنا القرآن هذا العهد المظلم في كثير من آيات الذكر الحكيم ومن تلك الآيات قوله تعالى :

﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ﴾ (٢)

---

(١) النور / ٤٠ .

(٢) البينة / ١

اى لم يكن الناس قبيل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم متروكين باختيار أنفسهم يفعلون مايحبونـــه لا حجر عليهم حتى يبعث اليهم رسولا مثل قوله تعالى :

﴿ ايحسب الانسان ان يترك سدى ﴾ (١) .

لايؤمر ولا ينهى اى أيظن ان يكون ؟ هذا مالايكون البته ! بل لابد أن يؤمـــر وينهى . وكقوله تعالى :

﴿ انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وأنه في أم الكتاب لدينا لعلـــي حكيـــم أفنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ﴾ (٢)

وهكذا كان مبعث الرسول ضروريا لأنقاذ البشرية من هذه الهوة الكفريـــة العميقة ولما جاء هذا الرسول العظيم تأبت مكة على الاسلام وقاومت هديـــه صلى الله عليه وسلم بكل سلاح وربى الرسول صلى الله عليه وسلم قلة مؤمنـــة هاجر بهم الى يثرب حيث كون مجتمعا وأقام دولة ، ثم دانت الجزيرة كلهـــا

---

(١) هذا هو التفسير الذى ارتضاه شيخنا ابن تيميه في التفسير الكبير والا قد ذكر المفسرون ثلاثة أقوال هى :

١ - هل المرادلم يكونوا منفكين عن الكفر .

ب - هل لم يكونوا مكذبين بمحمدحتى يبعث فلم يكونوا منفكين عن محمـــد والتصديق بنبوتـــه حتى بعث ؟ .

ج - او المراد انهم لم يكونوا متروكين حتى يرسل اليهم رسولا .

أن ابن تيميه لما ذكرالقولين الاولين ضعفهما واختار القول الثالث الذى اثبتناه فعلى من يريد تفاصيل ذلك ان يراجع التفسير الكبيـــر للشيـــخ ابن تيميه ج ٧ (ص ٥) تحقيق وتعليق الدكتورعبدالرحمن عميره عضواللجنـــة العلمية الدائمـــــة بجامعـــــة الأزهـــــر ، دار الكتـــب العلمية ، بيروت - لبنان .

(٢) الزخرف / ٥ .

بدين الحق .. وكان نجاحه في العهدين معجزة يعنى : العهد المكي والمدني .

وكان انتشار الاسلام من بعده اعجوبة الاعاجيب حيث لم ينته القرن الأول الهجرى حتى وصل الاسلام الى بلاد السودان الغربي – كما قلنا سابقا – في الباب الثاني . وصل هناك بواسطة التابعى الجليل : عقبه ابن نافع الفهرى في سنة ٤٣ هـ .(١)

هذا ولم يزل نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم في العهدين سرا مكتوما على كل من لم يدرس الاسلام دراسة وافيه ، يستغرب ويقول :
كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكون من عرب الجزيرة أمة تحمل رسالة وتنشئ حضارة وتصنع تاريخا كأنه ضرب من الاساطير ؟ .
وكيف خلقت رسالة الاسلام من الفرقة وحده ؟ ومن الضعف قوة ؟ ومن الاحية علما ؟ ومن البداوة حضارة ؟ ومن الحفاه العراه رعاة الغنم خير امه اخرجت للناس ؟ .

ذلك سر القرآن وعمل منهجه التربوى في تقويم النفوس والامم وأثر تطبيقه في الجماعات والدول .

ولكن الذى يتعمق فى دراسة هذا الدين الاسلامي يدرك – بادئ ذي بدء – ان هذا الدين ليس من بناة افكار محمد صلى الله عليه وسلم انما هو من عند الله سبحانه وتعالى فعندئذ يبطل العجب على حد قول القائل (اذا عرف السبب بطل العجب) ويدرك انه من عند الله عز وجل بما قامت عليه الدعوة الاسلامية من أفكار وبما تضمنت من خلق وبما احدثت من قيم وبما بلغ المؤمنون

---

(١) راجع ما كتبناه سابقا وخاصة الباب الثاني حيث توجد تفاصيل كل ذلك مع ذكر المراجع والمصادر التى اعتمدت عليها لتقرير هذا التاريخ الذى كان غامضا حتى في الاوساط العلمية في هذه المنطقة .

بها من سمو وبما امدت الحياة من مثل وبما اقرت فيها من موازين وذلك سر عظمة الاسلام .

فهو رسالة تربوية قبل ان يكون رسالة تشريع ورسالة خلق قبل ان يكون رسالة جهادورسالة سمو وقيم قبل ان يكون رسالة كثرةواتساع ....

وكذلك بنى الاسلام :سر عظمته انه على خلق عظيم من لدن حكيم عليم

وقد تحدثنا فيما سبق عن شمول الاسلام وتكامله وتوازنه وتزيد على ذلك هنا ان رسالة الاسلام لها عناصر اساسية هى :

عقيدة وعباده وتشريع .

فالعقيدة أصل وفطره ، والعبادة صلة وتربية ، والتشريع أمر ونظام.
وجوهر الرسالة خلق واحسان .
ووسيطتها قدوة وتربية .
وأول مايدينها النفس والضمير .

ومن ثم فان هدفها اقامةمجتمع انساني نظيف .. نظيف العقيدة نظيف العلاقات، نظيف المشاعر والسلوك ، وتربية القرآن كاملة لا تعنى مفهومها المألوف ولاتقتصر على المسجد او المعهد ولا تختص بالعبادة ـ كما قلناسابقا ـ دون السلوك او تهتم بالفرد وتترك المجتمع ، او تعنى بالعقيدة وتهمل العمل انما تشمل على جوانب النفس وتعمل في ميادين الحياة .

وعلى هذا الشمول يقوم منهج المواجهة في القرآن .. ولم يكن ذلك في الفترة المدنية فحسب كما يظن ذلك كثير من الباحثين انما كان ذلك الشمول حتى في الفترة المكية ويظهر ذلك بوضوح عندما نتدبر جيدا في السورة المكية التالية :

* أرأيت الذى يكذب بالدين * فذلك الذى يدع اليتيم * ولايحض على طعام المسكين * فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءوون * ويمنعون الماعون * .

فقوله عز وجل :

* أرأيت الذى يكذب بالدين * = عقيده .

* فذلك الذى يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين * هذا سلوك .

* فويل للمصلين * = شريعة .

* الذين هم عن صلاتهم ساهون * = عباده .

* الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون * هذا سلوك .

وهكذا رأينا ان هذا الدين حتى في الفترة المكية التى يظنها الكثيرون انها فترة عقيدة فقط كان دينا شاملا .

ونفهم من هذا ان القرآن قد استعمل شتى المناهج لمواجهة الاعداء . وقد أشار كثيرا من الباحثين الى هذه المناهج وخاصة الاستاذ محمد شديد في كتابه القيم (منهج القرآن في التربية) فأفاد وأجاد .(1)

وقد تناول حديثه كثيرا من منهاهج الدعوة الاسلامية(2) ولكننا في هذه العجالة

---

(1) من الصفحة الأولى الى آخر الكتاب .

(2) واليك فيما يلي عناوين أبحاثه :

١ - منهج التربية ص (٣٣٤) .

٢ - منهج الفطرة ص (٨٠) .

٣ - منهج المعرفة ص (١٠٥) .

٤ - منهج العلم ص (١٣٥) .

٥ - منهج الفكر ص (١٥٢) .

٦ - منهج الخلق ص (١٧٤) .

٧ - منهج العبادة ص (٢١٤) .

٨ - منهج الدعوة والداعية ص (٢٦٦) .

٩ - ميزان القيم ص (٣٠٢) .

نوجز ذلك في أمور أساسية آتية ان شاء الله تعالى .

ذلك ان معرفة منهج المواجهة أو منهج نشر الدعوة ضرورية لكل راع وخاصة في بلاد يسودها التيارات الفكرية الأوروبية .
مثل غربي افريقيا فأختلط فيها الحابل بالنابل ....

على أننا نحب أن ننبه هنا الى حقيقة أساسية كبيرة هى :

أننا لا نريد أن نشير الى منهج المواجهة لمجرد المعرفة " الثقافية " ولا نريد به أنشاء فصل فى المكتبة الاسلامية ، يضاف الى ما اتجه اليه بعض الباحثين المعاصرين باسم النظام الاسلامي في الحكم أو النظام الاسلامي في الاقتصاد او النظام الاسلامي في الاجتماع ... كلا - اننا لا نهدف الى مجرد المعرفة الباردة التى تتعامل مع الأذهان وتحفظ فى رصيد" الثقافه " .

ان هذا الهدف فى اعتبارنا لايستحق عناء الجهد فيه ! انه هدف تافه رخيص ... ولكننا نود أن تكون وراء هذه " المعرفة " " الحركة" يقوم بها الدعاة فى جميع أنحاء افريقيا الغربية التى خصصنا لها هذا البحث لتغيير آثار الاستعمار الفرنسي في المنطقة تغييرا جذريا حتى يرجع الانسان السوداني الى ربه الى منهجه الذى أراده للبشرية جمعاء .

وكما نحاول هنا بيان منهج المواجهة لاستبدال التيارات الفكرية الأوروبية بالتصور الاسلامي الصحيح المأخوذ من الكتاب والسنة النبوية المطهرة الصحيحة بالتصور البعيد عن جميع الفلسفات الاغريقية والمباحث اللاهونية وأساليب أصحاب علم الكلام ..... التى ترجمت فى فترة من فترات التاريخ الاسلامي الى اللغة العربية ... ونشأت عن هذا الاشتغال بالفلسفة الاغريقية أو الفلسفة أو الفلسفة الاسلامية كما يقولون ، انحرافات عقيديه واتجاهات غريبه على منهج المواجهه الوارد في كتاب ربنا وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلامه عليه ، المنهج الذى جاء - ابتداء - لانقاذ البشرية من مثل هذه التيارات الفكرية المنحرفة ومن مثل هذه الاتجاهات الضالة ، وردها الى المنهج الرباني السليم ....

ومن هنا نؤيد أيما تأييد ماقاله شهيد الاسلام (سيد قطب) تجاه الفلسفة الاغريقية والاتجاهات الفكرية الكلامية والمباحث اللا هوتية التي تسربت الى العقل الاسلامي فى تلك الحقبة من التاريخ الاسلامي اذ يقول :

" .... ومن ثم يحسن عزل ذلك التراث - الأغريقي وغيره - جملة عن مفهومنا الأصيل للاسلام ، ودراسته دراسة تاريخيه بحتة لبيان زوايا الانحراف فيه وأسباب هذا الانحراف ، وتجنب نظائرها فيما نصوغه اليوم من مفهوم التصور الاسلامي ومن أوضاع وأشكال ومقومات النظام الاسلامي أيضا " (١).

منهجنا - اذا - في هذا المبحث بالذات عن منهج المواجهة ؟ أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة للوصول الى بيان موجز لمنهج المواجهة فى القرآن واليك فيما يلي شرحا موجزا لهذا المنهج ، وبالله التوفيق والسداد.

برجوع الى كتاب ربنا وسنة نبيه المطهرة والى المصادر الجادة نجد أن منهج المواجهة ضد الكفرة والملحدين يتألف من عدة أركان نذكر منها ثلاثة أركان أساسية هى :

(أولا) : اثارة القضاه الكبرى .

(ثانيا) : الأساليب التى أتخذ لهذه المواجهة كالأسلوب العلمي أو البرهاني الذى يوجه الى العلمانيين وأهل الأديان وغيرهم أو الأسلوب النفسي المبنى على الترغيب والترهيب ، أو الأسلوب القصصي والانشائي والخيرى ، وغير ذلك من الأساليب التى واجه بها القرآن المعاندين الملحدين .

(ثالثا) : الوسائل - التى استخدمها الاسلام لمواجهة هذه التيارات الفكرية قديما وحديثا - من ذلك الوسائل نذكر مايلي :

---

(١) راجع خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، سيد قطب الطبعة الشرعية السابعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م دار الشروق - بيروت ص (١٤) .

الداعية المثالي والمساجد والمدرسة والهجرات وغير ذلك .... واليك فيما يلي : شرحا موجزا لهذه الأركان الثلاثة (١) :

(أولا) : اثارة القضايا الكبرى .

لقد واجه القرآن هؤلاء المعاندين بعدة مناهج فيها اثارة القضايا الهامة . منها مايلي :

أ - قضية الألوهية (قضية لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم).
ب - قضية حقيقة هذا الانسان .
ج - قضية ربانية هذا الدين .
د - قضية حقيقة هذا الكون .

وفيما يلي - اليك شرحا موجزا ... لكل ... من هذه القضايا الهامة :

(أولا) قضية الألوهية أو قضية لا اله الا الله :

ان هذه القضية واجه بها القرآن جميع الأعداء مواجهة صريحة لا غموض فيها ولا التواء .

لأن هذه القضية هى المقومة الأولى للتصور الاسلامي .. بما أنه هى الحقيقة الأساسية في العقيدة الاسلامية .

ان كان التوحيد هو الخاصية الأولى البارزة فى كل دين جاء به رسل الله وانبياؤه من عند الله عز وجل . وأن (الاسلام) على معناه العام (كما قلنا سابقا) هو الدين الذى جاء به كل رسول .. ولكن التوحيد أصبح خاصيته من خصائص الاسلام جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ... لأن التحريفات والانحرافات

---

(١) أفادني بذلك استاذنا الفاضل - حفظه الله تعالى : الذى ذكرنا سابقا (السيد عبدالمجد نوفل) فالله تعالى أسئل أن يجزل له في المثوبة فى يوم لاظل الا ظله .

قد وقعت في تصورات أتباع الرسل وخاصة أتباع موسى وعيسى عليهما السلام الى جانب طغيان الجاهليات على الديانات .

حتى لم يبق في الأرض كلها من تصور ديني صحيح الا التصور الذى جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم تحقيقا لقول الله تعالى :

﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ (١)

ومن يتدبر القرآن يجد أن قضية لا اله الا الله هى الأهمية العظمى التى يوليها كتاب الله .

وقد يتبادر الى أذهان بعض الناس ، أن هذا الاهتمام البالغ بقضية لا اله الا الله كان سببه ان المخاطبين بهذا القرآن أول مرة كانوا قوما مشركين . فكان من المناسب ان يركز الحديث لهم في قضية التوحيد لتصحيح اعتقادهم الفاسدة وتصوراتهم الباطلة في قضية الالوهية .

هذا هو اعتقاد كثير من الناس في قضية لا اله الا الله .. ولكننا نقول لهم اذا كان هذا قد وقع فعلا ولكننا كيف نفكر استمرار الحديث عن هذه القضية في الصور المدنية ايضا ؟

ولما ظل القرآن يتحدث عن هذه القضية في المدنية بعد استقرار العقيدة وقيام المجتمع الاسلامي والدولة المسلمة والقيام بالجهاد في سبيل الله .

ان كل ذلك – اذا – له دلالته الواضحة على الاهمية الذاتية لقضية (لا اله الا الله) واذا قرأنا الآية التالية يتبين لنا بكل وضوح ان قضية (لا اله الا الله) قضية دائمة في حياة البشرية لا يدعى اليها الكفار وحدهم لكى يؤمنوا .. ولا المشركين وحدهم لكى يصححوا اعتقادهم ولكن يدعى اليهم المؤمنون بها كذلك ويذكرون بها لكى تظل حية في قلوبهم .. راسخة في ضمائرهم عاملة في واقع حياتهم لا يفترون عنها ولا يغفلون عن مقتضياتها . يقول تعالى :

---

(١) الحجر / ٩

﴿ ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى أنزل من قبل ، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (١)

فقضية (لا اله الا الله) – اذا – قضية دائمة ....

لأن الذين قيل لهم : ﴿ ياأيها الذين آمنوا ﴾ كانوا مؤمنين منذ الفترة المكية . وليس غريبا – اذا – أن تكون قضية (لا اله الا الله) هى القضية الأساسية فى الاسلام .. وليس سبب ذلك راجعا الى أن القرآن كتاب دين انما السبب في ذلك أن القرآن هو الكتاب الذى يحدد منهج الحياه للانسان تحديدا دقيقا كاملا .

ويوضح سيد قطب هذه النقطة اذ يقول (٢) :

(يقوم التصور الاسلامي على أساس أن هناك ألوهية وعبودية ... ألوهية يتفرد بها الله سبحانه – وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ماعداه .. وكما يتفرد الله – سبحانه – بالألوهية ، كذلك " يتفرد – تبعا لذلك – بكل خصائص الألوهية .. وكما يشترك كل حى وكل شيء – بعد ذلك – فى العبودية ، كذلك يتجرد كل حى وكل شيء من خصائص الألوهية " فهناك اذا وجودان متميزان :

وجود الله ، ووجود ماعداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين :

" هى علاقة الخالق بالمخلوق ، والاله بالعبيد .....

" هذه هى القاعدة الأولى فى التصور الاسلامي ...... ومنها تنشق وعليها تقوم سائر القواعد الآخرى .." وقيام التصور الاسلامي على هذه القاعدة الاساسية هو الذى يجعلها احدى خصائصه كما أسلفنا " (٣).

---

(١) النساء / ١٣٦

(٢) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته المصدر السابق ص (٢١٥) .

(٣) مفاهيم ينبغي أن تصحح محمد قطب الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م ص (٢٣).

وهكذا كانت قضية (لا اله الا الله) قضية يحتاج الانسان اليها دائما وقد اكد هذا المعنى استاذنا محمد قطب وعبارته :

" يحتاج الانسان الى لا اله الا الله وهو كافر أو مشرك ليصحح اصل اعتقاده ويحتاج اليها وهو مؤمن ليتنبه ويحذر ، ويضيق في نفسه مداخل الشيطان. لكى لا يفتنه عن العباده الحقة الواجبة لله".

وأضاف قائلا :

" وفي جميع الاحوال تؤدى لا اله الا الله مهمة معينة في حياة الانسان . ولاتكون كلمة تطلق في الهواء بغير مقتضى لها ولا أثر في واقع الحياة " .(١)

اذا كانت قضية (لا اله الا الله) هكذا بهذه المثابة . لماذا رفضها العرب المشركون وقاوموا الدعوة اليها ذلك الصراع المرير الذى سجله التاريخ؟ بل لماذا صارع الكفار من قبل قريش هذه الكلمة ؟ أمن أجل الكلمة ؟أممن أجل مدلولها ومقتضياتها وماذا كان في حسهم بالضبط ؟.

فللاجابة على هذه الاسئلة لابد من جولة قصيرة حول الايات القرآنية التى تعرضت لها لنرى ماذا كانت مواقف الكفار على مدى التاريخ مع رسلهم وانبيائهم بدءا من سيدنا نوح عليه السلا الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم .. فالى هناك .

---

(١) مفاهيم يجب ان تصحح ، محمد قطب ، الطبعة الاولى ١٤٠٧ - ١٩٨٧م ص (٢٣)

(الخصومة حول قضية لا اله الا اللهفي التاريخ)

وقد سبق ان قلنا بأن (التوحيد) كان هو قاعدة كل ديانه جاء بها من عند الله رسول . والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها ويكررها في قصة كل رسول مع بيان موقف الكفار من هذه الكلمة فاليك فيما يلي آيات تدل على ذلك . ابتداء من سيدنا نوح عليه السلام ومرورا بكل من هود وصالح وشعيب وموسى وعيسى حتى نصل الى المصطفى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فما الذى في هذه الكلمة يدعو الجاهلية جميعا الىاتخاذ هذا الموقف الموحد خلال التاريخ وخاصة من جهة الملأ المستكبرين فى كل جاهلية ؟ .

قال تعالى :

* ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين الا تعبدوا الا الله أني أخاف عليكم عذاب يوم اليم * فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين * .(١)

* والىعاد أخاهم هودا قال ياقوم أعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون ..... قالوا ياهود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين * .(٢)

* والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينه من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله

---

(١) سورة هود (٢٥ – ٢٧) .
وراجع سورة الاعراف / ٥٩ .
(٢) سورة هود (٥٠ – ٥٣) .
وراجع ايضا سورة الاعراف / ٦٥ .

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم * واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين * قال الملأ الذين أستكبروا من قومه للذين أستضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون * (١)

* ومدين أخاهم شعيبا قال ياقوم أعبدوا الله مالكم من آله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان انى اراكم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط.... قالوا ياشعيب اصلاتك تأمرك ان نترك مايعبد آباؤنا أو أن نفعل فى اموالنا مانشاء انك لأنت الحليم الرشيد * (٢)

* وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله أمكثو انى أنست نارا لعلى أتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا أخترتك فأستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدوني * .

ويقول تعالى عنه في سورة الاعراف :

* ثم بعثنا من بعدهم موسى بأياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين * . (٣)

* واذ قال الله ياعيسى ابن مريم ا انت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لي أن اقول ماليس لى بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا اعلم مافي نفسك انك انت علام الغيوب * ماقلت لهم الا ماأمرتني به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم

---

(١) سورة الاعراف (٧٣ - ٧٦) .

(٢) سورة هود (٨٤ - ٨٧) .

(٣) الاعراف / ١٠٣ .

فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ﴾ (١)

﴿ وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليك ان لا اله الا انا فاعبدون ﴾ (٢)

وهكذا رأينا من خلال هذه الايات الكريمات ان القرآن الكريم اتخذ قضية لا اله الا الله منهجا لمواجهة الكفار في كل زمان ومكان كما رأينا كيف وقفت الجاهلية كلها - قبل الجاهلية العربية - هذا الموقف العنيد تجاه هذه القضية وأبت ذلك الابــاء ...... لنسأل مرة ثانية أمن أجل الكلمة ؟ أم من أجل مدلولها ومقتضاها ؟ وما مدلولها في حسهم بالضبط ؟
وما هو الفارق - حسب مدلول الكلمة - بين صورة حياتهم التى كانوا عليها وبين الصورة التى يدعون اليها أو يتوقعون ان تكون عليها حين يدخلون في كلمة لا اله الا الله ؟ .

ان الاجابة على السؤال الأول بديهية لأن التفوه بكلمة لا اله الا الله بغير مقتضى ولا مدلول - لا يمكن ان يكون كذلك بحال من الأحوال - سبب رفض قريش ان تتفوه بهذه الكلمة ولا يتصور ابدا ان قريشا خاضت معركة بدر ومعركة أحد وغيرهما من أجل ان تقول فقط لا اله الا الله وكما لا من المعقول ولا من المألوف ان يقتل من صناديد قريش من قتل من اجل كلمة ؟ لو كانت الكلمة لاتغير شيئا من حياتهم ولا من تفكيرهم ؟ .

بل لا يتصور ان العرب كذلك الذين اتخذوا الموقف العدائي ضد الاسلام مثل قريش يرفضون هذه الكلمة من أجل مجرد القول ؟ لو رجعنا الى كتاب مفاهيم ينبغي أن تصحح سنجد هناك الجواب الشافي .. فقد ورد فيه مايلي :

---

(١) المائدة (١١٦ - ١١٨) .
(٢) الانبياء / ٢٥ .

"لقد كان البــون شاسعا جدا بين صورة حياتهم التى كانوا عليها والصورة التى يدعون اليها .. وكانت معارضتهم لهذه الدعوة متعددة الصور متعددة الاسباب ..
كانوا يكذبون بقضية الوحي .
ويكذبون بالبعث والحشر والحساب والجزاء .
وكانوا يرفضون ان يجعلوا الاله اله واحد .
وكانوا يرفضون ان يتركوا ماعليه آباءهم ويتبعوا ما انزل الله يكون حلالهــم وحرامهم ما أحل الله وماحرم الله . "(١)

وأضاف قائلا :

" وذلك فضلا عن الامور الخلوقية الآخرى كالخمر والميســر والزنا والقتل والسلب والنهب ووئد البنـــات واكل مال اليتيم والظلم المتفشي بينهم والبغي بغيـــر الحق " .

هكذا فهمنا من خلال هذا النص ان قريشا وغيرها من العرب كانوا يأبـــون أن يتكلموا بكلمة (لا اله الا الله) لا من أجل الكلمة فقط بل كانوا يرفضون مدلولهاومقتضياتها من التصور الاعتقادى الصحيح في الله وتأدية شعائر التعبـــد كما يريد الله وتحاكم الى كتاب الله فى كل كبير وصغير كما كانوا يرفضـــون ان يلتزموا بمقررات الدين المنزل من عند الله عز وجل ...

هــذا ماكان يخاف منه عم النبي ابى طالب وهو علىفراش الردى يتمــرغ فرفض أن يقول بهذه الكلمة عندما قال له الرسول صلى الله عليه وسلم ياعم : قولها! كلمة اشفع لك بها عند الله ! فهل كان يتصور من ابى طالب ان يأبى من أن ينطق بالكلمة لو انها مجرد كلمة ؟ اى لم يكن لها مقتض ومتطلبات وحقوق ، كـــلا

---

(١) راجع مفاهيــم ينبغى ان تصحح المرجع السابق ، محمد قطب ، ص (٢٦ – ٢٧).

لقد ادرك ابو طالب ان التلفظ بهذه الكلمة يترتب عليه تغيير كامل جـذرى في منهج الحياة كلها وفي كل جزئية من جزئيات هذه الحياة .
بدء بالتصور الاعتقادى ثم الشعائر التعبدية ثم الحاكمية ....
هذا ماكان يخاف منه جميع الجاهليات قديما وحديثا . يقول تعالى :

﴿ واذ قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولوكان الشيطان يدعوهم الىعذاب السعير ﴾ (١)

يقول تعالى :

﴿ أجعل الالهه الها واحدا ان هذاالشيىء عجاب ﴾ (٢)

ولما كانت هاتان القضيتان (قضية توجيه العبادة لله الواحد وقضية اتباع ماأنزل الله في التحليل والتحريم) أهم القضايا التى ركز عليها القرآن كذلك الشرك يتصور لأول وهله من هاتين القضيتين .. يقول تعالى :

﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ﴾ (٣)

﴿ وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيىء ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيىء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل علىالرسل الا البلاغ المبين ﴾ (٤)

---

(١) سورة لقمان / ٢١ .

(٢) سورة ص / ١٥٤

(٣)

(٤)

هكذا تبين لنا أن الجاهليات رفضت كلمة (لا اله الا الله) من أجل أن نؤمن بالله وحده ، هذه من ناحية .

ومن ناحية آخرى رفضتها من أجل أن تبقى التحليل والتحريم بأيديهم .. ودول غربي أفريقيا التى نحن بصدد الحديث عنها ..خير مثال على ذلك . لأنها لما أستقلت من فرنسا اتجهت كما أوضحنا ذلك سابقا الى قضيتين اساسيتين آساسيتين همـا :

١ - قضية العنصرية الزنجية التى اتخذتها صنما يعبد .

٢ - الاحزاب السياسية التى بيدها التحليل والتحريم .

اذا قضية لا اله الا الله التى رفضتها الجاهلية الأولى هى القضية نفسها ترفضها جميع الجاهليات على مدى التاريخ ..

ان الجاهليات - قديما وحديثا اذا أتخذت آلهة من صنم ووثن وعبادة الوطن والشخصيات تتخذها صوريا فقط .

وأما السبب الحقيقي فى رفض لا اله الا الله فهو قضية التحليل والتحريم .. اى من الذى يحكم هذه الجماهير ؟ فادعت الجاهليات الأولى أن الحاكم هو الصنم أو الوثن ؟

وأما الجاهليات الحديثة فهى تدعى ان الديمقراطية هى التى تحكم ، ولكن الحقيقة التى تخفيها هذه الجاهليات جميعا أن تعطي لأنفسها سلطانا مقدسا بيدها التحليل والتحريم هذا هو لب الموضوع .

فعلى الدعاة أن يعلموا ذلك جيدا .

ومن أجل ذلك كله ، واجه القرآن الجاهليين بجميع أصنافهم بادىء ذى بدىء - بهذه القضية - قضية الألوهية التى يجب أن يكون بيدها التحليل والتحريم ... لأن الذى يخلق هو الذى يجب أن يحكم ....

فعلى الدعاة أن يواجهوا أصحاب التيارات الفكرية الحديثة بهذه القضية التى واجه بها كل رسول جاء من عند الله منذ نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وبعد هذه الجولة الطويلة حول قضية لا اله الا الله لننتقل الى الحديث عن القضية الثانية التى واجه بها القرآن جميع الجاهليات الا وهى قضية هذا الانسان التى قد تخبط فيها الفلاسفة والماديون المعاصرون تخبطا فظيعا فضلوا وأضلوا .

فاليك فيما يلى - بيانا مختصرا لها ......

ثانيا : قضية الانســـان :

ومن القضايا الهامة التى واجه بها القرآن الكريم أهل الكفر والضلال قضيـــة حقيقة الانســـان . وقد تحدث عن الانسان حديثا مستفيضا يتناول مصدره ومنشـــأه وطبيعته وخصائصـــه ومركزه في هذا الوجود ، وغايـــة وجـــــوده ، وعبوديته لربــه ومقتضيـــات هذه العبوديـــة ، ثم نواحــي ضعفــه وقوتــــه وواجباته وتكاليــــفه . وكل صغيرة وكبيرة تتعلق بحياته في الارض ، ومآلــــه في العالم الآخر .

وكل هذا اتخذه القرآن منهجا لمواجهة الاعداء ، ليتوبوا ويثوبوا الـــى خالقهـــم . واليك ـ فيما يلي ـ آيات تتحدث عن حقيقة الانسان .

آيات تدل على مصدر الانسان ومنشأه وطبيعته :

أ ـ قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفه في قرار مكين * ثـــم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظـام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم انكم بعد ذلــك لميتون * ثم انكم يوم القيامه تبعثون ﴾ (١)

ب ـ قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نــــار السموم واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنونٍ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون * الا أبليــس أبى أن يكون مع الساجدين ﴾ (٢)

---

(١) المؤمنون (١٢ ـ ١٦) .

(٢) الحجر (٢٦ ـ ٣١) .

نماذج من الآيات التى تتحدث عن غاية الوجود الانساني :

قال تعالى :

* وما خلقت الجن والانس الا ليعبدوني ما أريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المكين * (١) .

* والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر * (٢)

* واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لاتعلمون * (٣)

* ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا * (٤)

* قلنا أهبطوا منها جميعا وأما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليه ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * (٥)

آيات تتحدث عن نواحي ضعفه وقوته وحقيقته :

يقول تعالى :

* ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد * (٦)

---

(١) الذاريات (٥٦ – ٥٨) .

(٢) العصر

(٣) البقر / ٣٠

(٤) الاسراء / ٧٠

(٥) البقرة (٣٨ – ٣٩) .

(٦) ق / ١٦

قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان في كبد ﴾ (١)

قال تعالى :

﴿ أولم يرى الانسان انا خلقناه من نطفه فاذا هو خصيم مبين ﴾ (٢) .

﴿ وكان الانسان اكثر شيئ جدلا ﴾ (٣) .

﴿ ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين .... ﴾ (٤)

﴿ يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ﴾ (٥)

﴿ واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى خير مسه ﴾ (٦) .

﴿ ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انى لفرح فخور ﴾ (٧) .

﴿ كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ﴾ (٨) .

﴿ ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ (٩) .

---

(١) البلد / ٤

(٣) يس /٧٧

(٣) الكهف / ٥٤

(٤) المعارج (١٩ – ٢٢) .

(٥) النساء / ٢٦

(٦) يونس /١٢

(٧) هود (: – ١٠) .

(٨) العلق (٦ – ٧) .

(٩) الشمس (ط – ١٠) .

قال تعالى :

﴿ لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين أمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ (١)

"القرآن الكريم يشير الى الجوانب التى لم يزود الانسان القدرة للخوض فيها وقد تحدثنا سابقا في مبحث العقل عن هذه النقطة ونزيد على ذلك مايلي فنقول :

من القضايا الهامة التى اتخذها القرآن منهجا لمواجهة الكفار ، بيان أن طاقة الانسان محدودة . فلا قدرة للكينونه البشرية على العمل خارج حدودها . انما وظيفتها ان تتلقى من الذات الالهية المطلقة في حدود طبيعة الانسان وفي حدود وظيفته .. لذلك لم يعط الانسان من القدرة الا ما يناسب خلافته في الارض . وهناك أمور كثيرة لا يحتاج اليها في وظيفته هذه ومن ثم لم يوهب القدرة على ادراكها - من تعنى ادراك ماهيتها أو كيفيتها - وان كان موهوبا ان يدرك امكانها .
ومن هذه الجوانب مسألة كنة الذات الالهية - كما أوضحنا ذلك سابقا - ان الانسان لم يزود القدرة بادراكها وليس في استطاعته ان يقيسها على مايعرفه .
يقول تعالى :

﴿ لا يدركه الابصار وهو يدرك الابصار ﴾ (٢)

﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (٣) .

﴿ فلا تضربوا لله الامثال ﴾ (٤) .

ومن ذلك مسألة المشيئة الالهية وكيفية تعلقها بالخلق . يقول تعالى :

---

(١) التين / ٤

(٢) الانعام / ١٠٣

(٣) الشورى / ١١

(٤) النحل / ٧٤

﴿ قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل مايشاء ﴾ (١) .

﴿ قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ (٢) .

هكذا دون بيان للكيفية ، لأنها فوق ادراك الكينونه البشرية وكل من اراد من البشر بيان الكيفية تخبط وخلط لأنه قاسها على كيفيات عمل الانسان ، وشتان شتان .. وهكذا أيضا رأينا ان الخلق في امثال هذه يؤدى الى بلبلة الافكار بلا جدوى كما حصل ذلك للفلاسفة والمتفلسفه من المسلمين ومن القضايا التى وردت في القرآن لمواجهة التيارات الفكرية قضية الروح .. فأرشد القرآن ان الروح مما أستأصل الله بعلمه . قال تعالى :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ (٣) .

وكذلك مسألة الغيب . يقول تعالى :

﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ﴾ (٤) .

﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد الا من أرتضى من رسول ﴾

﴿ قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ﴾ (٥) .

﴿ وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأى ارض تموت ﴾ (٦) .

---

(١) آل عمران / ٤٠

(٢) آل عمران / ٤٧

(٣) الاسراء / ٨٥

(٤) الانعام / ٥٩

(٥) الانعام / ٥٠

(٦) لقمان / ٣٤

ومن ذلك أيضا علم الساعة :

﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها ﴾ (١) .

﴿ ان الله عنده علم الساعة ﴾ (٢)

﴿ بل تأتيهم بغتة فتبهتهم ، فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون ﴾ (٣)

وهكذا علم الاسلام أتباعه ماهى حقيقة الانسان ، وماهى المجالات التى يستطيع أن يجول فيها فكره وعقله حتى لايبدد ثرواته العقلية فى شيء لامطمع فيه .. فسار على ذلك القرون المفضلة حتى دبت رياح الخلاف بينهم فاستوردوا الفلسفة اليونانية والمذاهب اللاهوتية ليصبوا الاسلام في قالبها .

من هنا حصل التخبط وهذا الغلط فى فهم العقيدة السلفية الصحيحة فوفق الله عددا من علمائنا الكبار فقاوموا هذه الأفكار الدخيلة الغريبة على الاسلام وجزاهم الله عنا خير الجزاء

(الربانية)

ان من مناهج المواجهة فى القرآن كون الأصول الاسلامية ربانية ومحفوظة كما قال تعالى :

﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ (٤)

ان هذه الحقيقة هى التى تجعل للاسلام قيمته الفريدة . لأن التصورات الاعتقادية

---

(١) النازعات (٤٢ - ٤٦) .

(٢) لقمان / ٣٤

(٣) الأنبياء / ٤٠

(٤)

السماوية الأخرى التى جاءت بها الديانات قبله قد دخلها التحريف - في صورة من الصور ، كما هو واضح فى الديانة اليهودية والنصرانية لأن القارىء لهذين الدينين يرى انه قد أضيف الى الأصول المنزلة شروح وتصورات وتأويلات وزيادات ومعلومات بشرية أدمجت في صلبها فبدلت طبيعتها (الربانية) مثل الرهبانية التى أضافتها الكنيسة في أصل الدين النصراني وغير ذلك .

ولكن الاسلام قد بقى وحده محفوظ الأصل لم تصب نبعه الاصيل كدر، ولم يلبس فيه الحق بالباطل تحقيقا للآية التى ذكرناها آنفا وهى :
﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ .

ولقد واجه القرآن جميع أعداء هذا الدين بهذه الحقيقة الكبرى أو بهذه المعجزة العظيمة . وستبقى سلاحا قويا بيد كل داع الى هذا الدين أبدا. وأمام كل كافر وملحد .

وقد أكد هذه الحقيقة شهيد الاسلام (سيد قطب) اذ يقول :

(وينص المصدر الالهي الذى جاءنا بهذا التصور - وهو القرآن الكريم على أنه كله من عند الله ، هبه للانسان من لدنه ، ورحمة له من عنده . وأن الفكر البشري - فمثلا ابتداء فى فكر الرسول صلى الله عليه وسلم أو فكر الرسل كلهم - باعتبا أنهم جميعا ؟ أرسلوا بهذا التصور فى أصله لم يشارك فى انشائه وانما تلقاه تلقيا ، ليهتدى به ويهدى .. وأن هذه الهداية عطية من الله كذلك ، يشرح لها الصدور .. وان وظيفة الرسول - أى رسول فى شأن هذا التصور هى مجرد النقل الدقيق والتبليغ الأمين ، وعدم خلط الوحي الذى يوحى اليه من عند الله بأى تفكير بشري - أو كما سميه بالهوى ، أما هداية القلوب به وشروح الصدور له فأمر هارج عن اختصاص الرسول ومرده الى الله وحده .[(١)]

---

(١) راجع خصائص التصور الاسلامي ، سيد قطب ص (٥٢) .

واليك فيما يلي آيات قرآنية تدل على ربانية هذا الدين :

يقول تعالى :

* والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى ومانيطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * (١)

ويقول تعالى :

* وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم* صراط الله الذى له ما في السماوات وما في الارض الاالى الله تصير الأمور* (٢)

هكذا دلت الآيتان وغيرهما على ربانية مصدر هذا الدين ، الربانية التى أعطت قيمته الأساسية وقيمته الكبرى لأنه وحده مناط الثقة برئ من النقص الذى يطرأ دائما على التفكير الانساني وبرئ من الجهل الذى هو صفة ذاتية للانسان وبرئ من الهوى الذى هو سبب ضلال الشعوب والامم .

ان هذه الحقيقة الكبرى قد اتخذها القرآن منهجا قويا لمواجهة جميع التيارات الفكرية المعادية للاسلام قديما وحديثا . ويتحدى جميع الشعوب والأمم ان يأتوا بمثل هذا القرآن المبرأ من النقص والجهل والهوى .... فيجب اذا على الدعاة أن يواجهوا اصحاب التيارات الفكرية الهدامة بهذه الحقيقة الكبرى حقيقة ربانية هذا الدين .

وهناك آيات آخرى تنص على أن الهداية خارجة عن اختصاص الرسول وانما عليه - فقط - التبليغ الدقيق . يقول تعالى :

* انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين * (٣)

---

(١) النجم (١ - ٤) .

(٢) الشورى (٥٢ - ٥٣) .

(٣) القصص / ٥٦ .

يقول تعالى :

﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنه يصعد في السماء ﴾ (١) .

وهكذا أيضا ينص القرآن ان التوفيق وخلق الهداية ليس بيد الرسول وكل هذا يعطي لهذا الدين عظمته وقيمته وربانيته .

ولم يكتف القرآن ببيان ربانية هذا المصدر بل جعله ميزانا يجب ان يرجع اليه الانسان بكافة مايكون له من مشاعر وافكار وقيم وتصورات في مجرى حياته الواقعية ، كذلك ليزنها عنده ويعرف حقها من باطلها وصحيحها من زائفها . يقول تعالى :

﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾ (٢)

هكذا كانت مصادر هذا الدين ربانية وكانت هذه الربانية منهجا قويا واجه به الرسول صلى الله عليه وسلم الكفار فيجب على الدعاه ان يتخذوه منهجا لمقاومة التيارات الفكرية المعاصرة .

وبعد هذه التحقيقات العلمية ، لنتحدث الآن عن قضية آخرى لها أهميتها الكبرى الا وهى قضية الكون .

---

(١) الانعام / ١٢٥ .

(٢) النساء / ٥٩ .

" قضيـة هـذا الكـــون "

ان القضايا الكبرى التى اتخذها القرآن منهجا لمواجهة التيـــارات الفكرية الهدامة ـ قضية حقيقة هذا الكون .
انها قضية شغلت بال الفلاسفة والمفكرين قبل نزول القرآن وبعده .... ولكـــن هؤلاء جميعا ما أستطاعوا أن يقدموا للعالم صورة حقيقية لهذا الكون ولقـــد تخبط فى فهمه الفلاســـفة اليونانية وغيرهم . ولما جاء الاسلام سلط الضوء على هذا الكون فعرف المسلمون حقيقة هذا الكون كما فهموا الحكمة لايجاده .

واليك ـ فيما يلي آيات قرآنية تدل على حقيقـة هذا الكون مع بيـــان الحكمة لايجاده ... ثم نتبع ذلك باعطاء فكرة سريعة عن هذا الكون لـــدى الفلاســـفة ....

١ ـ الكون في المفهـوم الاســلامي .

ان الكون فى التصور الاسلامي هو هذا الخلق ذو الوجود الخارجي الذى يدركـــه الانســان . هو هذه السماوات والارض . هذه النجــوم والكواكب ... هـــذه الكائنــات الميتة والحية . والظواهر الكونية هى هذه الحياة وهذا المــوت .. وهذا الليل وهذا النهار وهذا النــور وهــذا الظـلام وهذا المطـــر والبرق والرعـد ... وهذا الظـل وهذا الحــرور وهذه الأحوال والأطـــوار ذات الوجود الحقيقي .

ولقد اتخذ القرآن قضية الكون منهجا قويا لمواجهة هذه التيارات الكفرية اتخذها ـ بادىء ذى بدء ـ كدليل على وجود خالقه ووحدانيته وقدرته وهيمنتـــه وتدبيره وعلمه وتقديره .

ان القرآن الكريم يوجه الادراك الانساني الى الكون ، لا يوجه الى كـــون هو " فكرة " مضمـره .. ولا يوجه الى كون في عقل الاله أو " هيولى " كمـــا نتحدث عن هذه الفلسفـة اليونـانيـة ـ كما سيأتي ـ بيان ذلك فيما يلي :

ولا يتحدث القرآن عن كون هو من صنع العقل أو عن كون هو صانع العقل كما تخبط في هذا جميع الماديين الملحدين الى آخر هذه القصوات البحتة التى تتعامل مع نفسها ولا تتعامل مع الواقع الكوني اطلاقا .

ان الكون في التصور الاسلامي هو هذه الخلائق التى ابدعها الله وقال لها كوني فكانت والتى اتقنها الله بحيث لا تتعارض ولا تتصادم والتى خاضعه لله عابدة له سخرت لأمره ، مؤديه لما أراده منها ولما سخرها له ، على أحسن وجه من الآداء .

لنقرأ الآيات التالية لتتبين لنا حقيقة هذا الكون وخالقه والحكمة في خلقه . يقول تعالى :

* أولم ير الذين كفروا ان السماوات والأض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حى افلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر في كل فلك يسبحون * (١) .

* الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نورا وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا لنحى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسا كثيرا * (٢)

* الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور * (٣)

---

(١) الانبياء (٣٠ – ٣٢) .

(٢) الفرقان (٤٥ – ٤٦) .

(٣) فاطر (٢٧ – ٢٨) .

﴿ ان ربكم الله الذى خلق لسماوات والأرض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد أذنه اذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون ﴾ (١)

﴿ الحمد لله الذى خلق السماوات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ (٢) .

﴿ الله الذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم أستوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾

يقول تعالى :

﴿ وهو الذى مد الظل وجعل فيها رواسي وانهار ، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يخشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٣) .

وهكذا يتعامل التصور الاسلامي مع كون له وجود حقيقي ، يختلف ـ بطبيعة الحال ـ عن (وجود الله) سبحانه وتعالى ، ولكن وجوده له خصائص تدرك من واقع هذا الخلق . كما قال تعالى :

﴿ أم خلقوا من غير شيئ ام هم الخالقون ﴾

فدلت الآية على أن الخلق يدل على خالقه .

---

(١) يونس (٣ ـ ٦) .

(٢) الانعام / ١

(٣) الرعد (٢ ـ ٤) .

ان التصور الاسلامي في هذا الكون يختلف اختلافا جذريا عن تصورات الفلاسفة في الكون وتصورات الاديان الباطلة مثل البراهيمية .. عندما تستعرض- على سبيل المثال - هذه التصورات ، تتضح واقعية هذا الكون فى التصور الاسلامي .

الكون في تصور الفلاسفة :

بينما رأينا ان الكون في التصور الاسلامي يدل على الخالق لأنه خالق من العدم ، يدعى الفلاسفة مثل (افلاطون وارسطو وافلوطين) ان الههم اله (مثالى) . يعنى يفرضون هم على هذا الاله (مثالية) من صنع عقولهم - ومن تصورات احلامهم - وهو اله لا اراده له ولا عمل لأن عدم الارادة والعمل يعتبر الكمال لهذا الاله . ثم افترضوا وجود وسائل كثيرة بين الاله والخلائق .

وقد تحدث عن هذه التصورات الفلسفية الخاطئة الاستاذ محمد العقاد ونحن نختطف جزءا مما كتب عن ذلك اذ يقول :

" فالوجود في مذهب افلاطون طبقتان : طبقة العقل المطلق ، وطبقة المادة الاولية أو الهيولي والقدرة كلها من العقل المطلق والعجز كله من الهيولي وبين ذلك كائنات على درجات ، تعلو بمقدار ما تأخذ من العقل ، وتشفل بمقدار ماتأخذ من الهيولي . "

" وهذه الكائنات المتوسطة بعضها ارباب ، وبعضها انصاف ارباب ، وبعضها نفوس بشرية . وقد ارتضى افلاطون وجود تلك الارباب المتوسطة ، ليعلل بها مافي العالم من شر ونقص وألم ، فان العقل المطلق كمال لا يجده الزمان والمكان، ولا يصدر عنه الا الخير والفضيلة . فهذه الارباب الوسطى هى التى تولت الخلق ، لتوسطها بين الاله القادر والهيولي العاجزة .. فجاء النقص والشر والالم من هذا التوسط بين الطرفين .... " .

" وكل هذه المظاهر المادية بطلان وخداع ، لأنها تتغير وتتلون ، وتتراءى للحس على اشكال واوضاع لا تصمد على حال " .

" وانما الصمود والدوام للعقل المجرد دون غيره . وفي العقل المجرد تستقر الموجودات " الصحائح " او المثل كما سميت في الكتب العربية وهى كالعقل المجرد خالده دائمة لاتقبل النقص ولا يعرض لها الفساد " .

" وهذه الصحائح هى المثل لعليا لكل مولود يتلبس بالمادة او الهيولي وكل شجرة فيها صفة اوصفات ناقصة من نعوت الشجرية فأين هى الشجرة التى لانقص فيها ؟ هى في عقل الله منذ القدم . وكل تلبس بالمادة من خصائص الشجرية فهو محاكاة لذلك المثل الاعلى".(١)

هذا مبلغ علم افلاطون للكون وربالكون فتبين لنا ان المسلم البسيط أعلم من افلاطون في مفهوم هذا الكون .. لأنه لم يستطع ان يفهم ان الله شيء والكون شيء آخر بل جعل اله الكون متحدا بالكون . فسمى اله الكون ب (العقل المطلق) كما سمى الكون ب (الهيولي) وهكذا ضل افلاطون في فهم الكون واضل كل من تبنى فلسفته .

والآن نود أن نرى ايضا رأى ارسطو في هذا الكون المادى وربه .

<u>(رأى أرسطو في هذا الكون) :</u>

يقول العقاد :

" والله عند ارسطو هو العلة الاولى او المحرك الاول "

" فلابد لهذه المتحركات من محرك ، ولابد للمحرك من محرك آخر متقدم عليه وهكذا حتي ينتهى العقل الى محرك بذاته ، او محرك لا يتحرك (ارجو الانتباه الى هذه الجملة التى هى مصدر الفساد في الفلسفة اليونانية) لأن العقل لايقبل التسلسل في الماضي الى غير نهاية ..... " .

---

(١) راجع كتاب الله تأليف الاستاذ محمد العقاد ص (١٣٧) .

" وهذا المحرك الذى لايتحرك لابد ان يكون سرمدا ، لا أول له ولا آخر وأن يكون كاملا منزها عن النقص (ارجو الانتباه الى مايلي) والتركيب والتعدد مستغنيا بوجود عن كل موجود " .

" وهذا المحرك سابق للعالم في وجوده ، سبق العلة لا سبق بالزمان كما تسبق المقدمات نتائجها في العقل ، ولكنها لا تسبقها في الترتيب الزمني ، لأن الزمان حركة العالم ، فهو لايسبقه أو كما قال :
(لا يخلق العالم في زمان) .

" وعلى هذا يقول ارسطو بقدم العالم على سبيل الترجيح الذى يقارب اليقين ، الا انه يقرر في كتاب (الجدل) ان قدم العالم مسأله لاتثبت بالبرهان " .

" وأجمال براهينه في هذه القضية : ان احداث العالم يستلزم تغييرا في ارادة الله . والله منزه عن الغير . فهو اذا احدث العالم ، فانما يحدثه ليبقي – جل جلاله – كما كان . او يحدثه لما هو افضل . او يحدثه لما هو مفضول .وكل هذه الفروض بعيدة عما يتصوره ارسطو في حق الله . فاذا حدث العالم وبقى الله كما كان فذلك عبث والله منزه عن العبث . واذا احدثه ليصبح أفضل مما كان . فلا محل للزيادة على كماله . واذا احدثه ليصبح مفضولا فذلك نقص يتنزه عنه الكمال"(١).

وأضاف قائلا :

" واذا كانت ارادة الله قديمه لاتتغير ، فوجود العالم ينبغي ان يكون قديما كارادة الله ، لأن ارادة الله هى علة وجود العالم . وليست العلة مفتقرة الى سبب خارج عنها ، فلا موجب اذا لتأخر المعلول عن علته ، او لتأخر الموجودات عن سببها الذى لا سبب غيره " .

---

(١) المرجع السابق ص (١٣٩) .

" فالانسان يجوز ان يريد اليوم شيئا ثم يتأخر انجازه ، لنقص الوسيلة أو لعارض طارئ ، أو لعدول من الارادة .. وكل ذلك ممتنع في حق الله " .

" وقد افرط ارسطو في هذا القياس ، حتى قال : ان الله – جل علاه – لايعلم الموجودات ، (ارجو الانتباه الى هذه الفرية العظيمة) لأنها أقل من أن يعلمها . وانما يعقل الله افضل المعقولات وليس أفضل من ذاته ، فهو يعقل ذاته . وهو العاقل والعقل والمعقول وذالك أفضل مايكون ... " .[1]

الى آخر سخافات أرسطو التى يجعلونها علما .. وقد رد القرآن الكريم على أمثال هذه السخافات بقوله :

* الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * .[2]

ويقول تعالى :

* وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم ، علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين * .[3]

وقال تعالى :

* وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامه ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون * وما تكون في شان وما تتلوا منه من قرءان ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين * .[4]

---

(١) المرجع السابق ص (١٣٩) .

(٢) الملك / ١٤ .

(٣) سبأ / ٣ .

(٤) يونس / ٦١

وقال تعالى :

﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافي البر والبحر وماتسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ﴾ .(١)

ويقول تعالى :

﴿ ان الله خالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون ﴾ .(٢)

وهكذا يتعامل التصور الاسلامي مع كون له وجود واقعي . يختلف عن وجود خالقه سبحانه وتعالى . وان هذه السخافات اليونانية التى اضلت العالم القديم عن الفهم الصحيح للكون وربه فيجب ان تطرح من جميع الكتب الاسلامية - ولكن مع شديد الأسف يوجد في العالم الاسلامي من يؤمن بهذه السخافات - مع ضوح هذه الفكرة في الآيات القرآنية الكثيرة .

فيجب - اذا - على الدعاة ان يتخذوا قضية الكون كما أوضحها القرآن منهجا لمواجهة التيارات الفكرية التى تموج في عالمنا الاسلامي بعامة وفي غرب أفريقيا بخاصة .

ونختتم سخافات الفلاسفة اليونانية والمتفلسفين الاسلاميين بأقوال فيلسوف يوناني آخر هو (افلوطين) الذى ينفي عن الله جميع الصفات مبالغة في أحديته .. هذا هو المذهب الذى مشى عليه المعتزله في نفي الصفات عن الله تعالى وعبارته :

---

(١) الانعام / ٥٩ .

(٢) الانعام / ٩٥ .

" وقد بلغ افلوطين غاية المدى في تنزيه الله فالله عنده فوق الأشياء وفوق الصفات ولا يمكن الاخبار عنه بمحمول يطابق ذلك الموضوع .. بل هو عنده فوق الوجود " .

" وليس معنى ذلك انه غير موجود ، أو أنه عدم – لأن العدم دون الوجود وليس فوق الوجود – وانما معناه ان حقيقة وجوده لا تقاس الا الجواهر الموجودة ، ولا تدخل معها في حبس واحد ، ولا تعريف واحد فهو (احد) بغير نظير في وجوده ، ولا في صفاته ولا في كل منسوب اليه .... " (١) .

" ويغلو افلوطين احيانا فيقول : ان الله لا يشعر بذاته لأنه لا يميز ذاته من ذاته فيعرفها . ولكن لصفاء وجوده يتنزه عن ذلك التمييز ، ويتنزه عن ذلك الشعور .... " (٢) .

وهكذا نجد في هذه التصورات ، وهى أعلى ماوصل اليه الفكر البشرى في تصور كمال الله وتنزيهه الها من (صنع) الفكر البشرى – الها لا وجود له في عالم الحقيقة والواقع – الها لا يشعر بذاته خلاف ماقاله ارسطو بأن الله لايعلم غير ذاته .. فكل ذلك ضلال وانحراف عما جاء به رسل الله الكرام من الله تعالى .. لأن ماجاء به رسل الله هو ان الكون آية على وجود خالقه ووحدانيته وقدرته وحكمته وعلمه .. واليك فيما يلي آيات دالة على ذلك .

يقول تعالى :

﴿ وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شيء قدير ﴾ وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور ﴾ (٣) .

---

(١) المصدر السابق ص (١٣٩– ١٤٠) .

(٢) المصدر السابق ص (١٤٠) .

(٣) الحج (٥ – ٧) .

قال تعالى :

* أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزق للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج *(١)

وهكذا عرفنا من خلال هذه الآيات ان المسلم البسيط الذى يستلهم من القرآن مايتعلق بالكون والاله والانسان - أعلم من افلاطون وارسطو وافلوطين وغيرهم - لأن هؤلاء الفلاسفة لم يفهموا حقيقة هذا الكون ولا خالقه .. لذلك حصلت هذه التخبطات فى الفكر اليوناني بما يتعلق بالله والكون والانسان .

فعلى هذا الاساس يجب على الدعاة ان يتخذوا قضية الكون كما عرضها القرآن قضية لمناهضة اصحاب التيارات الفكرية الوافدة من أوروبا أو النابعة من البيئة الافريقية .

وبعد هذه الجولة ننتقل الى الحديث عن الركن الثاني من منهج المواجهة وهو الأساليب التى اتخذها القرآن لمواجهة التيارات الفكرية الهدامة .

---

(١) ق (٦ - ٧) .

ثانيا : أسلوب القرآن والسنة في عرض الحقائق :

فيما سبق ، قد أشرنا الى أن منهج المواجهة يتكون من ثلاثة اركان .
وقد تحدثنا عن الركن الأول - ولله الحمد - والآن نود ان نتحدث أيضا عن الركن الثاني وهو (اسلوب القرآن والسنة في عرض الحقائق) .

نقول ولله التوفيق وعليه الاتكال : ان الذى يعيش في ظلال القرآن والسنة ويمعن النظر فيهما ليصل الى معرفة الاسلوب الذى خوطب به هذا القلب ، سيرى ان هذين الأصلين قد عرضا الحقائق والمعاني عرضا عمليا محسوسا ولم يعرضاها عرضا نظريا عقليا محضا لا هم لصاحبه الا ان يستوعب العلل والمعلومات ويتعمق في التفكير التجريبي ليحيط بالكليات والجزئيات ، ومختلف الفروض والحقائق كما هو شأن الفلاسفة ومن لف لفهم من المتكلمين والمتصوفين وغيرهم كما قلنا آنفا - فأحذر ايها الداعية الاسلامي - ان تكون مثلهم في مخاطبة الناس .. فهو منهاج لا تحرك به الجماهير .. ولا تثار به النهضات فالداعية الحقيقي المثالي هو الذى يواجه الواقع العملي ويصلح بسنة الله ما شذ عن سنة الله ، في بساطة لاتعقيد فيها ولا تكلف .

هذا ماأكده الاستاذ (البهى الخولي) اذ يقول (1) :

" ..... فهؤلاء المتعلقون بالنظريات الممعنة في الفروض ، يفسدون انفسهم حين لايسايرون قوانين الحياة ثم يحاولون ان يفسدوا على الناس نظام طبيعتهم السهلة . " .

" وانت تريد ان تنهى عن رذائل وتصد عن حضارة فاسدة ، وتريد ان تدعو الى فضائل ، وتهدى الى حضارة صالحة فاتبع سنة الله في عرض المعاني ، وأعرض

---

(1) راجع تذكرة الدعاة تأليف البهى الخولي - ط ٧ سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م الناشر مكتبة الفلاح - الكويت ص ب ٤٨٤٨ الكويت شارع على ، (٤٤) بيروت عمارة الحساوى مقابل بريد حولى .

دعوتك في صورة عمليـــة ، تمشى على قدمين وتسعى على الأرض ، وتؤثر في النـاس وذلك سبيلك الوحيـــد الى بث الحياة في القلب ، والحركة في العقل ..وحيـــن تدبالحياة والحركة في الانسان : قلبه وعقله فقد حيا الحياه التى نرجوها له. وأياك ومنهج النظريين فانه يمل النـاس ويصرفهم عنك " .[1]

ولمّا كانت مهمة الداعية ، نقل الامة من محيط الى محيط ، فعلى الداعية الحكيم ان يركز جهده ، وانتباهه في مخاطبة هذا القلب ومحاولة ارضاءه والنفـــوذ اليه .. ولايتأتى هذا بحال من الأحوال الا بطريقة القرآن لعرض الحقائق وهـــى الأساليب التصويرية التى تدخل علىالقلوب بأقرب طرق وأسهلها .

واليك فيما يلي نماذج من (الأساليبالتصويرية) في القرآن والسنة :

(ضرورة الاسلوب التصويرى للدعوة الىالله) :

ولما كانت الاساليبالتصويرية الواردة فى الكتاب والسنة كثيرة لانستطيع ان نستوعبها ، نود هنا أن نذكر نماذج منها ليقيس عليها الداعية الى ديـــن الله عز وجل : وهى كالتالي :

١ - القصـــة .
٢ - ضرب الأمثال .
٣ - الالتفات الى الآثـــار .
٤ - النظر في آيات الله في الآفاق والانفس ونعمه السابغة على النـاس .

---

(١) المرجع الســـابق ص (٤٤) .

١ - القصة :

ان القصة تمتاز بعدة ميزات نذكر هنا ميزتين لهما أهميتهما الكبرى :

١ - تصوير نواحي الحياة في صورة عملية حية تحرك الوجدان وترفع نبض المشاعر . فينشرح الصدر لأهل الخير منهم ويضيق ذرعا بذوى النفوس المظلمة والوسائل المكتوبة حتى وكأنك تراهم روّى العين ، وتسمع منهم سمع الأذن وتعاشرهم وتحيا بينهم .

٢ - النفس البشرية مفطورة بحب القصة والميل اليها .. فغريزة حب الاستطلاع ، تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بنسق القصص البارع استشراقا لمعرفة ماخفى من بقية الأنباء .. وبعبارة آخرى أوضح ، ان في القصة ميزة التنبه والتقبل . تجعل النفوس أوعية مفتوحة ، يصب فيها الداعية مايشاء فيبلغ القرار .

فعلى الداعية المثالي الاستمساك بقصص القرآن لأنه من سنة الله قد سنها في القرآن الكريم فقص على رسوله صلى الله عليه وسلم أحسن القصص وضمنه خير التعليم والمواعظ تثبيتا به له ولأمته على الحق . يقول تعالى :

﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فوءادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ (١) .

وهكذا تنص الآية الكريمة على ان في القصة تثبيتا للفؤاد وموعظة للناس وذكرى للمؤمنين .

فالقصة اذا اسلوب من أساليب القرآن لعرض الحقائق ومن تتبع السور التى تعرضت لذلك كسورة النمل التى فيها قصة داود وسليمان وملكة سبأ وسورة يوسف وغيرهما من القصص التى تعرضت لذكر القصص ، يجد شيئا عظيما .. لأن القصة

---

(١) هود / ١٢٠ .

تعرض لك الاشخاص وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهات نفوسهم وبيئتهم الطبيعية والزمنية ، تعرضهم عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم ، فاذا رأيت هذه التصرفات والأعمال ومضيت مع الحوار والنقاش - عرفت مايستكن في النفوس من طباع - وما يهجس فيها من خواطر .

هكذا أيضا رأينا ان القصة ضرورية لدى الداعية لعرض الحقائق .
لنتحدث عن التالى وهو ضرب الأمثال لعرض الحقائق .

٢ - ضرب المثل :

ان مما يوصى به الداعية المثالي ضرب الأمثال لأن ضرب المثل انما هو تشبيه حالة ما بأقرب الأمثال شبها بها وأكثرها مماثلة لها .. وهو تشبيه يحدث في النفس حركة التفات بارعة يلتفت بها المرء من الكلام الجديد الى صورة المثل المألوف ، فيلمح مابينهما من التشابه أوالتطابق . فلا يلبث أن يتلقى الأمر الجديد بمزيد من القبول والارتياح .

وقال ابراهيم النظام :
(يجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : ايجاز اللفظ ، واصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، ووجود الكناية) .

فضرب المثل ضرورى للداعية الجاد الغيور الذى يريد أن تبلغ دعوته الى النفوس لأن المثل يمتاز بخلابته ورشاقة موقعه في النفس وترافته التى تتجدد ولا تبلى مما ترى أثره يبرق في وجوه السامعين ونظراتهم وثغورهم أو على الأقل مما يشعر السامعين بأن سرائرهم تبتسم له وتهش .

ومن أراد أن يقف على امثال القرآن الكريم فعليه قراءة (الاتقان للسيوطي) فقد أورد فيه طائفة كثيرة من العبارات القرآنية التى جرت أمثالا بين الناس وليطلبها هناك من يشاء .

أمثلة موجـــزه من عبارات القرآن والسنة التى جرت على الالسنة :

أ - القرآن :

١ - (لكل نبأ مستقر) .

٢ - (كل حزب بما لديهم فرحون) .

٣ - (بضاعتنا ردت الينا) .

٤ - (من عمل صالحا فلنفسه) .

ب - الســـنة :

١ - (لايلدغ المؤمن من جحر مرتين) .

٢ - (ان المنبت لا أرضا قطع ولا زهر أبقى) .

ومن ضرب الأمثال : ان تشبه امرا دقيقا خفيا أو به بعض الخفاء بأمر حسي بما يعهده الناس في حياتهم اليومية وهذا النوع ورد بكثرة عظيمة في القـــرآن الكريم وقد قسمه الشيخ ابن تيميه في التفسير الكبير الى قسمين فلا بأس أن نقتبس من ذلك اذ يقول :

" ...... فان ضرب المثل يوضح صورة المقصود وحكمه . وضرب الامثال في المعانـي نوعان هما نوعا القياس (احدهما) الامثال المعينة التى يقاس فيها الفـــرع بأصل معين موجود او مقدر وهى في القرآن بضع واربعون مثلا كقوله تعالى :

﴿ مثلهم كمثل الذى أستوقد نارا ...... ﴾(١) وقوله تعالى :

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فـــي كل سنبللا مائة حبة ﴾(٢) .

(النوع الثاني) الأمثال الكلية مثل قوله تعالى :

---

(١) البقرة / ١٧ .

(٢) البقرة / ٢٦١ .

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ﴾ (١)

﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ . (٢)

﴿ لو كان فيهما آلهه الا الله لفسدتا ﴾ . (٣)

﴿ ومثل الذين حملوا التوراه ثم لم يحملوها ﴾ . (٤)

﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا ﴾ . (٥)

﴿ وللذين آمنوا ﴾ . (٦)

﴿ كأنهم الى نصب يوفضون ﴾ . (٧)

وغير ذلك من الأمثال الكثيرة الموجودة في القرآن ، وأما في السنة فيقــــول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(جاء في الصحيحين عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني اللـــه به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب أرضا وكان منها طائفة ... الخ) . (٨)

فهذه عناصر المثل ، وللداعية ان يتوسع فيها ...... " .

٣ - الالتفات الى الآثـــار :

ان حرص الداعية على الاستفادة من ذكر الآثار وأستحضار الذكريات ، ضروري

---

(١) الحـــج / ٧٣ .

(٢) الكهف / ٥٤ .

(٣) الانبياء / ٢٢ .

(٤) الجمعة / ٥

(٥) التحريم /١٠ .

(٦) التحريم / ١١

(٧) المعارج / ٤٣ .

(٨) الحديث أخرجه البخاري في كتـــاب رقاق (٢٦) وفي كتاب الاعتصام (٢) .

جدا لأن من خصائص العقلية العملية ذات النظر الواقعي ، ان نقف على الآثار والاطلال والذكريات والمخلفات ، لا وقوف الجامد الغافل بل وقوف الحي، المنتبه ذى الوجدان ، المتحرك اليقظ فيناجي الآثار ويستخبرها ما فعل الليل والنهار . وكيف لا ! والقرآن يعلمنا كيفية الوقوف على الآثار والتكامل في سطور الايام والليالي فيرى ربنا سبحانه وتعالى يندبنا الى السياحة في الأرض والتأمل في آثار الماضين وذكرياتهم اذ يقول :

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ (١) .

ولم يكتفى القرآن بهذا الندب ولكنه أيضا يرسم لنا منهاج التأمل فيقول :
﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٢) .

ويزيد سبحانه وتعالى في العبرة ، فيأمر بصفة خاصة ان نتأمل آثار أولئك الذين أنزل عليهم عذابه لما فسقوا من أمره فأهلكهم وتركوا مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا .. يقول تعالى :
﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ﴾ (٣) .

ترى ايها الداعية كم في قوله تعالى : ﴿ فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم ﴾ من عبره تلين القلوب والمآقي وتكسر النفوس للحي الوارث الوارث الباقي .
وفي قوله تعالى ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ ﴿ وانا لنحن نحى ونميت ونحن الوارثين ﴾ (٤)

---

(١) النحل / ٦٩ ، العنكبوت / ٢٠ ، الروم / ٤٢ ، الانعام / ١١ .
(٢) الروم / ٩ ، فاطر / ٤٤ ، غافر / ٢١ .
(٣) القصص / ٥
(٤) الحجر / ٢٣

﴿ ولقد علمنا المتقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين ﴾ (١)

ويشير الله سبحانه وتعالى الى المساكن والقصور والآثار لكى يقف المتأمل وقفه يناجيها او يناجي أهلها الذين عمروها .. ثم خلفوها وراحوا اذ يقول :

﴿ فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ (٢) .

ويقول تعالى :

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكنها تعمى القلوب التى في الصدور ﴾ (٣) .

وأخيرا ترى ان الله تعالى يجعل هذه الآثار في مقام الواعظ البليغ ويجعلها حجة على الغافلين حين ينزل عليهم عذابه اذ يقول :

﴿ وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لهم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام ﴾ (٤) .

وهكذا كان من الضرورى أن يستعمل الداعية الالتفات الى الآثار أسلوبا من أساليب مواجهة التيارات الفكرية .

وبعد هذا لنتحدث عن التالي وهو :

النظر فى آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ونعمه السابغة على الناس .

---

(١) الحجر / ٢٤ .

(٢) الحج / ٤٥ .

(٣) الحج / ٤٦ .

(٤) ابراهيم / ٤٤ .

٤ - النظر في آيات الله في الآفاق :

ان مما يجمل بالداعية ان يستعمله أسلوبا لمواجهة التيارات الفكرية الهدامة ، النظر في آيات الله في الآفاق وفي الأنفس فيلفت الانظار الى ماخلق في السماوات والارض وفي الأنفس ولكنه لايكتفي بمجرد الاشارة بل يذكر ماهى هذه الآيات فينص عليها بالأسم أو الصفة أو الوظيفة حتى يبلغ الكلام الى الاسماع والقلوب .

واليك - فيما يلي - آية واحدة كنموذج :

قال تعالى :

* والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ان في ذلك كله لآيات لقوم يعقلون *(١)

ولو أكتفى القرآن بهذه الآية وحدها لكان فيها غناء ، ولكنه تناول كل آية من هذه الآيات المذكورة هنا بالاجمال تناولها بالبيان والتحليل حتى ليفتح البصر والبصيرة على مواطن العبرة فيها .... وانا لنسوق اليك فيمايلي بعض أمثلة لهذا التفصيل .

(أ) السماوات :

يقول تعالى :

* والذى رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم أستوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون *(٢)

---

(١) البقرة / ١٦٤ .

(٢) الرعد / ٢ ، لقمان / ١٠ .

(ب) ويقول تعالى عن الأرض :

﴿ وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين أثنين يغشى الليل النهار أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١).

(ج) ويقول تعالى عن النبات :

﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٢).

وأما الانسان فيشرح له منهاج النظر الى نفسه وأخص الأشياء به بمثل قوله تعالى ﴿ فلينظر الانسان الى طعامه ان صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاع لكم ولأنعامكم ﴾ (٣).

وأخيرا عند الداعية بالمدعوين عند حد التأمل فحسب ولكنه يلفت أنظارهم الى التفكير في معان الجد والحكمة الحازمة التى تبدوا لذى الأبصار والبصائر في خلق السماوات والأرض .

فما كان الله يهزل - سبحانه وتعالى - حين خلق السماوات ومافيها من آيات .. وماكان لاعبا - تعالى شأنه - حين أخرج الارض الى هذا الوجود؟ ان هو الا للأمر الخطير والجد الذى لاهزل فيه .يقول تعالى :
﴿ وماخلقنا السماوات والارض ومابينهما لاعبين ﴾ (٤).

هذه هى ذروة التفكير وقمة المنازل التى يجب على الداعية ان ينبه الناس اليها .. لأنها هى التى يخلق حولها أولوا الالباب الربانيون .. يقول تعالى عنهم :

---

(١) الرعد / ٣ .

(٢) الرعد / ٤ .

(٣) عبس / ٢٤ .

(٤) الانبياء / ١٦ ، الدخان / ٣٨ .

﴿ ان في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا فقنا عذاب النار ﴾ (١) .

هذا طرف من هدى القرآن الكريم وطبه لأمراض الانسان ويجب على الداعية أن يستمسك بهذا الأسلوب القرآني لدعوة الناس الى الله تعالى .

فهكذا نأتي الى نهاية هذا المبحث لننتقل اذا الى المبحث الأخير من هذا البحث الا وهو وسائل الدعوة التى بها تصل الدعوة الى قلوب الناس فالى هناك .

ثالثا : الوسائل التى أستخدمها الاسلام لمواجهة التيارات الفكرية :

وقد تحدثنا في السطور السابقة ان منهج المواجهة يتكون من ثلاثة أركان : (القضايا – الاساليب – الوسائل) . وقدتحدثنا فيما مضى عن : (القضايا والأساليب) – ولله الحمد – ونود الآن ان نتحدث عن الفقرة الأخيرة وهى : الوسائل . وبالله التوفيق وعليه توكلت واليه المصير .

فأقول ان المتأمل في كتاب الله وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد كثيرا من الوسائل التى تحتاج اليها الدعوة ولكن شمسها التى تدور حولها جميع الاجرام هى : (القدوة الصالحة) أو الداعية المثالي الفطن .

الداعية الذى يشعر بأن دعوته حيه في أعصابه ، متوهجه في ضميره ، تصبح في دماءه ، فتعجله على الراحة والدعه ، الى الحركة والعمل وتشغله بها عن نفسه وولده وماله .

وهذا هو الداعيه الصادق ، الذى تحتاج اليه الدعوة .

ذلك الداعيه الذى ينفذ كلامه الى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم الى مايريد من أمر دعوته . وقد أشترط الله سبحانه وتعالى على كل عامل أربعة شروط

---

(١) آل عمران / ١٩٠ .

اذا أراد نجاح عمله . واذا كان هذه الشروط لازمة لنجاح جميع الأعمال فهى الزم للداعية . فلنقرأ السورة التالية :

﴿ والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (١) .

فعلى الداعية ان يراعى هذه الشروط الأربعة دائما التى هى :

١ - الايمان الصادق والفهم الصحيح لدينه من الفهم العاطفي والتصديق القلبي هو الايمان القوى الذى يشغل ضمير الداعية لدعوته في كل لحظة فيذكرها في نومه ويقظته ، وعلى طعامه وبين أهله وفي حله وترحاله وفي كل مجاله .

واذا أنسانا فللدعوة .. واذا سالمه فلها أو عاداه .. واذا فرح أو حزن فمن أجلها ....

وبالجملة تكون الدعوة هى المسألة الأولى الحاضرة لديه في كل وقت من أوقاته .. هى صلب الحياة ولبها وصميمها .

٢ - العمل الجدى الصالح . لأن الدعوة لا تكون ناجحة بمجرد الايمان بها دون مباشرة العمل الطيب (وعملوا الصالحات) .

فلابد أن يصنع الداعية لدعوته هذا الاهتمام ويغمر نفسه فى محيطها .

٣ - الصبر على الأذى - لأن الذى يستعجل بالنتائج قلما ينجح . وقد ذكر القرآن أمثلة كثيرة على ذلك وخاصة غزوة أحد كما أستعجل الرماة فيها بنتيجة الحرب فشلوا . بقوله تعالى :

﴿ ولقد صدقكم الله وعده اذتحسونهم باذنه حتى اذافشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم مايحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقدعفنا عنكم والله ذوفضل على المؤمنين ﴾ (٢)

---

(١) سورة العصر .

(٢) آل عمران / ١٥٢ .

﴿ وتواصوا بالحق ﴾ فلا بد أن يكون الداعية متجردا من هوى نفسه فبقدر ما يقول الحق يجب عليه أن يقبل الحق اذا أخطأ أو نسى ولايكتفى برأيه الشخصي في جميع الأمور فلا بد أن يتصل بقادة الدعوة الكبار وانصارها. ان فعل ذلك لا يلبث ان يكون كذلك - ان شاء الله تعالى - كالسيف اذا شحذه صاحبه، زايله صدؤه وصار بتارا ..

هذا الأصل هو مايتعلق بالكلام عن الداعية بكل اختصار ويحسن بنا في هذه المناسبة ان نعطي كلمة آخرى للدعوة . فالدعوة :

(نقل أمة من محيط الى محيط)(١) .

تلك هى مهمة الداعية .. وفيها يتدرج مجمل منهجه ومفصله وأليك - فيمايلي - موجزا لذلك :

١ - الدعوة والاصلاح .

٢ - الدعوة والكتابة .

٣ - الدعوة والوعظ والهجرات .

أولا : الدعوة والاصلاح:

وقد يظن الكثير من الدعاه المعاسرين ان الاصلاح من هذه التيارات الفكرية التى تعاني بها المنطقة وغيرها هو - بادىء ذى بدء - مدارس تبنى ، وجامعات تقام ، وترعا تحفر ، ومصحات تبنى كما يفعل المنصرون ، او مصارف تدير الأموال ، ومصانع تسد حاجة البلاد الى ماهناك مما يقولون ويضيعون به أوقاتهم وينشر في صحفهم وليس هذا من الأصلاح في شيىء . ولكن هذه الأمور التى ذكرناها آنفا لا نقول انها لاقيمة لها في الدعوة بل لها قيمة ولكنها ضرورات حيوية يجب أن يسار اليها مع منطق الحاجة الاجتماعية .

---

(١) تذكرة الداعية ، المصدر السابق ص (٣٥) .

أما أنها هى الإصلاح والانقاذ فلا .. وأوروبا أقرب شاهد على ذلك .

فماذا أغنى الاهتمام بالترع والجسور والمدارس والمصانع والمسارح والصحف والنشرات وغيرها في اوروبا ؟ .
ماذا اغنى الاهتمام بذلك والارواح مريضة ؟ .
ماذا اغنى ذلك غير الاضطرابات والقلاقل والحروب المدمرة .. التى نراها كل يوم من هنا وهناك !

فأين الاتحاد السوفيتي الذى بلغ ذروة المجد في عالم التكنولوجيا . أين هو اليوم ؟ فقد أنهار وانهارت معه شيوعيته .. بل تشتت جمهورياته شذير مذر .. وأصبحت خبرا بعد عين .. وأصبحت اسلحته المدمره تركه بلا وارث ﴿ وانفي ذلك لآية للمتوسمين ﴾ (١) .

فنقول للداعية - اذا - ايها الداعية انت بصدد أمة بل بصدد انسانية تعيش اليوم في محيط متعفن آسن قد علت فيه قيمة المادية على الروحية ، قد آثر اهله الحياة الدنيا على الآخرة . وارتفعت فيه راية الشيطان على راية (لا اله الا الله) .

ومهمتك الاولى ان تنشلها من هذه المهالك الى المحيط الايماني الفسيح.. كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم في دار الارقم بن الارقم . من محيط المادية الطاغية الى محيط الربانية الروحية العذبة . ثم اذا تعلق الغرض الى ماتدعو اليه ضرورة الحياه الجديده فافعله - من بناء مدارس وترع وجسور ومصانع وغيرها - ولا تظن هذا يناقض ماقلناه سابقا . فانك تفتح المدارس وتنشئها لنقل التعليم من محيط المادية الى محيط الربانية . ونقل القلوب من حال الى حال جديد تأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم . ان هذا هو الاسلوب الأمثل للدعوة الى الله . هذه هى البصيرة التى تشير اليها الآية الكريمة التالية :

---

(١) الحجر / ٧٥ .

﴿ قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن أتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [١] .

اى هذه طريقتي في الدعوة التى أنا عليها على علم ويقين [٢] ويجب على الداعية كذلك ان ينتهج نهج سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فيكون همه الأول هو نقل الناس من لوثة المادية الى محيط الربانية .. ثم يفعل مايساعده على ذلك من فتح مدارس وغير ذلك .. واذا دعت الحاجة بعد ذلك الى الهجرة فليهاجر من بلاد الشرك الى بلاد تقام شريعة الله فيها ان تيسر ذلك كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

ثانيا : الدعوة والكتابة :

قد تحدثنا في السطور السابقة عن كتاب (اسلاميين من الذين عاشوا في بعض الدول لاوروبية أو تشربوا الافكار الاوروبية المادية) ان هؤلاء يرون ان الاسلوب الصحيح للدعوة الاسلامية ان نبدأ ببيان الفكر الاسلامي المجرد كبديل عن الافكار والعقائد والايديولوجيات . فقالوا - زورا وبهتانا -(ان الازمة ازمة فكر لا ازمة عقيدة) [٣] .

ان هؤلاء الكتاب يظنون ان الاصلاح مقالات تكتب ، او تؤلف ، فتصف لنا مافي أوروبا ووارثيتها (امريكا وروسيا) من علم وسياسة ونظام وحرية ، وأسلوب خاص في الاستمتاع بلذائذ الدنيا فاذا كتبوا او الفوا ظنوا أنهم قد أدوا خدمة جليلة للاسلام وقاموا بمهمة عظيمة ، مهمة نشر مافي الغرب من أسلوب تفكيرهم

---

(١) يوسف / ١٠٨ .

(٢) مختصر تفسير الطبرى لابي يحيى محمد بن صمادج التجبي المتوفي سنة ٤١٩هـ ص ( ) دار الفجر الاسلامي الطبعة الاولى .

(٣) راجع ماكتبناه سابقا تحت عنوان " هل الاسلام أولا أم الفكر الاسلامي " .

وأيديولوجياتهم .. ان هذا الصنف قد يعجبك لكثرة اطلاعه على ماعند الغـرب المادى .. ام ان هذا هو الرسالة الواجبة عليه لأمته الاسلامية فلا .

ان المقالة اوالكتاب الذى ينقل من محيط الى محيط ويكشف لقلبك آفاقـا روحيـة جديدة فهو الذى يعتني به الداعية .

اما هذا النوع من الكتابة الذى لا ينقلك من محيط الى محيط بل يمعـن بك في محيط الحضارة المادية الالية الصماء - لاينبغي ان يكون مهدك فـي الكتابة - ايها الداعيه - مثل ذلك .

وليكن همك الأول من قلمك ان تنقر به على قلب ليستيقظ ، وتنفذ منـه في نفس لتنهض . وتعلم به بأسم ربك الذى خلق .

واذكر دائما انك قائد .. وانك طبيب .. واذكر دائما ان مهمتك الكبـرى هى احياء الضمائر واثارة الهمم الىالمثل العليا (١) .

ان فعلت ذلك فأنك - ان شاء الله تعالى - كما قال تعالى :

﴿ فؤلئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهـداء والصالحيـن وحسن أولئك رفيقا ﴾ ذلك الفضـل من الله وكفى باللـه عليمـا ﴾ (٢)

---

(١) المصدر السابق مع تغييرات طفيفه ص (٣٨ - ٣٩) .

(٢) النساء (٦٨ - ٦٩) .

ثالثا : الدعوة والوعظ :

وما طلب من الداعية في الكتابة هو مايطلب منه في الوعظ والارشاد وان مهمته في الحالتين ، مهمة الانبياء التى هى : تغيير ما بنفوس الناس حتى يغير الله ما بهم من فساد فكل وعظ لا يرمي الى هذه الغاية فهو جهد ضائع وعمل باطل .

حذار ايها الداعية المسلم ان تكون احد رجلين : رجل همه ان يأتي بالفكاهات البارعة ليقول الناس انه مجدد في الوعظ ، وعند هذا تنتهى مهمته بلا هدف معين . ورجل يقبل على الناس في حذر وخفه ، فلا يمسهم الا مسا رقيقا كأنما يخشى عليهم ان يفكروا فيسوق لهم من قصص التاريخ التى لاعلاقه لها بالأمر الواقع او يأتى بحكايات السابقين وأسباب النزول ، ماله أى صلة بالأمر الواقع ، ولا يتحدث عما وقع في المجتمع من فساد عقدى وانحلال خلقي وانزلاق مع التيارات الفكرية الهدامه .. ولا يريد من هذا الوعظ او المحاضرة أو الخطبه الا ان يجلس الناس من حوله ، فيستمعون له ثم ينصرفوا .

فنقول ان هذا وعظ سلبي لا شأن لنا به ولا مقام له في رسالتنا التى تحاول ازالة آثار التيارات الفكرية الهدامه في غربي افريقيا وفي غيرها من العالم الاسلامي .

ايها الداعية الكريم حذار ثم حذار الوعظ الجاف او المحاضرة الجافة التى لاغرض لها . وحذار ان تقف موقفا سواء في المساجد اوالمدارس أو قاعات المحاضرات وانت لاتنوى ان تخرج منه صيد ، هل رأيت صيادا ماهرًا يطرح شبكته في البحر وهو لايريد صيدا ؟ وان فعلت فانك من المضيعين لأوقاتهم بلا أجر .

وقد يستفاد من الوعظ السلبي احيانا ولكن متى ذلك ؟ ان ذلك يكون بعدما استوت النهضة على أمر الله وتخلصت الامة من الفساد ، فحينئذ - فقط -

جاء دور الوعظ السلبي الذى يحذر ويزجر ويمنع .

وتكون مهمة الواعظ حينئذ اشبه مايكون بالطبيب الذى يقوم على رعاية الجسم السليم بالوقاية .

فعلى الداعية المسلم ان يعى دائما ان النصر حليفه ولكن متى هذا ؟ . الجواب في قوله تعالى :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بى شيىء ﴾ (١)

بهذين الشرطين : العبودية الخالصة لله من ناحية ومحاربة الشرك بالله من ناحية آخرى . بهذيه الشرطين يتحقق النصر للداعيه ان شاء الله تعالى .

(العله الكبرى المعاصره)

يجب على الداعية ان يعلم علما يقينا ان العلة الكبرى في هذا العصر بالذات - هى (المادية) - المادية في جميع صورها . وانها هى العلة التى تتسلسل منها علل الكفار والمنافقين وجميع المنحرفين ولاسيما المادية التي حلت القلوب فغلفتهابعباءه المال والشهوات . شهوة النساء وشهوة البنين وشهوة الأموال المكبسة في البنوك وشهوة المركوبات من السيارات والطائرات وغير ذلك وشهوة الانعام والزروع ..... وصدق الله تعالى :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا

---

(١) النور / ٥٥ .

والله عنده حسن المئاب ﴾ .(١)

هكذا دلت الآية ان مهمة الداعية هى نقل الأمة من محيط هذه المادية الى محيط حسن المئاب وهى ماتصوره الآية التالية :

قال تعالى :

﴿ قل انبئكم بخير من ذلم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ .(٢)

قال تعالى :

﴿ الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .(٣)

ومع ما قررنا هنا لسنا ممن يحرم زينة الله التى اخرجها لعباده والطيبات من الرزق ولكننا نقول ان ذلك لايجوز ان يكون هو الهم الوحيد عند الداعية وغيره .

ويهدينا الله وأياك الى سواء السبيل وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي حبيب القلوب والأبدان محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

وماتوفيقي الا بالله تعالى .

الحمد لله أولا وآخرا ... الهم أغفر لى ولوالدي وارحمهما.........

---

(١) آل عمران / ١٤

(٢) آل عمران / ١٥

(٣) الحج / ٤١

(٤) بتاريخ ٥ شوال ١٤١٢هـ الموافق بتاريخ ٧ / ٤ / ١٩٩٢م بيوم الأثنين في الساعة (ستة الا ربع) .


الملاحق



دول افريقية الآن

الملحـــق الأول

دول غربي افريقيا ، موضوع البحـــث

هذا القطاع من القارة الافريقية نطاق أغلبيـة مسلمة . ذلك أن حصـة المسلمين في العديد من دوله تصل الى قرابة نصف السكان أو تتجاوز هذا القدر في بعض دوله . وفي البعض الآخر يشكل المسلمون أقلية لها شأن :

وأما الدول التي يسودها الاسلام فهي خمسة منها :

١ - موريتانيا .

٢ - السنغال .

٣ - مالي (أو السودان الفرنسي سابقا)

٤ - غينيا أوغينيا الفرنسية سابقا .

٥ - النيجر .

وأما الدول التي تعتبر أقلية باعتبار أن رؤسائها غيرمسلمين فهي ثلاثة :

١ - ساحل العاج .

٢ - فلتا العليا أو (بوركينا فاصو أخيرا) .

٣ - داهومي أو (بنين أخيرا) .

فاليك تفصيلا لما أجمل .

تتألف غربي افريقيا الفرنسية من اتحاد هذه الأقاليم الثمانية وتقدر مساحتها بنحو ٧٥ر٤١ كم ٢.
منها ٢٠٠٠ر٢٠٠ كم٢ صحراء قاحلة وعاصمتها دكار في أيام الاستعمار الفرنسي .

وتقدر حصة الاسلام في دول غربي افريقيا عامة الى ٨ر٤٥٪ من جملة السكان هناك ،فلا يشمل هذا نيجيريا فلاجدال أن المسلمين بها أغلبية..

ويجب قياس حصة المسلمين بالديانتين : المسيحية والوثنية ، حيث الوثنية ما زالت تشكل حصة من سكان غربي افريقيا واذا طبقنا هذا على دول غربي افريقيا نجد الاسلام دين الاغلبية حتى في الدول الثلاثة (ساحل العاج وبنين ووروكينا فاصو) التي يرأسها حتى الان غير المسلمين كما قلنا سابقا .

ذلك أن الاحصائيات تنسب حصة المسلمين الى مجموع السكان وهذا لا يمثل الواقع فالعديد من الباحثين يعتبرون غربي افريقيا مجالا للديانتين الاسلامية والمسيحية يتجاهلون حصة الوثنيين فمثلا يشكل المسلمون ٤٥٪ من سكان بنين اليوم وليس معنى هذا أن النسبة الباقية وقدرها ٥٥٪ من سكان بنين من نصيب المسيحيين وحدهم فيشاركهم في هذا القدر الوثنيون . فحصة الوثنيين من هذه النسبة ٣٠٪ وهذا يشير الى أن الاسلام دين الأغلبية رغم ان نسبته تقل عن ٥٠٪ ويمكن تطبيقه على معظم دول غربي افريقيا .(١)

---

(١) الأقليات المسلمة : تأليف سعيد عبد الحميد سكر ص ٣٣٥.

===

وقد جاء ها الاسلام كما قلنا سابقا منذ القرن الأول الهجرى أو القرن السابع الميلادى على أيدى العرب أولا ثم البربر ثانيا ثم على أيدى السودانيين أنفسهم أخيرا . فكان دورهم من أروع الأدوار في نشر الاسلام في هذه المنطقة بحيث انهم لم يكتفوا في نشر الاسلام في مواطنهم الأصلية بل هاجروا به الى الادغال وسواحل خليج غينيا .

ولما جاء الاستعمار ناصب العداء ضد هذا الانتشار ووقف أمامه بشتى الوسائل ماديا ومعنويا . ولكن برغم كل هذه الجهود التـــــي بذلتها السلطات الاستعمارية الفرنسية للمحافظة على الوثنية ومحاولة نشـر المسيحية فان الاقبال على اعتناق الاسلام كان ولم يزل يزداد يوما بعد يوم.

وقد آل عدد المسلمين فيما بين عامي ١٩٢٠-١٩٥٠م الى أكثر من مليون نسمة ويقدر عدد المسلمين حسب احصائية عام ١٩٤٨م بـ : ٧٤٩٢٠٠٠ من بين ١٥٩٣٨٠٠٠ نسمة كما صار تعدادهم عام ١٩٥٥ الى ٤٥ ٪ من بين ١٧ر٦٧٥ر٤٠٠ نسمة .

وفيما يلـــي يتضح هذا الازدياد المستمر ، اذا قمنا بمقارنة سريعة بين عدد المسلمين في أيام الاستعمار وبين عددهم بعد زواله .

=== السنة الرابعة الجزء الثاني رمضان ١٤٠٥هـ/ يونيو ١٩٨٥م
سلسلة شهريـة تصدر في مطلع كل شهر عن ادارة الصحافة والنشر
رابطة العالم الاسلامي مكة المكرمة .

(١) راجع المسلمون في العالم اليوم : افريقيا الاسلامية ، دكتور عبدالرحمن زكي ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨م ص ٧٣ .

(١) ابان الاستعمار سنة ١٩٥٥م (١)

أسماء البلاد	عدد السكان	عدد المسلمين	النسبة ٪
موريتانيا	٥١٨ر٠٠٠	٤٩٠ر٢١٠	٩٥٪
النيجر	٢ر٢٩٠ر٠٠٠	١ر٥٠٠ر٠٠٠	٧٥٪
السنغال	٢ر١٠٨ر٢٠٠	١ر٥٠٠ر٠٠٥	٧٠٪
السودان (مالى)	٢ر٢٦١ر٨٧٥	٢ر٠٠٠ر٠٠٠	٦٠٪
غينيا	٣ر٢٨٣ر٠٠٠	١ر٣٨٠ر٠٠٠	٦٠٪
فولتا العليا	٢ر٤٤٧ر٩٦١	٥٠٠ر٠٠٠	١٥٪
ساحل العاج	١ر٦١٤ر٠٠٠	٣٠٠ر٠٠٠	١٥٪
داهومي	١ر٠٠٠ر٠٠٠	١١٠ر٠٠٠	٧٪
	المجموع	٧ر٣٤٩ر٢١٥	

----

(١) راجع المسلمون في العالم المصدر السابق ص ٧٤ .

(٢) - بعد الاستقلال سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

اسماء البلاد	عدد السكان	عدد المسلمين	النسبة٪
موريتانيا	١ر٤٠٧ر٠٠٠	١ر٣٧٩ر٩٦٠	٩٩٪
النيجر	٥ر٣٥٤ر٠٠٠	٤ر٥٥٠ر٩٠٠	٨٥٪
السنغال	٦ر٦٦٣ر٠٠٠	٤ر٦٤٢ر٠٠٠	٨٢٪
مالي	٦ر٩٠٦ر٠٠٠	٤ر٥٤٣ر٦٥٠	٦٦٪
غينيا	٥ر٠١٤ر٠٠٠	٤ر٥٠٩ر٨٠٠	٧٠٪
ساحل العاج	٧ر٩٢٠ر٠٠٠	٥ر٨٥٨ر٠٠٠	٦٥٪
فلتا العليا	٦ر٤٥٠ر٠٠٠	٣ر٨٧٠ر٠٠٠	٦٠٪
بنين داهومي	٣ر٥٦٧ر٠٠٠	١ر٥٥٥ر٠٠٠	٤٥٪ (١)
	المجموع	١٩ر٥٠٩ر٣١٠	

*

لنتحدث الان -فيما يلي - عن هذه الدول الثمانية واحدة تلو الأخرى :

---

(١) راجع الأقليات المسلمة المصدر السابق ص ٣٣٠.

أولا - موريتانيا المسلمة :

الموقع : : تمس موريتانيا الصحراء الاسبانية شمالا ويحف بها الجزائر ويحدها شرقا السودان وجنوبا السنغال وهي تطل على المحيط الأطلسي وتقدر مساحتها ٠٠٠ر٩٤٣ كم ٢ (١)

التسمية : أطلق الرومان كلمة موريتانيا على المنطقة الشمالية الغربية من قارة افريقيا ، اذ كان هذا الاسم يطلق على مملكة قديمة قبل العهد الروماني ، فلما جاء العهد الروماني أطلق هذا الاسم على المنطقة كلها .. ومن هنا كان الاسبان يطلقون على العرب الذين جاءوا الى شمال افريقيا كلمة (مور) اذ كان قائدهم طارق بن زياد واكثر جنده من أبناء هذه المنطقة وسار الفرنسيون والانجليز على طريق الاسبان وأطلقوا (مور) على سكان موريتانيا . (٢)

السكان : (١٤٠٠ هـ - ١٤٠١ - / ١٩٨٠م - ١٩٨١م) يقدر بـ ٠٠٠ر٤٠٧ر١ نسمة وعدد المسلمين ٧٠٠ر٣٥٠ر١ النسبة ٩٩٪ (٣) لذلك تعد موريتانيا دولة اسلامية .

العاصمة : نواكشاط ١٠٣٥٠٠ نسمة.

الجماعات العرقية : مورس ٨٢ ٪

---

(١) المسلمون في العالم اليوم ، افريقيا الاسلامية المصدر السابق ص ٧٤ .

(٢) موسوعة التاريخ الاسلامي د / أحمد شلبي ٦/ ٥٠٠ - ٥٠١ .

(٣) الأقليات المسلمة المصدر السابق ص ٣٣٥ .

الرئيس : مختار ولد داده الذى أطيح به على أثر انقلاب عسكرى وقع سنة ١٩٧٨م وأصبح ولد سالك رئيسا للدولة ثم قدم استقالته في ١٩٧٩/٦/٣م الى اللجنة العسكرية للخلاص الوطني وانتخبت اللجنة خلفا له المقدم محمد ولد أحمد .

الحكم : حصلت موريتانيا على استقلالها سنة ١٩٦٠م بعد أن كانت اقلينا في غربي أفريقيا .(١)

اللغات : اللغة العربية هي لغة الغالبية العظمى من السكان وتوجد معها اللغة البربرية في بعض المناطق ولهجات الزنوج بالجنوب كما توجد اللغة الفرنسية عند بعض السكان ،تلك هي اللغة التي خلفها الاستعمار الفرنسي بموريتانيا كما خلفها عندعند بعض السكان في كل المناطق التي احتلها .

وان كانت اللغة العربية هي لغة الغالبية العظمى ، فان الاسلام هو دين الجميع الا قليلا .. بل ان هذه البلاد كانت المركز الذى تربت فيه حركة المرابطين واندفعت منه تنشر الاسلام في نواح كثيرة وتحمى الاسلام بالاندلس من زحف الفرنجة.

---

(١) افريقيا في عصر التحول الاجتماعي لويد ص ٣٧٢.

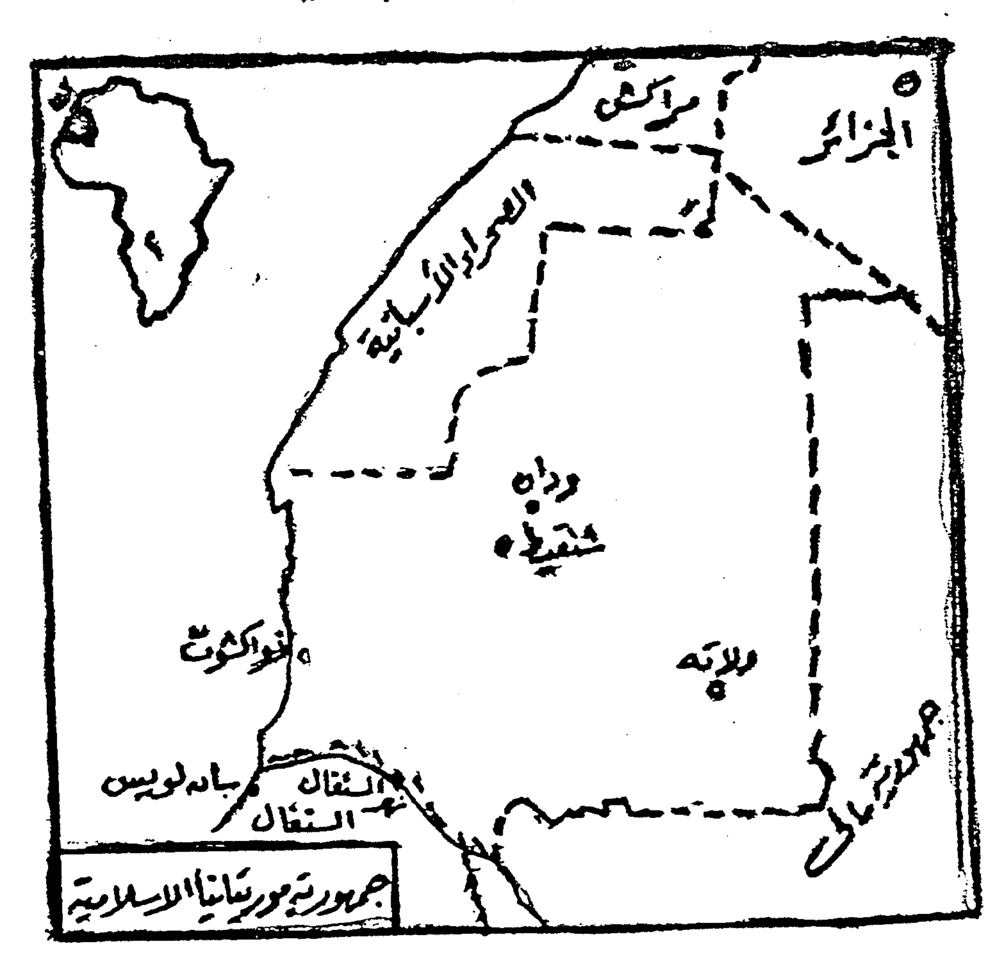
موريتانيا تنضم للجامعة العربية :

في مطلع عام ١٩٧٤م وعقب اتفاق موريتانيا مع المغرب أسفرت موريتانيا عن عروبتها وأعلنت انضمامها لجامعة الدول العربية فتحقق بذلك الأمل بأن يغمر اللسان العربي هذه المنطقة المهمة من أفريقيا .(١)

---

(١) راجع موسوعة التاريخ الاسلامي ، تأليف د / أحمد شلبي ٦/٥٠٠ - ٥٠١ .

«جمهورية موريتانيا الإسلامية»



ثانيا - السنغال المسلمة :

أهمية السنغال : للسنغال أهمية خاصة بالنسبة لأقطار أفريقية الفرنسية كلها ، حتى جرى على ألسنة كثير من الناس في الشرق والغرب تسمية جميع هذه الاقطار باسم السنغال . ومرجع ذلك أنه عن طريق نهر السنغال تغلغل الاستعمار الفرنسي حتى شمل المنطقة كلها .. واعتبر اقليم السنغال نقطة الارتكاز للاستعمار الفرنسي في غربي افريقيا كما اعتبرت دكار عاصمة السنغال ، عاصمة للمنطقة كلها . ومقر المقيم العام الفرنسي .. ومن أجل هذه الأسباب كانت عناية المستعمر الفرنسي بالسنغال أكثر من عنايته بالمناطق الأخرى فنال السنغال من التقدم طيلة أيام الاستعمار ما لم يحظ به اقليم آخر من أقاليم هذه المستعمرات الفرنسية في غربي افريقيا .(١)

المساحة : ٧٦٠٠٠ ميل مربع أو ٢٠١ ٣٧٥ كم٢ .

السكان : سنة ١٤٠٠/ ١٤٠١هـ/ - ١٩٨٠/ ١٩٨١م يقدر بـ ٦٦٣٠٠٠ر٦ نسمة وعدد المسلمين فيها ٤٦٤٢٠٠٠ر٤ نسمة النسبة ٨٢٪ والمسيحيون ٦ ٪

---

(١) موسوعة التاريخ الاسلامي المصدر السابق ٦/ ٥٠١ .

الحكم : صوتت مستعمرة السنغال الفرنسية في استفتاء عام ١٩٥٨م الى جانب البقاء ضمن الاتحاد الفرنسي ودخلت عام ١٩٥٩م في اتحاد فيدرالي مع السودان الفرنسي لتكوين دولة مالي .

وحصلت مالي على الاستقلال عام ١٩٦٠م ولكن الاتحاد تحطم وانفصلت الدولتان في العام نفسه فبقي اسم مالي يطلق على السودان الفرنسي فقط دون السنغال . (١)

الرئيس : كان (ليبول سيده سنغور المسيحي) رئيسا على هذه الدولة المسلمة ثم استقال لأسباب قاهرة من قبل المسلمين فصار (أحمد جوبو) المسلم خلفا له الى اليوم وقد أعيد انتخابه مرة أخرى لفترة رئاسية أخرى . (٢)

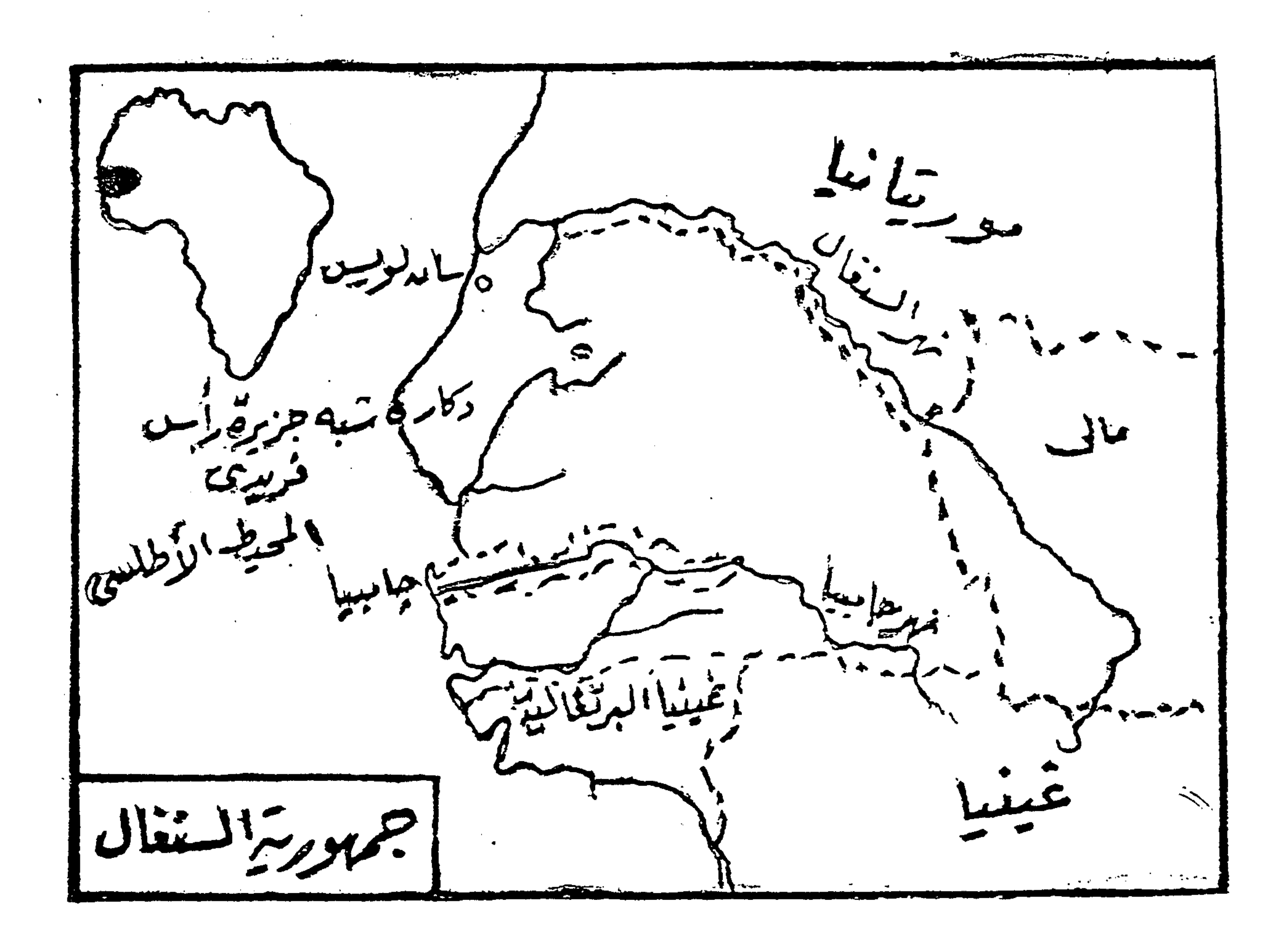
المساجد والمدارس : و تنتشر المساجد في جميع أنحاء السنغال خاصة العاصمة التي يوجد فيها مسجد الداعية الكبير الحاج مالك سي ومدينة طوبا التي توجد فيها مسجد الشيخ أحمد بامبا رحمه الله تعالى .

وأما المدارس فحدث عنها ولا حرج فانها منتشرة في جميع أنحاء الدولة .. بل حتى الان لم يزل طلاب يتعلمون على الطريقة التقليدية القديمة ويفضلونها على الطريقة الحديثة وخاصة في مدينة طوبا . (٣)

---

(١) افريقيا في عصر التحول الاجتماعي المصدر السابق ص ٣٩٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٩٤ .
(٣) مستفاد من البحث الميداني في السنغال .

السنغال


موريتانيا
السنغال
سانت لويس
دكار
شبه جزيرة رأس فرديري
المحيط الأطلسي
مالي
جامبيا
نهر جامبيا
غينيا البرتغالية
غينيا
جمهورية السنغال

ثالثا - جمهورية مالي الاسلامية :

الموقع : تقع في قلب افريقيا الغربية الفرنسية بين غينيا وساحل العاج جنوبا والنيجر شرقا ومقاطعات الجزائر الجنوبية شمالا وموريتانيا والسنغال غربا.. (١)

المساحة : وتقدر مساحة مالي بنحو ٨٠٠ر٢٩٢ر١ كم٢

السكان : ويبلغ سكانها سنة ١٤٠٠/١٤٠١هـ/ - ١٩٨٠/١٩٨١م ٠٠٠ر٦٦٣ر٦ نسمة ويبلغ عدد المسلمين فيها ٠٠٠ر٤٢٠ر٤ نسمة والنسبة ٦٦٪ (٢)

وبهذا تعد مالي من الدول الاسلامية.

الحكم : تحولت مالي من مستعمرة فرنسية الى عضو في الاتحاد الفرنسي عام ١٩٥٨م ثم استقلت عام ١٩٦٠م بعدما انفصلت عن السنغال في اتحاد مالي الذى تحطم في العام نفسه . (٣)

الرئيس : (موديبوكيتا) ولكن أطيح به على أثر انقلاب عسكرى قام به كولونال موسى تراورى ولم يزل - حتى الان - على رئاسة الجمهورية. (٢)

المساجد والمدارس : توجد بها عدة مدارس أثرية منها مسجد سنكورية في تمبكتو الذى بني منذ القرن الثالث عشر الميلادى كما يوجد فيها مساجد بنيت على الطراز الحديث منها المسجد الكبيـــر

---

(١) المسلمون في العالم المصدر السابق ص ٨٢ - ٨٣.

(٢) الأقليات المسلمة ص ٣٣٥.

(٣) افريقيا في عصر التحول الاجتماعي ص ٣٩٤.

الذى بني في العاصمة (دكار) على نفقة المملكة العربية السعودية بتوجيهات الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وأما المدارس فهي موجودة في جميع أنحاء هذه الدولة ومن أشهرها مدرسة الشيخ المربي سعد اتورى بمدينة سيغو ومدرسة الاستاذ (بكرجام بالمدينة نفسها ومدرسة نهر جيليبا ومدرسة باباسيس ومدرسة الاستاذ شيخنا الحاج باتابارى رحمه الله تعالى وهناك مدارس كثيرة لا تعد جزى الله القائمين عليها خير الجزاء. (١)

التحديات : تبرز تحديات أمام المسلمين في مالي منها البعثات التنصيرية التي انتهزت فرصة الجفاف في مالي للقيام بنشر عقيدتهم ..

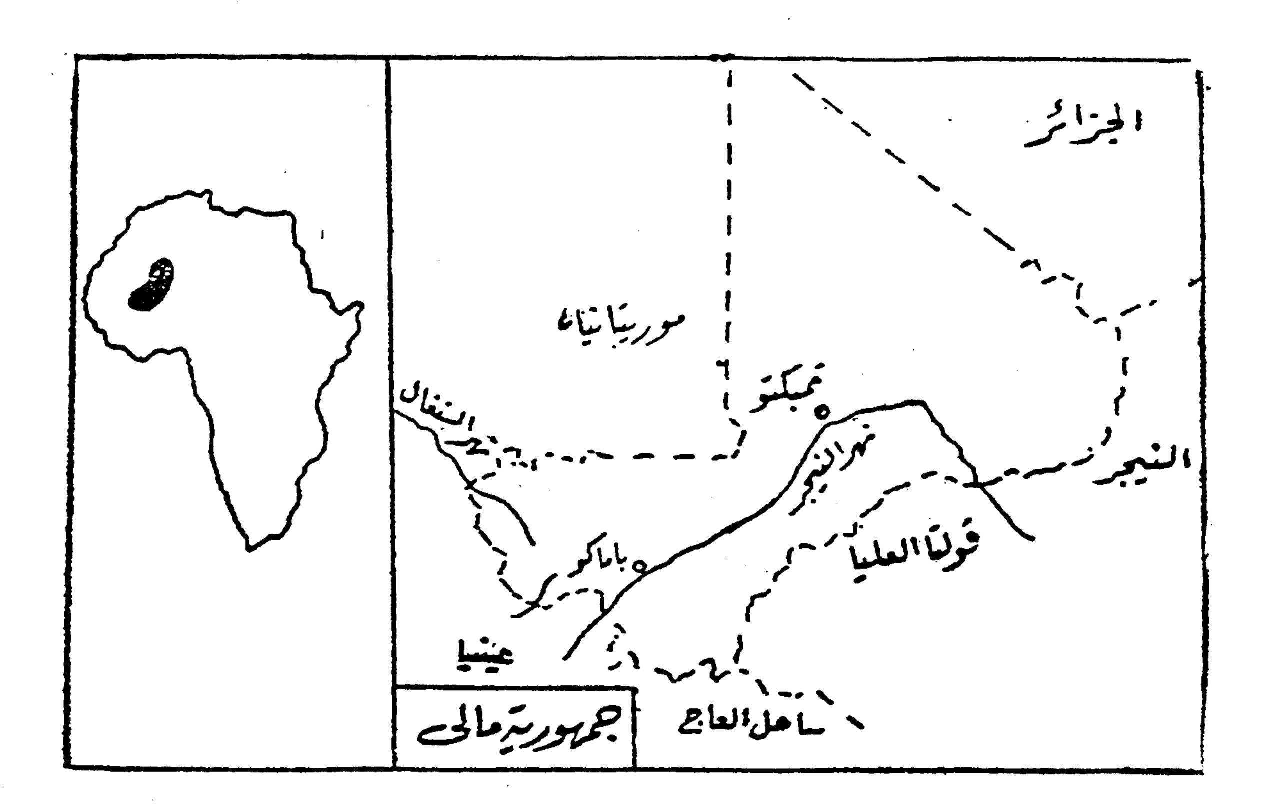
وقد قام بعض هذه البعثات التنصيرية بزراعة في الأماكن البعيدة ثم توزع المحصول على السكان مجانا .. وهناك تيارات فكرية بدأت تغزو كما بدأت في غيرها من الدول الأفريقية .. ولكن وعي المسلمين هناك وخاصة الشباب سيحول دون تحقيق هذه الأهداف الاستعمارية ان شاء الله تعالى. (٢)

---

(١) افريقيا في عصر التحول الاجتماعي ص ٣٩٤.

(٢) مستفاد من البحث الميداني .


مالى


الجزائر
موريتانيا
تمبكتو
السنغال
نهر النيجر
النيجر
فولتا العليا
باماكو
غينيا
ساحل العاج
جمهورية مالى

رابعا - جمهورية النيجر المسلمة :

الموقع : تقع هذه البلاد بين السودان الفرنسي (مالي) وداهومي غربا ونيجيريا جنوبا ومنطقة تشاد شرقا وليبيا والجزائر شمالا .(١)

السكان : سنة ١٤٠٠/١٤٠١هـ - ١٩٨٠/١٩٨١م يقدر بـ ٥٫٣٥٤٫٠٠٠ نسمة وعدد المسلمين ٤٫٥٥٠٫٦٠٠ نسمة والنسبة ٨٥ ٪ بهذا يعتبر النيجر دولة مسلمة.(٢)

المساحة : وتقدر مساحتها ٢٫٢٨٢٫٠٠٠ كم٢

اللغات : الفرنسية ولهجات سودانية مثل لهجة جيرمة والغولة والطوارق .

أهم الطوائف الدينية في النيجر :

١- القادرية وينتشرون بين أجادير وزيندر .

٢- التيجانية في نيامي وطاهوة وجورية وغيرها .

الديانات : مسلمون ووثنيون ومسيحيون .(٣)

---

(١) المسلمون في العالم . المصدر السابق ص ٧٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٨ .

المساجد والمدارس : وتنتشر المساجد في جميع أنحاء البلاد فلله الشكر والمنـة .

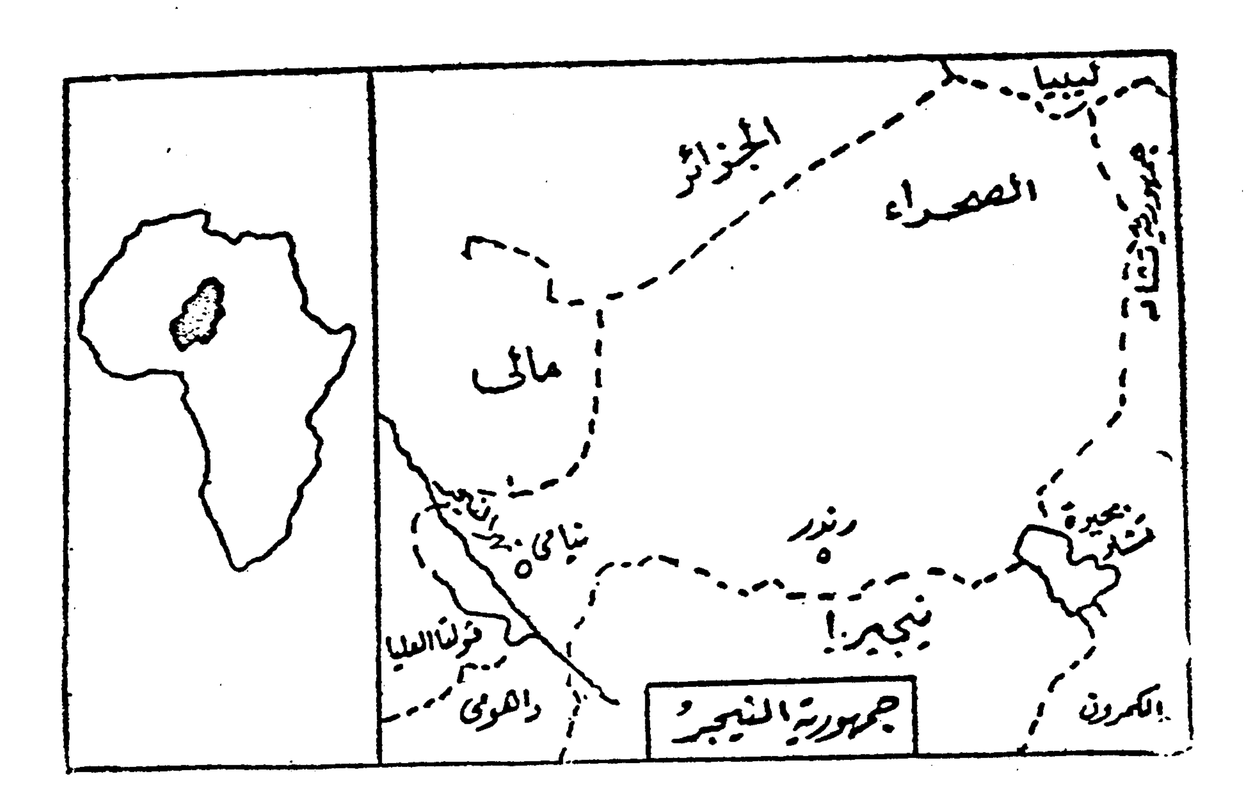
و تنتشر المدارس الاسلامية الصغيرة لتعليم أصول الدين ولكن من سعد النيجر أن اتفق أعضاء المؤتمر الاسلامي على بناء جامعة اسلامية فيها وقد تم افتتاحها سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م فكان ذلك صفحة جديدة في غربي افريقيا نسأل الله تعالـى أن يجزى القائمين بذلك.

الحكم : استقلت مستعمرة النيجر الفرنسية سنة ١٩٦٠م وكان رئيسها (هاماني ديورى) تم في ١٥/ ابريل / ١٩٧٤م وقع انقلاب بقيادة سنى كونتسى وتولى رياسة الدولة ثم مات أخيرا فتولاها [(١)] ( ) وهو الرئيس الحالي في هـــذه الأيام.

---

(١) المسلمون في العالم . المصدر السابق ص ٧٦.


النيجر


ليبيا
الجزائر
الصحراء
مالى
زندر
نيامى
فولتا العليا
داهومى
الكمرون
بحيرة تشاد
جمهورية النيجر

خامسا- جمهورية غينيا المسلمة :

الموقع : تطل غينيا على المحيط الأطلسي وتقع بين غينيا البرتغالية والسنغال شمالا والسودان (مالي) الشمال الشرقي وساحل العاج شرقا وليبيريا وسيراليون جنوبا . (١)

المساحة : ٢٧٥٠٠٠ كم٢

السكان : في سنة ١٤٠٠/١٤٠١هـ - ١٩٨٠/١٩٨١م يقدر ب ٥،٠١٤،٠٠٠ نسمة وعدد المسلمين ٥،٠٩٨٠٠ مسلما والنسبة ٧٠ ٪ وبهذا تعد غينيا دولة مسلمة. (٢)

المدن الرئيسية : كوناكرى العاصمة ٤١٢،٠٠٠ ،كانكان ٢٥،٠٠٠ ، كنديا ٢٥٠٠٠

الجماعات العرقية : ماندى وصوصو ٤٨ ٪ فولاني ٢٩ ٪

الحكم : استقلت غينيا عن الاستعمار الفرنسي عام ١٩٥٨م بعد أن جاءت نتيجة الاقتراع رفض شعب غينيا الانضمام الى الاتحاد الفرنسي وقالوا : " لا للمواطنة الفرنسية ولا للفرنك الفرنسي " فاستقلت غينيا وحدها من بين المستعمرات الثمانية .. وهكذا نال الشعب الغيني تحت قيادة الرئيس أحمد سيكوتورى البطل ان ذلك لذكر لا تنساه ذاكرة الشعوب الافريقية أبدا.

---

(١)

(٢)

الرئيس : أحمد سيكوتورى . تولى رئاسة الوزراء عام ١٩٥٨م
ثم رئيسا للجمهورية ١٩٦١م ومات سنة ١٩٨٤م فخلفه على
الرئاسة ( ) الذى مات أيضا لمدة
قصيرة فخلفه ( ) ولم يزل
هو حتى الان رئيسا للجمهورية .

اللغات : المالنيكي وصوصو - فلاني .

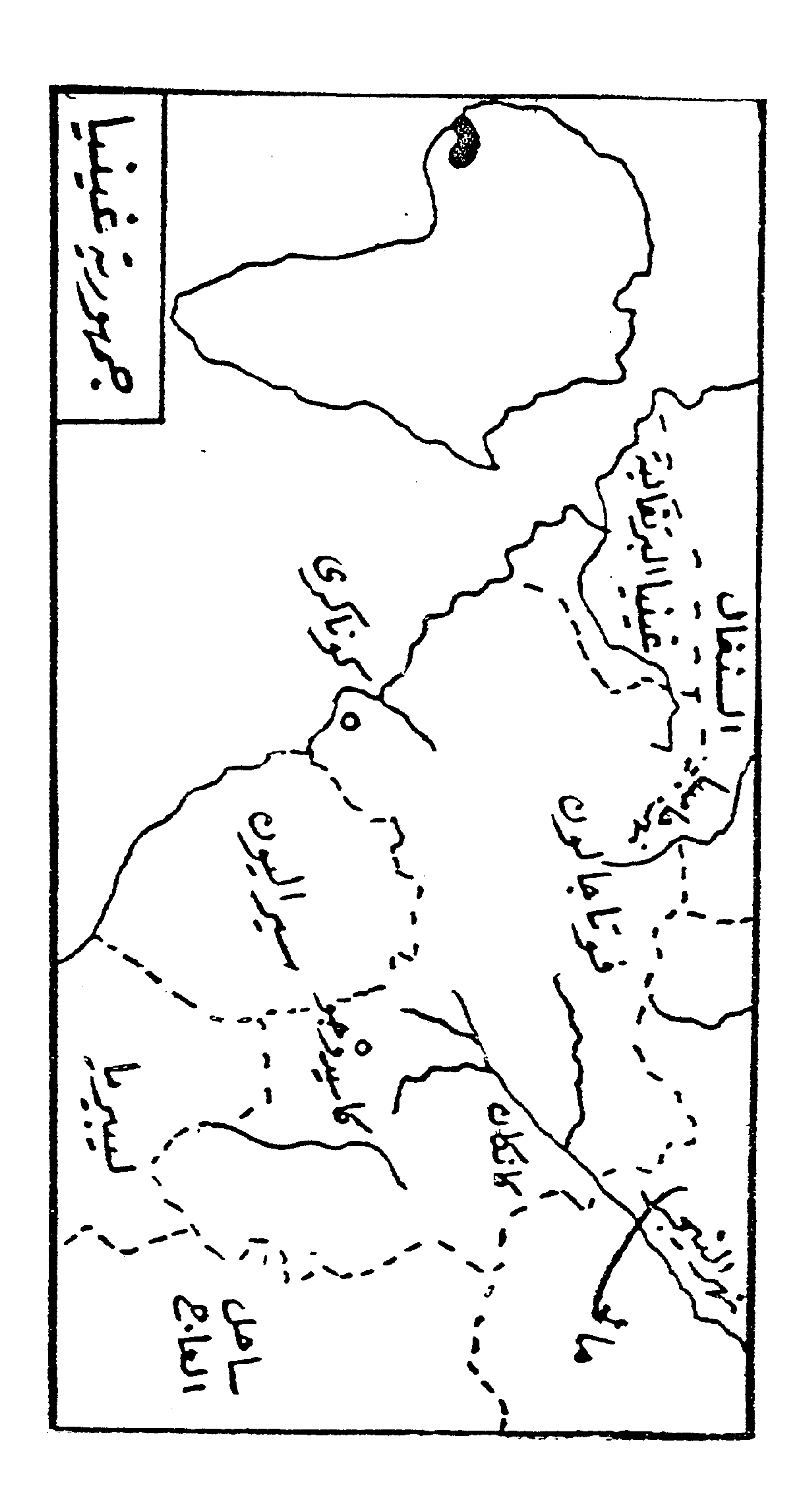
الديانات : الأغلبية الساحقة مسلمون وفيه بعض المسيحيين والوثنيين.

المساجد : يذكر أن في غينيا ما يقرب من ألف مسجد معظمها مقام
على الأسلوب المحلي الا أن الملك فيصل المغفور له قد بنى
مسجدا كبيرا في غينيا ومات قبل أن يفتتح فتولى حضور الافتتاح
ولده الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية بالمملكة العربية
السعودية وهو من أجمل مساجد افريقيا الغربية.

المدارس : وحتى الان ان غينيا تعاني نقصا كبيرا في المدارس العربية
ورغم ذلك توجد هناك بعض المدارس لتعليم الدين الاسلامي
ونرجو من الله تعالى أن يعيننا على ذلك وهو بالاجابة جدير .
وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين والحمد لله
رب العالمين .

----

(١)


جمهورية غينيا
السنغال
غينيا البرتغالية
فوتا جالون
نهر النيجر
مالي
كانكان
كوناكري
كاسيدوجو
سيراليون
ليبيريا
ساحل العاج

سادسا - المسلمون في ساحل العاج :

الموقع : انها احدى دول ساحل غينيا بغربي افريقيا تحدها غانا من الشرق وغينيا وليبيريا من الغرب ومالي وفلتا العليا من الشمال . وتشرف من الجنوب على خليج غينيا والمحيط الاطلنطي وتنحصر أرضها بين دائرتي عرض ٥ - ١٠ شمال خط الاستواء .

المساحة : وتبلغ مساحتها ٤٦٢ر٣٢٢ كم٢

السكان : في سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٩م ٠٠٠ر٩٢٠ر٧ نسمة .

المدن الرئيسية : أبيدجان العاصمة التجارية وياموسوكورو العاصمة الادارية .

التسمية : تعوذ تسميتها الى أن التجار الاستعماريين الفرنسيين كانوا يشترون من السكان أنياب الفيلة على سواحلها فأخذت اسمها من تجار العاج الأوربيين فسموها (Cote D'Ivoire) ومعناها (ساحل العاج) .

الأديان : فيها مسيحيون ١٢٪ ووثنيون ٢٥٪ ومسلمون ٦٥ ٪ حسب المصادر الاسلامية وبهذا يقدر عددهم بحوالي ٠٠٠ر٩٦٠ر٣ نسمة بينما تشير المصادر الأوربية الى أنهم ربع السكان والمرجح أنهم أكثر من نصف السكان وقد خضعت ساحل العاج للاستعمار الفرنسي في النصف الأول من القرن الماضي واستقلت في سنة ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ . (١)

---

(١) راجع الأقليات المسلمة المصدر السابق ص ٣٠١ .

اللغات : الفرنسية وهي اللغة الرسمية في البلاد الا أن العربية أصبحت تغزو اللغة الفرنسية وذلك بفضل جهود العلماء الذين فتحوا مدارس عربية في عدة نواح من البلاد .. وقد وصلت بعض المدارس على مستوى المرحلة الثانوية مثل مدرسة دار الحديث في مدينة (بواكي) .

الحكم : قد صوتت ساحل العاج في استفتاء سنة ١٩٥٨م لجانب البقاء في الاتحاد الفرنسي ثم استقلت عام ١٩٦٠م

الرئيس : هو فلكس هوفيت بواني ولم يزل كذلك الى يومنا هذا وقد مضت ٢٩ سنة على فترة رئاسته .

الوضع الراهن : ويشكل المسلمون -كما قلنا حاليا أكثر من نصف السكان كما تشير المصادر الاسلامية بينما تحاول المصادر الغربية التقليل من حصة الاسلام فقدرها بنسبة ٢٥ ٪ ويتكون المسلمون من جماعات الماندنكا ومن المالنكي والديولا والبمبارا ومن الموشى والسنوفو والفولاني واعداد قليلة من الهوسة والولوف والسنغى والبربر والعرب وغالبية المسلمين بساحل العاج من الماندنج أو (ماندى جولا) يليهم الموشى والسنوفو .

المساجد : وتنتشر المساجد في جميع أنحاء البلاد وقد بنى رئيس الدولة رغم كونه مسيحيا عدة مساجد للمسلمين وفي مقدمتها المسجد الذى بناه في (ياموسوكورو) والذى بناه في أبيد جان وغير ذلك .

المدارس : وتدرس اللغة العربية هناك بشكل تسر به القلوب .(٢)

---

(١) افريقيا في عصر التحول الاجتماعي المصدر السابق ص ٣٧٢ .

(٢) مستفاد من البحث الميداني .

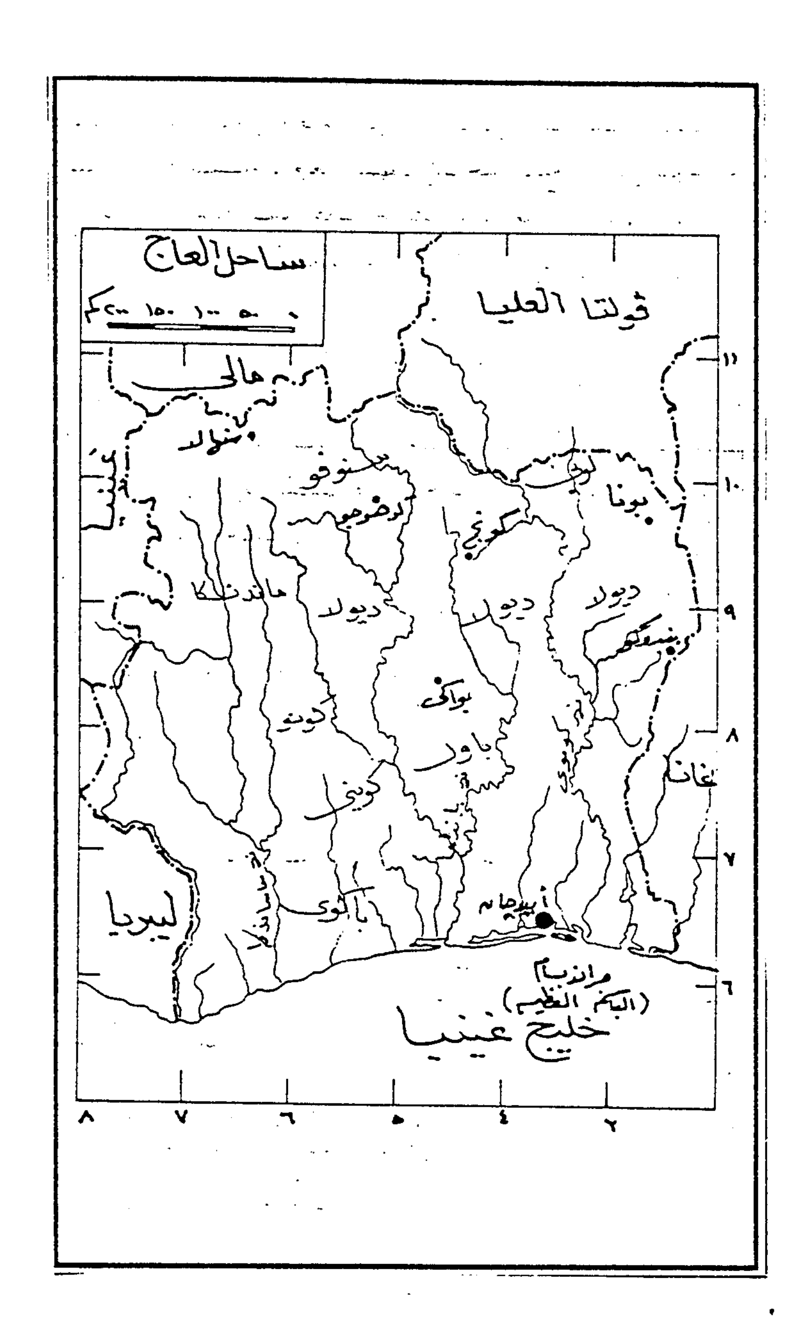
وقد وصل التعليم الاسلامي في بعض المدارس الى مستوى المرحلة الثانوية مثل مدرسة دار الحديث التي أسسها المجاهد الكبير الحاج موري موسى بمدينة (بواكي) ولكن هذه المدارس على كثرتها أقيمت بجهود ذاتية . وتدرس فيها جل العلوم العصرية اضافة الى العلوم الدينية وبالمقابل تنتشر المدارس التنصيرية ذات الامكانيات الممتازة وتركز على التعليم المهنى لكي تجتذب أبناء البلاد اليها والمدارس الاسلامية في حاجة الى تطوير امكانياتها ، وفي حاجة الى المدرسين المؤهلين . وقد زرت أغلبها خلال البحث الميداني وكان شكواهم جميعا ما ذكرناه آنفا .

التحديات : تبرز تحديات أمام المسلمين بساحل العاج منها نفوذ اصرائيل . ففي سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م قام سبعة ضباط اسرائليين بتدريب مرشدين على انشاء مستعمرات زراعية في أدغال ساحل العاج وفي سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م أسس ضابط اسرائيلي مدرب عسكريا في ساحل العاج وقام بتدريب فرقة من المجندات .

ومن التحديات البعثات التنصيرية التي تسيطر على قطاع التعليم المهنى فيجب على القائمين بشئون الدعوة والتعليم أن يفكروا في ذلك ويؤسسوا في مدارسهم قسما للتعليم المهنى أيضا . (١)

---

(١) الأقليات المسلمة المصدر السابق ص ٣٠١ وراجع مأساتنا في افريقيا ، عماد الدين خليل ص ٥٧ .


ساحل العاج
٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠كم
ڤولتا العليا
مالي
بونا
ديولا
ديولا
بواكي
باولى
كويني
ماندنكا
أبيدجان
مرانز بسام
(البحر العظيم)
خليج غينيا
ليبريا
غانا
١١
١٠
٩
٨
٧
٦
٨
٧
٦
٥
٤
٢

سابعا - المسلمون في داهومي (بنين) :

الموقع : انها احدى الجمهوريات الصغرى في غربي افريقيا كانت تسمى الى عهد قريب داهومي تغير اسمها الى بنين وقد واجهت هذه الدولة تكالبا استعماريا شرسا في النصف الثاني من القرن الماضي انتهى باحتلال فرنسا لها في سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م.(١)

وتقع بين دائرتي عرض ٦ - ١٣ درجة شمالي الاستواء وتقع نيجيريا في شرقها وتوجو في غربها وخليج بنين في جنوبها وفلتا العليا والنيجر في شمالها.

المساحة : تبلغ مساحة بنين أو داهومي ١١٢٦٢٢ر١١٣كم٢.

وأرضها على شكل مستطيل يمتد من الجنوب الى الشمال حوالي : ٦٥٠ كم وعرضه بين الشرق والغرب ١١٠ كم.

السكان : ووصل عدد سكانها سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م : ٠٠٠ر٥٦٧ر٣ نسمة.

المدن الرئيسية : (بورتونوفو) العاصمة وسكانها حوالي مائة ألف نسمة ويسود فيها عدة لهجات الا أن اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية والمسلمون فيها يقتربون من نصف السكان وتذكرهم المصادر الغربية بـ ١٦٪ وهذا لا يمثل واقع المسلمين في بنين والذى وصل الى ٤٥ ٪ وعددهم حوالي ١٠٠ر٥٥١ر١ نسمة.(١)

---

(١) الأقليات المسلمة ص ٣٢٩.

التاريخ : تم تغيير اسم الدولة من داهومي الى بنين في ٣٠/١١/١٩٧٥م بقرار من رئيس ماتيوكو (١٩٧٢م (وأعلن تشكيل تنظيم سياسي جديد باسم ثورة بنين الشعبية اعلانا عن ميلاد مجتمع جديد يؤمن بالماركسية اللينينية .

ثم استولت مجموعة من الضباط الشباب على السلطة في ديسمبر سنة ١٩٦٧م وعزلت (سوجولو) وفي ١٠/١٢/١٩٦٩م تولت السلطة لجنة ثلاثية وفي ٢٦/١٠/١٩٧٢م استولى كبريكو على السلطة .

الحكم : كانت داهومي مستعمرة فرنسية ثم اقترعت على الانضمام الى الاتحاد الفرنسي عام ١٩٥٨م وحصلت على الاستقلال عام ١٩٦٠م (١)

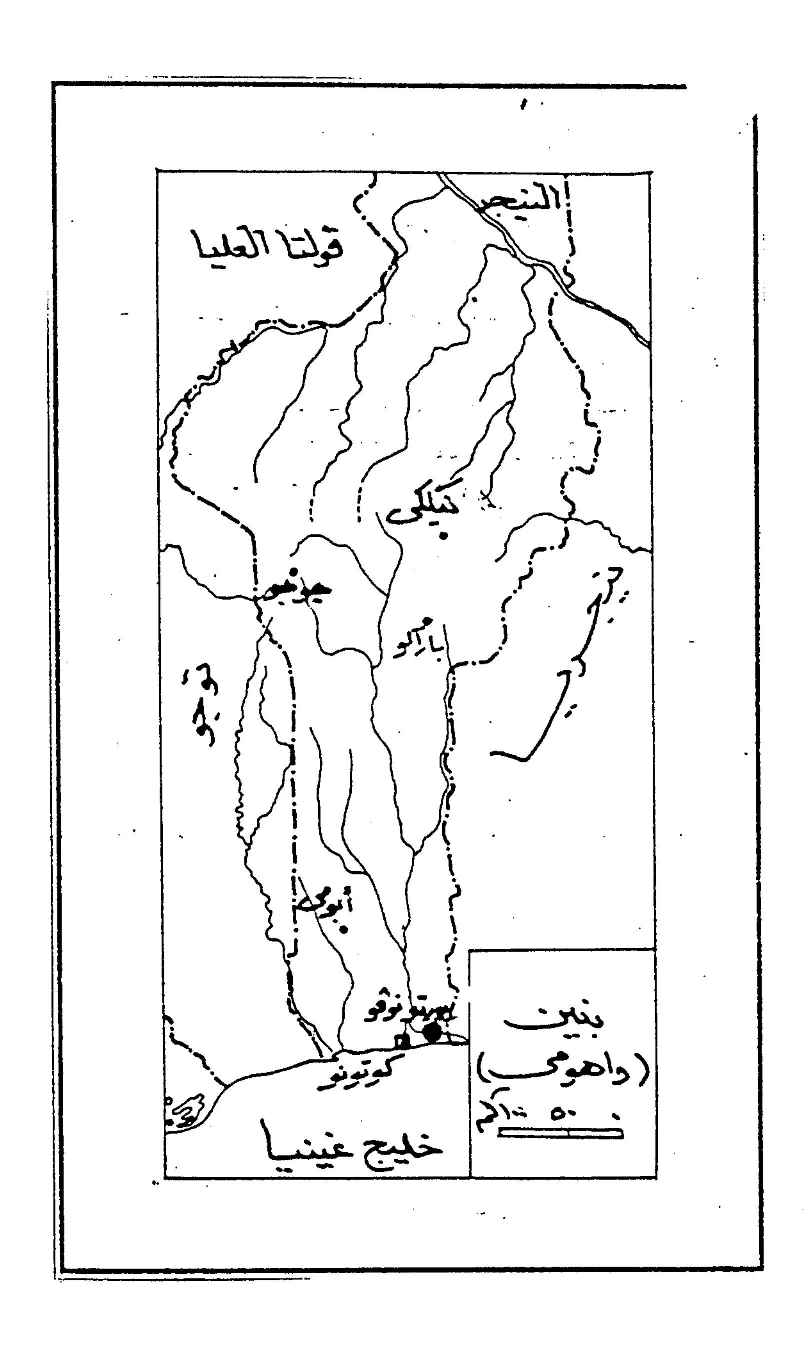
المساجد والمدارس : تنتشر المساجد في معظم قرى ومدن داهومي وتزيد في الشمال عنها في الجنوب ومن أهم المراكز الاسلامية مدينة (براكو) في الشرق من داهومي وكذلك جوجو ،دنوى نيكي ودمباجو ،ولوما .

التحديات : ومن التحديات جهود البعثات التنصيرية ونشاط اسرائيل في المساعدات الفنية والاقتصادية ويجب الاهتمام بتنمية الدعوة الاسلامية في هذه البلاد بالمساعدات المادية والتعليمية .وخاصة أن المدارس هناك تحتاج الى تطوير والعون لأنها مدارس هزيلة متخلفة المناهج .(٢)

---

(١) افريقيا في عصر التحول الاجتماعي المصدر السابق ص ٣٧١ .

(٢) الأقليات المسلمة ص ٣٣٤ .


فولتا العليا
النيجر
نيكلى
جوغو
باراكو
أبومى
بورتونوفو
كوتونو
خليج غينيا
بنين
(داهومى)
٥٠ ١٠٠كم

ثامنا : المسلمون في فلتا العليا (بوروكينا فاصو) :

الموقع : أطلق عليها هذا الاسم ذلك أنها تضم المنابع العليا لنهر فولتا كانت قسما من مملكة مالي الاسلامية التاريخية ثم خضعت لمملكة صنغى الاسلامية وبعدها تفككت المملكتين تكونت مملكة بفولتا هي مملكة (موروناما) واتخذت من مدينة (وجادوجو) عاصمة لها .

وخضعت للاستعمار الفرنسي أيام تقدمه في غربي أفريقيا عندما وقع مع مملكة فولتا معاهدة في سنة ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م وضمت لمستعمرة السنغال العليا ثم اصبحت مستعمرة منفردة في سنة ١٣٣٥هـ وعرفت بفولتا العليا . وعندما قام المسلمون في فولتا العليا بمحاولات لتيل استقلالهم ،فتت الاستعمار أرضهم فوزعت على ساحل العاج ومالي والنيجر . وفي سنة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م استعادت فولتا العليا وحدة أرضها في مستعمرة واحدة ثم نالت استقلالها في سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

المساحة : وتبلغ مساحة فولتا العليا ٢٧٤٫٢٠٠ كم ٢

السكان : يقدر سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م : ٦٫٩٠٨٫٠٠٠ نسمة .

العاصمة : وجادوجو وتقع في وسط البلاد وتنحصر فولتا بين دائرتي عرض ٩ - ١٥ شمالا .

الأديان : مسلمون . وتشير المصادر الاسلامية الى أن حصة الاسلام أكثر من ٦٠ ٪ من جملة سكان فولتا العليا . فالمسلمون في (بوروكينافاصو) - اذن - أغلبية لا أقلية ويصل عددهم قرابة ٤٫١٤٤٫٨٠٠ نسمة .

اللغات : الفرنسية لغة البلاد ولقد بدأت اللغة العربية بفضل جهود العلماء تدرس أخيرا كلغة ثانية في فولتا العليا .

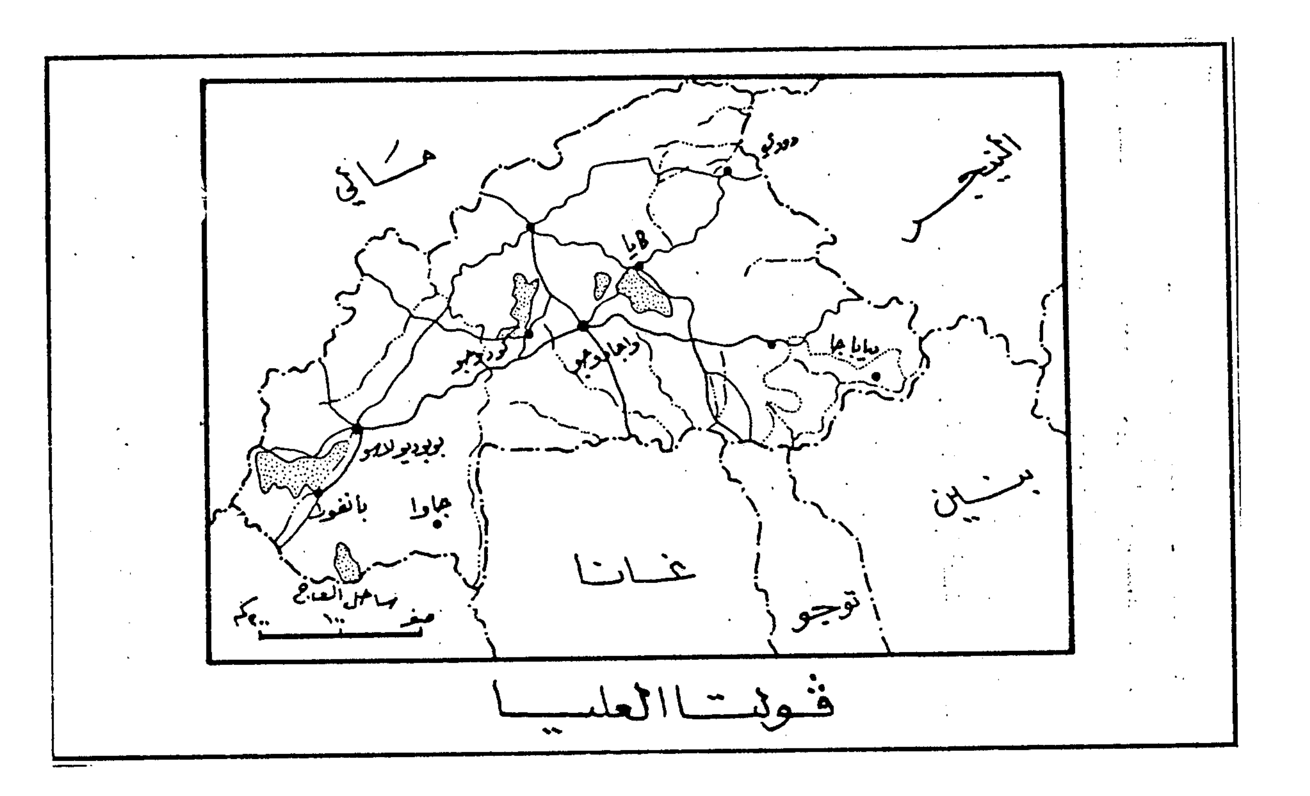
الحكم : تحولت فولتا العليا من مستعمرة فرنسية الى عضو في الاتحاد الفرنسي عام ١٩٥٨ م ثم استقلت عام ١٩٦٠ م وكان رئيسها عام ١٩٦٠ م (موريس ياميوجو) من قبيلة الموشى ثم استقال من منصبه كحكومة عسكرية يقودها (لاميزانا) في ديسمبر ١٩٦٥ م وأخيرا قام انقلاب عسكرى ضده فصار ساكورى رئيسها الذى أغتيل أيضا في سنة ١٩٨٨ م. والرئيس الحالي هو بلازكوباورى .

الوضع الراهن : المسلمون الان الأغلبية بجمهورية فولتا العليا لا أقلية كما تصفهم المصادر الغربية. وتنتشر المساجد والمدارس - الاسلامية في مدينة وجادوجو (العاصمة). وهي تحتاج الى تطوير المدارس الاسلامية وعدد المسلمين حوالي : ٨٠٠ ر ٤٤١ ر ٤ نسمة أى حوالي ٦٠ ٪ من مجموع السكان .

التحديات : ومن أبرز التحديات ما تقوم به البعثات التنصيرية وقد نجحت البعثات الى حد ما في بلاد لم تكن تعرف المسيحية قبل احتلالها ونجحت في استقطاب الطبقة المثقفة من خريجي مدارسها ومعاهدها فهناك حوالي نصف مليون مسيحي . ولقد زادت نسبة المسلمين بعد الاستقلال حيث شهدت الفترة الماضية تحولا جماعيا نحو الاسلام وقضت هذه الحركة في مدة ٢٠ عاما على ما بناه الاستعمار في قرن. (١)

---

(١) الأقليات المسلمة ص ٣٣٤ . وراجع أيضا افريقيا في عصر التحول الاجتماعي ، لويد ص ٣٩٤ .



فولتا العليا

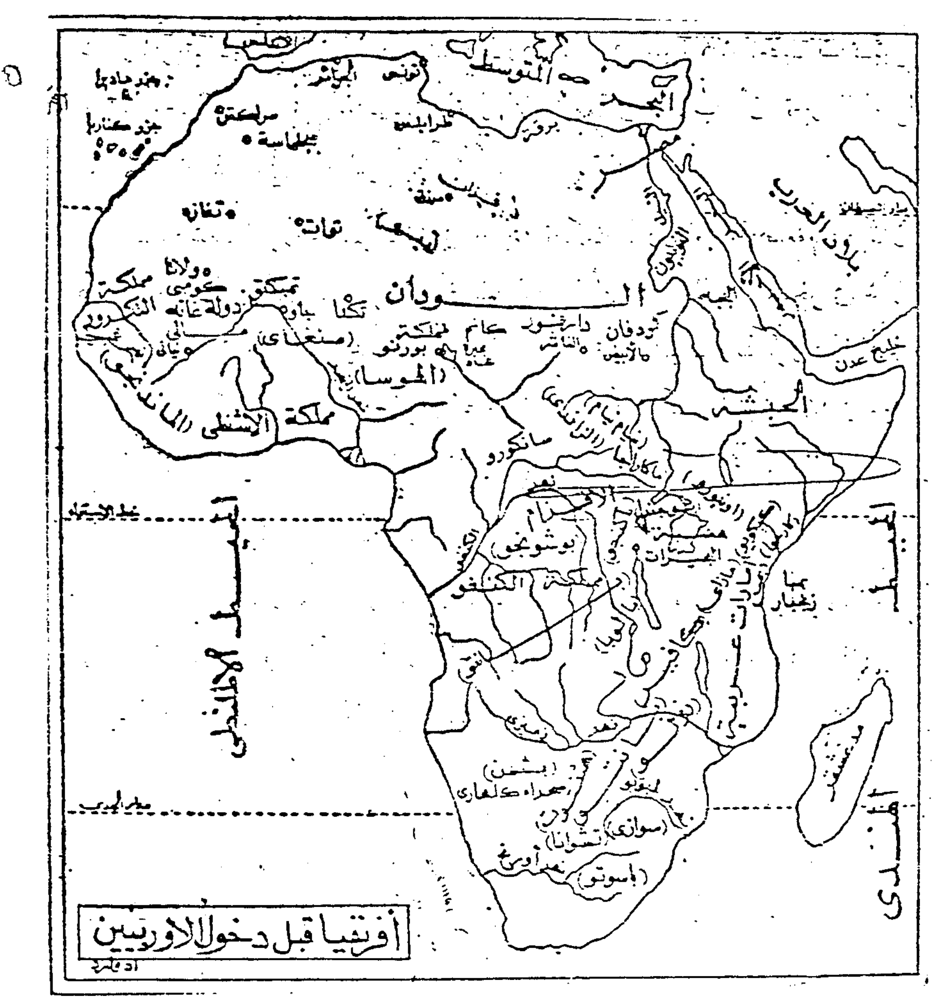
وهكذا رأينا أن هذا القطاع من القارة الافريقية نطاق أغلبية مسلمة ، ذلك أن حصة المسلمين في العديد من دوله تصل الى قرابة نصف السكان أو قد تتجاوز هذا القدر في بعض دوله وفي البعض الآخر يشكل المسلمون أقلية - حسب رأى الغربيين - ولكن لها شأن مثل ساحل العاج وبنين وفلتا العليا .

وتشير المصادر الغربية دائما الى أن المسلمين بدول غربي أفريقيا على أنهم أقلية . وأقلية ليس لها أثرها الفعال في حجم السكان .. ومعلوماتها مستمدة من البعثات التبشيرية المتعصبة . وهذه تتعمد تقليص حصة المسلمين لتجعل منهم جماعات لا شأن لها في تسيير دفة الأمور بالبلاد . وتبالغ في حصة المسيحيين . ولكن هذا التقرير جاء ليفند هذه الدعاوى الفارغة ويثبت أن المسلمين هم الأغلبية في جميع دول غربي أفريقيا (الفرنسية) .

والحمد لله أولا وآخرا .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الملحق الثاني

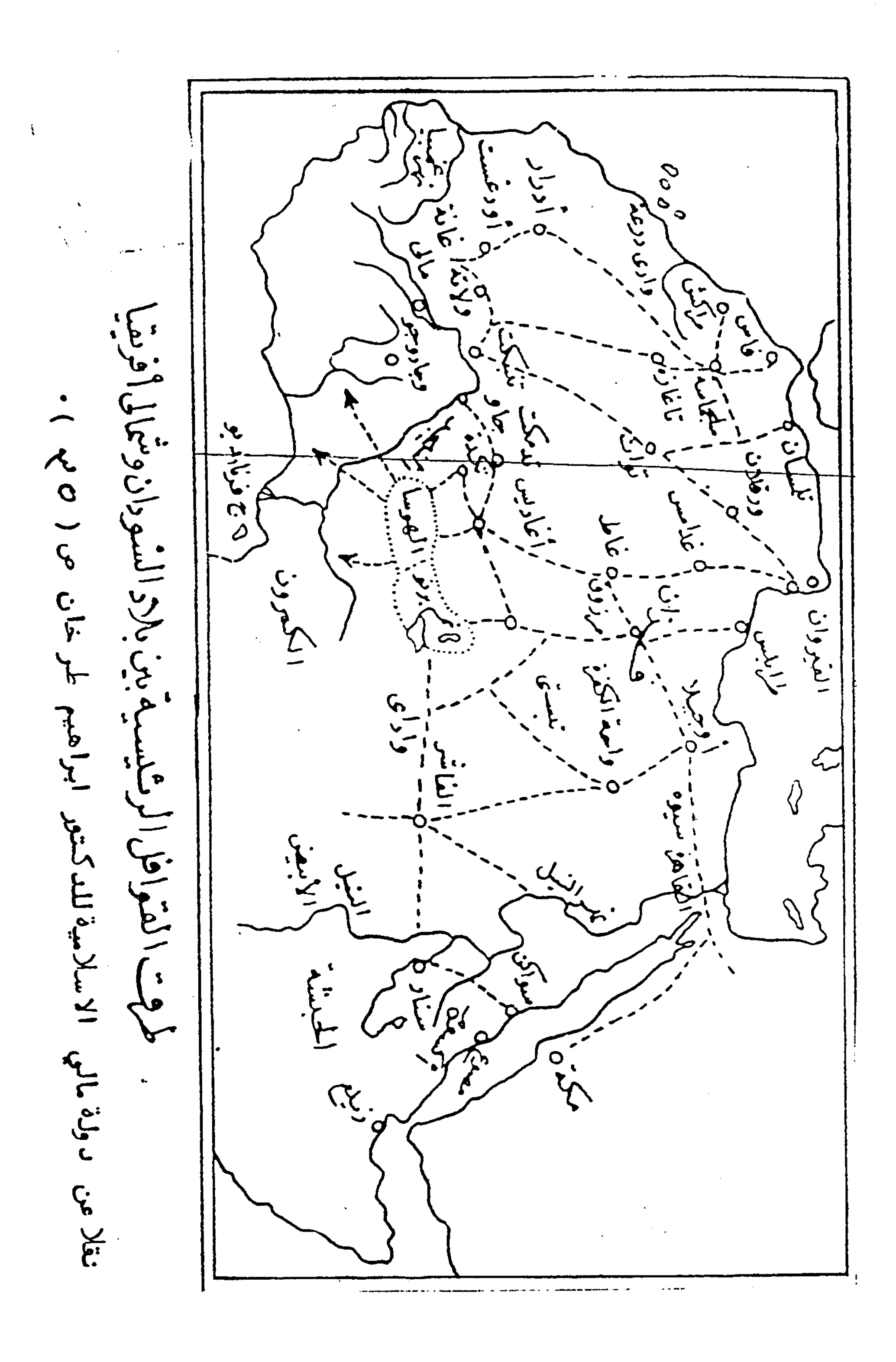


نقلا عن كتاب تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها تأليف د/ شوقي الجمال .

.هذه خريطة أفريقيا قبل الاحتلال الأوربي وتتضح فيها دول غرب أفريقيا في ناحية الغرب وهي (مملكة غانة) (ومملكة مالي) (ومملكة التكرور) (ومملكة صنغاى) (و مملكة صوصو) ثم مملكة (الاشنطي) - وهي غانة الحالية ولم تكن محتلة من فرنسا .

وهكذا كانت معالم هذه المنطقة قبل أن تطؤها قدم أوربية .

الملحق الثالث



طرق القوافل الرئيسية بين بلاد السودان وشمالى أفريقيا

نقلا عن دولة مالي الاسلامية للدكتور ابراهيم طرخان ص (٥٣) .

الملحق الرابع

أطلال مملكة أودغست التي تعد بحق أول مدينة سودانية نشر فيها الاسلام عقبة بن النافع وقد اكتشفت أطلالها أخيرا.

7 / LE ROYAUME D'AOUDAGHOST ET L EN ÉGYPTE

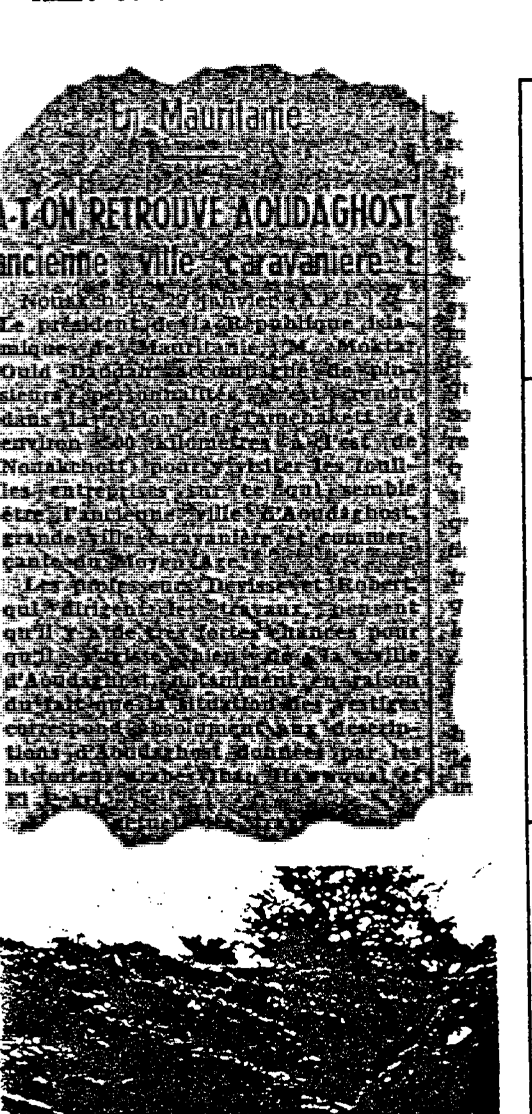
mois de marche » pour le parcourir d'un bout à l'autre [c]. Le roi disposait d'une puissante armée et lançait souvent des opérations militaires, pour lever le tribut sur les populations lointaines [d].

Très riche en raison du passage des caravanes, la ville d'Aoudaghost comptait une population importante. Elle était entourée de jardins de dattiers et les paysans cultivaient le blé sous les palmiers, sur terres irriguées [e]. Le marché était un lieu d'échanges important. On payait les achats en poudre d'or. On vendait du blé ou des fruits venus du Nord, des objets en cuivre, des grands manteaux en laine colorée. On achetait l'or raffiné, qui se présentait sous la forme de fils tordus, et l'ambre gris. La ville comptait beaucoup de maisons construites en pierre, très solides. Elle logeait environ 6 000 habitants, chiffre considérable pour le désert.

Les Berbères ne dominèrent pas Aoudaghost après le 11e siècle : à cette époque, la ville fut conquise et occupée par le roi noir de Ghana.

2. La constitution du Ghana.

Dans la zone sahélienne en contact avec les centres caravaniers du désert, et non loin des mines d'or d'Afrique



En Mauritanie

A-T-ON RETROUVE AOUDAGHOST ancienne ville caravanière ?

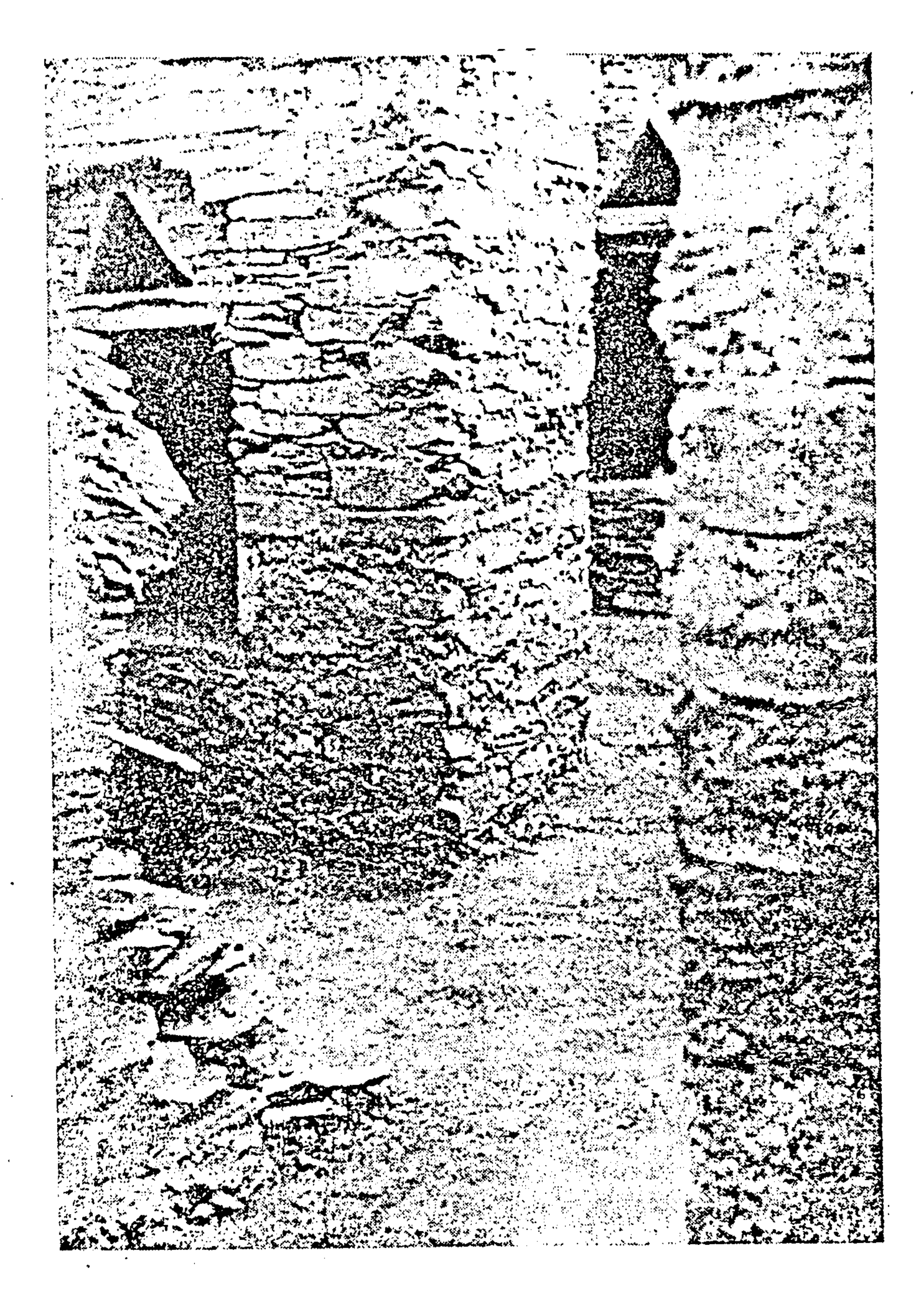
[c] **Le roi berbère d'Aoudaghost ne résidait sans doute pas en permanence dans la ville. Il se déplaçait constamment dans son royaume, levant tribut, contrôlant les caravanes, réduisant les oppositions. Il protégeait aussi les caravanes, assurant la sécurité des parcours, éloignant les pillards et les tribus nomades qui ne reconnaissaient pas son autorité.**

[d] *On connaît, grâce aux écrits d'un voyageur arabe, le nom d'un prince berbère d'Aoudaghost. En 961 régnait* **Tin Yéroutan.** *Il disposait d'une armée très mobile, montée sur des dromadaires, qui lui permettait d'intervenir rapidement contre ses ennemis. C'est ainsi qu'il envahit le royaume d'un rival nommé Aougham. Celui-ci, voyant les Berbères piller et incendier sa capitale, abandonna son bouclier et ses armes, descendit de sa monture, et se laissa-tuer par les soldats de Tin Yéroutan. Ses femmes, en voyant ce spectacle, se suicidèrent en se jetant dans des puits.*

[e] **Les paysans d'Aoudaghost utilisaient l'eau au maximum. Ils cultivaient le blé à la bêche et l'arrosaient à la main ! Seuls les princes et les riches marchands pouvaient manger du pain, tant le blé était rare. Mais il y avait des figuiers, des courges et des melons, de la vigne, du miel. Il y avait aussi des troupeaux de moutons et même de bœufs. On avait creusé partout des puits pour avoir de l'eau.**

الملحق الخامس

غانة تكتشف أطلالها أخيـــــرا



٨ ـ ربما كان هذا هو موقع غانة القديمة ، وهذه صورة بيت كشف عنه التنقيب، في كومبي صالح ، المدينة الاسلاميـــة

الملحق السادس



اللوحة الثالثة :

شاهد قبر لسيدة مكتوب باللغة العربية ، عثر علية فى أطلال مدينة كومبى صالح عاصمة إمبراطورية غانه الإسلامية .

والعبارة المكتوبة :

اللهم ارحم

فاطمة انطا [هرة]

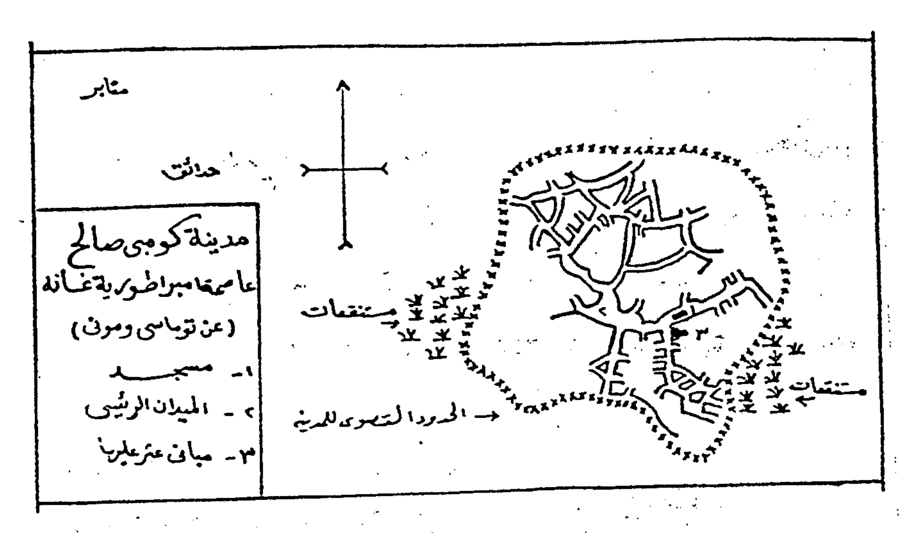
... بنت سيد

نا محمد ابن

سيد موسى

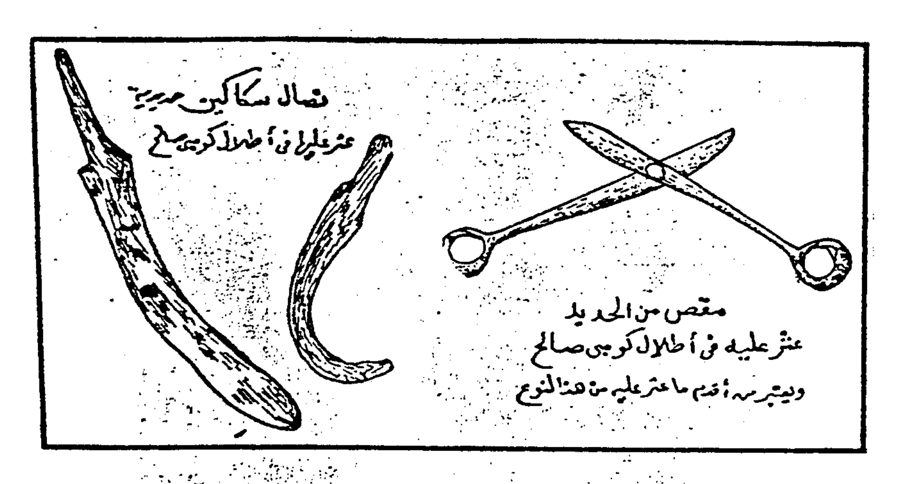
نقلا عن كتاب افريقيا تحت أضواء جديدة تأليف بازل دافيدسن .

الملحق السابع



اللوحة الأولى : مدينة كومبى صالح

عاصمة إمبراطورية غانة



اللوحة الثانية : بعض آثار مدينة كومبى صالح

عاصمة إمبراطورية غانة

مقص من الحديد – نصال سكاكين

الملحق الثامن



١٠ ـ قناع ذهبي كان يستعمله ملوك الاشانتي

عن بازل دافيدسن ، افريقيا تحت أضواء جديدة في القرن السادس عشر الميلادى

الملحق التاسع



١١ ـ داهومي ـ تمثال قيل انه صنع لحقو اله الحديد والحرب وهو اضخم اثر افريقي مصنوع من الحديد فيما نعرف ويبلغ ارتفاعه خمسة اقدام وخمس بوصات (ص ٢١٠)

عن بازل دافيدسن ، افريقيا تحت أضواء جديدة في القرن السادس عشر الميلادى.

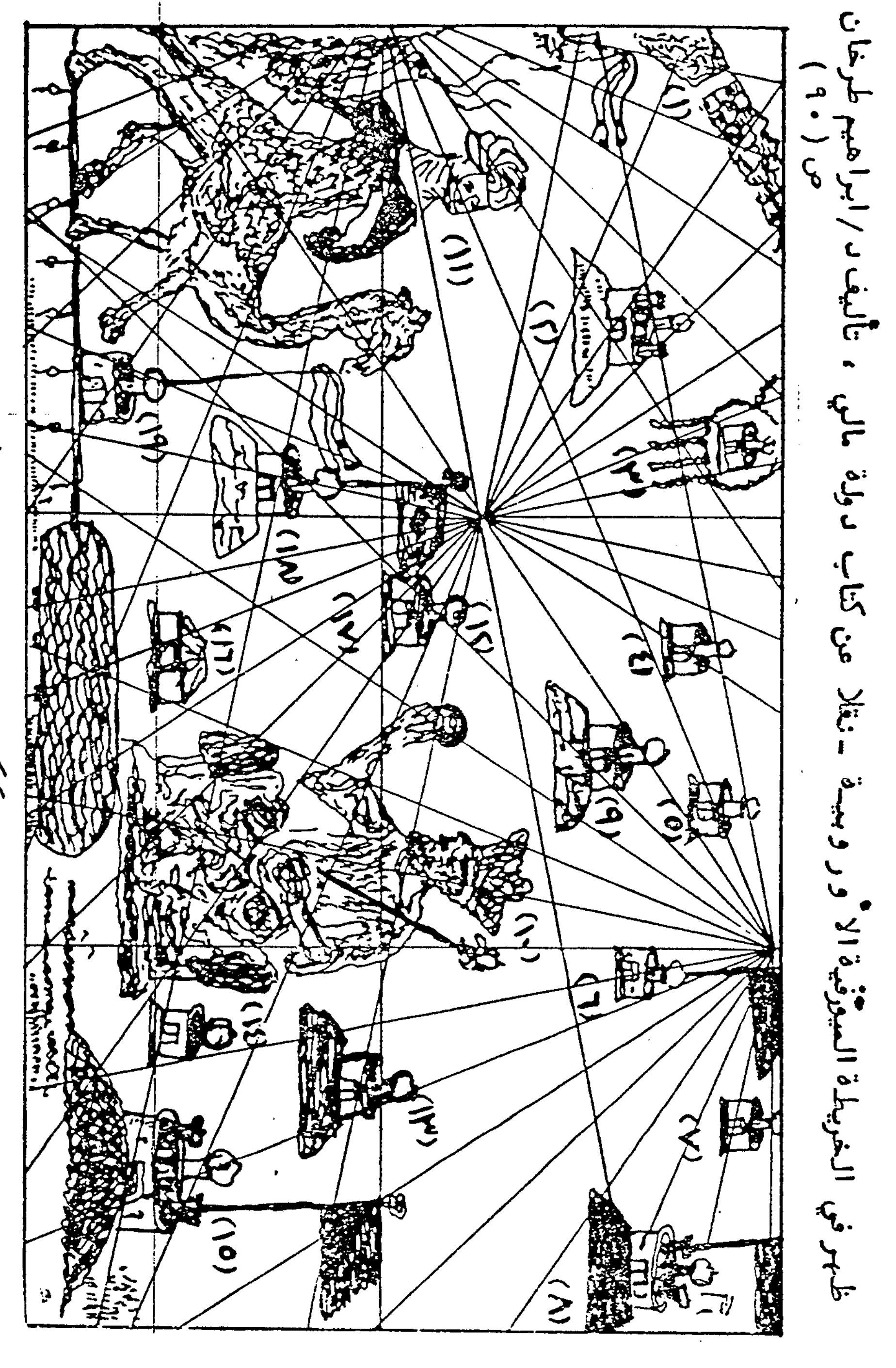
الملحق العاشر



الإمبراطوريات والسلطنات الإسلامية
جنوب صحراء إفريقية قبل الاستعمار الأوربي

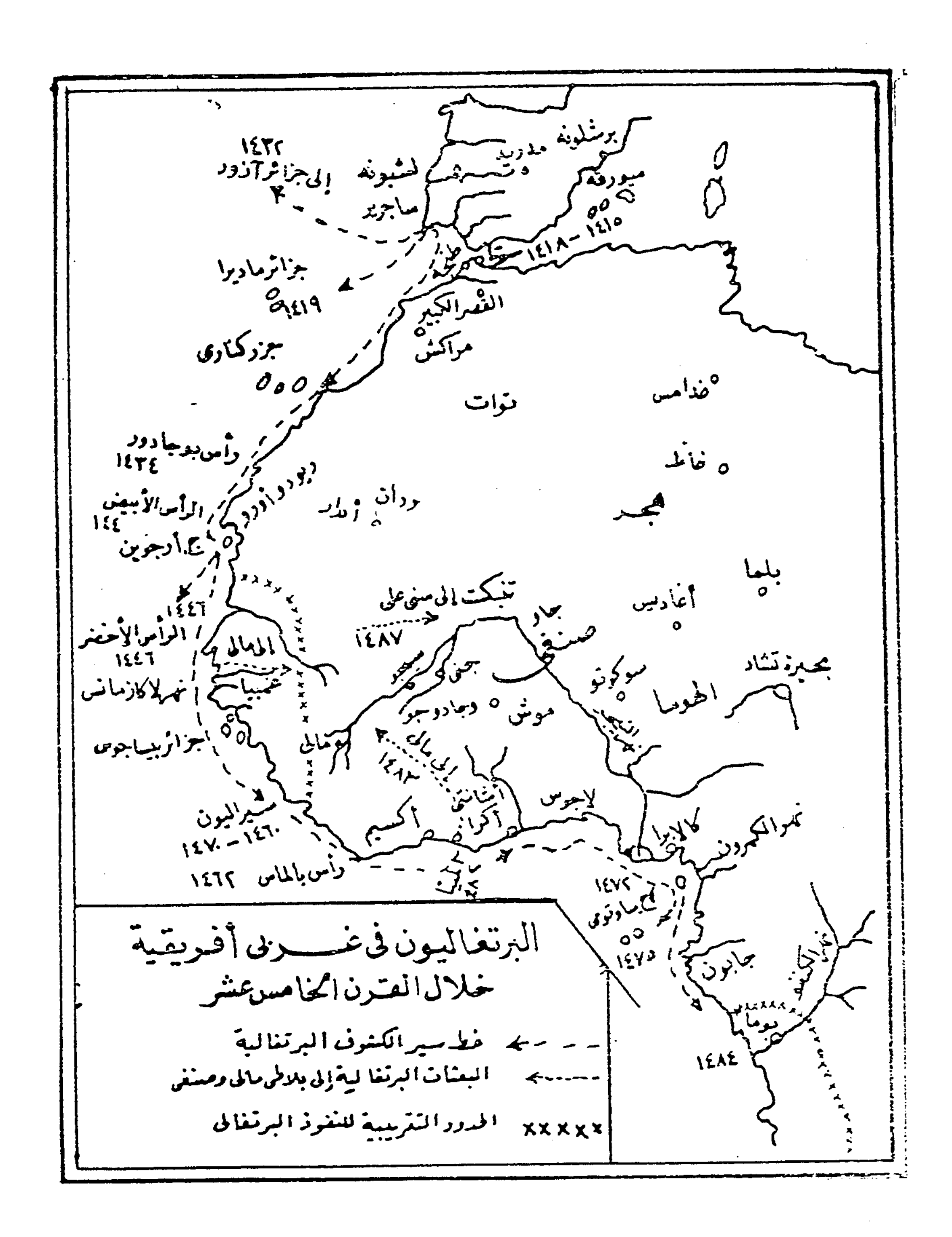
الملحق الحادى عشر

ظهر في الخريطة الميورقية الأوروبية - نقلا عن كتاب دولة مالي ، تأليف د/ ابراهيم طرخان ص (٩٠)



السلطان كنكن موسى سلطان مالى
(٧١٢ - ٧٣٨هـ / ١٣١٢ - ١٣٣٧م)

الملحق الثاني عشر



عن طرخان / دولة مالي الاسلامية.

الملحق الخامس عشر

على مقربة من مدينة غانوى توجد شجرة الداعية الكبير موسى باغايوغو

والشجرة لم تزل موجودة الى الآن منذ سنة ١٩٢٢م.

(عن بول مارتي)



A côté de Gahoué.
L'arbre de Moussa Barhayorho.

الملحق السادس عشر

صلاة عيد الفطر في مدينة وجيني بساحل العـاج

(تصوير بول مارتي منذ سنة ١٩٢٢م)



La prière a Odienné.

الملحق السابع عشر

بعد هجرة الماندى من مالي الى ساحل العاج

صورة من صلاة الجمعة في مدينة غانوى عن

(بول مارتي ص ١٤٣) سنة ١٩٢٢م



Mosquée de Gahoué.
La prière du vendredi.



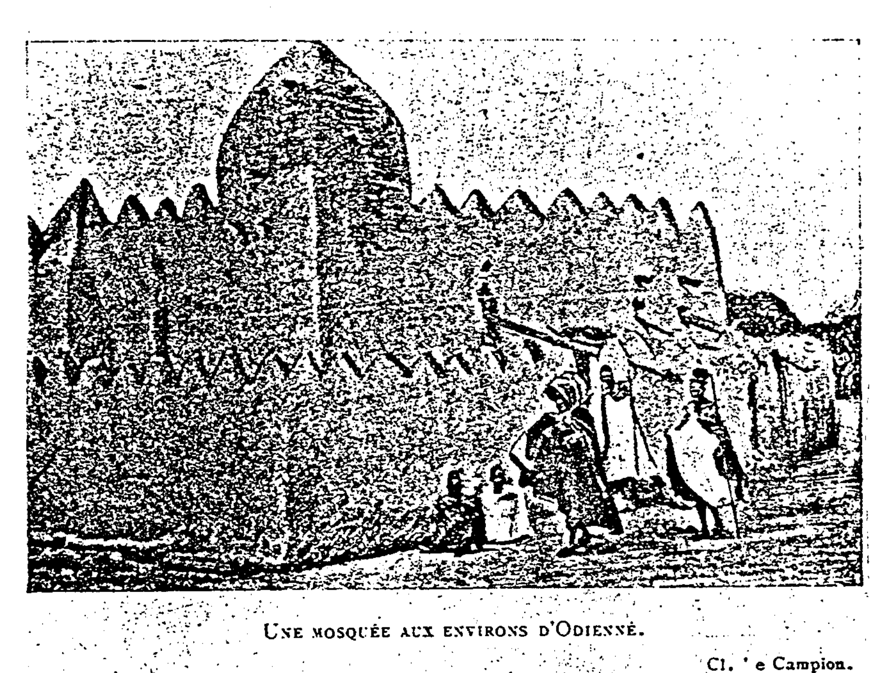
Mosquée de Gahoué.
La prière du vendredi.

الملحق الثامن عشر

مسجد في مدينة وجينـي

بني بعد هجرة ماندى من مالي الى ساحل العـاج

عن بول مارتي ص ٨٠



UNE MOSQUÉE AUX ENVIRONS D'ODIENNÉ.

Cl. ' e Campion.

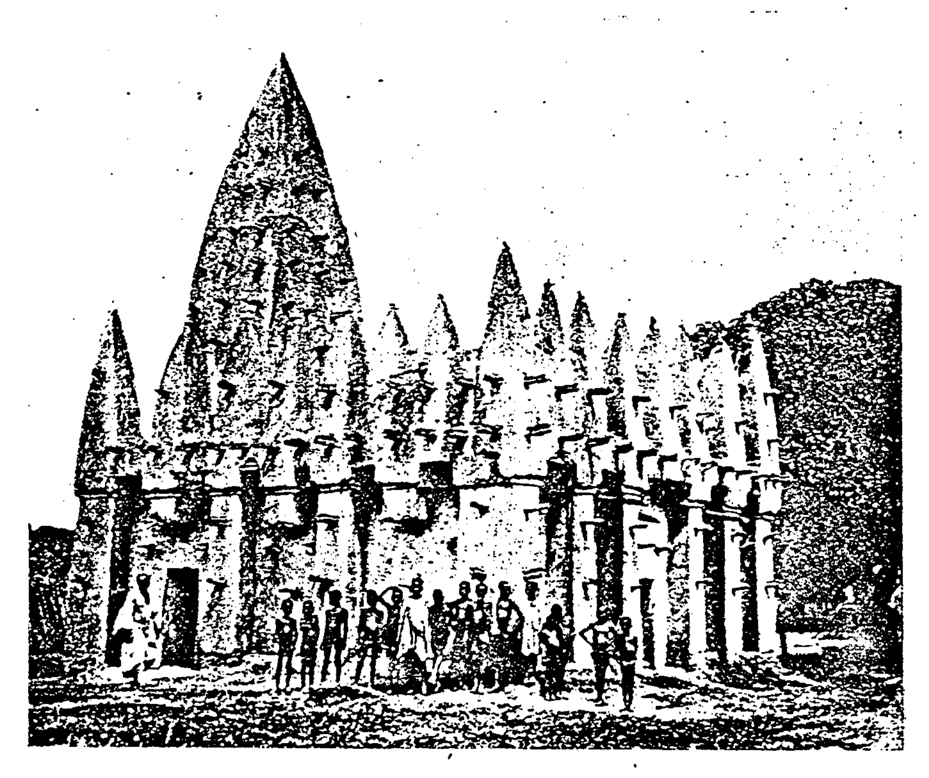
الملحق التاسع عشر

مسجد مدينة يـــو رو بـــو د ى

(بمحافظة بندوكـــو)

بنوه بعد هجرتهم من السودان (عن بول مارتي ص ٢١٥)

القرن السابع عشر الميلادى



La mosquée de Yorobadi.
(Bondoukou.)

الملحق العشرون

الكتب التي كانت تدرس في بلاد السودان الغربي قبل دخول الأوربيين في المنطقة .

(١) = مكتبة علماء مدينة (وجيني)
احدى المدن الاسلامية العريقة بساحل العاج
وقد صورها المسيو (بول مارتي)
عام ١٩٢٢م في كتابه :
( )

معناه : دراسات حول الاسلام في ساحل العاج .

(1) Etude sur l'Islam en Cote d'Ivoire.

مكتبة علماء مدينة وجيني بساحل العاج
عن بول مارتي سنة ١٩٢٢ م

ANNEXE III

BIBLIOTHÈQUE DES MARABOUTS D'ODIENNÉ.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
وسلم تسليما هذه اسماء الكتاب المنزلة التور
ية لموسى والانجيل لعيسى والزبور لداوود
والفرءان لمحمد صلى الله ع وم البردة تاليف
محمد المركسى بحر الانوار تاليف الفا محمود
سؤال المكلف تاليف محمود بن محمد معدن
ذهب تاليف عبد الله بن عمر تاج الدين تاليف
ا بن عطاء الله تحفة المصلى تاليف الامام
محمد بن عبد بن عمر مسائل البيضاء ٨
تاليف محمد بن سالم سبعية تاليف ٨
احمد بن عبد الرحمن اجرم تاليف
محمد

٢

محمد بن داوود نصيحة تأليف ابن عباس شفاء
تأليف القاضي بن عياض لغة الفرءان تأليف
محمد بن عبد الله سبع المثن تأليف ابو در
داء نوويين تأليف الامام محمد بن عبد الله
عجايب المخلوقات تأليف صالح بن محمد
صفة الجنة تأليف خالد البرهان تأليف
محمد سنوسي مرثة تأليف روح للحجم
كسماني فتح الافعال تأليف الحجم
سالم سنواردارى تأليف محمد الحسن
البوسي شجرة اليقين تأليف ابى الحسن

٣

الا شعري موطى مالك تاليف امامنا
مالك ابومدين تاليف شعيب جواهرلو
تاليف ارباب الحمد :: والكتاب انزلها
من السماء مائة واربع كتاب انزل الله
خمسين على شيث وثلاثون على
ادريس وعشرة على ابراهيم وعشرة
على ادم زبر العبدين تاليف على بن
الحسين ملحمة تاليف على بن ابي طالب
بردهمزاء تاليف محمد بن سعيد
رفين تاليف الشيخ عبد القادر
الجيلاني

٤

الجبلة في اخبار السموات تاليف عبد الله بن
اسحق اخبر زمان تاليف يحيى بن سعيد شهاب
الدين تاليف محمد بن سعيد نصحة صغرى ه
تاليف محمد عبد الكريم وتربة كبرى تاليف
ابو بكر بن محمد بن مهيب تاليف ابو بكر
بن فضل العشماوي تاليف مالك ابن انس
شفا احمد قاسم بن علي الهراطي تاليف
عبد القادر الكيلاني برهان فصل تاليف
محمد بن عمر افضل ما جد ابن عباس الفقه
الشق القمر تاليف جود ابن عباس

صح

٥

صلاة ربي تاليف محمد بن سعيد القلب بخوف
تاليف ابوبكر الصديق بابا فتياي هرتا بيف سنب
بن بوص بنرس الهداية ابوبكر بن مختار البه
فطرب تاليف ابوبكر الشيوطي سؤال جواب
تاليف عثمان بن عبد الله ابي الفضل
تاليف ابشر الاسد تاليف محمود بن
العباس انتهى هاهنا

هذه مكتبة للشيخ (الامامو توفانا) والشيخ (كراموكو) في مدينة مانكونو ساحل العاج . قد صورها المسيو بول مارتي Paul Marty سنة ١٩٢٢م

ANNEXE IX

CATALOGUE DES BIBLIOTHÈQUES D'ALIMAMOU FOFANA ET DE SAÏD KARAMOKO A MANKONO (OUORODOUGOU).

1

كتاب مجلس ذكر القيامة . كتاب الرسالة
كتاب خزينة الاسرار — كتاب بن الجلاب
كتاب العارفين . — كتاب المختصر
كتاب معدن الذهب . — كتاب التلقين
كتاب شجرة اليقين — كتاب خليل
كتاب برئ الدين . — كتاب عقيدة الدين
كتاب شهاب الدين
كتاب حديث الاربعين صغرى وكبرى
كتاب تنبيه الغافلين . — كتاب منديل
كتاب المواعظ — كتاب الباجي
كتاب مرابع خمسين — كتاب علم الزكاة
كتاب صفة رمضان — كتاب الارشاد
كتاب صفة الجنة . — كتاب تحفة الحكام
كتاب مكارم الاخلاق — كتاب سنن الشعراء
كتاب مصباح المنير — كتاب مقامات الحريري
كتاب الانوار المحمدية — كتاب وكلى الدنيا
كتاب الشمائل المحمدية — كتاب مقصورة
كتاب مدونة — كتاب اباتيث
كتاب نزهة المجالس — كتاب تعوث
كتاب بدايع الزهور — كتاب الدالية
كتاب اخبار الزمان — كتاب بانت سعاد .

Etudes sur l'islam en cote d'ivoire 1
Paul Marty ANNEXE IX

٢

كتاب اخبار الزمان — كتاب ابن دريد

كتاب قرة الابصار — كتاب منكرهم

كتاب المدح واسماء النبي الجليل — كتاب عيب النفس

كتاب كسب الفقير — كتاب ابن بكيس

كتاب الرفقية — كتاب زهرة العنيو

كتاب الهمزية — كتاب تحفة المودود
ابن كتاب المفيفة

كتاب سخركمسي: العربي - العلانبي — ابن كتاب تحفة الالباب

كتاب العجمي والعربي — كتاب مزود صغير

كتاب الوترية — كتاب لامية العرب

كتاب بن حبيب — كتاب لامية العجم

كتاب الشفاء — كتاب العسارة

كتاب خصايص الكبرى — كتاب ابن عطاء الله

كتاب البردة

كتاب تصريف الميداني — كتاب التنوير

كتاب الالفية — كتاب تاج العروس

كتاب الاجرومية — كتاب ابن عاشر

كتاب بلجة الاعراب — كتاب الدر المكنون

كتاب فكر الندى — كتاب تفسير الخطيب وبهامشه البيضاوي

كتاب محمد غنم — كتاب تفسير بهامشه تفسير الجلالين

كتاب مصر سرية الكلالب

كتاب عوامل — تفسير سيدي محي الدين النسفي

٣

كتاب خالد	حاشية الجمل على الجلالين
كتاب درر اللوامع	تفسير سورة العصر
كتاب البسملة	متن الجامع الصغير
كتاب صفة العشرين	شرح الشبرنوي على الاربعين النووية.
كتاب الوغليسي صغرى وكبرى	
كتاب العقائد	شرح الشبرخيتي على الاربعين وبهامشه السبعيات
كتاب النصيحة	
كتاب سليم صغرى وكبرى	شرح ابن حجر على الاربعين النووية.
كتاب البرهان	
كتاب المقدمة	مصابيح السنة للامام البغوي
كتاب الوسطى	
كتاب كبرى	
كتاب صغرى	الانوار المحمدية
كتاب ابن عمر كبرى	فتوح الشام
كتاب اناوجوناه	الاقتصاد في الاعتقاد الغزالي
كتاب الجزايري	الفصول بعة في اسرار الشريعة.
كتاب شافية القلوب	
كتاب ايد	احياء علوم الدين للغزالي وبهامشه عوارف المعارف
كتاب منهل الهادي	
كتاب منهج الاصول	تخميس الهمزية.
كتاب سبل المعروف	
كتاب وفي انفسكم	

كتاب سهولة المريدين

كتاب عقيدة الايمان

كتاب سؤال التوحيد

كتاب هداية المسكين

كتاب نابعة الطلاب

كتاب اضاءة الدجنة

كتاب سعد الديباجى

كتاب وجوب الوجود

كتاب جواهر الحسان

كتاب الجورانى

كتاب ست وستون

كتاب فضائل أصول الدين

كتاب فضائل التوحيد

كتاب تحيى الفكهى

كتاب الوسيلة

كتاب واسطة السلوك

كتاب كوكب

كتاب فال العوفى

كتاب الاخضرى

كتاب نبراس

كتاب تحفة المصلى

ANNEXE V

BIBLIOTHÈQUE DES MARABOUTS DE SAMATIGUILA.

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ ابو بكر الزماني والفرقان
منزل على نبينا افضل مبعوث وانا امتنا وامة محمد افضل
الامة والتورية منزل على موسى وهو كليمه والانجيل
منزل على عيسى وهو الروح الله والزبور منزل على داود
وهو صاحب الملك والنبوة واما امنا مالك بعد صحبة رسول
الله وكتاب مالك موطاء وهو عندنا رسالة عندنا بعد
موطاء في قطع احكمنا وتلقين عندنا وعند علمائنا وكتاب
خليل عند علمائنا وكتاب المقامة عند العلمائنا وكتاب
احمد الورو عندنا وكتاب احمد البازززى عندنا وكتاب
تحفة عندنا وكتاب الحسن اليوسى عندنا وكتاب
ابن دريد عندنا وكتاب محمد سنوسى خمس كتاب
عندنا وكتاب محمد بن عمر خمس كتاب عندنا =
وكتاب احمد باب عندنا وكتاب ابن عباس عندنا
وكتاب ابن عطاء الله عندنا وكتاب ابن مالك
عندنا وكتاب محمد القراكشي عندنا

*

نقلنا هذه الصور عن كتاب :

(

)

تأليف (بول مارتي) سنة ١٩٢٢م لمكتبة علماء مدينة (سا ماتيغيلا)

بساحل العاج وهي احدى المدن الاسلامية العريقة .

٢

عندنا وكتاب كوكب وكتاب ابن سيرل وكتاب تجنيس عندنا
وكتاب التوردي عندنا وكتاب ابن ناظم عندنا وكتاب ال
البية وكتاب مدرك عندنا ومراءة الطالب عندنا وكتاب
جنى الافعال عندنا وكتاب الاخضري عندنا وكتاب
العسماوي عندنا وكتاب [illegible] مغن الفرائض عندنا
وكتاب العبقي عندنا وكتاب الشهاب الدين عندنا وكتاب
الاسد عندنا وكتاب غرر الابصار عندنا وكتاب
جد امسى عندنا وكتاب زين العابدين وكتاب مقصورة
عندنا وكتاب سنبري عندنا وكتاب تيسر المقام عندنا
وكتاب ابو ليث عندنا وكتاب تحفة المودود عندنا
وكتاب تحفة المصلي عندنا وكتاب مجربة العقلاء
عندنا وكتاب ابنت السعودي وكتاب يقول العبد
عندنا وكتاب مونس الغريب عندنا وكتاب ملحة =
الطالب عندنا وكتاب الطلطلي عندنا وكتاب صفة
الجنة عندنا وكتاب منظوم الاخبار عندنا وكتاب

سؤال

٣

سؤال عبد الله عندنا وكتاب معدن الذهب عندنا وكتاب
تعليم المتعليم عندنا وكتاب نبراس الهدى عندنا
وكتاب ابشر عندنا وكتاب بطلو الدنيا عندنا
وكتاب سمرقند عندنا وكتاب عمر القيس عندنا
وكتاب قصة الانبياء عندنا وكتاب شفاء عندنا
وكتاب بسملة عندنا وكتاب أصول ابن ادم وكتاب
نهى الناهين عندنا وكتاب صفة الصبر عندنا وكتاب
در المكنون عندنا وكتاب اخبار زمان عندنا وكتاب
صفة الصبر عندنا سمنيه
اسم كاتبه كري ي جيت

ANNEXE VI

1

Bibliothèque des marabouts de Touba.

هذا كتاب منديل هذا كتاب الجزايرى هذا كتاب
ابيوسي محمد بن الماهر هذا كتاب المقامة القاسم
برعلى هذا كتاب قصة البعير هذا كتاب الحوجى
هذا كتاب نصيحة هذا وصية سيدنا لسيدنا على
هذا كتاب يقول شيخنا محمد بن عمر هذا كتا ب
الاخضرى لعبد الرحمن الصغير هذا ذكروجان
بلال بن حمامة هذا كتاب اخبار الزعار منجر سعيد
يحيى هذا كتاب الجواهر الحسان لاحمد
باب هذا كتاب كسب الفقير هذا الكتاب نصيحة
ابليس لعنة الله عليه هذا كتاب شجرة اليقين
للشيخ ابي الحسن الاشعرى هذا كتاب مولود نبي
صلى الله ع وسلم هذا كتاب شفاء القاضي ابوا

*

هذه الصور من مكتبة علماء مدينة (لوبا) بساحل العاج نقلناه عن كتاب
( )
تأليف (بول مارتي) سنة ١٩٢٢م (الملحق السادس).

(٢)

ابو الفضل عياض هذه كتاب معدن الذهب هذا
كتاب القاموس هذه كتاب سمرقند لمحمد -
هذا كتاب ابو مدين شعيب مقصورة هذا كتاب
الموطأ مالك هذه كتاب الطهارة القاضي ترفان
الجليل هذا الكتاب مرثة الطلاب الحاج سالم
هذا كتاب لفمار هذا الكتاب السبعة ابو نصر
محمد بن عبد الرحمن هذا الكتاب بداع الدنيا
ابو الحسن محمد هذا كتاب مدرك المفاهمة
هذا الكتاب بسملة محمد بن المستنير هذا
تحفة المصلي هذا (اسم البلد) الشجرة المباركة
لعبد الله بن عبد الرحمن هذا الكتاب الجوابات
عن ابي الحسن محمد الجابسي انتهى
وصلاة وسلام على حبيبه محمد صلى الله
٩٤م

ANNEXE IV

Bibliothèque des marabouts de Tiéné.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم هذه اسماء الكتب
بن وهيب تاليف ابو بكر بن الفضل بن تعميس تاليف محمد المركسي
كتاب الرسالة تاليف عبد الله بن ابي زيد تعليم المتعلم تاليف الاشقر
كتاب بن دريد تاليف ابو بكر الجزائري تاليف احمد بن عبد الله
بانت سعاد تاليف كعب بن زهير كتاب الشفاء تاليف عبد الله
بن سلام كتاب شهاب الدين تاليف محمد بن سعيد كتاب بن
تاليف محمد السنوسي كتاب الاخضري عمر بن عبد الله ابو زيد
كتاب الدرر المطلوب تاليف علي بن ابي طالب كتاب صلاة
رب تاليف محمد بن سعيد كتاب دريو محمد بن عمر
تاليف كتاب صفة الجنة تاليف محمد السنوسي كتاب
المواعظ تاليف علي بن ابي طالب كتاب وصية
تاليف رسول الله لعلي بن ابي طالب نزل التورية على موسى
نزل الزبور على داود نزل الفرقان على محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هذه الكتب كرم في بلد
تمت

مصورة من مكتبة علماء مدينة تيمي لساحل العاج سنة ١٩٢٢م

الملحق الواحد والعشرون

مضمون الرسالة :

لما تم الاحتلال الفرنسي الدموى ،لجأت الى أسلوب الدس والمكر والخداع . فطلبت من هذا الامام الكبير أن يوجه رسالة الى رعيته يحثها على تقديم الولاء لفرنسا لما قدمته وتقدمه من معونات وتسهيلات.

فاغتر هذا الامام الكبير بهذا القول المعسول الخيالى ، فوجه من فوره هذه الرسالة الى رعيته يطلب منهم الطاعة لفرنسا فاستدل على ذلك بقوله تعالى :

* اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم .. *

فلم يتبين للشيخ أن فرنسا كانت مخادعة مكارة .

بهذا الغزو الفكرى استطاعت فرنسا أن تستعمر غرب أفريقيا ضمن البلدان التي استعمرتها من دول العالم.

(1) 41

الملحق الواحد والعشرون

صورة من الرسالة التي وجهها الامام الكبير كوناندى باغاريو

بتاريخ ١٨ يونيو ١٩١٥م

ANNEXE XV

Lettre pastorale de Kounandi Timité, almamy de Bondoukou

Recommandation de notre seigneur, notre imam et le plus noble d'entre nous, l'imam Saïd ben Malik du pays de Bondoukou, connu sous le nom de l'imam Kounandi.

Recommandation à nos frères les Timité. Dieu le Très-Haut a dit: « Obéissez à Dieu, obéissez à l'apôtre et à ceux qui exercent l'autorité. » (Coran ch. IV, v. 62). Ceux qui exercent l'autorité sur nous sont les Français; nous devons avoir pour eux obéissance et pureté de sentiments; car nous tous, nous appartenons au Gouvernement français de corps et d'âme. Si vous demandez, ô frères, les services qu'il nous a rendus, la réponse est qu'il a amélioré nos affaires intérieures et extérieures. Il a peuplé les contrées inhabitées, a fait revivre la terre inculte et a donné une grande ampleur au commerce et à l'agriculture dans lesquels se trouve le bonheur du pays et des créatures. Il nous a édifié des mosquées, ouvert des médersas, construit des hôpitaux, et nous a créé des industries. Il nous a disposé en ordre toutes nos affaires; il a respecté notre religion et nos coutumes. Il nous a apporté la sécurité dans nos personnes et dans nos biens, en mettant en fuite Samory. Notre pays, avant qu'il soit conquis par notre cher Gouvernement français, était une proie facile entre les mains de Samory. Lui et ses gens y commettaient ce qu'ils voulaient en fait d'ignominies, de crimes, de captifs, la dissipation des biens d'autrui, le vol, le pillage, le massacre des innocents, la violation des droits des veuves et des orphelins, le mépris des amis de Dieu, le manque de respect des coutumes des gens, le persiflage de la religion de l'islam et d'autres crimes analogues à ceux-ci parmi les tentatives de perturbation.

Quant à notre aimé Gouvernement français, il a multiplié pour nous ses faveurs, nous lui devons des bienfaits incalculables; la plume est incapable de les décrire et de les dénombrer. C'est le moment de répondre à ses grâces par les nôtres. Vous n'ignorez pas que l'Allemagne, nation corrompue, lui a déclaré la guerre ainsi qu'à d'autres nations, ses alliés, comme l'Angleterre et la Russie. La méchante, l'ignoble, c'est-à-dire la nation allemande, n'a d'autre dessein que la suppression du droit et de l'équité de l'univers pour les remplacer par la tyrannie et l'oppression. Ce qui est étrange, c'est que le Gouver-

نقلاً عن كتاب بول ماركى المصدر السابق

(2)

- ١٠٧٩ -

nement turc, qui est en ce moment entre les mains d'un ramassis de gens, a acclamé l'Allemagne. Il s'est ingéré dans la guerre dans le but de l'aider. Les musulmans de toutes régions du monde ont désapprouvé la Turquie pour cette chose. Réellement l'Allemagne est noyée, et celui qui s'accroche à un noyé est également noyé. L'apparence est donc que la Turquie sans doute sera noyée. Son entrée avec l'Allemagne dans le conflit ne lui en fera retirer que la perte et la ruine. Que Dieu en préserve !

Quant à nous tous, les musulmans de la région de Bondoukou et notamment les Timité, nous faisons tous nos efforts pour assister notre cher Gouvernement français, de nos vœux et nos supplications à Dieu, afin qu'il lui porte secours contre ses ennemis. Pas la moindre négligence n'aura lieu, de notre part à ce sujet, car nous tous... « Ni l'assoupissement, ni le sommeil n'ont de prise sur nous. » (Coran, ch. II, v. 256. Nous ne faisons que des vœux pour notre aimée France, que Dieu lui donne assistance contre ses ennemis. O grand Dieu, assiste notre Gouvernement d'une assistance éclatante, et donne-lui « une victoire immédiate ». (Coran, ch. LXI, v. 13.) Contrains ses ennemis avec violence, et détruis-les entièrement. (Coran, ch. IX, v. 74.)— Par respect du Coran, le sublime. Telle est ma recommandation. « Celui qui nous suit, aura les récompenses de Dieu, comme la récompense de celui qui fera à Dieu un prêt généreux pour que Dieu le lui porte au double, et lui donne en sus une récompense généreuse. Un jour, tu verras les croyants, hommes et femmes; leur lumière luira devant eux, et à leur droite. Aujourd'hui, leur dira-t-on, nous vous annonçons une heureuse nouvelle, celle des jardins baignés de cours d'eau, et où vous resterez éternellement. C'est un bonheur immense. » (Coran, chapitre LVII, v. 11-12.) Le contraire arrivera à qui nous sera contraire... « Dieu dirige ceux qu'il veut vers le sentier droit. » (Coran, ch. XXIV, v. 45). Dieu le Très-haut a dit également dans son livre sublime : « Et rendez le mal pour le mal » (Coran, ch. XLII, v. 38); et celui qui commence le premier est le plus coupable. Si tu es assis dans ta maison, sans qu'aucune pensée de guerre soit dans ton esprit, et que quelqu'un vienne à toi avec une armée pour dévaster et ravager son pays, sache que celui-là est un oppresseur et qu'il t'a opprimé... « Dieu ne dirige pas les méchants » (Coran, ch. LXI, v. 7.) « Il donne la sagesse à qui il veut; et quiconque a obtenu la sagesse a obtenu un bien immense. » (Coran, ch. II, vers 272.) Salut.

Ma plume est devenue sèche (1). Vendredi 18 juin 1915, an 1333 de la fuite de Mahomet, que Dieu lui donne la miséricorde et le salut !

(*Traduction* Bokhari Nacef).

(1) *Id est*, j'ai achevé cette lettre, le 18 juin.

الملحق الثاني والعشرون

صورة من الرسالة التي أرسلها مسلمو مدينة كورغو الى أهل مكة بايعاز

من فرنسا بتاريخ ١٩/٨/١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م

valeur d'un mouton ; un jour de travail pour lui est payé pour un mois (exception faite pour les autres races).

Ce qui s'explique pourquoi nous prenons Monsieur le Gouverneur comme notre père et mère.

Nous prions avec révérence à tous les musulmans de la Ville sainte de continuer toujours de prendre bonne volonté pour aider les Français jusqu'à la fin des hostilités, afin que la victoire soit remportée vivement.

Bien entendu, ces paroles ne sont pas de nous-mêmes, mais suivant les règles coraniques et au point de vue de la religion musulmane.

D'ailleurs le Mahomet (notre maître coranique), pendant son existence dans la Ville sainte, adorait très bien la race française. Ce qui s'explique pourquoi tous les musulmans devaient continuer aussi à bien aimer les Français comme ce premier.

Nous terminons ce présent (Djaridatou) en donnant tous nos sentiments respectueux à tous les musulmans de la Ville sainte et Mamadou Lhamissou (chef des musulmans) en leur priant avec révérence de continuer toujours de prendre bonne volonté pour aider les Français jusqu'à la fin des hostilités.

De notre côté aussi, nous prendrons toujours bonne volonté pour exhiber un bel élan de patriotisme.

Fait à Korhogo, le samedi 19 août, vers 4 heures du soir, l'an 1334 (1916) par Mamadou Soumaré, fils de Brahima Soumaré à Korhogo (Côte-d'Ivoire).

ANNEXE XIV

ADRESSE DES MUSULMANS DE KORHOGO AUX GENS DE LA MECQUE(1).

Le présent journal, fait par Mamadou Soumaré, fils de Brahima Soumaré, de Korhogo, est destiné pour être envoyé aux musulmans de La Mècque par l'intermédiaire de Monsieur le Gouverneur de la Côte-d'Ivoire, pour leur faire comprendre que nous, les musulmans du Poste de Korhogo, sommes très contents d'entendre qu'ils se trouvent aujourd'hui alliés avec les Français pour combattre les Allemands.

D'autre part, nous sommes très mécontents de voir les Allemands faire la guerre aux Français.

Quiconque ne pas voir les Français dans notre colonie (Côte-d'Ivoire) est méprisable aussi par nous, les musulmans, d'autant plus que notre bonheur ne dépend que par suite de l'arrivée de ces derniers dans les colonies.

C'est encore par la grâce des Français que nous sommes sauvés dans les ravages et les pillages de Samory, la captivité, les guerres de village à village.

A présent, nous sommes libres, nous pouvons vivre, travailler en paix, faire tranquillement notre prière.

Depuis que nous avons appris que tous les musulmans de la Ville sainte se sont coalisés, s'unis avec les Français pour combattre les Allemānds, notre souci a été de prier le bon Dieu pour les Alliés d'anéantir l'Allemagne.

Que l'Allemagne soit anéantie complètement.

Que les Allemands (pauvres, riches, princes, rois) puissent se rendre, être soumis aux Français.

Nous notons toujours que la race française est la race par excellence la meilleure de toutes les autres.

Quand vous donnez un poulet à un Français, il vous le paye par la

(1) Ce mémoire arabe a été rédigé en avril 1916 par Mamadou Soumaré, au nom de la communauté musulmane de Korhogo, pour être envoyé aux gens de La Mecque.

Mamadou Soumaré qui se pique de savoir le français, en a fait lui-même une traduction : c'est celle que nous donnons ici dans toute sa fraicheur. Le texte arabe est, heureusement pour les Mecquois subtils, beaucoup plus conforme aux lois de la grammaire.

COLLECTION DE LA *REVUE DU MONDE MUSULMAN*

الملحق الثالث والعشرون

PAUL MARTY

صورة من الصفحات الأولى لكتاب :

تأليف بول مارتي الذى أمدنا بمعلومات قيمة من

ÉTUDES SUR L'ISLAM

جهود قبائل (ماندى - جولا) في نشر الاسلام في

EN

المنطقة الجنوبية (منطقة الغابات والمنطقة الساحلية

CÔTE D'IVOIRE

والتي تمثلها اليوم (ساحل العاج وماجاورها) .

وفي هذه الاوراق بيان لكيفية هجرتها واستيطانها

في ساحل العاج وبيان عدد المهاجرين الذين هاجروا

من مملكة مالي للاقامة في الجنوب لنشر العقيدة الاسلامية.

PARIS

ÉDITIONS ERNEST LEROUX

28, RUE BONAPARTE (VI^e)

—

1922

ÉTUDES SUR L'ISLAM EN CÔTE D'IVOIRE

La Côte d'Ivoire se partage géographiquement en trois grandes zones :

1. *La région côtière.* — Elle est habitée dans son ensemble par des peuplades qui, suivant le système Maurice Delafosse et Gaston Joseph, se rattachent aux familles :

Kroumen. . . . . . 250.000 âmes.
Koua-Koua. . . . . . 106.000 âmes.

En plusieurs points, la forêt arrive à la mer avec les Agni.

Ces populations sont extrêmement divisées ethniquement et politiquement. Beaucoup d'entre ces tribus semblent venir de la forêt, voire de la Haute Côte d'Ivoire, et ont été refoulées et comme écrasées sur le littoral Atlantique. C'est ainsi qu'au cours des âges, des couches ethniques se sont superposées, mêlées, coincées les unes sur les autres, ou les unes dans les autres et qu'il sera bien difficile de démêler jamais leurs origines et leur histoire.

Ces populations sont fort intelligentes, mais paresseuses au delà de tout ce qu'on peut imaginer, dans un pays prodigieusement riche. C'est cette richesse qui explique sans doute cette anémie de l'énergie. Elles n'ont qu'un besoin : l'alcool ; elles ne travaillent que pour s'en procurer, elles vivent encore, sauf quelques groupements, presque nues, même à proximité des villages. Elles sont toutes fétichistes,

mais très nettement en marche vers le christianisme, en ses différentes formes. L'islam n'est représenté parmi elles que par quelques immigrants sénégalais, soudanais, et achantis de Gold Coast.

2. *La savane soudanaise.* — Le Nord de la Côte d'Ivoire se rattache par la géographie physique comme par la géographie humaine, et même déjà par la géographie économique, au Soudan. C'est la savane, habitée par des populations soudanaises qui, malgré leur rusticité, sont déjà évoluées, ont des chefs, des cadres sociaux, une existence presque normale, et chez lesquelles l'administration a été possible, du jour au lendemain, comme dans les autres colonies de l'Afrique Occidentale. Il faut seulement, pour leur propre évolution, comme par solidarité avec les autres régions de la colonie, les pousser à sortir quelque peu de chez elles, leur apprendre le chemin de la Côte, vaincre cette frayeur incoercible qu'elles ont gardé de la forêt, qui fut longtemps pour elles un lieu d'épouvante.

Ces populations se rattachent aux grandes familles soudanaises :

Famille mandé	290.000 âmes
Famille senoufo.	250.000 âmes
Famille voltaïque	40.000 âmes

Les Mandé sont représentés ici par deux peuples : les Malinké qui peuplent, en groupes compacts, surtout la partie occidentale de la savane; et les Mandé-dioula, qui habitent les parties centrales de la savane, dispersés en petits cantons, en villages, en quartiers de village et même en familles, au milieu des peuples senoufo et abron. L'islam de la Côte d'Ivoire, à quelques exceptions près, est concentré tout entier dans la famille mandé, chez les Malinké partiellement, chez les Dioula à peu près complètement.

Les Senoufo (o
plusieurs tribus q
répandus au milie
tivateurs frustes,
lement aux Arabo-
desquels habitent
astucieux. Les Di
dioula, colporteurs
sont les Juifs de la
La famille volta
renferme ici, et en
Koulango, Birifon
Leur contact avec
des Senoufo et de
d'islamisation.

3. *La zone sylv*
vane soudanaise s'
où le sol et les ho
l'humanité, par ce
dure. Elle est peup

Famille Agni-
Famille Dan-

auxquelles il faut j
Krou et Koua-Kou
la forêt.
Ces peuples qui
pulation de la Cô
un état d'indépen
atteint le dernier
tables bêtes fauve
villages, si petits
traqués. Leur mé
lève chez eux, à l'

Les Senoufo (ou Siénamana) sont représentés ici par plusieurs tribus que la poussière de Dioula musulmans répandus au milieu d'elles, n'a pas réussi à islamiser. Cultivateurs frustes, attachés au sol, on les comparerait facilement aux Arabo-Berbères de l'Afrique du Nord, au milieu desquels habitent ou circulent les Juifs commerçants et astucieux. Les Dioula, au sens ethnique du mot, et les dioula, colporteurs de toutes origines, mais surtout mandé, sont les Juifs de la haute Côte d'Ivoire.

La famille voltaïque, terme imprécis en attendant mieux, renferme ici, et en partie seulement, des peuplades Abron, Koulango, Birifon, et Lobi, toutes foncièrement animistes. Leur contact avec les Dioula, qui est le même que celui des Senoufo et des Dioula, n'a eu chez elles aucun effet d'islamisation.

3. *La zone sylvestre.* — Entre la région côtière et la savane soudanaise s'étend la zone sylvestre, vastes territoires où le sol et les hommes ont été étouffés, depuis l'origine de l'humanité, par ce splendide et effroyable manteau de verdure. Elle est peuplée par les familles suivantes :

Famille Agni-Achanti. . . . . . 410.000 âmes
Famille Dan-gouro . . . . . . 200.000 âmes

auxquelles il faut joindre nombre de peuplades des familles Krou et Koua-Koua, qui débordent de la région côtière sur la forêt.

Ces peuples qui représentent plus de la moitié de la population de la Côte d'Ivoire, vivent pour la plupart dans un état d'indépendance, d'anarchie et d'individualisme qui atteint le dernier degré de la sauvagerie. Ce sont de véritables bêtes fauves, qu'il est impossible de faire vivre en villages, si petits qu'ils soient et qui se croient toujours traqués. Leur méfiance irraisonnée est incoercible. On relève chez eux, à l'état permanent, des scènes hideuses d'an-

thropophagie, des crimes rituels d'une cruauté inouïe et qui témoignent d'un manque absolu de sens moral ou familial (1). Chaque mois, on apprend avec plus ou moins de possibilité de répression — et plus souvent on n'apprend pas — des attaques de femmes et d'enfants dans les hameaux de culture, aux fins de cannibalisme. On ne compte plus les victimes, livrées par des membres de leurs familles aux sacrifices sanglants des sorciers ; et les exécutions capitales qui sanctionnent ces crimes, quand l'autorité peut les atteindre, ne paraissent guère changer la face des choses. La femme est une véritable bête de somme, une simple captive, qu'on achète et qu'on vend suivant ses besoins. Pas de cadres sociaux. Pas de chefs.

Est-il besoin d'ajouter que l'islam s'est arrêté net devant cet écran de la forêt et que son influence civilisatrice, à qui il y a tant de choses à reprocher dans les sociétés mélaniennes, mais qu'on aurait aimé voir s'exercer ici, où elle pouvait être utile, n'a pu percer ce rideau opaque, ni atteindre ces populations privées d'air et de lumière, étouffées par la forêt sous sa verdure souveraine.

Les dioula, qui se sont aventurés parmi elles, dans un but de lucre, ont généralement eu à subir des avanies de toute sorte et souvent ont péri misérablement sous leurs coups ou leurs tortures. Ce n'est que de nos jours, et par

(1) Ce sont les populations de la forêt qui, en 1910, ayant capturé un chef de train, M. Rubino, le torturèrent sur la voie. « Tu vas voir, lui déclarèrent les Abbey, les parties de ton corps que tes yeux n'ont jamais pu voir. » Ils lui détachèrent alors la peau du dos, qu'ils présentèrent à ses yeux, puis la peau des fesses, puis l'anus. Ensuite, ils lui arrachèrent un des yeux qui fut présenté à l'autre œil du malheureux. Enfin ils firent l'ablation des parties sexuelles qu'ils lui introduisirent dans la bouche. M. Rubino, respirant encore, fut alors coupé en morceaux et chaque village adhérent à la révolte reçut un de ces morceaux. Ceci s'est passé en 1910, à 60 kilomètres de Bingerville, dans une région déjà traversée par le chemin de fer.

Ce sont encore les populations de la région forestière (Soubré), qui en 1913 attaquèrent M. Huberson, paisiblement installé dans une case, après une étape fatigante, le tuèrent à coups de machete et le mangèrent ensuite.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أولا - المخطوطات :

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء الثاني - القسم الثالث

  تأليف ابن فضل الله العمرى ، شهاب الدين أحمد بن يحيى توفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م

  مخطوطة بدارالكتب المصرية تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة .

- جنى الأزهار في الروض المعطار

  مخطوطة بدارالكتب المصرية (جغرافيا ٤٥٨)

- رسالة موجهة الى ملوك التكرور ، جزء من كتاب / فتح الغفور شرح منظومة القبور ،

  تأليف احمد بن خليل السيوطي توفي سنة ١٠٣٧هـ

  مخطوطة بدارالكتب المصرية تحت رقم ٤١٦ مجاميع

- كفاية المحتاج بمعرفة من ليس في الديباج

  مختصر كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج

  تأليف احمد بابا التنبكتي ، أبو العباس توفى سنة ١٦٢٧/١٠٥٣م

  مخطوطة بدارالكتب المصرية تحت رقم ١٠٦٨/ تاريخ ، تيمور.

- تاريخ السودان

  مخطوطة مصورة ، المعهد التأسيسي الافريقي جامعة دكار السنغال .

- معراج الصعود الى نيل مجلو السود

  تأليف احمد بابا التمبكتي

  مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة ابادن بنيجيريا رقم ٢٩٣/ ٨٢.

- مسائل الى علماء مصر

  تأليف أحمد بابا تمبكتي

  مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس رقم ٥٣٨٢

- المنتقى المقصور على مآثر خلافة أبي العباس المنصور

تأليف ابن القاضي احمد بن محمد القرن العاشرالهجرى

مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط ،بدار الأرشيف رقم ج ١٠٥٩

- الذهب المسبوك فيمن حج من الملوك

تأليف المقريزى تقي الدين أحمد بن علي ،توفى سنة ٨٤٥هـ/

١٤٤١ م

مخطوطة توجد في المكتبة الوطنية بباريس رقم ٤٦٥٧

- أجوبة اسئلة الأمير أسكيا محمد

تأليف محمد بن عبد الكريم المغيلي توفى سنة ٩٠٩ هـ

مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط ،بدار الأرشيف(رقم د ١٦٠٢) .

ثانيا - المطبوعات :

حرف الهمزة

- آثار البلاد وأخبار العباد

القزويني ، تم الايداع بدار الكتاب المصرية تحت رقم ٣٧١٣١

- الاحاطة في أخبار غرناطة (المجلد الأول)

الوزير لسان الخطيب

تحقيق محمد عبدالله عنان ، النشر دار المعارف مصر

موجود في مكتبة معهد البحوث والدراسات الافريقية تحت الرقم

٩٩ ، ٨٦٨

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ

القرماني : أبو العباس احمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي

توفي سنة ١٠١٩م

موجود في مكتبة الزاوية التيجانية القاهرة

- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان

مخطوط في مجلد رقم ٢٧٩ بدارالكتب المصرية

تأليف المسعودى (أبو الحسن علي بن الحسن المسعودى)

الرحالة ت : ٩٥٦م.

- الأديان في افريقيا المعاصرة

تأليف جاك مندلس ، ترجمة ابراهيم أسعد محمد

الناشر : دار المعارف بمصر .

- أسس البلاغة

تأليف الامام العلامة جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشرى

- أسس المادية الديالكتية والمادية التاريخية

تأليف سيركين وياخوت

ترجمة محمد الجندى ، الناشر دار التقدم موسكو

- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الجزء الخامس

تاليف الناصر السلالي أبو العباس أحمد بن خالد

الدار البيضاء ١٩٥٤٠م

- الاسلام والثقافة العربية في افريقيا

الدكتور حسن احمد محمود

الناشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ م

موجود في مكتبة معهد البحوث والدراسات الافريقية تحت رقم

١٠ ح/٢٦٧/٦٠

- الاسلام والمسلمون في غرب افريقيا

الدكتور عبد الرحمن زكي

- الاسلام والتنمية الاقتصادية

جاك أرسترى جريدة الكفاح الاسلامي

- الاسلام في مجده الأول القرن ٢/٥ هـ ٨/١١م

تأليف موريس لومبارد

ترجمة وتعليق اسماعيل العربي

الناشر الشركة العربية للنشر والتوزيع الجزائر ١٩٧٩

- الاسلام دين الجماعة

أحمد سيكوتورى - الترجمة العربية تونس

- الاسلام في الغرب

تاليف جان بول رو ،ت/ نجدة هاجر وزميله

الناشر : مصر ١٩٦٠م

- الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء

تأليف جوان جوزيف

ترجمة مختار السويفي

الناشرون : دار الكتب الاسلامية دارالكتاب المصرى دار لبنان

- الاسلام والتقاليد القبلية في افريقيا

تأليف محمود سلام زناني

الناشر: دارالنهضة العربية للطباعة والنشر ١٦٦٩ م بيروت

- الاسلام في نيجيريا اليوم وأمس وغدا

تأليف آدم الالورى

- المسلمون في السنغال

تأليف عبد القادر سيلا

سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر .

- الاسلام يتحدى

وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الاسلام خان ومراجعة د/عبد الصبور شاهين ج ٦.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة

تأليف ابن الأثير

- استعمار افريقيا

تأليف الدكتور زاهر رياض

الناشر : ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م

- أصول الفلسفة الماركسية

تأليف : جورج بولتيزر ورفيقاه

ترجمة شعبان بركات الناشر: المكتبة المصرية بيروت

- الاضطهاد الديني في المسيحية والاسلام

تأليف د/ توفيق الطويل

الناشر دارالبيان الكويت (القاهرة)

- أعلام الموقعين

تاليف الامام ابن القيم تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

الناشر مصر ١٣٧٤هـ

- الاعلام

تأليف محمد المرزوق بن عبد المؤمن الغلاني

ط/ الأولى سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م

- الافريقيون والعرب

تأليف أحمد سويلم العمرى

الناشر : مكتبة أنجلو المصرية المطبعة الغنية الحديثة ١٩٦١

- افريقيا في عصر التحول الاجتماعي

تأليف : لويد ترجمة شوقي جلال

- افريقيا في التاريخ المعاصر

تأليف د/ رأفت غنيمى الشيخ

الناشر : دارالثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٢م

- افريقيا الغربية في ظل الاسلام

تأليف نعيم قداح

كوناكرى عاصمة جمهورية غينيا

- افريقيا تحت أضواء جديدة

تأليف باذل دافيدسن

ترجمة جمال م. أحمد

الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع

- افريقيا بين الدول الأوربية

تأليف د/ محمد صفي الدين

- افريقيا من السنغال الى نهر جوبا

تأليف عبد الفتاح ابراهيم عميد أ. ج

مصر ١٩٦١م

- افريقيا الاسلامية (الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي المجلد الأول)

تأليف عنايات الطحاوى الدكتور

سنة ١٣٨٦هـ يونيه ١٩٧٠م

ويشرف على اصداره محمد توفيق عويضة

- افريقيا ثائرة

تأليف : البرتو فودجرى

الترجمة العربية بنجدة هاجر وسعيد الغز

- افريقيا في التاريخ المعاصر

تأليف د/ رأفت غنيمي الشيخ مصر

الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٨٢م

- افريقيا القديمة تكتشف من جديد

تأليف مارغريت شيسنى

- افريقيا الاسلامية

عنايات الطحاوى الدكتوراه سنة ١٣٨٩ هـ يونيه ١٩٦٩ م

- أفكار ورجال (قصة الفكر الغربي)

تأليف جرين برنتون ترجمة محمود محمود

مصر ١٩٦٥ م

- الأقليات المسلمة

- افريقية في مفترق الطرق

تأليف أحمد طاهر

الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة

- الالمام بأخبار من بالارض " الحبشة " من ملوك الاسلام

تأليف المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي)

ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١ م

- امبراطورية غانة الاسلامية

تأليف الدكتور ابراهيم على طرخان

الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٠ م

- الاناجيل الأربعة

- انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور

تأليف الامام محمد بللو بن عثمان بن فودى النيجيرى

الناشر دار مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م

موجود في مكتبة معهد البحوث والدراسات الافريقية

جامعة القاهرة تحت رقم ٩ ، ٩٦٦

- انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الافريقية وغربيها
تأليف د/ حسن ابراهيم حسن
الناشر معهد الدراسات العربية العالمية جامعة الدول العربية
سنة ١٩٥٧م
مكتبة معهد البحوث والدراسات الافريقية تحت الرقم ٢٦٧/٦٧٦

- انتشار الاسلام في القارة الافريقية
تأليف د/ حسن ابراهيم حسن
الناشر مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٦٢م

- أنتي دوهرنغ
تأليف فردريك أنجلز ت: د/ فؤاد أيوب
الناشر دار دمشق ١٩٦٥م

- انتشار الاسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب لها
تأليف د/ محمد عبدالله النقيرة
الناشر دار الرياض ١٣/٦/١٤٠٥هـ

- الانسان في العالم الحديث
تأليف جوليان هكسلي
ترجمة حسن خطاب نقلا عن كتاب مذاهب فكرية معاصرة ،
تأليف محمد قطب

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب
تأليف أبي زرع علي بن عبدالله بن أبي زرع الفاسي
ت ١٣٢٦م (نشر وترجمة تونبرج ٠)

- بؤس الفلسفة

تأليف كارل ماركس

ت: أندريه يازجي ط/ ثانية

الناشر دار النهضة العربية و مكتبة الحياة سوريا لبنان ١٩٦٧م

- البحر المحيط

تأليف أبي عبدالله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان

الناشر مكتبة و مطابع النصر الحديثة الرياض

- البدعة تحديدها وموقف الاسلام منها

تأليف الدكتور عزت علي عطية طبع بمطبعة المدني

الناشر دار الكتب الحديثة القاهرة

- بسط الأرض في الطول والعرض

تأليف ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن

عبدالملك المعروف بابن سعيد العنسي الغرناطي الأندلسي

ت ٦٧٣ هـ ٦٨٥ هـ

- بغية المستفيد شرح منية المريد

تأليف محمد العربي السائح الشرقي العمرى التيجاني

الناشر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى

١٣٨٠هـ/ ١٩٥٩م

- البيان الشيوعي

تأليف فردريك انجلز ،كارل ماركس

الناشر الشركة اللبنانية للكتاب بيروت

حرف التاء

- **التاريخ الكامل**

تأليف ابن الأثير علي بن أحمد بن أبي الكرم ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٢٨م

الناشر بولاق ١٢٧٤هـ

- **تاريخ كشف افريقيا واستعمارها**

تأليف شوقي الجمال

- **تاريخ اليعقوبي المجلد الأول**

تأليف احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب

ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي

الناشر دار صادر للطباعة والنشر بيروت سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م

- **تاريخ انتشار الاسلام في غرب افريقيا** (الفصل الثاني)

تأليف د/ عبد الرحمن زكي

الناشر : دار الاتحاد العربي للطباعة القاهرة ١٩٧٥م.

- **تاريخ افريقيا**

تأليف شارلز اندرى جوليان

ترجمة طلعت عوض أباظة مراجعة الدكتور عبد المنعم ماجد

الناشر دار نهضة مصر القاهرة ١٩٦٨م

- **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور**

وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار.

تأليف كعت (القاضي ألفع محمود كعت ابن الحاج المتوكل

كعت التمبكتي)

وهو موجود بجامعة في المكتبة الوطنية في باريس وفي جامعة

دكار في السنغال وفي جامعة بايرو بكانو نيجيريا.

- تاريخ السودان

تأليف عبد الرحمن عبدالله السعدى التمبكتي مات ١٠٦٦،١٦٥٥

وهو من الكتب التي عثر عليه (بارت) في مدينة (جواندوم)

عام ١٨٩٠م

- تحقيق : المستشرقين الفرنسيين (هوداس ونوا) في باريس

سنة ١٨٩٨ ويوجد في جامعة دكار وجامعة (بايرو).

- تاريخ افريقيا بعد الحرب العالمية الثانية

تأليف جون هانسن ترجمة عبد العليم السيد منسي

الناشر : دار الكتاب العربي

- تاريخ الشعوب الاسلامية

تأليف كارل بروكلمان ت : منير البعلبكي وآخر

- تاريخ ابن الوردى

تأليف ابن الوردى زين الدين أبوحفص عمر ت ٧٤٦هـ/١٣٤٨م

الناشر ترجمة : ونشر هيلاندر (S.Hylandep)

لندن ١٨٢٣م)

- تاريخ الزنوج في اميريكا

تأليف السيدة / أينا كورين براون

ترجمة الدكتور م . عيسى

الناشر مؤسسة سجل العرب القاهرة

- تاج العروس

لابن جوهر الفارسي محمد مرتضى الزيدى

- التبيات في أقسام القرآن

تأليف ابن القيم الجوزى الناشر مكة المكرمة المطبعة الاميرية

١٣٢٢هـ

- تحفة الألباب

تأليف الغرناطي أبو حامد محمد بن عبد الرحيم الأندلسى،

ت ١١٧٠ الناشر نشره فرار باريس ١٩٢٥م

- التبشير والاستعمار

تأليف ، الخالدى وفروح الطبعة الرابعة

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (الجزء الرابع)

تأليف بطوطة (محمد بن عبد الله توفي ٧٧٩هـ/١٣٧٧م

الناشر ترجمها الى الفرنسية دفرميرى وسانجونيتي)

باريس ١٨٥٣م

- تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان

تأليف محمد بن عمر التونسي تحقيق الدكتور خليل محمود عساكر

حواشي الدكتور مصطفى محمد سعد مراجعة د/ مصطفى زيادة

موجود في مكتبة الزاوية التيجانية الدالى المغربلين القاهرة

الناشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م

- التطور والثبات

تأليف محمد قطب ، الناشر دار الشروق ١٣٩٧هـ

التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام

تأليف محمد الغزالي الناشر : دار البيان الكويت

- تقويم البلدان

تأليف أبو الفداء اسماعيل صاحب حماه توفي سنة ٧٣٢هـ/ ١٧٧٢م

الناشر ترجمة ونشر سو لنيه الجزائر سنة ١٨٣٩م

- تكوين العقل الحديث

تأليف ج . هـ . ندال

ترجمة جورج طعمة الناشر : دارالثقافة

- تهافت العلمانية

تأليف عماد الدين خليل

الناشر بيروت ١٣٩٥هـ

- التيجانية

تأليف علي بن محمد الدخيل الله

الناشر دار طيبة الرياض المملكة العربية السعودية ط/أولى .

- ثلاثة قرون من الأدب

أشرف على تأليفه فورستروفوك

وأشرف على الترجمة جبرا ابراهيم بيروت

- جاهلية القرن العشرين

- جامع البيان (تفسير الطبرى)

تأليف ابن جرير الطبرى الناشر مصر الحلبي ١٣٨٨هـ

- جغرافية أفريقيا

تأليف د/ فتحي محمد أبو عيانة ١٩٨١م مصر

الناشر دارالجامعات المصرية

- الجفوة المفتعلة بين العلم والدين

تأليف محمد علي يوسف الناشر بيروت سنة ١٩٦٦م

- حاضر العالم الاسلامي

تأليف لوثروب مستودارد الامريكي نقله الى العربية الاستاذ / عجاج نسويهض .

الناشر دارالفكر ط/ الرابعة ١٩٧٠م

- الحركات الفكرية ضد الاسلام

د / بركات موسى بيروت

- حرية الفكر

تأليف سلامة موسى بيروت ١٩٦٠م

الناشر بيروت

- الحضارات الافريقية

تأليف دنيس بولم

ترجمة علي شاهين

الناشر منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٤م

- الحضارة الافريقية

تأليف بولم دنيز

ترجمة نسيم نصر

الناشر بيروت باريس الطبعة الثانية ١٩٨٢م

- حرية الفكر

تأليف سلامة موسى

الناشر القاهرة ١٣٩٧هـ

حرف الدال

- داخل افريقيا

تأليف جون جنتر

ترجمة مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر القاهرة نيويورك

اشراف ومراجعة وتقديم الاستاذ حسن جلال العروسي المحامي

الناشر مكتبة الأنجلو المصرية

- دائرة المعارف الاسلامية المجلد الخامس والثاني عشر

الترجمة العربية من الأصلين الانجليزى والفرنسي

- دائرة المعارف الفرنسية الجزء الخامس

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة الجزء الثاني والخامس

تحقيق حسن حبشي القاهرة ١٩٧٠/ ١٩٧٤

تأليف ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين أحمد بن علي بن

محمد توفي سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م

- درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة

تأليف عبد القادر بن محمد الأنصارى الجزائرى

- الدعوة الى الاسلام

تأليف سير توماس أرنولد

ترجمة د / حسن ابراهيم حسين ، اسماعيل النحراوى ،

عبد المجيد عابدين

الناشر مكتبة النهضة المصرية الطبعة الثالثة ١٩٧٠م

- الدفاتر الفلسفية جـ١

تأليف لينين ت : الياس مرقص الناشر دار الحقيقة بيروت ١٩٧٤م

- دول الاسلام في التاريخ الجزء الثاني

تأليف الحافظ شمس الدين أبي عبد الله بن أحمد بن عثمان التركماني

الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ

الناشر حيدر اباد الطبعة الثانية ١٣٦٤هـ

مكتبة الزاوية التيجانية القاهرة تحت الرقم ٩٣٩٣٧٩

- دولة مالي الاسلامية

تأليف الدكتور ابراهيم على طرخان

الناشر الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧٣م

- الديانات في افريقيا

تأليف هوبيرديشان ترجمة أحمد صادق حمدى

مراجعة د/ محمد عبد الله دراز

الناشر دار الكتاب المصرى - القاهرة ١٩٥٦م

مكتبة معهد البحوث والدراسات الافريقية تحت الرقم ٦٠/ ٢٩٠/د.ر

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك

تأليف المقريزى تقي الدين احمد بن علي توفي سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م

حرف الراء

- رسائل الخوارزمي

حرف السين

- السلالات البشرية في افريقيا

تأليف س.ج سلجمان ترجمة يوسف خليل

مراجعة محمد محمود الصياد

الناشر مطبعة العالم العربي القاهرة ١٩٥٩م

- سلسلة تراث الانسانية

مجموعة من الأساتذة الهيئة العامة للكتاب مصر

- السلوك لمعرفة دول الملوك

الناشر : نشر زيادة مصر ١٩٣٦م

- سلسلة تراث الانسانية

تأليف مجموعة من الأساتذة

الناشر الهيئة العامة للكتاب مصر

- السنغال

تأليف محمود شاكر

الناشر المكتب الاسلامي ط٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م

حرف الشين

- الشعوب والسلالات الافريقية

تأليف د / محمد عوض محمد

الناشر : بيروت .

حرف الصاد

- صبح الأعشى في صناعة الانشاء الجزء الخامس والثامن

تأليف القلقشندى (أبو العباس احمد بن علي) توفي سنة

٨٢١هـ/ ١٤١٨م

الناشر القاهرة ١٩١٦-١٩٢٢م

- الصحاح في اللغة والعلوم (تجديد صحاح)

تأليف العلامة الجوهرى ، المصطلحات العلمية الفنية

- الصحراء الكبرى

تأليف ريمون فيرون

ترجمة د / جمال الدين الدناصوري

مراجعة د / نصري شكري

الناشر مؤسسة سجل العرب القاهرة ١٩٦٣م

- الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية

تأليف الشيخ أبي الحسن الندوي القاهرة

- الصنم الذي هوى

ستة من كتاب الغرب ت : فؤاد حمودة

الناشر المكتب الاسلامي ١٩٦٠م

(حرف الكاف)

- كتاب صورة الأرض (القسم الأول)

تأليف ابن حوقل (أبوالقاسم عبدالله بن محمد النصيبي)

توفى سنة ٩٦٨

الناشر ليدن سنة ١٩٣٧م.

حرف العين

- العبر وديوان المبتدأ والخبر الجزء السادس والسابع

تأليف ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) توفي سنة ٨٠٨هـ /

١٤٠٥هـ

- العقل والدين

تأليف وليم جيمس ترجمة محمود حسب الله مصر ١٣٦٨م

- العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الاسلاميتين (مالي وصنغاى)
تأليف الشيخ عوض الله
الناشر دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

- العلم والدين في الفلسفة المعاصرة
تأليف اميل بوترو
ترجمة أحمد فؤاد الأهواني الناشر : مصر ١٩٧٣م

- العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الاسلامية
تأليف د/ سفر عبد الرحمن الحوالي رسالة ماجستير
جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٨هـ مكة المكرمة

- العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق
تأليف د/ محمد البهي
الناشر محاضرات القاها في قاعة دارالفتوى بتاريخ ٢٧ نوار ١٩٧١م

- عوامل انتشار الاسلام في شرقي افريقيا
مقال لعبد السلام شحماته مجلة النهضة افريقيا ٥/٩٥ اكتوبر سنة ١٩١٢م

حرف الغين

- الغارة على العالم الاسلامي
تأليف ا.ل شاتليه
لخصها ونقلها الى اللغة العربية مساعد اليافي ومحب الدين
الناشر نشرت في جريدة المؤيد سنة ١٣٣٠هـ وفي صحيفة الفتح ١٣٤٩هـ القاهرة المطبعة السلفية ومكتبتها

حرف الفاء

- **فجر التاريخ الافريقي**

مقالة الاستاذ توماس هودكير ممالك السودان الغربي

تأليف طائفة من أساتذة الجامعات البريطانية

ترجمة عبد الواحد الامابي

مراجعة محمد عبد العزيز سويلم

الناشر سلسلة كتب ثقافية القاهرة

- **الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**

تأليف د/ محمد البهي

الطبعة الخامسة ١٩٧٠م

حرف القاف

- **قادة الغرب يقولون : دمروا الاسلام**

تأليف جلال العالم

الناشر بيروت الطبعة الثانية

- **قصة الحضارة**

ول ديورانت ،ت: محمد بدران

الناشر مطبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٩٦٤م

- **قصة النزاع بين الدين والفلسفة**

تأليف توفيق الطويل الناشر: مصر

- **قصة افريقيا جنوب الصحراء ت**

تأليف (كاثارين سافيدح) ت : د/ راشد البراوى

- قضايا افريقية

تأليف محمد عبد الغني سعودى

الناشر: الكويت .

- قواعد المنهج -علم الاجتماع

تأليف : اميل دوركايم

ترجمة محمود قاسم الناشر : القاهرة ١٩٧٤م

- قيام دولة المرابطين

تأليف السيد/ عبد القادر زيادية

الناشر النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٧م

مكتبة جامعة الدول العربية تحت الرقم ٠٦/ ٩٦١/حسن٠ق

حرف الكاف

- كتاب البلدان

تأليف ابن فقيه (أبو بكر احمد بن محمد الهمذاني)

الناشر : دوغنويه -ليدن (١٣٢٠هـ - ١٨٨٥م)

- كتب غيرت وجه التاريخ

تأليف (داونز) روبرت

ترجمة احمد صادق وزميله

الناشر ادارة الثقافة بيروت

- الكشف عن حقيقة الصوفية

تأليف عبد الرؤوف القاسم

الناشر: مكتبة النماقاني بالمدينة المنورة

- كشف المحجوب

تأليف علي بن عثمان بن أبي علي الهجريرى

ترجمة الدكتورة اسعاد عبد الهادى قنديل

مراجعة: امين عبد المجيد بدوى

الناشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مصر

١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

- كفاية المحتاج بمعرفة من لبس بالديباج

حرف اللام

- لسا ن العرب

تأليف الامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الافريقي

- لمحات في التاريخ الافريقي الحديث

تأليف أحمد ابراهيم دياب

الناشر دارالمريخ ط/أولى ١٩٨١م- ١٤٠١هـ

- لودفيع فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية

تأليف فريدريك انجلز

الناشر دارالتقدم موسكو

حرف الميم

- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

تأليف أبو الحسن الندوى

الناشر بيروت ١٣٨٧هـ

- مالي

تأليف محمود شاكر

الناشر : المكتب الاسلامي ١٩٨٣م .

- مبادئ الاسلام

تأليف أبو الأعلى المودودي ، ت : محمد عاصم الحداد

الناشر بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ

- مبادئ الفلسفة

تأليف زايوبرت

ترجمة محمد أمين دارالكتاب العربي بيروت الناشر بيروت

- مجلة الأزهر مجلد ٢٩ الجزء الأول

محاضرات في النصرانية

تأليف محمد أبو زهرة

الناشر دارالفكر العربي ١٣٩٢هـ

- محيط المحيط

تأليف المعلم بطرس البستاني

- محاضرات الموسم الثقافي بالكويت

تأليف هاشم

الناشر الكويت ١٣٧٦هـ

- محاضرات في جغرافية افريقيا

تأليف د / أحمد علي اسماعيل

الناشر : معهد الدراسات الاسلامية القاهرة ١٩٧٠م

- المد الاسلامي في افريقيا

تأليف محمد جلال عباس

الناشر المختار الاسلامي القاهرة ١٩٧٨م.

- مدارج السالكين

تأليف الامام ابن القيم تحقيق محمد حامد الفقي

الناشر بيروت ١٣٩٢هـ

- مدخل الى المادية الجدلية

تأليف مورس كور نفورت

ترجمة مستجير مصطفى

الناشر دار الفارابي بيروت ١٩٧٥م

- مذاهب فكرية معاصرة

تأليف محمد قطب

الناشر :

- مذهب النشوء والارتقاء

تأليف منيرة على الغلياني

تقديم د/ محمد البهي مصر ١٣٩٥هـ

- المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام

تأليف محمد محمود الصواف ١٣٨٩هـ

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان

الجزء الرابع

تأليف الشيخ الامام أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن

سلما ن عفيف الدين اليافعي اليمني المكي توفي سنة ٧٩٨هـ

الناشر حدير آباد الدكن سنة ١٣٣١هـ

- مروج الذهب و معادن الجوهر

تأليف المسعودى أبو الحسن علي بن الحسن المسعودى الرحالة

ت ٩٥٦ م ٣٤٦هـ/ الشافعي

الناشر طبع بالمطبعة البهية المصرية ادارة الملتزم سنة ١٣٤٦هـ

- المرابطون وتاريخهم السياسي

تأليف د/ محمد عبد الهادى شعيرة

- ميزاب الرحمة الربانية بالطريقة التيجانية

تأليف عبيدة بن محمد الصغير الشنقيطي التيشيتي

الناشر ملتزم الطبع عبد الحميد أحمد حنفي مصر

- المسالك والممالك

تأليف الكرخي أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخرى

توفي في النصف الأول - القرن الرابع الهجرى

تحقيق د/ محمد جابر عبد العال الحسيني

مراجعة محمد شفيق غربال

نشرة وزارة الثقافة والارشاد القومي مصر ١٣٨١هـ/ ١٩٦٠م

- المسلمون في العالم اليوم

تأليف د/ عبد الرحمن زكي

الناشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨م

- المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل

تأليف عبد القادر محمد سيلا الطبعة الأولى

الناشر رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر

شوال ١٤٠٦هـ

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار الجزء الثاني القسم الثالث

تأليف ابن فضل الله العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى)

توفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م

محفوظة بدار الكتب المصرية تحت الرقم ٥٥٩ معارف عامة

- المسالك والممالك

تأليف ابن خرداذبة : أبوالقاسم عبدالله بن عبدالله

الناشر ليدن ١٣٠٩م

- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ،

تأليف كرسون ترجمة عبد الحليم عمود الطبعة الثانية القاهرة

- معالم تاريخ الانسانية

تأليف هـ . ج ويلز

ترجمة خليل الجسر

الناشر المنشورات العربية

- معجم البلدان (المجلد الرابع)

تأليف ياقوت الحموى أبوعبدالله ياقوت الحموى

توفى سنة ١٢٢٩م

- معالم تاريخ الانسانية

تأليف هـ. ج ويلز

ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد الناشر القاهرة ١٩٦٧م

- معجم متن اللغة

موسوعة لغوية حديثة

تأليف العلامة أحمد رضا

- معجم الألفاظ والأعلام القرآنية

تأليف اسماعيل ابراهيم

- معراج السعود الى نيل مجلب السود مخطوطة

أحمد بابا التمبكتي بجامعة ابادن رقم ٢٩٣/ ٨٢

- المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك

تأليف البكرى (أبو عبد الله بن عبد العزيز البكرى)

ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م

الناشر : نشرة راندوان الجزائرى ١٨٥٧م

- مقارنة الأديان (المسيحية)

تأليف الدكتور أحمد شلبي

الناشر :

- مقاييس اللغة

تأليف ابن فارس ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء

- مملكة مالي عند الجغرافيين (العرب) المسلمين

تأليف صلاح الدين

- الممالك الاسلامية في غرب أفريقيا

تأليف د/ زاهر رياض

- المنهل قاموس فرنسي عربي

تأليف د/ جبور عبد النور و د/ سهيل ادريس

الناشر : دار الاداب بيروت دار العلم للملايين

- من الزنوجة

تأليف الرئيس السنغالي السابق (ليوبول سيده سنغور)

خطاب ألقاه في جامعة أمروانيوم (بكونغو كينشاسا)

بتاريخ ١٧/ يناير ١٩٦٩م

- المنجد للأعلام

- منشأ الفكر الحديث

(ترجمة موجزة لقصة الفكر الغربي)

تأليف جرين برينتون ت : عبد الرحمن مراد

الناشر : دمشق .

- موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادى للتاريخ

الكتاب الرابع والعشرون من مركز احياء التراث الاسلامي

بجامعة أم القرى

تأليف أحمد العوايشة (رسالة ماجستير)

الناشر دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع

- موسوعة التاريخ الاسلامي (الجزء السادس)

تأليف الدكتور احمد شلبي

الناشر مكتبة النهضة المصرية

- الموجز في التحليل النفسي

تأليف سيجموند فرويد

ترجمة سامي محمود وزميله

الناشر مصر ١٩٧٠م

- موجز تاريخ نيجيريا

تأليف آدم الالورى

- موجز تاريخ افريقيا

تأليف سافيليف وفاسلييف

ترجمة أسد الشريف

- الموجز في التحليل النفسي

سيجموند فرويد ت : سامي محمود وزميله

الناشر : مصر ١٩٧٠م

- موجز تاريخ أفريقية

تأليف رولاند أوكيفروجون فيج

ترجمة الدكتورة دولت أحمد صادق

مراجعة الدكتور محمد السيد غلاب

الناشر مصر ١٩٦٥م

- الموسوعة العربية الميسرة (جزء ١ ن)

الناشر دارنهضة لبنان للطبع والنشر

بيروت لبنان ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

- ميلاد افريقيا

تأليف محمود الشرقاوى

الناشر القاهرة دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع

- نابليون المسلم

تأليف أحمد جل الوحيد

الناشر بيروت جـ ١

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (الجزء الحادى عشر)

تأليف ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

توفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م

الناشر القاهرة ١٩٢٩م

- نحن في افريقيا

تأليف كامل مرو

- نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق

تأليف الادريسي ،أبوعبدالله محمد بن محمد الشريف ولد عام ١١٠٠م .

الناشر طبع مجر ليدن سنة ١٨٦٦م قطعة منه

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان (الجزء الثالث)

تأليف ابن الصيرفي الخطيب الجوهرى ،علي بن داود

تحقيق د/ حسن حبشي

الناشر دارالكتب المصرية

- نسق الأزهار في عجائب الأقطار

تأليف ابن اياس أبو البركات محمد بن أحمد

ت : ٣٩٠هـ/ ٩٢٤م

- نظام الاسلام (العقيدة والعبادة)

تأليف الشيخ محمد المبارك

الناشر بيروت دارالشروق ١٣٩٧هـ

حرف الواو

- وصف افريقيا

تأليف ليو الافريقي بن محمد الوزان الزساتي توفى ١٥٤٠م

ترجمة د/ عبد الرحمن حميدة من الفرنسية الى العربية

مراجعة د/ علي عبد الواحد

الناشر جامعة الامام بن سعود الاسلامية السعودية سنة ١٣٩٩هـ

- الوجيز في اقليمية القارة الافريقية

تأليف انور عبد الغني العقاد

الناشر دار المريخ للنشر طبعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

- الولايات المتحدة الافريقية

تأليف أحمد سيكوتورى (الرئيس السابق لجمهورية غينيا)

ترجمة محمد البخارى

الناشر القاهرة ١٩٨١م ط/ أولى

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان (الجزء السادس)

تأليف ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي

بكر(توفي ٦٨١ هـ

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

الناشر دار النهضة المصرية القاهرة سنة ١٩٤٨م

- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط

تأليف الشنقيطي أحمد بن الأمين الشنقيطي نزل القاهرة

الناشر مصر ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

ثالثا ـ المراجع الأجنبيــة :

1. Afrique septentrionale et occidentale, Bernard,A.
2. Histoire generale de l'afrique TOM 1. J. Ki Zerbo.
3. L'Afrique noire dans les relations internationales au Xvie siecle Zakari dramane - issoufou
4. Editions kartale 22-24 boulevared arago Paris Centre de recherches Africaines 9, rue Malher 75004 Paris
5. Les bulltins admistratifs du senegale No. 88 Octobre 1857
6. Archives nationales J.86 FOL 41 ₵ raport marty)
7. Histoire et civilisation de l'Afrique noire , J. Paul Fernaind Nathan M= Bouchr
8. Etude sur L'Islam en cote d'ivoire, Paul Marty 5007 - Tours, imprimerie , E. Arrault 28, RUR Bonaperte (V 1°) 1922
9. L'Islam en moritanie et en Senegal. Paul Marty 5007, Tours imprimerie , E. A RRALT, 28 Rue Bonaperte (V 1°) 1915 - 1916
10. Etude sur L'Islam en guinee Paul Marty , 5007, imprimerie ARRAULT. Tours.E 28 Rur Bonaperte (V 1°) 1917 .

11. Etude sur L'Islam au senegal Paul Marty, 5007, imprimerie ARRAULT , Tours , E , Rue Bonaperte 28 Rue 1917

12. Etude sur L'Islam et le Tribus du soudan , Paul Marty . 5007, Tours E, ARRAULT. 28 Rue Bonaparte (V 1°) 1919

13. Gravier recherches sur les navigations Europennes faites au moyen age.

14. Histoire de L'Islam au 16em ciecle (cour elementaire 2)

15. Mission au senegal, recheche historiques sur les maures, Paris 1910

16. L'Islam en occident Paris 1950 , Roux , J.P

17. L'Ouest Africain Francais Paris 1947 , Spitz G.

18. Gravures , peintures et inscriptions rupestres de L'Ouest Africain , Mauny , R. Dakar , 1954

19. Histoire de L'Afrique Occidentale nain et canale Paris 1960

20. L'Histoire de l'Afrique Occidentale Fran caise, Paris 1949 Iaunet et Barry L'Islam dans L' Afrique occidetale

21. Le Chatelier , A. Paris 1899.

22. Traditions historiques et le gendaires du Soudan Occidental (Traduites d'un manuscrit Arabe) De la fosse, M.

23. La de couverte de L'Afrique au moyen - age de la roncieres ch. le caire, 1925.

24. Voyage au Soudan Francais chautniger et pays de segou 1870 -1881 . Gallieni . le commandant.

25. L'Islam dans L'Afrique occidentale Francaise gouilly, A Paris

26. L'Afrique Noire pre-coloniale cheikh anta diop Paris 1959

27. Gherier . charis le Senegale porte de l'Afrique Paris 1949

28. Les colonies Francaises henrique , louis Paris 1869.

29. L'Islam au Senegal these de doctorat . El - Hadji rawane mbay univercite de Dakar 1975

30. La negritude et l'Arabite, confrance Leopold sedar Senghor au Caire 1967

31. Ancient African kingdom shinni MS London 1965.

32. La de couverte de l'Afrique au moyen- age de la ronciere ch.

33. Etudes sur l'Islam et les Tribus Paul Marty Paris 1919.

34. Du Niger au golf de guinee binger L.G. Paris 1892.

35. Afrique Septentrionale et occidentale , Bernard A. (Geogr. Univ) T X I Paris 1939.

36. Les Peuples et les civilisations de l'Afrique . Baumann H, et Westermann. (Tradiction Francaise par l. homburger) Paris 1948

37. Le Droit du mariage en cote d'ivoire Parc dumetz
Paris 1975

38. Civilisation noire et eglise citholique blak civilization and catholic church resence Africaine
Paris 1977.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

المجلد الاول

الموضوع	الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

المجلد الثاني